تفسير
حدائق الروح والريحان
في
روابي علوم القرآن

تأليف الشيخ العلامة

محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي

المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة

إشراف ومراجعة

الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي

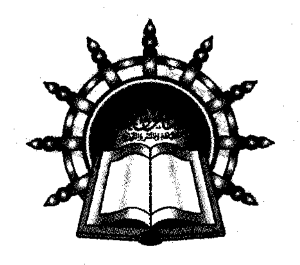
خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

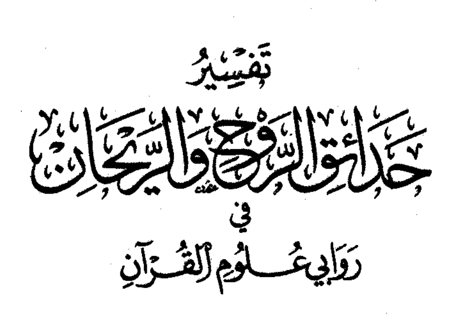
المجلد الحادي والعشرون

دار طوق النجاة

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



دار طوق النجاة
بيروت - لبنان


تفسير
حدائق الروح والريحان
في
روابي علوم القرآن



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد الأحد الماجد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة توصلنا إلى رضاه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، صلى الله سبحانه عليه، وعلى آله وصحبه الذين رقوا في ذرى المجد بتقاه، وسلَّم عليهم وعلى كل عاضّ بسنته وهداه، ما تعاقب الجديدان وتصارع الحق والبطلان.

أما بعد: فإني لما فرغت من تفسير الجزء التاسع عشر من القرآن الكريم بعون الله سبحانه وتيسيره.. تفرغت وتصديت بقدر مكانتي لتفسير الجزء العشرين منه إن شاء الله سبحانه وتعالى، مع ما بي من العوائق والمعائق، مستمطراً من سحائب كرمه وجوده، ومستمداً من وابل فيضه وإمداده، فقلت: وبالله التوفيق:

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ۖ بَلْ هُم مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

المناسبة

قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما قص[1] على رسوله ﷺ قصص أولئك الأنبياء السالفين، وذكر أخبارهم الدالة على كمال قدرته، وعظيم شأنه، وعلى ما خصهم به من المعجزات الباهرة الناطقة بجلال أقدارهم، وصدق أخبارهم، وفيها بيان صحة الإسلام والتوحيد، وبطلان الشرك والكفر، وأن من اقتدى بهم فقد اهتدى، ومن أعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى، ثم شرح صدره ﷺ بما في تضاعيف تلك القصص من العلوم الإلهية، والمعارف الربانية الفائضة من عالم القدس، مقرراً بذلك قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾.. أردف هذا بأمره ﷺ بأن يحمده تعالى على تلك النعم، ويسلم على الأنبياء كافة عرفاناً لفضلهم، وأداء لحق تقدمهم واجتهادهم فى الدين، وتبليغ رسالات ربهم على أكمل الوجوه وأمثل السبل، ثم ذكر الأدلة على تفرده بالخلق والتقدير، ووجوب عبادته وحده، وأنه لا ينبغي عبادة شيء سواه من الأصنام والأوثان.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ...﴾ الآية، مناسبة

---

(١) المراغي.

هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما أثبت تفرده بالألوهية، لاختصاصه بالقدرة التامة والرحمة العامة.. أعقب هذا بذكر لوازمها، وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلاً لما قبله وتمهيداً لما بعده من أمر البعث.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر فيما سلف جهلهم بالآخرة وعماهم عنها.. أردف بيان ذلك وإيضاحه بأنهم ينكرون الإخراج من القبور بعد أن صاروا تراباً، وأنهم قالوا: تلك مقالة سمعناها من قبل، وما هي إلا أسطورة من أساطير الأولين وخرافاتهم.

ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يرشدهم إلى صدق هذا، بالسير في الأرض حتى يروا عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم للرسل فيما دعوهم إليه من الإيمان بالله واليوم الآخر.

ثم صبر سبحانه رسوله على ما يناله من أذى المشركين، ووعده بالنصر عليهم، ثم ذكر أنهم مكذبون بالساعة وغيرها من العذاب والجزاء الموعود، وأنهم يسألون عن ذلك سخرية واستهزاء، وأجابهم بأن العذاب سينزل بهم قريباً، ثم ذكر فضله على عباده بأنه لا يعجل لهم العذاب مع استحقاقهم له، إذ هم لا يشكرونه على ذلك، ثم بين أنه تعالى عليم بالسر والنجوى، وأنه مطلع على ما تكنه القلوب، وأنه ما من شيء مهما خفي فالله عليم به، وهو مثبت عنده في كتاب مبين.

التفسير وأوجه القراءة

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾؛ أي: قوم لوط، وقرأ الجمهور[1] بنصب ﴿جَوَابَ﴾ على أنه خبر ﴿كَانَ﴾، واسمها: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾؛ أي: إلا قولهم؛ أي: إلا قول بعضهم لبعض: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾؛ أي: أخرجوا لوطاً وابنتيه زعوروا

(١) البحر المحيط.

ورويثا وزوجته المؤمنة ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ سذوم.

وقرأ الحسن وابن إسحاق برفع ﴿جوابُ﴾ على أنه اسم ﴿كَانَ﴾ وخبرها ما بعده؛ أي: فلم يكن جواب قومه إلا قولهم، والأول أولى. ثم عللوا ما أمروا به بعضهم بعضاً من الإخراج بقولهم: ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: إن آل لوط ﴿أُنَاسٌ﴾ جمع إنس، والناس مخفف منه، ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾؛ أي: يتنزهون عن أدبار الرجال، وعن جميع أفعالنا أو عن الأقذار، ويعدون أفعالنا قذراً.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: قالوا ذلك استهزاء منهم بهم. وهذا الجواب[1] هو الذي صدر عنهم في المرة الأخيرة من مرات المواعظ بالأمر والنهي، لا أنه لم يصدر منهم كلام آخر غيره.

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ﴾؛ أي لوطاً ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾؛ أي: بنتيه زعورا ورويثا وامرأته المؤمنة بأن أمرناهم بالخروج من القرية، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ الكافرة المسماة بواهلة، لم ننجها بل ﴿قَدَّرْنَـٰهَا﴾ وقضينا كونها ﴿مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾؛ أي: من الباقين في العذاب، فلذا لم تخرج من القرية مع لوط، أو خرجت ومُسِخت حجراً.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿قدَّرْنا﴾ بتشديد الدال، وقرأ أبو بكر بتخفيفها، ومعنى القراءتين واحد مع دلالة زيادة البناء على زيادة المعنى.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾ بعد قلب قريتهم، وجعل عاليها سافلها، أو على شذاذهم، ومن كان منهم في الأسفار، ﴿مَّطَرًا﴾ غير معهود، وهو حجارة السجيل، والتأكيد بالمصدر يدل على شدة المطر، وأنه غير معهود، ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾؛ أي: بئس وقبح مطر من أُنذر بعذاب الله فلم يخف منه، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: مطرهم هذا.

وحاصل معنى الآيات[3]: أي فلم يكن جوابهم للوط - إذ نهاهم عما أمره

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.

الله سبحانه بنهيهم عنه من إتيان الذكور - إلا قول بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً وأهله من قريتنا، وقد عدوا سكناه بينهم منة ومكرمة عليه، إذ قالوا: من قريتكم، ثم عللوا هذا الإخراج بقولهم استهزاء بهم: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾؛ أي: إنهم يتحرجون من فعل ما تفعلون، ومن إقراركم على ما تفعلون من صنيعكم، فأخرجوهم من بين أظهركم، فإنهم لا يصلحون لجواركم في بلدكم.

ولما وصلوا إلى هذا الحد من قبح الأفعال والأقوال دمر الله عليهم، وللكافرين أمثالها، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾؛ أي: فأهلكناهم وأنجينا لوطاً وأهله، إلا امرأته جعلناها بتقديرنا وحكمتنا من الباقين في العذاب، لأنها كانت على طريقتهم راضية بقبيح أفعالهم، وكانت ترشد قومها إلى ضيفان لوط ليأتوا إليهم، لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله عليه السلام لا كرامة لها.

ثم بين ما أهلكوا به، فقال: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم...﴾ إلخ؛ أي: وأمطرنا عليهم مطراً غير ما عُهد من نوعه، فقد كان حجارة من سجيل، فبئس ذلك المطر مطر الذين أنذرهم الله سبحانه عقاباً لهم على معصيتهم إياه، وخوَّفهم بأسه بإرسال الرسول إليهم.

﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ سبحانه على جميع نعمه التي من جملتها إهلاك أعداء الأنبياء والمرسلين وأتباعهم الصديقين، فإنهم لما كانوا إخوانه عليه السلام كانت النعمة عليهم نعمة عليه، ﴿وَسَلَٰمٌ﴾؛ أي: وسلامة ونجاة ﴿عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفة لعباده ﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾؛ أي: الذين اصطفاهم الله تعالى، وجعلهم صفوة خليقته في الأزل، وهداهم واجتباهم للنبوة والرسالة والولاية في الأبد، فهم الأنبياء والمرسلون وخواصهم المقربون الذين سلموا من الآفات، ونجوا من العقوبات مطلقاً.

وقرأ أبو السماك: ﴿قل الحمد لله﴾، وكذا ﴿قل الحمد لله سيريكم﴾ بفتح اللام، ذكره أبو حيان.

وفيه[1]: رمز إلى هلاك أعدائه ﷺ، ولو بعد حين، وإشعار له ولأصحابه بحصول السلامة والنجاة من أيديهم، وهكذا عادة الله تعالى مع الورثة الكمل وأعدائهم في كل زمان، هذا هو اللائح للبال في هذا المقال، وهو المناسب لسوابق الآيات العظام.

والحاصل[2]: أن الله سبحانه أمر رسوله أن يحمده شكراً له على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأن يسلم على عباده الذين اصطفاهم لرسالته، وهم أنبياؤه الكرام ورسله الأخيار.

ومن تلك النعم النجاة والنصر والتأييد لأوليائه، وحلول الخزي والنكال بأعدائه، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

وفي هذا تعليم حسن وأدب جميل، وبعث على التيمُّن بالذِكْرين، والتبرك بهما، والاستظهار بمكانهما على قَبول ما يلقى إلى السامعين والإصغاء إليه، وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المستمع، ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابراً عن كابر هذا الأدب، فحمدوا الله، وصلوا على رسوله ﷺ أمام كل علم مفاد، وقبل كل عظة، وفي مفتتح كل خطبة، وتبعهم المترسلون، فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني، وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن.

ثم شرع يوبخ المشركين، ويتهكم بهم، وينبههم إلى ضلالهم وجهلهم، إذ آثروا عبادة الأصنام على عبادة الواحد القهار، فقال: ﴿ءَآللَّهُ﴾[3] بالمد بمقدار الألفين، أصله (أألله) على أن الهمزة الأولى استفهام، والثانية وصل، فمدوا الأولى تخفيفاً، والمعنى: آلله الذي ذُكرت شؤونه العظيمة ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أنفع لعابديه ﴿أَمَّا﴾؛ أي: أم الذي، فأم متصلة وما موصولة، ﴿يُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام؛ أي: أم الأصنام أنفع لعابديها، يعني: الله خير.

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

وكان عليه السلام إذا قرأ هذه الآية قال: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم»، فإن قيل لفظ[1] الخير يُستعمل في شيئين فيهما خير، ولأحدهما مزية، ولا خير في الأصنام أصلاً! قلنا: المراد به إلزام المشركين، والتشديد عليهم والتهكم بهم، أو هو على زعم أن في الأصنام خيراً، ثم هذا الاستفهام والاستفهامات الآتية بعد تقرير وتوبيخ، لا استرشاد.

وقرأ أبو عمرو وعاصم والحسن وقتادة ويعقوب ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياء التحتية على الغيبة؛ أي: آلله الذي ذُكرت أفعاله وصفاته الدالة على عظيم قدرته خير أمَّا يشركون به تعالى من الأصنام، وقرأ الباقون: بالتاء الفوقية على الخطاب؛ أي: آلله خير أم آلهة تشركونها بالله تعالى يا أهل مكة، وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم.

وفي ذلك[2] ما لا يخفى من تسفيه آرائهم، وتقبيح معتقداتهم وإلزامهم الحجة، إذ من البيِّن أنه ليس فيما أشركوه به سبحانه شائبة خير حتى يوازن بينها وبين ما هو محض الخير، فهو من وادي ما حكاه سيبويه، تقول العرب: «السعادة أحب إليك أم الشقاء»، وكما قال حسان يهجو أبا سفيان بن حرب، ويمدح النبي ﷺ:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا ٱلْفِدَاءُ

ثم انتقل من التوبيخ تعريضاً إلى التبكيت تصريحاً فقال: ﴿أَمَّ﴾ هنا منقطعة مقدرة ببل والهمزة، ﴿مَنْ﴾ موصولة مبتدأ خبره محذوف، وكذا في نظائره الآتية، والمعنى: بل أمن ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ التي هي أصول الكائنات المحسوسة ومبادي النفع خير أم ما يشركون؛ يعني: أن الخالق للأجرام العلوية والسفلية خير لعابديه أو للمعبودية، كما هو الظاهر.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾ وفي الأربعة بعدها بشد الميم، وهي ميم

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

﴿أَمَّ﴾ أدغمت في ميم ﴿مَن﴾، وقرأ الأعمش بتخفيفها جعلها همزة الاستفهام أدخلت على ﴿مَن﴾، و﴿مَن﴾ في القراءتين مبتدأ، خبره محذوف، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ معطوف على صلة ﴿مَن﴾ الموصولة؛ أي: ومن أنزل لأجل منفعتكم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من السحاب ﴿ماء﴾ أي نوعاً منه هو المطر.

ثم[1] عدل على الغيبة إلى التكلم لتأكيد الاختصاص بذاته فقال: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ﴾؛ أي: بسبب ذلك الماء ﴿حَدَآئِقَ﴾؛ أي: بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط، من الإحداق وهو الإحاطة، قال الفراء: الحديقة البستان الذي عليه حائط، فإن لم يكن عليه حائط فهو البستان وليس بحديقة، وقال قتادة وعكرمة: الحدائق النخل، وقوله: ﴿ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾ صفة لحدائق، ولم يقل[2]: ذوات بهجة على الجمع، لأن المعنى جماعة حدائق؛ أي: صاحبة حسن ورونق يبتهج ويسر به النظار، والبهجة هي الحسن الذي يبتهج به من رآه.

وقرأ الجمهور: ﴿ذَاتَ﴾ بالإفراد، ﴿بَهۡجَةٖ﴾ بسكون الهاء، وجمع التكسير يجري في الوصف مجرى الواحدة، كقوله: ﴿أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ وهو على معنى جماعة، وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿ذوات﴾ بالجمع، ﴿بهجة﴾ بتحريك الهاء بالفتح، ذكره أبو حيان.

﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ﴾؛ أي: ما صح وما أمكن لكم ﴿أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾؛ أي: شجر الحدائق فضلاً عن ثمرها؛ أي: ما كان لكم مقدرة على أن تنبتوا شجر البساتين فضلاً عن ثمرها، وسائر صفاتها البديعة، ومعنى[3] هذا النفي الحظر والمنع من فعل هذا؛ أي: ما كان للبشر ولا يتهيأ لهم ذلك، ولا يدخل تحت مقدرتهم، لعجزهم عن إخراج الشيء من العدم إلى الوجود.

والمعنى[4]: أي أعبادة ما تعبدون أيها المشركون من أوثانكم التي لا تضر ولا تنفع خير أم عبادة من خلق السموات على ارتفاعها وصفائها، وجعل فيها

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) الشوكاني.
(٤) المراغي.

كواكب نيرة، ونجوماً زاهرة، وأفلاكاً دائرة، وخلق الأرض، وجعل فيها جبالاً وأنهاراً وسهولاً وأوعاراً، وفيافي وقفاراً، وزروعاً وأشجاراً، وحيوانات مختلفة الأصناف والأشكال والألوان، وأنزل لكم من السماء مطراً جعله رزقاً للعباد، فأنبت به بساتين مونقة تسر الناظرين، ولولاه ما نبت الشجر ولا ظهر الثمر، ونحو الآية قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

ثم زاد في التوبيخ فنفى الألوهية عما يشركون بعد تبكيتهم على نفي الخيرية عنها، فقال: ﴿أَإِلَٰهٌ﴾؛ أي: هل إله آخر ومعبود سواه كائن ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ الذي تقدم ذكر بعض أفعاله، التي لا يكاد يقدر عليها غيره، حتى يقرَّ به، ويُجعل شريكاً له في العبادة. وقرىء: ﴿أإلٰهاً﴾ بالنصب على تقدير أتدعون إلٰهاً، أو أتشركون، وقرىء[1]: ﴿أإله﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وترك الإدخال فيهما في مواضعه الخمسة، فالقراءات أربعة كلها سبعية.

والمعنى: أي أإله غيره يقرون به، ويجعلونه شريكاً له في العبادة، مع تفرده جل شأنه بالخلق والتكوين، ونحو الآية قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾.

ثم انتقل من تبكيتهم إلى بيان سوء حالهم، فقال: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ بالله غيره، أو يعدلون عن الحق إلى الباطل.

أي: بل[2] هؤلاء المشركون قوم دأبهم العدول عن طريق الحق، والانحراف عن جادة الاستقامة في جميع شؤونهم، ومن ثم يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح، وهو التوحيد، ويعكفون على الضلال المبين، وهو الإشراك، وفي معنى الآية قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾، وقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾، وقوله: ﴿وَجَعَلُوا

---

(١) الجلالان. (٢) المراغي.

﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْۚ﴾؛ أي: فهم جاروا وظلموا بوضع الكفر موضع الإيمان، والشرك محل التوحيد، وهو إضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب إلى بيان سوء حالهم، وحكاية لغيرهم.

ثم أضرب وانتقل إلى التبكيت بوجه آخر أدخل في الإلزام فقال: ﴿أَمَّ﴾ منقطعة ﴿مَنْ﴾ موصولة ﴿جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ صلتها؛ أي: بل[1] أمن جعل الأرض مستقراً لمن فيها، يستقر عليها الإنسان والدواب، بإظهار بعضها من الماء بالارتفاع، وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم، خير من الذين يشركون من الأصنام، وذكر بعض الآيات بلفظ الماضي لأن بعض أفعاله تقدم وحصل مفروغاً منه، وبعضها يفعلها حالاً بعد حال.

﴿وَجَعَلَ﴾ معطوف على الصلة، ﴿خِلَٰلَهَآ﴾ مفعول ثان لجعل - جمع خلل - وهي الفرجة بين الشيئين، ﴿أَنْهَٰرًا﴾ مفعول أول له، قدم الثاني عليه لكونه ظرفاً، وعلى هذا المفاعيل للفعلين الآتيين؛ أي: وجعل أنهاراً جارية ينتفعون بها في خلال الأرض وأوساطها، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾؛ أي: جبالاً ثوابت تمنعها أن تميل بأهلها وتضطرب، ويتكون فيها المعادن، وينبع في حضيضها الينابيع، ويتعلق بها من المصالح ما لا يخفى، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾؛ أي: العذب والمالح، أو خليجي فارس والروم ﴿حَاجِزًاۗ﴾؛ أي: برزخاً مانعاً من الممازجة والمخالطة؛ أي: جعل بين البحرين العذب والمالح حاجزاً من قدرته، فلا يختلط أحدهما بالآخر، فلا هذا يغيِّر ذاك، ولا ذاك يدخل في هذا، وقد مر بيانه في سورة الفرقان.

ولما كانت كل[2] هذه المذكورات نعمة عظيمة مستقلة تكرر العامل فيها في قوله: ﴿وَجَعَلَ﴾ فكانت من عطف الجمل المستقل كل واحدة منها بالامتنان ولم يشرك في عامل واحد فيكون من عطف المفردات.

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

والمعنى[1]: أي أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم ـ مع أنه لا يضر ولا ينفع ـ خير أم عبادة الذي جعل الأرض مستقراً للإنسان والدواب، وجعل في أوساطها أنهاراً تنتفعون بها في شربكم وسقي أنعامكم ومزارعكم، وجعل فيها ثوابت الجبال حتى لا تميد بكم، وحتى تنتفعوا بما فيها من المعادن المختلفة، وقد أنزل الماء على شواهقها، وجعل بين المياه العذبة والملحة حاجزاً يمنعهما من الاختلاط، حتى لا يفسد هذا بذاك، والحكمة تقضي ببقاء كل منهما على حاله، فالعذبة لسقي الناس والحيوان والنبات والثمار، والملحة تكون مصادر للأمطار التي تجري منها، وكذلك هي وسيلة لإصلاح الهواء.

﴿أَءِلَٰهٌ﴾؛ أي: هل معبود آخر كائن ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ سبحانه في الوجود، أو في إبداع هذه الكائنات، وإيجاد هذه الموجودات، يعني ليس معه غيره، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون شيئاً من الأشياء، ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره، أو لا يعلمون قدر عظمة الله تعالى، وما عليهم من ضر في إشراكهم غيره به، وما لهم من نفع في إفرادهم إياه بالألوهية، وإخلاصهم العبادة له، وبراءتهم من كل معبود سواه.

ثم زادهم توبيخاً من وجه ثالث فقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾؛ أي: بل أمن[2] يجيب دعوة المضطر المكروب المجهود الذي لا حول له ولا قوة، وقيل: المضرور بالحاجة المحوجة من مرض أو نازلة من نوازل الدهر، يعني: إذا نزلت بأحد نازلة بادر إلى الالتجاء والتضرع إلى الله تعالى، وقيل: هو المذنب إذا استغفر، واللام[3] في المضطر للجنس لا للاستغراق، فلا يلزم منه إجابة كل مضطر، فقد لا يجاب دعاء بعض المضطرين لمانع يمنع من ذلك، بسبب يحدثه العبد يحول بينه وبين إجابة دعائه، وإلا فقد ضمن الله سبحانه إجابة دعاء المضطر

---

(١) المراغي.
(٢) الخازن.
(٣) الشوكاني.

إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه.

والحكمة في إجابة دعاء المضطر: أن ذلك الاضطرار الحاصل له يتسبب عنه الإخلاص، وقطع النظر عما سوى الله تعالى، فقد أخبر الله سبحانه بأنه يجيب دعاء المخلصين له الدين، وإن كانوا كافرين، فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ وقال: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ فأجابهم عند ضرورتهم وإخلاصهم مع علمه بأنهم سيعودون إلى شركهم.

والمضطر من الاضطرار إفتعال من الضرورة، وهي الحالة المحوجة إلى اللجاء، والمضطر الذي أحوجه شدة ما به إلى اللجاء إلى الله والتضرع إليه تعالى؛ أي: بل أمن يجيب دعاء المضطر المكروب ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾ ذلك المضطر إلى كشف ما به من الضرر، والضمير المنصوب راجع إلى ﴿مَنْ﴾ الموصولة التي أريد بها الله سبحانه، والمستتر الفاعل يعود على المضطر.

وقوله: ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ معطوف على الصلة عطف تفسير، و﴿إِذَآ﴾ مجردة عن معنى الشرط؛ أي: أمن يجيب الملجأ إلى ضيق من الأمر ﴿وَيَكْشِفُ﴾؛ أي: يزيل عنه ﴿ٱلسُّوٓءَ﴾ والضر الذي نزل به خير أم الذي يشركون به من الأصنام؟ وقال(١) بعضهم: فصل بين الإجابة وكشف السوء، فالإجابة بالقول والكشف بالطول، والإجابة بالكلام، والكشف بالإنعام، ودعاء المضطر لا حجاب له، ودعاء المظلوم لا مرد له، ولكل أجل كتاب اهـ.

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: سكانها؛ أي: يجعلكم خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن كان قبلكم من الأمم، يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله، ومعنى هذا: أي يجعلكم متوارثين سكناها ممن قبلكم بعد انقراضهم، فتعمرون الدنيا وتزينونها بأنواع الصنائع والحرف، بمعنى: يهلك قرناً

---

(١) روح البيان.

وينشيء آخرين، وقيل: يجعل أولادكم خلفاء عنكم، وقيل: يجعل المسلمين خلفاً عن الكفار ينزلون أرضهم وديارهم.

وحاصل المعنى[1]: أي أمن تشركون بالله خير أم من يجيب المكروب الذي يحوجه المرض أو الفقر أو النازلة من نوازل الدهر إلى اللجاء، والتضرع إليه إذا دعاه وقت اضطراره، ويرفع عن الإنسان ما يسوءُه من فقر أو مرض، ويجعلكم خلفاء من قبلكم من الأمم في الأرض، فيورثكم إياها بالسكنى والتصرف فيها.

وجاء رجل إلى مالك بن دينار فقال: أسألك بالله أن تدعو لي، فأنا مضطر، قال: إذاً فاسأله، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه. وقال الشاعر:

وَإِنِّـيْ لأَدْعُـوْ ٱللَّـهَ وَٱلأَمْـرُ ضَـيِّـقٌ عَـلَـيَّ فَـمَـا يَـنْـفَـكُّ أَنْ يَـتَـفَـرَّجَـا

وَرُبَّ أَخٍ سُـدَّتْ عَـلَـيْـهِ وُجُـوْهُـهُ أَصَـابَ لَـهَـا لَـمَّـا دَعَـا ٱللَّـهَ مَـخْـرَجَـا

وعن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ في دعاء المضطر: «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت»، وجاء في الخبر: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده».

وفي «صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال لمعاذ لما وجهه إلى أرض اليمن: «واتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب» وقرأ الحسن في رواية: ﴿ونجعلكم﴾ بنون المتكلم المعظم، كأنه استئناف إخبار ووعد.

﴿أَءِلَٰهٌ﴾؛ أي: هل معبود آخر كائن ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ الذي يفيض على كافة الأنام هذه النعم الجسام. ثم بيَّن أن من طبيعة الإنسان أن لا يتذكر نعم الله عليه إلا قليلاً حيث قال: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تتذكرون آلاء الله ونعمه تذكراً قليلاً، وزماناً قليلاً، ومن ثم أشركتم به غيره في العبادة، و﴿مَا﴾ مزيدة[2] لتأكيد معنى

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

القلة التي أريد بها العدم، أو ما يجري مجراه في الحقارة وقلة الجدوى، وفيه إشارة إلى أن مضمون الكلام مركوز في ذهن كل ذكي وغبي، وإنه من الوضوح بحيث لا يتوقف إلا على التوجه إليه وتذكره.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالفوقية على الخطاب، والحسن والأعمش وأبو عمرو وهشام ويعقوب: بالتحتية على الخبر رداً على قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، واختار هذه القراءة أبو حاتم، والذال في القراءتين مشددة لإدغام التاء فيها، وقرأ أبو حيوة شاذاً: ﴿تتذكرون﴾ بتاءين.

ثم زادهم تأنيباً وتهكماً من ناحية أخرى فقال: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾؛ أي: بل أمن يهديكم ويرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾؛ أي: في ظلمات الليالي فيهما بالنجوم وعلامات الأرض، على أن الإضافة للملابسة، أو في مشتبهات الطرق، يقال: طريقة ظلماء أو عمياء للتي لا منار بها، وشبهها بالظلمات لعدم ما يهتدون به فيها؛ أي: أهو خير أم الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، و﴿مَنْ﴾ موصولة كما سبق؛ أي: وأمن ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ حال كونها ﴿بُشْرًا﴾؛ أي: مبشرة بالمطر ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾؛ أي: قدام المطر - وقيل: نزوله - خير أم الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

والمعنى[2]: أي أمن تشركون بالله خير أم من يرشدكم في ظلمات البر والبحر إذا أظلمت عليكم السبل، فضللتم الطريق، بما خلق من الدلائل السماوية، كما قال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، ومن يرسل الرياح أمام الغيث الذي يحيي موات الأرض.

ولما اتضحت الأدلة، ولم يبق لأحد في ذلك عذر ولا علة قال: ﴿أَءِلَٰهٌ﴾؛ أي: هل معبود آخر كائن ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾ سبحانه يقدر على مثل ذلك ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ سبحانه وترفع ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به؛ أي: تعالى الخالق القادر عن مشاركة العاجز

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

المخلوق، وقرىء: ﴿عما تشركون﴾ بتاء الخطاب.

أي: تنزه ربنا المنفرد بالألوهية، ومن له صفات الكمال والجلال، ومن تخضع له جميع المخلوقات، وتذل لقهره وجبروته عن شرككم الذي تشركونه به، وعبادتكم معه ما تعبدون.

ثم أضاف إلى ذلك برهاناً آخر لعلهم يرتدعون عن غيهم فقال: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾؛ أي: بل أمن يوجد الخلق وينشىء أول مرة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾؛ أي: يعيد الخلق بعد الموت بالبعث؛ أي: يوجده بعد إماتته، خير أم الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، كانوا يقرون بأن الله سبحانه هو الخالق، فألزمهم الإعادة؛ أي: إذا قدر على الابتداء فهو أقدر على الإعادة.

وفي «الكواشي»: وسألوا عن بدء خلقهم وإعادتهم، مع إنكارهم البعث، لتقدم البراهين الدالة على ذلك من إنزال الماء وإنبات النبات وجفافه ثم عوده مرة ثانية، والعقل يحكم بإمكان الإعادة بعد الإبلاء، وهم يعلمون أنهم وُجدوا بعد أن لم يكونوا، فإيجادهم بعد أن كانوا أيسر.

و﴿أَمْ﴾ في الجُمل الخمس للانتقال من التبكيت بما قبلها إلى التبكيت بوجه آخر[1]، أدخل في الإلزام بجهة من الجهات، ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: بأسباب سماوية وأرضية، كالمطر والحر والبرد والنبات والمعادن والحيوان؛ أي: أهو خير أم ما تجعلونه شريكاً له مما لا يقدر على شيء من ذلك.

والمعنى: أمن تشركون به خير أم الذي ينشىء الخلق بادىء بدء، ويبتدعه من غير أصل سلف، ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده إذا أراد كهيئته قبل أن يفنيه، والذي يرزقكم من السماء والأرض، فينزل من الأولى غيثاً، وينبت من الثانية نباتاً لأقواتكم وأقوات أنعامكم.

وهم وإن كانوا ينكرون الإعادة والبعث لم يُلتفت إلى ذلك الإنكار، لظهور

---

(١) المراح.

أدلته، فلم يبق لهم عذر فيه، وبعد أن وضَّح الدليل على نفي الشريك بكَّتهم وقال: ﴿أَءِلَٰهٌ﴾؛ أي: هل إله آخر كائن ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى يفعل هذا حتى يُجعل شريكاً له.

وبعد[1] أن ذكر البرهان تلو البرهان، وأوضح الحق حتى صار كفلق الصبح.. زاد في التهكم بهم، والإنكار عليهم، والتسفيه لعقولهم، فأمر رسوله أن يطلب منهم البرهان على صدق ما يدَّعون، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ وحجتكم عقلياً أو نقلياً بما يدل على أن معه تعالى إلهاً آخر، والبرهان أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً، ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾؛ أي: في تلك الدعوى.

فائدة[2]: قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ ذُكر هنا في خمسة مواضع متوالية، وختم الأول بقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾، والثانية بقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، والثالثة بقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، والرابعة بقوله: ﴿تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، والخامسة بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ ومعناه: أي عدلوا، وأول الذنوب العدول عن الحق، ثم لم يعلموا، ولو علموا ما عدلوا، ثم لم يتذكروا فيعلموا بالنظر والاستدلال، فأشركوا من غير حجة وبرهان، قل لهم يا محمد: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

ثم بيَّن تعالى تفرده بعلم الغيب تكميلاً لما قبله من اختصاصه بالقدرة التامة، وتمهيداً لما بعده من أمر البعث، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكافة الناس تعليماً لهم ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ﴾؛ أي: لا يعلم أحد من المخلوقات الكائنة في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن الغيب الذي استأثر الله بعلمه، كوقت قيام الساعة، ونزول المطر، وبأي أرض تموت النفس، وماذا تكسب غداً، فـ﴿مَن﴾ الموصولة فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾، و﴿ٱلْغَيْبَ﴾ مفعوله، ولفظ الجلالة في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ مبتدأ، خبره محذوف، والاستثناء

---

(١) المراغي. (٢) فتح الرحمٰن.

منقطع؛ أي: لكن الله سبحانه يعلمه، لأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض. ورفع[1] ما بعد إلا مع كون الاستثناء منقطعاً، هو على اللغة التميمية، كما في قولهم: إلا اليعافير وإلا العيس، وقيل إن فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾ ما بعد ﴿إِلَّا﴾، وهو لفظ الجلالة، و﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مفعوله مقدم على الفاعل، و﴿ٱلْغَيْبَ﴾ بدل من ﴿مَن﴾؛ أي: لا يعلم غيب من في السماوات والأرض إلا الله؛ أي: لا يعلم الأشياء التي تحدث في السماوات والأرض الغائبة عنا إلا الله تعالى.

والحاصل[2]: أن الله سبحانه يقول آمراً رسوله ﷺ: أن يُعلم جميع خلقه أنه لا يعلم الغيب أحد من أهل السماوات والأرض، بل الله وحده هو الذي يعلم ذلك، كما قال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ الآية، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ الآية.

والمراد بالغيب: الشؤون التي تتعلق بأمور الآخرة وأحوالها، وشؤون الدنيا التي لا تقع تحت حسِّنا، وليست في مقدورنا، وعن مسروق عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، أنها قالت: مَن زعم أن النبي ﷺ يعلم ما يكون في غد فقد أعظم الفرية على الله، لأن الله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

ثم ذكر بعض ذلك فقال: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: وما يشعر من في السماوات من الملائكة، ولا من في الأرض من الإنس والجن، ولا يعلمون ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: متى ينشرون من قبورهم لقيام الساعة، والله سبحانه تفرد بعلم ذلك؛ أي: وما يدري من في السماوات والأرض من خلقه متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة، كما قال: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾؛ أي: ثقل علمها على أهل السموات والأرض فلا يشعرون بها، بل تأتيهم بغتة، فـ﴿أَيَّانَ﴾[3] مركبة من أي وآن، فأي للاستفهام، وآن بمعنى الزمان، فلما ركبا

(١) الشوكاني.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

وجُعلا اسماً واحداً بنيا على الفتح كبعلبك.

وقرأ السلمي[١]: ﴿إيان﴾ بكسر الهمزة، وهي لغة قبيلته بني سليم، وهي منصوبة بـ﴿يبعثون﴾، ومعلقة ليشعرون، فتكون وما بعدها في محل نصب بنزع الخافض؛ أي: وما يشعرون بوقت بعثهم، ومعنى أيان معنى متى.

ثم أكد[٢] جهلهم بهذا اليوم بقوله: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾؛ أي: بل انتهى وانقطع وانعدم ﴿عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾؛ أي: علمهم بالآخرة، فـ﴿في﴾ بمعنى الباء، والضمير للكفرة؛ أي: انعدم علمهم بالآخرة، وتبين عجزهم عن معرفة وقتها، فلم يكن لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعاً، مع توافر أسباب العلم من الأدلة العقلية والنقلية، وليس المراد أنه كان لهم علم بوقتها على الحقيقة، فانتفى شيئاً فشيئاً، بل المراد أن أسباب العلم ومبادئه من الدلائل العقلية والنقلية ضعفت في اعتبارهم وفكرهم شيئاً فشيئاً كلما تأملوا فيها، حتى لم يعد لها قيمة وكأن لم تكن.

ثم انتقل من وصفهم بالجهل بميقاتها إلى الحيرة في الآخرة نفسها، أتكون أولا تكون، فقال: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾؛ أي: بل هم اليوم في الدنيا في حيرة عظيمة من تحققها ووجودها، أكائنة هي أم غير كائنة، كمن يحار في الأمر لا يجد عليه دليلاً، فضلاً عن تصديق ما سيحدث فيها من شؤون أخبرت عنها الكتب السماواية، كالثواب والعقاب والنعيم والعذاب والأهوال التي لا يُدرك كنهها العقل.

ثم ارتقى من وصفهم بالشك في أمرها إلى وصفهم بالعمى واختلال البصيرة، بحيث لا يدركون الدلائل التي تدل على أنها كائنة لا محالة، فقال: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾؛ أي: بل هم في عماية وجهل عظيم من أمرها، وعن كل ما يوصلهم إلى الحق في شأنها، والنظر في دلائلها، فلا يُدركون شيئاً من دلائلها لاختلال بصائرهم التي يكون بها الإدراك.

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

وقيل: معنى ﴿ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1] اجتمع علمهم واتفق على أن الآخرة لا تكون ﴿بَلْ هُمْ﴾؛ أي: الكفرة ﴿فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾؛ أي: من قيام الساعة ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا﴾؛ أي: من قيام الساعة ﴿عَمُونَ﴾ عمي لا يبصرون.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ أصله تدارك فادغمت التاء في الدال فسكنت، فاجتلبت همزة الوصل ليمكن الابتداء بالساكن، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وحُميد وأهل مكة: ﴿بل أدرك﴾ على وزن أفعل، بمعنى تفاعل، ورُويت هذه القراءة عن أبي بكر عن عاصم، وقرأ أبي: ﴿أم تدارك﴾ على الأصل، وجعل ﴿أم﴾ بدل ﴿بل﴾، وقرأ سليمان بن يسار وأخوه عطاء بن يسار والأعمش: ﴿بل ادرك﴾ بنقل الهمزة إلى اللام وشد الدال، بناء على أن وزنه افتعل، فأُدغم الدال، وهي فاء الكلمة في التاء بعد قلبها دالاً فصار قلب الثاني للأول، لقولهم: اتَّرَدَ، وأصله اشتَرَدَ من الشَّرْد، والهمزة المحذوفة المنقول حركتها إلى اللام هي همزة الاستفهام، أُدخلت على ألف الوصل، فانحذفت ألف الوصل، ثم انحذفت هي، وألقيت حركتها على لام بل.

وقرأ أبو رجاء والأعرج وشيبة وطلحة وتوبة العنبري وابن عباس والأعمش وعاصم: ﴿بل إدرك﴾ بكسر لام بل وإثبات الياء بعدها وبهمزة قطع.

وقرأ عبد الله في رواية وابن عباس في رواية، وابن أبي جمرة وغيره عنه والحسن وقتادة وابن محيصن: ﴿بل آدرك﴾ بمدة بعد همزة الاستفهام، أصله أأدرك، فقلبت الثانية ألفاً تخفيفاً كراهة الجمع بين همزتين، وأنكر أبو عمرو ابن العلاء هذه القراءة، ووجَّهها، وقال أبو حاتم: لا يجوز الاستفهام بعد بل، لأن بل إيجاب والاستفهام في هذا الموضع إنكار، بمعنى لم يكن، فلا يصح وقوعهما معاً للتنافي الذي بين الإيجاب والإنكار انتهى.

وقرأ مجاهد: ﴿أم أدرك﴾ جعل ﴿أم﴾ بدل ﴿بل﴾، وأدرك على وزن أفعل، وقرأ ابن عباس أيضاً: ﴿بل ادارك﴾ بهمزة داخلة على أدَّارك، فيسقط

---

(١) تنوير المقياس.
(٢) البحر المحيط.

همزة الوصل المجتلبة لأجل الإدغام والنطق بالساكن، وقرأ ابن مسعود أيضاً: ﴿بل أأدرك﴾ بهمزتين، همزة الاستفهام وهمزة أفعل، وقرأ الحسن أيضاً والأعرج: ﴿بل ادّرك﴾ بهمزة وإدغام فاء الكلمة، وهي الدال في تاء افتعل بعد صيرورة التاء دالاً، وقرأ ورش في رواية: ﴿بل ادرك﴾ بحذف همزة ادرك، ونقل حركتها إلى اللام، وقرأ ابن عباس أيضاً: ﴿بلى ادرك﴾ بحرف الإيجاب الذي يوجب به المستفهم المنفي، وقرىء: ﴿بل آأدرك﴾ بألف بين الهمزتين.

فأما قراءة من قرأ بالاستفهام فقال ابن عباس: هو للتقريع بمعنى لم يُدرك علمهم على الإنكار عليهم، وقال الزمخشري: هو استفهام على وجه الإنكار لإدراك علمهم، وكذلك قراءة من قرأ ﴿أم أدرك﴾، و﴿أم تدارك﴾، لأنها أم التي بمعنى بل والهمزة، وأما قراءة من قرأ على الخبر فقال ابن عباس: المعنى بل تدارك علمهم ما جهلوه في الدنيا؛ أي: علموه في الآخرة، بمعنى: تكمل علمهم في الآخرة، بأن كل ما وُعدوا به حق، وهذا حقيقة إثبات العلم لهم، لمشاهدتهم عياناً في الآخرة ما وُعدوا به في الدنيا غيباً، وكونه بمعنى المضي، ومعناه الاستقبال، لأن الإخبار به صدق، فكأنه قد وقع.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: هذه الإضرابات الثلاث ما معناها؟

قلت: ما هي إلا تنزيل لأحوالهم، وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث، ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة، ثم بأنهم يتخبطون في شك ومرية، فلا يزيلونه، والإزالة مستطاعة، وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عدَّاه بمن دون عن، لأن العاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يبصرون، انتهى.

فائدة: قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله[2]: ما عصى الله أحد بمعصية أشد من الجهل، قيل: يا أبا محمد هل تعرفُ شيئاً أشد من الجهل؟ قال: نعم الجهل بالجهل، فالجهل جهلان: جهل بسيط، هو سلب العلم، وجهل

---

(١) الكشاف.

(٢) روح البيان.

مركب هو خلافه، والأول ضعيف، والثاني قوي لا يزول إلا أن يتداركه الله تعالى. قيل:

سَقَامُ ٱلْحِرْصِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ وَدَاءُ ٱلْجَهْلِ لَيْسَ لَهُ طَبِيْبُ

وقيل أيضاً:

وَفِيْ ٱلْجَهْلِ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ مَوْتٌ لأَهْلِهِ وَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ ٱلْقُبُوْرِ قُبُوْرُ
وَإِنَّ ٱمْرَأً لَمْ يَحْيَ بِٱلْعِلْمِ مَيِّتٌ وَلَيْسَ لَهُ حِيْنَ ٱلنُّشُوْرِ نُشُوْرُ

ولما ذكر الله سبحانه أن المشركين في شك من البعث، وأنهم عمون عن النظر في دلائله أراد أن يبين غاية شبههم، وهي مجرد استبعاد إحياء الأموات بعد صيرورتهم تراباً، فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾؛ أي: مشركو مكة ﴿أ﴾ نخرج من قبورنا ﴿إذا كنا﴾ وصرنا ﴿تُرَٰبًا﴾ وعظاماً رميماً ﴿وَءَابَآؤُنَآ﴾ معطوف على ضمير ﴿كُنَّا﴾ بلا تأكيد لفصل تراباً بينهما، والهمزة فيه للاستفهام الإنكاري داخلة على محذوف، هو العامل في إذا كما قدرنا، وكذا في قوله: ﴿أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ والضمير في ﴿أَئِنَّا﴾ شامل لهم ولآبائهم لأن كونهم تراباً يتناولهم وآباءهم، والعامل في إذا ما دل عليه ﴿أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ وهو نخرَج، كما قدرنا آنفاً، لا مخرجون، لأن كلاً من الهمزة وإنا واللام مانع من عمله فيما قبلها، وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار، وتقييد الإنكار بوقت كونهم تراباً لتقويته بتوجيهه إلى الإخراج في حالة منافية له، وإلا فهم منكرون للإحياء بعد الموت مطلقاً؛ أي: سواء كانوا تراباً أو لا.

والمعنى: أنخرج نحن وآباؤنا من القبور إذا صرنا تراباً وعظاماً رفاتاً، لا والله ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا﴾ الإخراج من القبور كما كنا أول مرة ﴿نَحْنُ﴾ وتقديم الموعود على نحن، لأنه المقصود بالذكر، وحيث أخر - كما في سورة المؤمنون - قصد به المبعوث، ﴿وَءَابَآؤُنَآ﴾ معطوف على ضمير ﴿وُعِدْنَا﴾، ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل وعد محمد إياه، يعني إن آباءنا وُعدوا به في الأزمنة المتقدمة ثم لم يبعثوا، ولن يبعثوا.

﴿إِنَّ هَٰذَآ﴾؛ أي: ما هذا الوعد ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: أحاديثهم العاطلة، وأكاذيبهم الباطلة التي سطروها وكتبوها كذاباً، مثل أحاديث رستم وإسفنديار، والأساطير الأحاديث التي ليس لها حقيقة ولا نظام، والمعنى، أي: ما هذا الذي تعدنا يا محمد إلا أحاديث الأولين التي لا حقيقة لها.

وعبارة الخطيب هنا[١]: والله لقد وُعدنا هذا؛ أي: الإخراج من القبور كما كنا أول مرة نحن وآباؤنا من قبل؛ أي: من قبل محمد، فقد مرت الدهور على هذا الوعد ولم يقع منه شيء، فذلك دليل على أنه لا حقيقة له، فكأنه قيل: فما الفائدة المرادة به، فقالوا: إن هذا إلا أساطير الأولين؛ أي: أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها ولا حقيقة لها.

فإن قيل: لِمَ قدَّم في هذه الآية ﴿هَٰذَا﴾ على ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾، وفي سورة المؤمنون قدم ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ على ﴿هَٰذَا﴾؟

أجيب: بأن التقديم دليل على أن المقدم في كل موضع هو المعني بالذكر، وأن الكلام إنما سيق لأجله، ففي هذه الآية دليل على أن إيعاد البعث والإخراج هو الذي قُصد بالكلام، وفي آية المؤمنون دليل على أن إيعاد المبعوث بذلك الصدد، انتهت.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو[٢]: ﴿أئذا﴾ ﴿أئنا﴾ بالجمع بين الاستفهامين، وقلب الثانية ياء، وفصل أبو عمرو بينهما بألف، وقرأ عاصم وحمزة بهمزتين، وقرأ نافع ﴿إذا﴾ بهمزة مكسورة، و﴿أينا﴾ بهمزة الاستفهام، وقلب الثانية ياء وبينهما مدة، وقرأ الباقون: ﴿أئذا﴾ باستفهام ممدوداً، ﴿إننا﴾ بنونين من غير استفهام، ورجَّح أبو عبيد قراءة نافع، وردَّ على من جمع بين استفهامين.

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يُرشدهم إلى وجه الصواب، مع التهديد والوعيد، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الأنباء من عند ربك ﴿سِيرُوا۟﴾ وامشوا أيها المكذبون المنكرون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في أرض

---

(١) الفتوحات.　　(٢) البحر المحيط.

من كان قبلكم من المكذبين وديارهم، مثل الحجر والأحقاف والمؤتفكات ونحوها، ﴿فَانظُرُوا﴾ بأبصاركم، وفكروا بقلوبكم ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: آخر أمر المكذبين لرسلهم بسبب التكذيب، حيث أهلكوا بأنواع العذاب؛ أي: فانظروا كيف كانت هي، ألم يخربها الله تعالى، ويهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم، وردهم عليهم نصائحهم، فخلت منهم الديار، وعفت عنهم الرسوم والآثار، وكان ذلك عاقبة إجرامهم، وتلك سنة الله في كل من سلك سبيلهم في تكذيب رسله، وفيه تهديد لهم على التكذيب، وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم، إن داموا على التكذيب، ولم يبادروا إلى الإنابة من كفرهم وتكذيبهم رسوله.

والمعنى[1]: فانظروا كيف كان آخر أمر المنكرين للبعث، المكذبين للرسل فيما دعوهم إليه من الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر، وهو هلاكهم بالعذاب الدنيوي، لأن في مشاهدة ذلك ما فيه كفاية لمن اعتبر.

ثم سلى رسوله ﷺ على ما وقع منهم من الإصرار على الكفر فقال: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على ما وقع لهم فيما مضى من تكذيبهم لك، وإصرارهم على كفرهم، لأنهم خُلقوا لهذا، وليس النهي عن تحصيل الحزن، لأن الحزن ليس يدخل تحت اختيار الإنسان، فالنهي في الحقيقة إنما هو عن تعاطي ما يورث الحزن واكتسابه.

﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾ وحرج وغم ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ في المستقبل؛ أي: من مكرهم وكيدهم، وتدبيرهم الحيل في إهلاكك، ومنع الناس عن دينك، فإنه لا يحيق المكر السيىء إلا بأهله، والله يعصمك من الناس، ويُظهر دينك على من خالفك في المشارق والمغارب.

وقرأ ابن كثير: ﴿ضيق﴾ بكسر الضاد، وغيره بفتحها، يقال: ضاق الشيء ضَيقاً بالفتح، وضيقاً بالكسر، قرىء بهما، وهما لغتان، قال ابن السكيت: يقال:

---

(١) المراح.

في صدر فلان ضيق وضيق، وهو ما تضيق عنه الصدور.

ثم أشار إلى أنهم لم يقصروا إنكارهم على الساعة، بل كان إنكارهم لغيرها من عذاب الله أشد بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾؛ أي: ويقول مشركو قريش المكذبون بما أتيتهم به من عند ربك ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾؛ أي: متى يكون هذا العذاب الذي تعدنا به ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في إخباركم بإتيانه، والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الإخبار بذلك.

ثم أمر رسول الله ﷺ أن يجيبهم فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المستعجلين حلول العذاب ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ﴾؛ أي: أترجى أن يكون الشأن ﴿رَدِفَ لَكُم﴾؛ أي: تبعكم ولحقكم، وقرب منكم قرب الرديف من مردفه، واللام زائدة ﴿بَعْضُ﴾ العذاب ﴿ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ حلوله بكم، فحل بهم عذاب يوم بدر، وسائر العذاب لهم مدخر ليوم البعث.

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء الكفار عسى أن يكون هذا العذاب الذي به توعدون تبعكم ولحقكم، فتكون اللام زائدة للتأكيد، أو بمعنى اقترب لكم ودنا منكم، فتكون غير زائدة، والمراد به ما حل بهم يوم بدر من النكال والوبال، وقيل هو عذاب القبر؛ أي: عسى أن يكون قد قرب ودنا وأزف بعض ذلك.

قال صاحب «الكشاف»: عسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم تدل على صدق الأمر وجده، وما لا مجال للشك بعده، وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم، وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإذلالهم بقهرهم وغلبتهم، وتوقعهم أن عدوهم لا يفوتهم، وأن الرمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم، وهي كالتصريح من غيرهم، وعلى ذلك جرى وعد الله سبحانه ووعيده اهـ.

وقرأ الجمهور[١]: ﴿ردِف﴾ بكسر الدال، وقرأ الأعرج: ﴿ردَف لكم﴾ بفتح الدال، وهي لغة، والكسر أشهر، وقرأ ابن عباس: ﴿أزف لكم﴾.

---

(١) البحر المحيط.

ثم بين سبحانه السبب في ترك تعجيل العذاب، فقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ﴾؛ أي: إفضال وإنعام ﴿عَلَى النَّاسِ﴾؛ أي: على كافة الناس، ومن جملة إنعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾؛ أي: لا يعرفون حق النعمة، فلا يشكرون فضله وإنعامه عليهم.

والمعنى: أي وإن ربك لهو المنعم المتفضل على الناس جميعاً، بتركه المعاجلة بالعقوبة على المعصية والكفر، ولكن أكثرهم لا يعرفون حق فضله عليهم، فلا يشكره إلا القليل منهم، وفيه[1] إشارة إلى أن استعجال منكري البعث في طلب العذاب الموعود لهم من غاية جهلهم بحقائق الأمور، وإلا فقد ردفهم أنموذج من العذاب الأكبر، وهو العذاب الأدنى من البليات والمحن.

ثم بيَّن أنه مطلع على ما في صدورهم، فقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ وتُخفي وتستر ﴿صُدُورُهُمْ﴾ وقلوبهم من الخواطر ﴿و﴾ يعلم ﴿ما يعلنون﴾؛ أي: ما يظهرون لغيرهم من الأقوال والأفعال، التي من جملتها ما حُكي عنهم من استعجال العذاب، وفيه إيذان بأن لهم قبائح غير ما يظهرونه، وأنه تعالى يجازيهم.

والمعنى: أي وإن ربك يعلم الضمائر والسرائر، كما يعلم الظواهر، كما قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾، وقال: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾

وقصارى ذلك: أنه يعلم ما يخفون من عداوة الرسول ومكايدهم له، وما يعلنون، وهو محصيها عليهم، ومجازيهم بذلك.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿مَا تُكِنُّ﴾ بضم التاء من أكنَّ الشيء إذا أخفاه، وقرأ ابن محيصن وحميد وابن السميقع: ـ بفتح التاء وضم الكاف ـ من كنَّ الشيء من باب نصر، يقال: كننته بمعنى سترته وأخفيت أثره.

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.

ثم ذكر أن كل ما يحصل في الوجود فهو محفوظ في اللوح المحفوظ، فقال: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾؛ أي: وما من شيء غائب، وأمر يغيب عن الخلق، فالتاء فيه للمبالغة كتاء علاّمة، ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا﴾ وهو مكتوب محفوظ ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: مظهر حافظ للكائنات، وهو اللوح المحفوظ، أو كتاب ظاهر واضح لمن ينظر إليه من الملائكة.

والمعنى: أي وما من أمر مكتوم، وسر خفي يغيب عن الناظرين في السماء، أو في الأرض إلا وهو مثبت في أم الكتاب، الذي أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من ابتداء الخلق إلى يوم القيامة، وهو بيِّن لمن نظر إليه، وقرأ ما فيه مما أثبته ربنا جلَّت قدرته، ونحو الآية قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

وقال الزمخشري[١]: سميٌ الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة، وخافية، فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العاقبة والعافية، ونظيرهما النطيحة والذبيحة، والرمية في أنها أسماء غير صفات، ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة، كالراوية والداعية، كما في قولهم: ويل للشاعر من راوية السوء، كأنه قال: وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله تعالى وأحاط به، وأثبته في اللوح المبين الظاهر لمن ينظر فيه من الملائكة انتهى.

والخلاصة: أي وما من خافية فيهما إلا في لوح محفوظ ظاهر لمن يطالعه من الملائكة، ومن جملة ذلك ما يستعجلونه من العذاب، فإنه مؤقت بوقت، ومؤجل بأجل، علمه عند الله سبحانه، فكيف يستعجلونه قبل أجله المضروب له.

ثم إنه ينبغي للمؤمن أن يكون سليم الصدر، ولا يجعل في نفسه حقداً وحسداً وعداوة لأحد، والنصيحة في هذا للعقلاء أن لا يصيخوا إلى الواشي والنمام، والغيَّاب والعيَّاب، فإن عرض المؤمن كدمه، ولا ينبغي إساءة الظن في حق المؤمن بأدنى سبب. وقد ورد: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها».

---

(١) الكشاف.

الإعراب

﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿فَمَا﴾ ﴿الفاء﴾: استئنافية، ﴿ما﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم على اسمها، ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ، ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل في محل النصب بـ﴿أن﴾ المصدرية، والجملة الفعلية مع ﴿أَنْ﴾ المصدرية في تأويل مصدر مرفوع على كونه اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخراً عن خبرها، والتقدير: فما كان جواب قومه إلا قولهم: أخرجوا آل لوط، وجملة ﴿كَانَ﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾، ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَخْرِجُوٓاْ﴾، ﴿إِنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه، ﴿أُنَاسٌ﴾: خبره، وجملة ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾: صفة لـ﴿أُنَاسٌ﴾ وجملة ﴿إن﴾ من اسمها وخبرها في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾ على كونها معللة للإخراج.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف؛ تقديره: فخرج لوط من قريتهم بأهله فأنجيناه. ﴿أنجيناه﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾: معطوف على الهاء، أو مفعول معه، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء، ﴿ٱمْرَأَتَهُۥ﴾: منصوب على الاستثناء. ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: متعلق بـ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ والجملة الفعلية في محل النصب حال من ﴿ٱمْرَأَتَهُۥ﴾؛ أي: حالة كونها مقدراً كونها من الغابرين. ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿أمطرنا﴾: فعل وفاعل، معطوف على ﴿أنجيناه﴾. ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلق به. ﴿مَّطَرًاۖ﴾: مفعول به ﴿فَسَآءَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، أو استئنافية، ﴿ساء﴾: فعل ماض لإنشاء الذم. ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة معطوفة على جملة ﴿أمطرنا﴾، أو مستأنفة مسوقة لإنشاء الذم.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿قُلِ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة مسوقة لأمر رسوله ﷺ بحمده تعالى، وبالسلام على المصطفين الأخيار من خلقه، وكان هذا الحمد براعة استهلال؛ لما سيلقيه من البراهين والدلائل على الوحدانية والعلم والقدرة التي سيسرد ذكرها، وذلك بعد أن فرغ من قصص هذه السورة الخمس؛ ليكون نموذجاً يتأسى به كل كاتب وخطيب، ويحتذي به في كل علم مفاد. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ، ﴿لِلَّهِ﴾: خبره، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلِ﴾. ﴿وَسَلَٰمٌ﴾: مبتدأ، وسوغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعاء. ﴿عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾: خبر، والجملة معطوفة على جملة ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قُلِ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: صفة لـ﴿عِبَادِهِ﴾، ﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف؛ تقديره: اصطفاهم الله سبحانه. ﴿ءَآللَّهُ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام، يُطلب بها وبـ﴿أَمَّ﴾ تعيين أحد الشيئين، ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلِ﴾، ﴿أَمَّ﴾: عاطفة متصلة لتوفر شروطها، وهو تقدم همزة الاستفهام عليها، ودخولها على المفرد ﴿مَا﴾: اسم موصول معطوف على الجلالة. ﴿يُشْرِكُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف؛ تقديره: أي أم الأصنام التي يشركونها به تعالى، وقيل: ﴿مَا﴾: مصدرية، والكلام حينئذٍ على حذفه مضاف من الأول؛ أي: توحيد الله خير أم شرككم .اهـ «سمين».

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾.

﴿أَمَّنْ﴾: ﴿أم﴾ منقطعة بمعنى همزة التقرير، أو التوبيخ، وبل الإضرابية لعدم شرط كونها متصلة، ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: فعل ومفعول، وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والجملة صلة الموصول، وخبر المبتدأ محذوف، تقديره: أمن خلق السماوات والأرض خير أم ما يشركون، والجملة الاسمية في محل النصب

معطوفة على جملة قوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾ على كونها مقول ﴿قُلِ﴾. ﴿وَأَنزَلَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر معطوف على ﴿خَلَقَ﴾. ﴿لَكُم﴾: حال من ﴿مَآءً﴾ أو متعلق بـ﴿أنزل﴾، ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلق بـ﴿أنزل﴾ أيضاً، ﴿مَآءً﴾: مفعول به، ﴿فَأَنۢبَتۡنَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أنبتنا﴾: فعل وفاعل، معطوف على ﴿أنزل﴾ على طريق الالتفات، كما سيأتي في مبحث البلاغة، ﴿بِهِۦ﴾ متعلقان به، ﴿حَدَآئِقَ﴾: مفعول به، ﴿ذَاتَ بَهۡجَةٍ﴾: صفة لـ﴿حَدَآئِقَ﴾، وسوَّغ إفراده كون المنعوت جمع كثرة لما لا يعقل.

﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ يَعۡدِلُونَ﴾.

﴿مَّا﴾: نافية، ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، ﴿لَكُم﴾: خبرها، مقدم على اسمها، ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿تُنۢبِتُواْ﴾: فعل وفاعل منصوب بحذف النون، ﴿شَجَرَهَآۗ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مرفوع على كونه اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخراً، والتقدير: ما كان إنبات شجرها كائناً لكم، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل النصب صفة ثانية لـ﴿حَدَآئِقَ﴾، أو حال منها لتخصصها بالصفة ﴿أَءِلَٰهٌ﴾: ﴿الهمزة﴾ للاستفهام الإنكاري، ﴿إله﴾ مبتدأ، سوَّغ الابتداء بالنكرة تقدم الاستفهام عليه، ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، تقديره: هل إله آخر كائن مع الله سبحانه، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلۡ﴾. ﴿بَلۡ﴾: حرف إضراب وانتقال من تبيكتهم بطريق الخطاب إلى بيان سوء حالهم، ﴿هُمۡ قَوۡمٌ﴾: مبتدأ وخبر، وجملة ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ صفة ﴿قَوۡمٌ﴾، والجملة معترضة بين المقولات.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿أَمَّن﴾: ﴿أم﴾: منقطعة، ﴿مَن﴾ اسم موصول في محل الرفع مبتدأ، والخبر محذوف، تقديره: خير أمَّا يشركون؟ والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قُلۡ﴾، ﴿جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا﴾: فعل، وفاعل مستتر، ومفعولان، والجملة صلة لـ﴿مَن﴾ الموصولة. ﴿وَجَعَلَ﴾: فعل، وفاعل مستتر، معطوف على ﴿جَعَلَ﴾

الأول، ﴿خِلَٰلَهَآ﴾ ظرف مكان في محل المفعول الثاني، ﴿أَنْهَٰرًا﴾ مفعول أول لـ﴿جَعَلَ﴾، ﴿وَجَعَلَ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿جَعَلَ﴾ الأول، ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ﴿جَعَلَ﴾. ﴿رَوَٰسِيَ﴾: مفعول أول له. ﴿وَجَعَلَ﴾: معطوف على ﴿جَعَلَ﴾ الأول. ﴿بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: ظرف في محل المفعول الثاني. ﴿حَاجِزًا﴾: مفعول أول لـ﴿جَعَلَ﴾. ﴿أَءِلَٰهٌ﴾: ﴿الهمزة﴾ للاستفهام الإنكاري، ﴿إله﴾: مبتدأ. ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾: خبره، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب وانتقال. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ خبره، والجملة معترضة بين المقولات.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿أَمَّن﴾ ﴿أَمْ﴾: منقطعة، بمعنى همزة الاستفهام وبل الإضرابية، ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ، والخبر محذوف، تقديره: خير، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. و﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، صلة الموصول. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، مجرد عن معنى الشرط، في محل النصب على الظرفية، متعلق بـ﴿يُجِيبُ﴾. ﴿دَعَاهُ﴾: فعل ومفعول، وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها، والتقدير: أمن يجيب المضطر وقت دعوته إياه؟ ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، معطوف على ﴿يُجِيبُ﴾. ﴿وَيَجْعَلُكُمْ﴾: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول أول. ﴿خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾: مفعول ثان، والجملة معطوفة على جملة ﴿يُجِيبُ﴾. ﴿أَءِلَٰهٌ﴾: ﴿الهمزة﴾ للاستفهام، ﴿إله﴾: مبتدأ. ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾: خبره، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة لمصدر محذوف، منصوب بما بعده؛ أي: تذكراً قليلاً، أو لوقت محذوف، و﴿مَا﴾: زائدة؛ زيدت لتأكيد القلة، ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ

أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿أَمَّن﴾: ﴿أم﴾: منقطعة، ﴿مَن﴾: مبتدأ خبره محذوف؛ أي: أمن يهديكم خير أما يشركون؟ والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾، ﴿يَهْدِيكُمْ﴾: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، والجملة صلة الموصول، ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَهْدِيكُمْ﴾، ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: معطوف على ﴿ٱلْبَرِّ﴾، ﴿وَمَن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الرفع معطوف على ﴿مَنْ﴾ الأول، ﴿يُرْسِلُ﴾: فعل وفاعل مستتر، صلة الموصول، ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾: مفعول به، ﴿بُشْرًا﴾: حال من ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾، ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾: ظرف ومضاف إليه، متعلق بـ﴿يُرْسِلُ﴾. ﴿أَءِلَٰهٌ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، ﴿إله﴾: مبتدأ، ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾: خبره، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة معترضة، ﴿عَمَّا﴾: متعلّق بـ﴿تَعَٰلَى﴾، ﴿يُشْرِكُونَ﴾: فعل وفاعل، والعائد محذوف؛ والتقدير: تعالىٰ الله سبحانه عن الأصنام التي يشركونها به.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿أَمَّن﴾ ﴿أم﴾: منقطعة، ﴿من﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ، والخبر محذوف، تقديره: خير، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾، ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة صلة الموصول، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، معطوف على ﴿يَبْدَؤُا۟﴾. ﴿وَمَن﴾: اسم موصول معطوف على ﴿من﴾ الأول، ﴿يَرْزُقُكُم﴾: فعل، وفاعل مستتر ومفعول به صلة الموصول، ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلق بـ﴿يَرْزُقُكُم﴾، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، ﴿أَءِلَٰهٌ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، ﴿إله﴾: مبتدأ، ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾: خبره، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة مستأنفة، ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾، ﴿إِن﴾: حرف شرط،

﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه، في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية، على كونه فعل شرط لها، ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبره، وجواب ﴿إِنْ﴾ معلوم مما قبلها، تقديره: إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿قُل﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة مستأنفة، ﴿لَّا﴾: نافية، ﴿يَعْلَمُ﴾ فعل مضارع، ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الرفع فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾، ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ﴿ٱلْغَيْبَ﴾: مفعول به، ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع بمعنى لكن، ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: لكن الله يعلم ذلك، والجملة الاستدراكية في محل النصب مقول ﴿قُل﴾، ويصح أن تكون ﴿مَن﴾: في محل نصب مفعولاً به، ﴿ٱلْغَيْبَ﴾: بدل اشتمال منها، ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾. والمعنى: قل لا يعلم الأشياء التي تحدث في السماوات والأرض الغائبة عنا إلا الله تعالى. ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿مَا﴾: نافية، ﴿يَشْعُرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿لَا يَعْلَمُ﴾، ﴿أَيَّانَ﴾: اسم استفهام بمعنى متى، في محل النصب على الظرفية، متعلق بـ﴿يُبْعَثُونَ﴾، وهي معلقة لـ﴿يَشْعُرُونَ﴾ عن العمل فيما بعدها، ﴿يُبْعَثُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُل﴾.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿بَلِ﴾: حرف إضراب انتقالي، ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾: فعل ماض بمعنى انعدم واضمحل، ﴿عِلْمُهُمْ﴾: فاعل، والجملة مستأنفة، ﴿فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ متعلق بـ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾، أو بـ﴿عِلْمُهُمْ﴾، وادارك وإن كان ماضيا لفظا فهو مستقبل معنى، لأنه كان حتما، كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب انتقالي، ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، ﴿فِي شَكٍّ﴾: خبر، ﴿مِّنْهَا﴾: صفة لـ﴿شَكٍّ﴾، والجملة مستأنفة، ﴿بَلْ﴾:

حرف إضراب انتقالي أيضاً، ﴿هُم﴾: مبتدأ، ﴿مِّنْهَا﴾: متعلق بـ﴿عَمُونَ﴾: خبر، والجملة مستأنفة، والأصل عميون، استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها فالتقى ساكنان، فحذفت الياء فصار ﴿عَمُونَ﴾، كما سيأتي.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، ﴿كَفَرُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، صلة الموصول، ﴿أَءِذَا﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري داخلة على محذوف، تقديره: أنخرج من قبورنا إذا كنا تراباً، ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، مجرد عن معنى الشرط متعلق بنخرج المحذوف، لا بمخرجون، لأن ما بعد الهمزة وإن واللام لا يعمل فيما قبلها، ﴿كُنَّا تُرَٰبًا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، ﴿وَءَابَآؤُنَآ﴾: معطوف على اسم ﴿كان﴾ لوجود الفصل بـ﴿تُرَٰبًا﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذا﴾، تقديره: أنخرج من قبورنا وقت كوننا تراباً وأباؤنا؟، لا، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَئِنَّا﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، ﴿إنا﴾: ناصب واسمه، ﴿لَمُخْرَجُونَ﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿مخرجون﴾: خبر إن، وهذه الجملة مع استفهامها مؤكدة للجملة التي قبلها، ﴿لَقَدْ﴾ ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿وُعِدْنَا﴾: فعل ونائب فاعل، ﴿هَٰذَا﴾: مفعول ثان لـ﴿وُعِدْنَا﴾، ﴿نَحْنُ﴾: تأكيد لضمير ﴿وُعِدْنَا﴾، ﴿وَءَابَآؤُنَا﴾ معطوف عليه، وجاز العطف عليه بوجود الفصل بالضمير المنفصل والمفعول الثاني، ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿وُعِدْنَا﴾، ﴿إِنْ﴾: نافية، ﴿هَٰذَآ﴾: مبتدأ، ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ، ﴿أَسَٰطِيرُ﴾: خبر المبتدأ، ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: مضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة مستأنفة،

﴿سِيرُواْ﴾: فعل وفاعل، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾، ﴿فَٱنظُرُواْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿سِيرُواْ﴾، ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم عليها للزومه الصدارة، ﴿كَانَ عَٰقِبَةُ﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ مضاف إليه، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل النصب مفعول ﴿انظروا﴾، علق عنها باسم الاستفهام. ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لَا﴾: ناهية جازمة، ﴿تَحْزَنْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على محمد، مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿قُلْ﴾، ﴿وَلَا تَكُن﴾: جازم وفعل ناقص مجزوم، معطوف على ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، واسمها ضمير يعود على محمد، ﴿فِي ضَيْقٍ﴾: خبرها، ﴿مِّمَّا﴾ ﴿من﴾: حرف جر، ﴿ما﴾: مصدرية، وجملة ﴿يَمْكُرُونَ﴾ صلة ﴿ما﴾ المصدرية، الجار والمجرور صفة لـ﴿ضَيْقٍ﴾؛ أي: في ضيق كائن من مكرهم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿وَيَقُولُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، ﴿مَتَىٰ﴾: اسم استفهام في محل النصب على الظرفية الزمانية، متعلق بمحذوف خبر مقدم لـ﴿هَٰذَا﴾، و﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿ٱلْوَعْدُ﴾: بدل منه، والجملة الإسمية في محل النصب مقول ﴿يقولون﴾، ﴿إِن﴾: حرف شرط، ﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، تقديره: إن كنتم صادقين فمتى هذا الوعد، والجملة الشرطية في محل النصب مقول ﴿يقولون﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على النبي، والجملة مستأنفة، ﴿عَسَىٰٓ﴾: فعل ماض من أفعال الرجاء، يرفع الاسم، وينصب الخبر، واسمها ضمير مستتر فيه، تقديره: هو، يعود على الشأن، ﴿أَن﴾: حرف مصدر، ﴿يَكُونَ﴾: فعل ناقص منصوب بـ﴿أن﴾، واسمها ضمير مستتر يعود على الشأن، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَكُونَ﴾: خبر ﴿عَسَىٰٓ﴾، ﴿رَدِفَ﴾: فعل ماض بمعنى قرب، ﴿لَكُم﴾ متعلق به، ﴿بَعْضُ﴾:

فاعل، ﴿ٱلَّذِى﴾: مضاف إليه، وجملة ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾ صلته، والعائد محذوف. تقديره: بعض الذي تستعجلونه، وجملة ﴿رَدِفَ﴾ في محل النصب خبر ﴿يَكُونَ﴾، والتقدير: عسى أن يكون رديفاً قريباً لكم بعض العذاب الذي تستعجلونه، وجملة ﴿أَن يَكُونَ﴾: خبر ﴿عَسَىٰٓ﴾، والتقدير: عسى هو ـ أي الشأن ـ كون العذاب الذي تستعجلونه رديفاً قريباً لكم، وجملة ﴿عَسَىٰٓ﴾: في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾: ناصب واسمه، ﴿لَذُو فَضْلٍ﴾: خبره ومضاف إليه، و﴿اللام﴾ حرف ابتداء، والجملة مستأنفة، ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ متعلق بـ﴿فَضْلٍ﴾، ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ ﴿الواو﴾: حالية، ﴿لكن﴾: حرف نصب واستدراك، ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسمها، وجملة ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ خبرها، وجملة الاستدراك في محل النصب حال من ﴿ٱلنَّاسِ﴾، والتقدير: وإن ربك لذو فضل على الناس حالة كون أكثرهم غير شاكرين له.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿وَإِنَّ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: ناصب واسمه، ﴿لَيَعْلَمُ﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿يعلم﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، و﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿يعلم﴾، وجملة ﴿يعلم﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ الأولى، ﴿تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: ما تكنه صدورهم. ﴿وَمَا﴾: معطوفة على ﴿مَا﴾ الأولى، وجملة ﴿يُعْلِنُونَ﴾ صلته، والعائد محذوف تقديره: وما يعلنونه، ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿مَا﴾: نافية، ﴿مِن﴾: زائدة، ﴿غَآئِبَةٍ﴾: مبتدأ، وسوغ الابتداء، بالنكرة تقدم النفي عليها، ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: صفة لـ﴿غَآئِبَةٍ﴾، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر واستثناء مفرغ، ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾: خبر ﴿غَآئِبَةٍ﴾، ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ﴿كِتَٰبٍ﴾،

والجملة الاسمية معطوفة على جملة قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾؛ أي: ينزهون أنفسهم، ويتباعدون عما نفعله، ويزعمون أنه من القاذورات.

﴿قَدَّرْنَاهَا﴾؛ أي: قضينا وحكمنا، ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾؛ أي: الباقين في العذاب، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ هذا التأكيد يدل على شدة المطر، وأنه غير معهود.

﴿حَدَائِقَ﴾ جمع حديقة؛ أي: بستان من أحدق بالشيء إذا أحاط به، ولما كان البستان محوَّطاً بالحيطان سمي حديقة، وإلا فلا يسمى بها، وفي «المصباح»: والحديقة البستان يكون عليه حائط، فعيلة بمعنى مفعولة، لأن الحائط أحدق بها؛ أي: أحاط، ثم توسعوا حتى أطلقوا الحديقة على البستان، وإن كان بغير حائط، والجمع الحدائق، وفي «الصحاح»: الحديقة كل بستان عليه حائط، ومن أقوالهم: ورد عليَّ كتابك فتنزهت في آنق رياضه وبهجة حدائقه، وقال في «المفردات»: الحدائق جمع حديقة، وهي قطعة من الأرض ذات ماء سميت بها تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها، وحدقوا به وأحدقوا أحاطوا به، تشبيهاً بإدارة الحدقة. انتهى.

﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ البهجة حسن اللون، وظهور السرور فيه؛ أي: صاحبة حسن ورونق يبتهج به النظار، وكل موضع ذي أشجار مثمرة محاط عليه فهو حديقة، وكل ما يسر منظره فهو بهجة، و﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ نعت لحدائق. وسوَّغ إفراده كون المنعوت جمع كثرة لما لا يعقل. قال بعضهم:

وَجَمْعُ كَثْرَةٍ لِمَا لاَ يَعْقِلُ ... الأَفْصَحُ ٱلإِفْرَاد فِيْهِ يَا فُلُ

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾؛ أي: قوم عادتهم العدول والميل عن الحق الذي هو التوحيد، والعكوف على الباطل الذي هو الإشراك، أو يعدلون يجعلون له عديلاً، ويثبتون له نظيراً. قال في «المفردات»: قوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ يصح أن

يكون من قولهم: عدل عن الحق إذا جار عدولاً انتهى، فهم جاروا وظلموا بوضع الكفر موضع الإيمان، والشرك محل التوحيد.

﴿قَرَارًا﴾؛ أي: مستقراً؛ أي: دحاها وسواها بحيث يمكن الاستقرار عليها، يقال: قر في مكانه يقر قراراً إذا ثبت ثبوتاً جامداً، وأصله القر، وهو البرد، لأجل أن البرد يقتضي السكون، والحر يقتضي الحركة.

﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَآ﴾ جمع خلل، وهي الفرجة بين الشيئين، نحو خلل الدار، وخلل السحاب ونحوهما، أوساطها.

﴿رَوَاسِيَ﴾؛ أي: جبالاً ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة، يقال: رسا الشيء يرسو إذا ثبت، قال في «كشف الأسرار»: الرواسي جمع الجمع، يقال: جبل راس وجبال راسية، ثم تُجمع الراسية على الرواسي.

﴿بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾؛ أي: مانعاً معنوياً، وهو القدرة القاهرة، قال في «المفردات»: الحجز المنع بين الشيئين بفاصل بينهما، وسمي الحجاز بذلك لكونه حاجزاً بين الشام والبادية، والحاجز هنا المانع الإلٰهي، إذ ليس هناك حاجزٌ حسيٌّ كما هو مشاهد.

﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾ والمضطر هنا اسم مفعول من الاضطرار، وهو المكروب المجهود الذي لا حول له ولا قوة. والاضطرار افتعال من الضرورة، أصله المضتر قلبت تاء الافتعال طاء لوقوعها إثر مطبق، وهو الضاد، والضرورة هي الحالة المحوجة إلى اللجاء، والمضطر الذي أحوجته شدة من الشدائد إلى اللجاء والضراعة إلى الله تعالى، كالمرض والفقر والدين والغرق والحبس والجور والظلم وغيرها من نوازل الدهر، فكشفها بالشفاء والإغناء والإنجاء والإطلاق والتخليص. ذكره في «الروح».

﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ والسوء كل ما يسوء الإنسان؛ أي: يحزنه سواء كان في نفسه، أو في غيره، كولده أو صديقه أو أهله أو ماله. فذكره بعد الضر، من ذكر العام بعد الخاص .اهـ شيخنا.

﴿خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ﴾ من الخلافة، وهي الملك والتسلط، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أصله تتذكرون، لأنه من باب تفعل الخماسي فأدغمت التاء في الذال، فالذال والتاء مفتوحتان، و﴿مَا﴾ مزيدة لتقليل القليل، وهو كناية عن العدم بالكلية فالمراد نفي تذكرهم رأساً .اهـ. شيخنا، وفي «الكرخي»: والمعنى: نفي التذكر، والقلة تُستعمل في معنى النفي .اهـ، ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾؛ أي: يوجده أول مرة، فالخلق بمعنى المخلوق.

﴿قُلْ هَاتُوا۟﴾ قال الحريري: تقول العرب للواحد المذكر: هات بكسر التاء، والجمع هاتوا، وللمؤنث هاتي، ولجماعة الإناث هاتين، وللاثنين من المذكر والمؤنث هاتيا دون هاتا، من غير أن يفرقوا في الأمر لهما، كما لم يفرقوا بينهما في ضمير المثنى، في مثل قولك غلامهما، وضربهما، ولا في علامة التثنية التي في قولك: الزيدان والهندان.

وكان الأصل في هات: آت المأخوذ من أتي؛ أي: أعطي، فقُلبت الهمزة هاء كما قُلبت في أرقت الماء، وفي إياك، فقيل: هرقت وهيَّاك. وفي «ملح العرب»: أن رجلاً قال لأعرابي: هات. فقال: والله ما أهاتيك؛ أي: ما أعطيك.

﴿بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ والبرهان أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً، ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ وهو كل ما غاب عن العباد، كالساعة وأمور الآخرة، ونحوها، ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: متى يحشرون من القبور، فـ﴿أَيَّانَ﴾ مركبة من أي وآن. فأي للاستفهام، وآن بمعنى الزمان، كما مر في مبحث التفسير.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ﴾ أصله تدارك فأبدلت التاء دالاً، وأسكنت للإدغام، واجتُلبت همزة الوصل للابتداء، ومعناه تلاحق وتدارك. قال في «القاموس»: جهلوا علمها ولا علم عندهم من أمرها. انتهى، والمراد التتابع في الاضمحلال والفناء، ﴿فِى شَكٍّ﴾؛ أي: في حيرة عظيمة.

﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾؛ أي: جاهلون بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية، جمع عم، وهو أعمى القلب، قال في «المفردات»:

العمى يقال: في افتقاد البصر، وافتقاد البصيرة، ويقال في الأول: أعمى، وفي الثاني: عميٌ وعمٍ، وعمى القلب أشد، ولا اعتبار لافتقاد البصر في جنب افتقاد البصيرة، إذ رُب أعمى في الظاهر بصير في الباطن، ورب بصير في الصورة أعمى في الحقيقة، كحال الكفار والمنافقين والغافلين، وعلاج هذا العمى إنما يكون بضده، وهو العلم الذي به يُدرك الآخرة وما تحويه من الأمور .اهـ «الروح»، وأصله عميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف حركتها.

﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ والأساطير الأحاديث التي ليس لها حقيقة ولا نظام، جمع إسطار وإسطير بالكسر، وأسطور بالضم، وبالهاء في الكل، جمع سطر.

﴿عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ من الإجرام، وأصل الجرم قطع الثمر عن الشجر، والجرامة رديء الثمر المجروم، واستعير لكل اكتساب مكروه، ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ وفي «القاموس»: ردفه ـ كسمع ونصر ـ تبعه، ولكنه ضمن هنا معنى دنا أو قرب. ولذلك عدي باللام، أو أن اللام زائدة كما مر.

﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ﴾؛ أي: ما تخفيه، من أكن إذا أخفى، والإكنان جعل الشيء في الكن، وهو ما يحفظ فيه الشيء.

﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ﴾ وفي «السمين»: في هذه التاء قولان:

أحدهما: أنها للمبالغة، كراوية وعلامة.

والثاني: أنها كالتاء الداخلة على المصادر، نحو العافية، والعاقبة، قال الزمخشري: ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في أنها أسماء غير صفات .اهـ.

قوله: ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ﴾ بثبوت النون هنا على الأصل. وقد حذفت من هذا المضارع في القرآن في عشرين موضعاً، تسعة منها مبدوءة بالتاء، وثمانية بالياء، واثنان بالنون، وواحد بالهمزة. وهو قوله: ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ اهـ شيخنا. ﴿فِي ضَيۡقٖ﴾؛ أي: في حرج وضيق صدر.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾.

ومنها: براعة الاستهلال في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ فإنه كان هذا الحمد براعة استهلال لما سيلقيه من البراهين والدلائل على الوحدانية، والعلم والقدرة التي سيذكرها.

ومنها: أسلوب التبكيت والتهكم في قوله: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ومنها: الالتفات في قوله: ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ بعد قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فقد انتقل في نقل الأخبار من الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله: ﴿فَأَنبَتْنَا﴾ والسر فيه تأكيد اختصاص فعل الإنبات بذاته تعالى، وللإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف، وما يبدو فيها من تزاويق الألوان، وتحاسين الصور ومتباين الطعوم، ومختلف الروائح المتفاوتة في طيب العرف والأريج. كل ذلك لا يقدر عليه إلا قادر خالق، وهو الله وحده، ولذلك رشح هذا الاختصاص بقوله بعد ذلك: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ وقد أدرك أبو نواس هذه الحقيقة، فقال:

تَأَمَّلْ فِيْ رِيَاضِ الأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَىٰ آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيْكُ
عُيُوْنٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ ... بِأَنْظَارٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيْكُ
عَلَىٰ قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيْكُ

ومنها: الزيادة في قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ لتأكيد القلة.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.

ومنها: الاستعارة اللطيفة في قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾؛ أي: أمام نزول المطر، فاستعار اليدين للأمام.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ استعار العمى للتعامي عن الحق وعدم التفكر والتدبر في آلاء الله سبحانه.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَآ﴾.

ومنها: تكرير همزة الإنكار في قوله: ﴿أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ للمبالغة في التعجب والإنكار.

ومنها: الوعيد والتهديد في قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ لأن أصل الإجرام قطع الثمر عن الشجر، فاستعير لكل اكتساب مكروه.

ومنها: التأكيد بـ﴿إن﴾ و﴿اللام﴾ في قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ﴾ وفي قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ﴾.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ لأن معنى تكن تخفي.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر ما يتعلق بالنشأة الأولى، وأنه خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، وما يتصل بالبعث والنشور، وأقام على ذلك الدليل يتلو الدليل بما لم يبق بعده مستزاد لمستزيد.. أردف ذلك بالكلام على نبوة محمد ﷺ، وأقام الأدلة على صحتها، وصدق دعواه فيما يدعي، وكان من أعظم ذلك القرآن الكريم، لا جرم، بيّن الله تعالى إعجازه من وجوه:

١ ـ أن ما فيه من القصص موافق لما في التوراة والإنجيل، مع أنه ﷺ كان

أمياً، ولم يخالط أحداً من العلماء للاستفادة والتعلم، فلا يكون ذلك إذاً إلا من وحي إلهي من لدن حكيم خبير.

٢ ـ أن ما فيه من دلائل عقلية على التوحيد والبعث والنبوة والتشريع العادل المطابق لحاجة البشر في دنياهم وآخرتهم، لا يوجد له نظير في كتاب آخر، فلا بد أن يكون ذلك من عند الله تعالى.

٣ ـ أنه قد بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة، حتى لم يستطع أحد أن يتصدى لمعارضته، مع حرصهم عليها أشد الحرص، فدل ذلك على أنه خارج عن قوى البشر، وأنه من الملأ الأعلى، ومن لدن خالق القوى والقدر.

ثم ذكر بعد ذلك أنه جاء حكماً على بني إسرائيل فيما اختلفوا فيه، فأبان لهم الحق في هذا، كاختلافهم في أمر المسيح فمن قائل هو الله، ومن قائل هو ابن الله، ومن قائل إنه ثالث ثلاثة، وقوم يقولون: إنه كاذب في دعواه النبوة، كما نسبوا مريم إلى ما هي منزهة عنه، وقالوا: إن النبي المبشَّر به في التوراة هو يوشع عليه السلام، أو هو نبي آخر يأتي آخر الدهر، إلى نحو ذلك مما اختلفوا فيه، وأنه لا يحكم إلا بالعدل، فقوله الحق وقضائه الفصل.

ثم أمر رسوله ﷺ أن يتوكل عليه، فإنه حافظه، وناصره. وأن يُعرض عن أولئك الذين لا يستمعون لدعوته، لأنهم صم بكم لا يعقلون، والذكرى لا تنفع إلا من له قلب يعي، وآذان تسمع دعوة الداعي إلى الحق فتستجيب لها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر ما يدل على كمال علمه وقدرته، وأبان بعدئذٍ إمكان البعث والحشر والنشر، ثم فصل القول في إعجاز القرآن، ونبه بذلك إلى إثبات نبوة محمد ﷺ.. أردف ذلك بذكر مقدمات القيامة، وما يحدث من الأهوال حين قيامها، فذكر خروج دابة من الأرض تكلم الناس أنهم كانوا لا يؤمنون بآيات ربهم، وأنه حينئذ يُنفخ في الصور فيفزع من في السمٰوات ومن في الأرض إلا من شاء الله تعالى، وأن الجبال تجري وتمر مر السحاب.

ثم بين أحوال المكلفين بعد ذلك، وجعلهم قسمين:

مطيعين: يعملون الصالحات، فيثابون عليها بما هو خير منها، ويأمنون الفزع والخوف ساعتئذٍ.

وعاصين: يكبون في النار على وجوههم، ويقال لهم حينئذٍ: هذا جزاء ما كنتم تعملون.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه لما بيَّن أحوال المبدأ والمعاد، وفصَّل أحوال القيامة.. أمر رسوله أن يقول لهؤلاء المشركين هذه المقالة، تنبيهاً لهم إلى أنه قد تم أمر الدعوة بما لا مزيد عليه، ولم يبق له بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله تعالى، والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا أو رشدوا، صلحوا أو فسدوا، إثارة لهممهم بألطف وجه إلى تدارك أحوالهم، وتحصيل ما ينفعهم، والتدبر فيما يقرع أسماعهم من باهر الآيات التي تكفي في إرشادهم، وتشفي عللهم وأمراضهم.

التفسير وأوجه القراءة

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ المنزل عليك يا محمد ﴿يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ اليهود والنصارى، ويبيِّن لهم، ﴿أَكْثَرَ﴾ الأمر ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ﴾ لجهالتهم ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ مثل اختلافهم في شأن المسيح، فمن قائل هو الله، ومن قائل هو ابن الله، ومن قائل إنه ثالث ثلاثة، وقوم يقولون: إنه كاذب في دعواه النبوة، كما نسبوا مريم إلى ما هي بريئة منه، وكاختلافهم في أمر عزير فمن قائل إنه ابن الله، ومن قائل إنه نبي، ومن قائل إنه رجل صالح، وكاختلافهم في المعاد الجسماني والروحاني، وصفات الجنة والنار، وتناكرهم في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضاً، فلو أنصفوا وأخذوا بالقرآن، وأسلموا لسلموا من هذا الاختلاف، ووجدوا ما يرفع تفرقهم.

فإن قلت[1]: إن قوله: ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يناقض قوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ فكيف الجمع بينهما؟

قلت: إنه يبين الكل لكن أكثره بالتصريح والتنصيص، وأقله بالرمز والإشارة، كما في «الكرخي».

والمعنى: أي إن هذا القرآن الذي أنزلته إليك أيها الرسول يقص على بني إسرائيل الحق في كثير مما اختلفوا فيه، وكان عليهم لو أنصفوا أن يتبعوه لكنهم لم يفعلوا، وكابروا مع وضوح الحق وظهور دليله، كما تفعلون أنتم أيها المشركون.

ثم وصف القرآن بقوله: ﴿وَإِنَّهُ﴾؛ أي: وإن هذا القرآن ﴿لَهُدًى﴾ للمؤمنين؛ أي: لهاد لهم إلى سبيل الرشاد، ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين آمنوا به وصدقوه، وعملوا بما فيه مطلقاً، سواء كانوا من بني إسرائيل، أو من غيرهم، وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون به.

وبعد أن ذكر فضله وشرفه أتبعه بدليل عدله، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: يحكم بين المختلفين من بني إسرائيل يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِ﴾؛ أي: بعدله؛ أي: بحكمه العادل الحق الذي لا جور فيه، فينتقم من المبطل منهم، ويجازي المحسن بما يستحق من الجزاء، وقيل: يقضي بينهم في الدنيا فيُظهر ما حرَّفوه.

وقرأ الجمهور: ﴿بِحُكْمِهِ﴾ بضم الحاء وسكون الكاف، وقرأ[2] أبو المتوكل وأبو عمران الجوني وعاصم الجحدري: ﴿بحكمه﴾ بكسر الحاء وفتح الكاف، جمع حكمة. وفي «فتح الرحمٰن»: تجوَّز بحكمه عما يحكم به، وهو العدل، وإلا فالقضاء والحكم واحد .اهـ.

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر، الذي لا يرد حكمه

---

(١) الفتوحات بتصرف. (٢) زاد المسير.

وقضاؤه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأفعال العباد وأقوالهم، فقضاؤه موافق لواسع علمه.

ولما كان[1] القضاء يقتضي تنفيذ ما يقضي به، والعلم بما يحكم به.. جاءت هاتان الصفتان عقبه، وهو العزة؛ أي: الغلبة والقدرة، والعلم، وبعد أن أثبت لنفسه العلم والحكمة والجبروت والقدرة، أمر رسوله ﷺ أن يتوكل عليه وحده، فقال: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ سبحانه؛ أي: فإذا كان الله موصوفاً بهذه الشؤون الجليلة فتوكل على الله؛ أي: فوِّض جميع أمورك إلى الله سبحانه، وثق به فيها، ولا تبال بمعاداتهم، فإنه كافيك كل ما أهمك، وناصرك على أعدائك حتى يبلغ الكتاب أجله.

والتوكل[2] التبتل إلى الله، وتفويض الأمر إليه، والإعراض عن التشبث بما سواه، وأيضاً هو سكون القلب إلى الله، وطمأنينة الجوارح عند ظهور الهائل، ثم علل التوكل أولاً بقوله: ﴿إِنَّكَ﴾ أنت يا محمد ﴿عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾؛ أي: على الدين الحق، الظاهر الواضح الذي لا خفاء في حقيقته، وهو دين الإسلام، وإن خالفك فيه من خالفك ممن كتب عليه الشقاء، وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره.

ثم علله ثانياً بقطع طمعه في إيمان قومه، وأنه لا أمل في استجابتهم لدعوته، فقال: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي[3]: لا تقدر على إسماع الحق لموتى القلوب، وهم الكفار؛ أي: لا تقدر أن تُفهم الحق من طبع الله سبحانه على قلوبهم، فأماتها، فإن كونهم كالموتى موجب لقطع الطمع في مشايعتهم، ومعاضدتهم رأساً. وتخصيص الاعتماد به تعالى، وهو المعني بالتوكل عليه، لأنه إذا علم أن حالهم كحال الموتى في انتفاء الجدوى بالسماع صار ذلك سبباً قوياً في عدم الاعتداد بهم.

وإطلاق الإسماع على المعقول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات،

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.

وإنما شُبِّهوا بالموتى لعدم انتفاعهم بما يُتلى عليهم من الآيات، والمراد الذين طُبع على قلوبهم، فلا يخرج ما فيها من الكفر، ولا يدخل ما لم يكن فيها من الإيمان.

﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ﴾؛ أي: ولا تقدر أن تُسمع الصم الدعوة إلى أمر من الأمور، جمع أصم، والصمم فقدان حاسة السمع، وبه شُبِّه من لا يصغي إلى الحق، ولا يقبله، كما شبه هنا؛ أي: ولا تقدر أن تسمع الحق من أصمهم الله عن سماعه، وشبههم بالصم البكم ليبين أنه لا أمل في استجابتهم للدعوة، لأن الأصم الأبكم لا يسمع الداعي بحال.

وفي «التأويلات النجمية»: ولا تُسمع الصم الذين أصمهم الله بحب الشهوات، فإن حبك الشيء يُعمي ويصم؛ أي: يعمي عن طريق الرشد، ويصم عن استماع الحق.

ثم ذكر جملة لتكميل التشبيه وتأكيده، فقال: ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾؛ أي: لا تسمع الصم إذا أعرضوا عن الحق إعراضاً تاماً، وانصرفوا حال كونهم مدبرين؛ أي: معرضين عن الحق، تاركين ذلك وراء ظهورهم فتقييد(١) النفي بإذا لتكميل التشبيه، وتأكيد النفي، فإن إسماعهم في هذه الحالة أبعد؛ أي: إن الأصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريباً منه، فكيف إذا كان خلفه بعيداً منه، معرضاً عنه، مولياً مدبراً.

وظاهر نفي سماع الموتى العموم(٢)، فلا يخص منه إلا ما ورد بدليل كما ثبت في الصحيح: إنه ﷺ خاطب القتلى في قليب ـ بئر ـ بدر، فقيل له: يا رسول الله إنما تكلم أجساداً لا أرواح لها؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» أخرجه مسلم، وكما ثبت أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه.

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

وقرأ ابن محيصن وحميد وابن كثير وابن أبي إسحاق[1]: ﴿لا يسمع﴾ بالتحتية المفتوحة وبفتح الميم، ﴿الصم﴾ بضم الميم، فاعله، وقرأ الباقون: ﴿تُسمع﴾ بضم الفوقية وكسر الميم، ﴿الصمَّ﴾ بفتح الميم من أسمع الرباعي.

قال قتادة: الأصم إذا ولى مدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ما يُدعى إليه من الإيمان.

وقصارى ما سلف: أنه تعالى أمر نبيَّه ﷺ بالتوكل عليه، والإعراض عما سواه، لأنه على الحق المبين، ومن سواه على الباطل، ولأنه تعالى مؤيده وناصره، ولأنه لا مطمع في مشايعة المشركين، ومعاضدتهم، لأنهم كالموتى، وكالصم البكم، فلا أمل في استجابتهم للدعوة، ولا في قبولهم للحق.

ثم أكد ما سلف وقطع أطماعه في إيمانهم على أتم وجه، فقال: ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾؛ أي: بمرشد العميان وصارفهم، ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ وغوايتهم إلى الحق هداية موصلة إلى المطلوب، فإن الاهتداء لا يحصل إلا بالبصر، و﴿عَن﴾ متعلقة بالهداية[2]، باعتبار تضمنها لمعنى الصرف، والعُميُ جمع أعمى، والعمى فقدان البصر، فشُبِّه من افتقد البصيرة بمن فَقَدَ البصر في عدم الهداية.

قال في «المفردات»: لم يعد تعالى افتقاد البصر في جانب افتقاد البصيرة عمى، حيث قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الحق إرشاداً يوصله إلى المطلوب منه، وهو الإيمان، وليس في وسعك ذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ بإضافة هادي إلى العمي، وقرأ يحيى بن الحارث وأبو حيوة: ﴿بهادٍ﴾ منوناً ﴿العميَ﴾ بالنصب، وقرأ الأعمش وطلحة وابن وثاب وابن يعمر وحمزة: ﴿تهدي﴾ مضارع هدى ﴿العميَ﴾ بالنصب، وقرأ ابن

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

مسعود: ﴿وما أن تهتدي﴾ بزيادة ﴿أن﴾ بعد ﴿ما﴾، وتهتدي، وتهتدي مضارع اهتدى، ﴿العمي﴾ بالرفع، والمعنى: ليس في وسعك إدخال الهدى في قلب من عمي عن الحق، ولم ينظر إليه بعين قلبه؛ أي: أنت أيها الرسول لا تستطيع أن تصرف العمي عن ضلالتهم، وتهديهم إلى الطريق السوي. والمراد: إنك لا تهدي من أعماهم الله عن الهدى والرشاد، فجعل على أبصارهم غشاوة تمنعهم عن النظر فيما جئت به نظراً يوصلهم إلى معرفة الحق، وسلوك سبيله.

ثم زاد ذلك توكيداً فقال: ﴿إِن تُسْمِعُ﴾؛ أي: ما تُسمع دعوتك سماعاً نافعاً للسامع، ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التنزيلية، ويصدق بها، وهي القرآن، لا من يكفر بها؛ أي: لا تُسمع إلا من سبق في علمنا إيمانه بآياتنا وتصديقه بكتابنا، ولما كان طريق الهداية هو إسماع الآيات التنزيلية قال: ﴿إن تسمع﴾، دون إن تهدي، مع قرب ذكر الهداية، وجملة قوله: ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ تعليل لإيمانهم بها، كأنه قيل يؤمنون بآياتنا لكونهم منقادين للحق، مخلصين في إيمانهم.

والمعنى[1]: أي إنما يستجيب لك من هو نافذ البصيرة، خاضع لربه متبتل إليه، مجيب لدعوة رسله.

والخلاصة: أنك لا تقدر أن تُفهم الحق وتسمعه إلا من يصدقون بآياتنا وحججنا، فإنهم هم الذين يسمعون منك ما تقول، ويتدبرونه، ويعملون به، إذ هم ينقادون للحق في كل حين.

واعلم[2]: أن الأصل هو العناية الأزلية، وما سبق في علم الله سبحانه من السعادة الأبدية، فالسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله سبحانه وتعالى، وإنما الأعمال بالخواتيم، اللهم اجعلنا بجزيل فضلك ووسيع كرمك من السعداء، ولا تجعلنا من الأشقياء.

ثم هدد العباد بذكر طرق من أشراط الساعة وأهوالها، فقال: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: وإذا وجب وثبت، وحل على الناس أجل ما قلنا في القرآن،

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

ووعدناهم فيه، والمراد بالقول[1]: ما نطق به القرآن من مجيء الساعة وما فيها من فنون الأهوال التي كان يستعجل بها المشركون، والمراد بالوقوع: الدنوُّ والاقتراب، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾.

والمعنى: إذا دنا واقترب قيام الساعة التي ذكرناها وبيَّناها في القرآن، قيل: اقترابها بموت العلماء، وذهاب العلم، وقيل: برفع القرآن، وقيل: إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر.

﴿أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ﴾؛ أي: للناس ﴿دَآبَّةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: من جبل الصفا بمكة وهي فصيل ناقة صالح عليه السلام، فإنه لما عُقرت أمه هرب، فانفتح له حجر فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه الحجر، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله تعالى في آخر الزمان.

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنها تخرج في ثلاثة أيام، والناس ينظرون إليها، فلا يخرج كل يوم إلا ثلثها، وعن الحسن: لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام، وفي الحديث: «إن طولها ستون ذراعاً بذراع آدم عليه السلام، لا يُدركها طالب، ولا يفوتها هارب»، وقيل: اسم الدابة الجسَّاسة لتجسُّسها الأخبار للدجال، لأن الدجال كان موثقاً في دير في جزيرة بحر الشام، وكانت الجسَّاسة في تلك الجزيرة، كما في حديث المشارق في الباب الثامن.

وروى[2] البغوي بإسناده عن الثعلبي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، ذكر رسول الله ﷺ الدابة، قلت: يا رسول الله من أين تخرج؟ قال: «من أعظم المساجد حرمة على الله، فبينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون. . إذ تضطرب الأرض، وينشق الصفا مما يلي المسعى، وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها، ملمعة ذات وبر وريش، لن يدركها الطالب، ولن يفوتها هارب، تسِمُ الناس مؤمناً وكافراً، فأما المؤمن: فتترك وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن. وأما الكافر: فتنكت بين عينيه نكتة

(١) الشوكاني.

(٢) الخازن.

سوداء، وتكتب بين عينيه كافر».

وروي عن ابن عباس أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم، وقال: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه، وعن ابن عمر، قال: تخرج الدابة ليلة جمع، والناس يسيرون إلى منى، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «بئس الشعب شعب أجياد»، مرتين أو ثلاثاً، قيل: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: «تخرج منه الدابة، تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين».

وروي عن ابن الزبير، أنه وصف الدابة، فقال: رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً.

وعن عبد الله بن عمرو: تخرج الدابة من شعب أجياد، فتمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض، وروي عن علي، قال: ليست بدابة لها ذنب، ولكن لها لحية، وقال وهب: وجهها وجه رجل، وسائر خلقها كخلق الطير، فتُخبر من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون.

قال القرطبي[1]: قد رفع الإشكال في هذه الدابة ما ذكرناه من حديث حذيفة، فليعتمد عليه.

واختلف في أي موضع تخرج؟ فقال عبد الله بن عمر: تخرج من الصفا، وروي عن قتادة: أنها تخرج في تهامة، وروي أنها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنُّور نوح ـ عليه السلام ـ، وقيل: من أرض الطائف، قال أبو قبيل: ضرب عبد الله بن عمرو أرض الطائف برجله، وقال: من هنا تخرج الدابة التي تكلم الناس، وقيل غير ذلك مما لا طائل تحته.

وما جاء[2] في وصف الدابة، والمبالغة في طولها وعرضها وزمان

---

(١) القرطبي. (٢) المراغي.

ا، ومكانه مما لا يُركن إليه، فإن أمور الغيب لا يجب التصديق بها إلا إذا ثبتت بالدليل القاطع عن الرسول المعصوم ﷺ.

وجملة قوله: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ صفة للدابة؛ أي: تكلم تلك الدابة الناس المعاصرين لخروجها، وتخبرهم ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ العصريين والمكلفين الموجودين الآن ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: بآيات ربنا، ودلائل قدرته التي منها خروجي الدال على قرب الساعة ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾؛ أي: لا يصدقون بها؛ أي: تكلم تلك الدابة من وُجد وقت خروجها على العموم الكفرة وغيرهم باللسان العربي الفصيح، أو تُكلِّم العرب بالعربي، والعجم بالعجمي، وتُخبرهم بأن الناس كانوا لا يؤمنون بآيات الله الناطقة بمجيء الساعة، وقربها كخروجي.

وقال الشوكاني: والمراد بالناس في الآية: هم الناس على العموم فيدخل في ذلك كل مكلف، وقيل: المراد بهم الكفار خاصة، وقيل: كفار مكة. والأول أولى .اهـ.

قال أبو حيان: والظاهر[1] أن قوله: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بالتشديد، وهي قراءة الجمهور من الكلام، ويؤيده قراءة أبي ﴿تنبئهم﴾، وفي بعض القراءات ﴿تحدثهم﴾ وهي قراءة يحيى بن سلام، وقرأ عبد الله وأبو عمران الجوني ﴿تكلمهم بأن الناس﴾ قال السدي: تكلمهم ببطلان سائر الأديان سوى الإسلام، وقيل: تخاطبهم فتقول للمؤمن هذا مؤمن، وللكافر هذا كافر، وقيل: معنى تكلمهم تجرحهم من الكلم والتشديد للتكثير، ويؤيده قراءة ابن عباس ومجاهد وابن جُبير وأبي زرعة والجحدري وأبي حيوة وابن أبي عبلة: ﴿تكلمهم﴾ بفتح التاء وسكون الكاف مخفف اللام، وقراءة من قرأ ﴿تجرحهم﴾ مكان تكلمهم، وسأل أبو الحوراء ابن عباس تُكلِّم أو تَكْلِم؟ فقال: كل ذلك تفعل، تُكلِّم المؤمن وتَكْلِمُ الكافر. انتهى، وروي أنها تسم الكافر في جبهته وتربده، وتمسح على وجه المؤمن فتبيضه.

---

(١) البحر المحيط.

وقرأ الكوفيون حمزة والكسائي وعاصم وزيد بن علي ﴿أن الناس﴾ بفتح الهمزة على تقدير تكلمهم بأن الناس، وقرأ ابن مسعود ﴿بأن﴾ وتقدم، وقرأ باقي السبعة بكسر الهمزة، فاحتمل الكسر أن يكون من كلام الله، وهو الظاهر لقوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ فتكون الجملة مستأنفة، واحتمل أن يكون من كلام الدابة، وروي هذا عن ابن عباس، وكُسرت إن على هذا القول، إما على إضمار القول؛ أي: تكلمهم وتقول لهم: إن الناس، أو على إجراء تكلمهم مجرى تقول لهم، ويكون قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ على حذف مضاف؛ أي: بآيآتنا ربنا، كما مر في حلنا، أو لاختصاصها بالله، كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا، وعلى قراءة الفتح فالتقدير بأن، كقراءة عبد الله، كما مر، والظاهر أنه متعلق بتكلمهم؛ أي: تخاطبهم بهذا الكلام، ويجوز أن تكون الباء المنطوق بها، أو المقدرة سببية؛ أي: تخاطبهم، أو تجرحهم بسبب انتفاء إيقانهم بآياتنا. انتهى.

ثم بيَّن سبحانه حال المكذبين حين مجيء الساعة بعد بيان بعض مباديها وأشراطها فقال: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ والمراد[1] بهذا الحشر هو الحشر الخاص بهم للعذاب بعد الحشر العام لكل الخلق؛ أي: واذكر يا محمد قصة يوم يُجمع من كل أمة من الأمم جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ عند ذلك الحشر ﴿يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يُرد أولهم على آخرهم، أو يُدفعون والفوج الجماعة من الناس، وقوله: ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ﴾ بيان للفوج؛ أي: فوجاً مكذبين بآياتنا، لأن كل أمة، وكل عصر لم يخل من كفرة بالله من لدن تفريق بني آدم، لأن كل أمة منقسمة إلى مصدِّق ومكذب.

والمراد بالفوج هنا[2]: رؤساء الأمم المتبوعون في الكفر والتكذيب، فهم يحبسون حتى يلتحق بهم أسافلهم التابعون، كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة، وهكذا

---

(١) أبو السعود.

(٢) روح البيان.

يُحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار، وفي الحديث: «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار»، ومعنى يوزعون: يُحبس أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقع التوبيخ والمناقشة، وهو عبارة عن كثرة عددهم، وتباعد أطرافهم، كما سبق في هذه السورة في قصة سليمان عليه السلام، والمراد بالآيات بالنسبة إلى هذه الأمة الآيات القرآنية.

والمعنى: واذكر يا محمد لقومك ـ تحذيراً لهم وترهيباً ـ هول يوم جمعنا على وجه الإكراه من كل أمة من أمم الأنبياء جماعة كثيرة، مكذبين بكتابنا فهم يوقف أولهم حتى يجتمعوا ويتلاحقوا في موقف الحساب والمناقشة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ إلى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب. ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه موبخاً لهم على التكذيب، والالتفات فيه لتربية المهابة كما سيأتي في مبحث البلاغة، ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى﴾ الناطقة بلقاء يومكم هذا التي أنزلتُها على رسلي، وأمرتُهم بإبلاغها إليكم.

﴿و﴾ الحال أنكم ﴿لم تحيطوا بها علما﴾؛ أي: لم تعرفوا ببطلانها فتُعرضوا عنها، والواو للحال، ونصب ﴿عِلْمًا﴾ على التمييز، كما سيأتي؛ أي: أكذبتم بها بادي الرأي، جاهلين لها غير ناظرين فيها نظراً يؤدي إلى العلم بكنهها، ولا مستدلين على صحتها وبطلانها، تمرداً وعناداً وجراءة على الله وعلى رسله.

وفي هذا[1]: مزيد توبيخ وتقريع لهم، لأن من كذب بشيء ولم يحط به علماً فقد كذب في تكذيبه، ونادى على نفسه بالجهل، وعدم الإنصاف، وسوء الفهم، وقصور الإدراك، ومن هذا القبيل من تصدَّى لذم علم من العلوم الشرعية، أو لذم علم هو مقدمة من مقدماتها، ووسيلة يتوسل بها إليها، ويفيد زيادة بصيرة في معرفتها، وتعقل معانيها، كعلوم اللغة العربية بأسرها، وهي اثنا عشر علماً، وعلم أصول الفقه، فإنه يُتوسل به إلى استنباط الأحكام الشرعية عن أدلتها

---

(١) الشوكاني.

التفصيلية، مع اشتماله على بيان قواعد اللغة الكلية، وهكذا كل علم من العلوم التي لها مزيد نفع في فهم كتاب الله وسُنة رسوله، فإنه قد نادى على نفسه بأرفع صوت بأنه جاهل مجادل بالباطل، طاعن في العلوم الشرعية، مستحق لأن تنزل به قارعة من قوارع العقوبة التي تزجره عن جهله وضلاله وطعنه على ما لا يعرفه ولا يعلم به، ولا يحيط بكنهه، حتى يصير عبرة لغيره، وموعظة يتعظ بها أمثاله من ضعاف العقول، وركاك الأديان، ورعاع المتلبسين بالعلم زوراً وكذباً.

﴿أم﴾ في قوله: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هي المنقطعة، وقرأ أبو حيوة ﴿أماذا﴾ بتخفيف الميم، أدخل همزة الاستفهام على اسم الاستفهام على سبيل التوكيد والمعنى: بل أي شيء كنتم تعملون حتىٰ شغلكم ذلك عن النظر فيها، والتفكر من معانيها، وهذا الاستفهام على طريق التبكيت لهم. يعني[1]: لم يكن لهم عمل غير الجهل والتكذيب، والكفر والمعاصي، كأنهم لم يُخلقوا إلا لها، مع أنهم ما خُلقوا إلا للعلم والتصديق والإيمان والطاعة، يخاطبون بذلك تبكيتاً، فلا يقدرون أن يقولوا: فعلنا غير ذلك.

ثم يكبون في النار، وذلك قوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾؛ أي: حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾؛ أي: بسبب ظلمهم الذي هو التكذيب بآيات الله ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ باعتذار لشغلهم بالعذاب، أو لختم أفواههم.

والمعنى[2]: أي وحل بأولئك المكذبين بآيات الله السخط والغضب والعذاب بسبب تكذيبهم بها، فهم لا ينطقون بحجة، ولا معذرة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حل بهم من العذاب الأليم.

ونحو الآية قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وبعد أن خوَّفهم من أهوال يوم القيامة ذكر الدليل على التوحيد والحشر والنبوة، فقال:

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾[1] من رؤية القلب، وهو العلم، لا من رؤية البصر، لأن نفس الليل والنهار وإن كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات، والاستفهام فيه للتوبيخ المضمن للإنكار؛ أي: ألم يعلم هؤلاء المكذبون بآياتنا ﴿أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ﴾ مظلماً ﴿لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾؛ أي: ليستريحوا فيه بالنوم والقرار، ففيه حذف مظلماً يدل عليه قوله: ﴿و﴾ جعلنا ﴿النهار مبصرا﴾؛ أي: مضيئاً ليتحركوا فيه، وينتشروا لطلب معاشهم، ففيه حذف ليتحركوا دل عليه قوله: ﴿لِيَسۡكُنُواْ﴾ ففي الكلام احتباك كما سيأتي في مبحث البلاغة؛ أي: ألم يتفكر أهل مكة، ولم يعلموا أنا جعلنا الليل مظلماً ليستريحوا فيه بالقرار والنوم، والنهار مضيئاً لينتشروا فيه ويطلبوا معايشهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إن في جعل الليل والنهار، كما ذكر ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾؛ أي: لدلالات ظاهرة على التوحيد والبعث والنبوة ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾؛ أي: يصدقون بها، فيعتبرون. خصوا بالذكر، لأنهم المنتفعون بها دون الكافرين.

وحاصل معنى الآية[2]: أي ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا تصريفنا الليل والنهار، ومخالفتنا بينهما بجعل ذاك سكناً لهم يسكنون فيه، ويهدؤون راحة لأبدانهم من تعب التصرف، والتقلب نهاراً، وجعل هذا مضيئاً يبصرون في الأشياء، ويعاينونها، فيتقلبون فيه لمعايشهم، فيتفكرون في ذلك، ويتدبرون، ويعلمون أن مصرِّف ذلك كذلك هو الإله الذي لا يُعجزه شيء، ولا يتعذر عليه إماتة الأحياء، وإحياء الأموات بعد الممات.

وفي ذلك أيضاً دليل على النبوة، لأنه كما يُقلِّب الليل والنهار لمنافع المكلفين، ففي بعثة الأنبياء منافع عظيمة للناس في دنياهم ودينهم. فما المانع إذاً من بعثهم إليهم، بل الحاجة إلى ذلك أمس.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾؛ أي: إن فيما ذُكر لدلالة على قدرته على

---

(١) أبو السعود. (٢) المراغي.

البعث بعد الموت، وعلى توحيده لمن آمن به، وصدَّق برسله، فإن من تأمل في تعاقبهما واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم تحار في فهمها العقول، ولا يحيط بعلمها إلا الله، وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل الحالكة المشابهة للموت بضياء النهار المضاهي للحياة، وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحياة، قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وجزم بأن الله جعل هذا دليلاً على تحققه، وأن الآيات الناطقة به حق، وأنها من عند الله سبحانه وتعالى.

قال حكيم: الدهر مقسوم بين حياة ووفاة، فالحياة اليقظة، والوفاة النوم، وقد أفلح من أدخل في حياته من وفاته .اهـ، فعلى العاقل أن يجدَّ في طريق الوصول، ليكون من أهل الوصال والحصول، ويتخلَّص من العذاب مطلقاً، فإن غاية العمر الموت، ونهاية الموت الحشر، ونتيجة الحشر إما السوق إلى الجنة، وإما السوق إلى النار، والمسوق إلى النار إما مؤمن عاص فعذابه التأديب والتطهير، وإما كافر مكذب فعذابه عذاب القطعية والتحقير.

والمؤمنون يتفاوتون في الدنيا في عقوباتهم على مقادير جرائمهم، فمنهم من يعذب ويُطلق، ومنهم من يعذب ويُحبس مدة على قدر ذنبه، ومنهم من يُحَدّ، والحدود مختلفة، فمنهم من يقتل، وليس بعجب أن لا يسوى بين أهل النار إلا من لا خير فيه، وهم الكفار الذين ليسوا بموضع الرحمة، لأن الله تعالى رحمهم في الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فاختاروا الغضب بسلوك طريق التكذيب والعناد، فهم على السوية في عذاب الفرقة، إذ ليس لهم وصلة أصلاً، لا في الدنيا، ولا في العقبى، لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، نسأل الله تعالى أن يفتح عيون بصائرنا عن سنات الغفلات، ويجعلنا من المتبعين لدينه في جميع الحالات، إنه قاضي الحاجات، ومانح المرادات، آمين آمين، يا مجيب الدعوات.

وبعد أن ذكر الحشر الخاص، وأقام الدليل عليه، ذكر الحشر العام فقال: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ هو معطوف على ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾ منصوب بناصبه المتقدم

تقديره، والنفخ[1]: إدخال الريح في الشيء، كما سيأتي في مبحث اللغة، والصور: هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ـ عليه السلام ـ للموت والحشر، فكأن أصحاب الجيوش من ذلك أخذوا البوقات لحشر الجند، وفي الحديث: «لما فرغ الله من خلق السماوات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه شاخصٌ بصره إلى العرش متى يؤمر»، قال أبو هريرة ـ راوي الحديث ـ رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «القرن». قلت: كيف هو؟ قال: «عظيم، والذي نفسي بيده إنَّ أعظم دارة فيه كعرض السماء والأرض» فيؤمر بالنفخ فيه، فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحياة أحد إلا من شاء الله تعالى، وذلك قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وإلى قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ ثم يؤمر بأخرى، فينفخ فيه نفخة لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام، وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ الآية، ومعنى النفخ في القرن أن الأرواح تُجمع في القرن، ثم ينفخ فيه فتذهب إلى الأجساد فتحيا بها الأجساد، والمراد بالنفخ هٰهنا هي النفخة الثانية.

أي: واذكر يا محمد لقومك أهوال يوم يُنفخ في الصور نفخة ثانية ينفخها إسرافيل لرد الأرواح إلى أجسادها، وهو يوم القيامة ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: فيفزع منها، ويخاف جميع من في السمٰوات والأرض لشدة ما سمعوا، والتعبير بالماضي في الفزع للدلالة على تحقق وقوعه، لأن المستقبل من فعل الله تعالى متيقَّن الوقوع كتيقن الماضي من غيره، لأن إحياءه تعالى حق.

والمراد بالفزع هٰهنا ما يعتري الكل ـ مؤمناً وكافراً ـ من الرعب والتهيُّب الضروريَّين الجبليَّين عند البعث والنشور، بمشاهدة الأمور الهائلة الخارقة للعادات في الأنفس والآفاق، وقيل: المراد بالفزع هنا الإسراع والإجابة إلى النداء، من قولهم: فزعتُ إليك في كذا، أسرعتُ إلى إجابتك، والأول أولى بمعنى الآية.

والنفخات في الصور ثلاث[2]: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق،

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.

والثالثة نفخة البعث، وقيل: إنها نفختان، وإن نفخة الفزع إما أن تكون راجعة إلى نفخة الصعق، أو إلى نفخة البعث، واختار هذا القول القشيري والقرطبي وغيرهما.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه أن لا يفزع عند تلك النفخة بأن يثبت قلبه، وهم الأنبياء والمرسلون، والشهداء والصالحون، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والملائكة الأربعة، وحملة العرش، والخزنة، والحور ونحوهم.

والمعنى[1]: أي واذكر أيها الرسول لهم هول يوم النفخ في الصور، إذ يفزع من في السمٰوات ومن في الأرض، لما يعتريهم من الرعب حين البعث والنشور، بمشاهدة الأهوال الخارقة للعادة في الأنفس والآفاق، إلا من ثبَّت الله قلبه.

﴿وَكُلٌّ﴾؛ أي: جميع الخلائق ﴿أَتَوْهُ﴾ سبحانه وتعالى وحضروه ﴿دَٰخِرِينَ﴾؛ أي: ذليلين صاغرين؛ أي: وكل هؤلاء الفزعين المبعوثين حين النفخة يحضرون الموقف بين يدي رب العزة للسؤال والجواب، والمناقشة والحساب أذلاء صاغرين، لا يتخلف أحد عن أمره، كما قال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾، وقال: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾، وقال: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿أَتَوْهُ﴾ بضم التاء على صيغة اسم الفاعل مضافاً إلى الضمير الراجع إلى الله تعالى، وقرأ عبد الله وحمزة وحفص عن عاصم والأعمش ويحيى بن وثاب: ﴿أتوه﴾ فعلاً ماضياً، وفي القراءتين رُوعي معنى كل من الجمع، وقرأ قتادة: ﴿وكل أتاه﴾ فعلاً ماضياً مسنداً لضمير كل على لفظها، وجمع داخرين على معناها، وقرأ الجمهور: ﴿دَٰخِرِينَ﴾ بالألف بعد الدال، وقرأ الحسن والأعمش: ﴿دَخِرِينَ﴾ بغير ألف.

وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ معطوف على ﴿يُنفَخُ﴾، داخل معه في حكم التذكير،

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

والخطاب لرسول الله ﷺ، أو لكل من يصلح للرؤية، و﴿ترى﴾ هنا بصرية لا علمية؛ أي: واذكر يا محمد لقومك هول يوم ترى وتبصر الجبال حال كونك ﴿تَحْسَبُهَا﴾ وتظنها ﴿جَامِدَةً﴾ ثابتة في أماكنها، وقرأ أهل الكوفة: ﴿تَحْسَبُهَا﴾ بفتح السين، وقرأ الباقون بكسرها، ﴿وَهِيَ﴾؛ أي: والحال أن تلك الجبال ﴿تَمُرُّ﴾ وتمضي ﴿مَرَّ السَّحَابِ﴾ والغيم؛ أي: تراها رأي العين ساكنة، والحال أنها تمر وتمشي مثل مرور السحاب التي تسيِّرها الرياح سيراً سريعاً، حتى تقع على الأرض فتسوَّى بها، وذلك لأن كل شيء عظيم، وكل جمع كثير يقصر عنه البصر، ولا يحيط به لكثرته وعظمته، فهو في حسبان الناظر واقف، وهو يسير.

وهذا أيضاً[1]: مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق، فإن الله تعالى يبدل الأرض غير الأرض، ويغيِّر هيئتها، ويسيِّر الجبال عن مقارِّها على ما ذُكر من الهيئة الهائلة، ليشاهدها أهل المحشر، وهي وإن اندكَّت وتصدعت عند النفخة الأولى فتسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية، كما نطق به قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ فإن صيغة الماضي في المعطوف الذي هو ﴿حشرناهم﴾ مع كون المعطوف عليه مستقبلاً وهو ﴿نُسَيِّرُ﴾ للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية، كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك، ثم علل إمكان ذلك وسرعة حصوله بقوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ أي: ذلك الصنع العظيم صنع الله الذي أحكم كل شيء، وأودع فيه من الحكمة ما أودع، وانتصاب ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ على المصدرية عند الخليل وسيبويه وغيرهما بفعل محذوف وجوباً، تقديره: صنع الله الذي أتقن كل شيء؛ أي: أحسن خلق كل شيء، وأتى به على وجه الحكمة، ذلك النفخ في الصور، وما تفرَّع منه من الأمور الهائلة صنعاً، أي: صنع ذلك النفخ وما تفرع عليه صنعاً، وفعله فعلاً بديعاً، وهو مصدر مؤكد لمضمون ما قبله؛ أي: فإن نفخ الصور المؤدي إلى الفزع العام، وحضور الكل الموقف، وما فعل بالجبال إنما هو من صنع الله لا يحتمل غيره.

---

(١) الخازن.

والصنع[1]: إجادة الفعل، فكل صنع فعل، وليس كل فعل صنعاً، أي: صنع الله ذلك صنعاً، وفعله فعلاً متقناً محكماً، قال في «الإرشاد»: قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الأفاعيل، وتهويل أمرها، والإيذان بأنها ليست بطريق إخلال نظام العالم، وإفساد أحوال الكائنات بالكلية من غير أن تدعو إليها داعية، ويكون لها عاقبة، بل هي من قبيل بدائع صنع الله المبنية على أساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة، التي لأجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادىء الإبداع، على الوجه المتين والمنهج الرصين.

ثم علل ما تقدم من النفخ في الصور والقيام للحساب، ومجازاة العباد على أعمالهم بقوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى ﴿خَبِيرٌۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾؛ أي: عالم بظواهر أفعالكم وبواطنها أيها المكلفون، ولذلك فعل ما فعل من النفخ، والبعث ليجازيكم على أعمالكم، وهو الخبير المطلع على الظواهر والضمائر.

وقرأ الجمهور[2]: بالتاء الفوقية على الخطاب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالتحتية على الغيبة، والمعنى: أي إنه تعالى ذو علم وخبرة بما يفعل عباده من خير وشر، وطاعة ومعصية، وهو مجازيهم على ذلك أتمَّ الجزاء.

ثم بيَّن حال السعداء والأشقياء يومئذٍ، فقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾؛ أي: بكلمة الشهادة[3] والإخلاص فإنها الحسنة المطلقة، وأحسن الحسنات، ﴿فَلَهُۥ خَيۡرٌ﴾؛ أي: نفع وثواب حاصل ﴿مِّنۡهَا﴾؛ أي: من جهتها، ولأجلها، وهو الجنة، فاسم التفضيل لا يدل على المفاضلة إذ لا يوجد شيء خير من (لا إلٰه إلا الله)، ويجوز أن يكون اسم التفضيل على بابه إذا أريد بالحسنة غير الكلمة المشرفة من الطاعات، أيَّ طاعة كانت، والمعنى: من جاء يوم القيامة بالحسنة أياً كانت.. فله من الجزاء والثواب ما هو خير وأفضل وأكثر منها، إذ ثبت له الشريف بالخسيس، والباقي بالفاني، وعشرة بل سبع مئة بواحدة، وقيل: المراد بالحسنة

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

(٣) روح البيان.

أداء الفرائض، وقيل: هي الإخلاص في العبادة، والتعميم أولى[1]، ولا وجه للتخصيص، وإن قال به بعض السلف.

قيل: وهذه الجملة بيان لقوله: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾، وقيل: بيان لقوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾.

﴿وَهُم﴾؛ أي: الذين جاؤوا بالحسنات ﴿مِّن فَزَعٍ﴾؛ أي: عظيم هائل لا يقادر قدره، وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة، وظهور الحسنات والسيئات، وهو الذي في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾، وعن الحسن: هو الفزع حين يؤمر بالعبد إلى النار، وقال ابن جريج: الفزع حين يذبح الموت، وينادى يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت. وقرأ عاصم والكسائي وحمزة[2]: ﴿من فزعٍ﴾ بالتنوين.

و﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم إذ ينفخ في الصور، منصوب على الظرفية، معمول لقوله: ﴿ءَامِنُونَ﴾ أو لـ﴿فَزَعٍ﴾، ويدل على أنه معمول له قراءة من أضافه إليه، أو في موضع الصفة لـ﴿فَزَعٍ﴾؛ أي: كائنٍ في ذلك الوقت، والمعنى عليه؛ أي: والذين جاؤوا بالحسنات آمنون من فزع كائن يوم إذ وقعت هذه الأهوال العظيمة اهـ «مراح».

وقرأ باقي السبعة بإضافة ﴿فَزَعٍ﴾ إلى ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ فكسرَ الميمَ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير وإسماعيل بن جعفر عن نافع، وفتحها بناء لإضافته إلى غير متمكن نافع في غير رواية إسماعيل، والتنوين في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تنوين عوض عن الجملة المحذوفة، ويكون التقدير يوم إذ جاء بالحسنة، أو يوم إذ ترى الجبال، أو يوم إذ يُنفخ في الصور.

﴿ءَامِنُونَ﴾ لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل، ولا يلحقهم ضرره أصلاً، وأما الفزع الذي يعتري كل من في السمٰوات ومن في الأرض غير من استثناه الله تعالى فإنما هو التهيُّبُ والرعبُ الحاصل في ابتداء النفخة، من معاينة فنون الدواهي

---

(١) الشوكاني. (٢) البحر المحيط.

والأهوال، ولا يكاد يخلو منه أحد بحكم الجبلة، وإن كان آمناً من لحوق الضرر.

وعبارة «الخازن» هنا: فإن قلت[1]: كيف نفى الفزع هنا، وقد قال قبله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾؟

قلت: إن الفزع الأول هو ما لا يخلو عنه أحد عند الإحساس بشدة تقع، وهول يفجأ من رعب وهيبة، وإن كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر إليه، فأما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه، وأما ما يلحق الإنسان من الرعب عند مشاهدة الأهوال فلا ينفك عنه أحد، اهـ.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾؛ أي: بالشرك الذي هو أسوأ المساوىء ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾؛ أي: ألقوا وطرحوا فيها على وجوههم منكوسين، ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم، كما أريدت بالأيدي في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ فإن الوجه والرأس والرقبة واليد يعبر بها عن جميع البدن، وخصت الوجوه بالذكر لأنها أشرف أعضاء الإنسان، لاجتماع الحواس فيها، وقال جماعة[2] من الصحابة ومن بعدهم: حتى قيل إنه مجمع عليه بين أهل التأويل أن المراد بالسيئة هنا الشرك، ووجه التخصيص قوله: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ فهذا الجزاء لا يكون إلا بمثل سيئة الشرك.

وجملة قوله: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مقول لقول محذوف، والقائل خزنة جهنم، والاستفهام فيه للإنكار، فهو بمعنى النفي؛ أي: حالة كونهم مقولاً لهم ما تجزون إلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك؛ أي: تقول لهم خزنة جهنم ما تجزون الآن إلا جزاء أعمالكم من الشرك والمعاصي في الدنيا.

وفي الحديث[3]: «إذا كان يوم القيامة جاء الإيمان والشرك يجثوان بين

---

(١) الخازن.
(٢) الشوكاني.
(٣) روح البيان.

يدي الرب تعالى، فيقول الله تعالى للإيمان: انطلق أنت وأهلك إلى الجنة، ويقول للشرك: انطلق أنت وأهلك إلى النار»، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ إلى قوله: ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾.

ويقال: لا إله إلا الله مفتاح الجنة، ولا بد للمفتاح من أسنان حتى يفتح الباب، ومن أسنانه لسان ذاكر طاهر من الكذب والغيبة، وقلب خاشع طاهر من الحسد والخيانة، وبطن طاهر من الحرام والشبهة، وجوارح مشغولة بالخدمة طاهرة من المعاصي.

ولما فرغ سبحانه من بيان أحوال المبدأ والمعاد أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾؛ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إنما أمرت أن أخص الله سبحانه بالعبادة وحده لا شريك له، تنبيهاً لهم إلى أنه قد تم أمر الدعوة بما لا مزيد عليه، ولم يبق له بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله، والاستغراق في مراقبته، غير مبال بهم ضلوا أو رشدوا، وأشار إليها إشارة تعظيم لأنها موطن نبيِّه ومهبط وحيه.

والمراد بالبلدة مكة المشرفة، وإنما خصها من بين سائر البلاد لكون بيت الله الحرام فيها، ولكونها أحب البلاد إلى رسوله ﷺ قال في «التكملة»: خص البلدة بالذكر، وهي مكة، وإن كان رب البلاد كلها ليعرف المشركون نعمته عليهم، وأن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه، هو الذي حرَّم بلدتهم. انتهى.

وعبارة «الخازن»: وإنما ذكر أنه هو الذي حرمها، لأن العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة، وأن تحريمها من الله، لا من الأصنام. انتهى.

والموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾؛ أي: حرم هذه البلدة وشرفها وعظمها بتحريمه على خلقه أن يسفكوا فيها دماً، ويظلموا فيها أحداً، صفة للرب، هكذا قرأ الجمهور، وقرأ ابن عباس، وابن مسعود ﴿التي حرمها﴾ على أن الموصول صفة للبلدة، والتعرض لتحريمه تعالى إياها إجلال لها بعد إجلال، ومعنى تحريمها جعلها حرماً آمناً لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصطاد صيدها، ولا يختلى خلاها.

وفي الحديث «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس»؛ أي: كان تحريمها من الله سبحانه بأمر سماوي، لا من الناس باجتهاد شرعي، وأما قوله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة» فمعناه: أظهر الحرمة الثابتة، أو دعا فحرمها الله تعالى حرمة دائمة.

ومعنى الآية[1]: قل لقومك يا محمد: أمرت من قبل الله أن أخصه وحده بالعبادة، ولا أتخذ له شريكاً، فاعبدوه أنتم، ففيه عزكم وشرفكم، ولا تتخذوا له شريكاً، وقد ثبتت عليكم نعمته بتحريم بلدتكم، قال بعضهم: العبادة لباس الأنبياء والأولياء.

ولما أخبر سبحانه وتعالى أنه مالك هذه البلدة. أخبر أنه يملك كل شيء فقال: ﴿وَلَهُۥ﴾؛ أي: ولرب هذه البلدة خاصة ﴿كلُّ شيء﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً، دون أن يشركه في ذلك أحد؛ أي: جميع الأشياء داخلة في ربوبيته، فشرفت البلدة بذكر اندراجها تحت ربوبيته على جهة الخصوص، وعلى جهة العموم، وفيه تنبيه على أن إفراد مكة بالإضافة للتفخيم مع عموم الربوبية لجميع الموجودات.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي[2]: وأمرني ربي أن أسلم وجهي له، فأكون من الموحدين المخلصين له، المنقادين لأمره، المستسلمين بطاعته بامتثال أمره، واجتناب نهيه، والمراد بقوله: ﴿أَنْ أَكُونَ﴾ أن أثبُتَ على ما أنا عليه.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ أي: وأمرت أن أداوم على تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وأواظب على ذلك، لتنكشف لي أسراره المخزونة في تضاعيفه، واستطلع أدلة الكون المتفرقة في آيه، فأعرف حقائق الحياة، وسر الوجود، ويفاض عليَّ من فيوضاته الإلهية، وأسراره القدسية، ما شاء الله أن يُفيض.

وقد روي أنه ﷺ قام ليلة يصلي فقرأ قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ فما زال يكررها، ويظهر له من أسرارها ما يظهر، ويتجلى له من مقاصدها ما

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

تسمو به نفسه إلى الملأ الأعلى حتى طلع الفجر. ونحو الآية: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾.

قال أبو حيان(١): قوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ إما من التلاوة؛ أي: وأن أتلو عليكم القرآن، وهذا هو الظاهر، إذ بعده التقسيم المناسب للتلاوة، وإما من التلو، وهو الاتباع؛ أي: وأن أتبع القرآن، كقوله: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾.

وقرأ الجمهور: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ﴾ بأثبات الواو بعد اللام، على أنه من التلاوة وهي القراءة، أو من التلو، وهو الاتباع، وقرأ عبد الله: ﴿وأن أتل﴾ بغير واو، أمراً له ﷺ من تلا، فجاز أن تكون ﴿أن﴾ مصدرية وُصلت بالأمر، وجاز أن تكون مفسرة على إضمار وأمرت أن أتل؛ أي: أتل، كذا وجَّهه الفراء، وقال النحاس: ولا نعرف أحداً قرأ هذه القراءة، وهي مخالفة لجميع المصاحف، وقرأ أبي: ﴿وأتل هذا القرآن﴾ جعله أمراً دون ﴿أن﴾.

فعليك(٢): أيها المؤمن بتلاوة القرآن كل يوم، ولا تهجره كما يفعل ذلك طلبة العلم، وبعض المشيخة، زاعمين بأنهم قد اشتغلوا بما هو أهم من ذلك، وهو كذب، فإن القرآن مادة كل علم في الدنيا والدين، ويُستحب لقارىء القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته، ويضع يده على الآية يتبعها، فيأخذ اللسان حظه من الرفع، ويأخذ البصر حظه من النظر، واليد حظها من المس.

واعلم: أن خُلقَ النبي ﷺ كان القرآن، فانظر في تلاوتك إلى كل صفة مدح الله بها عباده، فافعلها أو اعزم على فعلها، وكل صفة ذم الله بها عباده على فعلها فاتركها، أو اعزم على تركها، فإن الله تعالى ما ذكر لك ذلك، وأنزله في كتابه إلا لتعمل به، فإذا حفظت القرآن عن تضييع العمل به، كما حفظته تلاوة فأنت الرجل الكامل.

وقل لهم يا محمد أيضاً: ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ باتباعه إياي في العبادة والإسلام وتلاوة القرآن ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾؛ أي: فإنما منافع اهتدائه عائدة إليه لا إلى

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

غيره، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ بمخالفتي فيما ذكر؛ أي: ضل بالكفر، وأعرض عن الهداية ﴿فَقُلْ﴾ في حقه: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾؛ أي: من المخوِّفين من عذاب الله تعالى، فقد بلَّغت، وأنذرت، وخرجت من عهدة الإنذار والتخويف من عذاب الله وسخطه، فليس عليَّ من وباله شيء، وإنما هو عليه فقط، وقيل[١]: الجواب محذوف؛ أي: فوبال ضلاله عليه، وأقيم ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ مقامه لكونه كالعلة له، وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

﴿وَقُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما أعطاني من نعمة العلم والنبوة، وعلى ما وفقني من القيام بأداء الرسالة، وقل لهم يا محمد أيضاً: ﴿سَيُرِيكُمْ﴾ الله سبحانه أيها المشركون عند الموت، أو يوم القيامة ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أي: دلائل قدرته ووحدانيته في أنفسكم، وفي غيركم، وهو من جملة ما أمر به النبي ﷺ أن يقوله، ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾؛ أي: فتعرفون أنها آياته ودلائل قدرته ووحدانيته، وهذه المعرفة لا تنفع الكفار، لأنهم عرفوها حين لا يقبل منهم الإيمان، وذلك عند حضور الموت. أو المعنى[٢]: ﴿سَيُرِيكُمْ﴾ الله تعالى في الدنيا ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ الباهرة كخروج الدابة، وسائر أشراط الساعة ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾؛ أي: فتعرفون أنها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة، وقيل[٣]: هو في يوم بدر، وهي ما أراهم من القتل والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وقيل آياته في السمٰوات والأرض وفي أنفسكم.

ثم ختم السورة بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿بِغَٰفِلٍ﴾؛ أي: بساه ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: عما تعمل أنت من الحسنات، وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات، فيجازي كلاً منكم بعمله، وقُرىء: ﴿عما يعملون﴾ بالياء؛ أي: وما ربك بغافل عن أعمالهم، فسيعذبهم، فلا يحسبوا أن تأخير عذابهم لغفلته تعالى

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) الخازن.

عن أعمالهم المسببة للعذاب، وهذا[1] من كلامه تعالى غير داخل تحت الكلام الذي أُمر النبي ﷺ أن يقوله، وفيه ترهيب شديد وتهديد عظيم.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿عما يعملون﴾ بياء الغيبة التفاتاً من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة، وقرأ نافع وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بتاء الخطاب، لقوله: ﴿سيريكم﴾، ولما قسمهم أولاً إلى مهتد وضال أخبر تعالى أنه محيط بأعمالهم غير غافل عنها.

وعبارة البروسوي هنا قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ كلام[3] مسوق من جهته تعالى، مقرِّر لما قبله من الوعد والوعيد، كما ينبىء عنه إضافة الرب إلى ضمير النبي عليه السلام، وتخصيص الخطاب أولاً به وتعميه ثانياً للكفرة تغليباً؛ أي: وما ربك يا محمد بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات، فيجازي كلاً منكم بعمله، وكيف يغفل عن أعمالكم، وقد خلقكم وما تعملون، كما خلق الشجرة وخلق فيها ثمرتها، فلا يخفى عليه حال أهل السعادة والشقاوة، وإنما يُمهل لحكمة لا لغفلة، وإنما الغفلة لمن لا ينتبه لهذا فيعصي الله بالشرك وسيئات الأعمال، وأعظم الأمراض القلبية نسيان الله سبحانه، ولا ريب أن علاج أمر إنما هو بضده، وهو ذكر الله تعالى، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المجدِّين في الدين إلى أن يأتينا اليقين.

عبارة المراغي هنا: ثم أمره سبحانه بترغيب قومه وترهيبهم، فقال[4]: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: وقل الحمد لله على ما أفاض عليَّ من نعمائه، التي من أجلِّها نعمة النبوة، المستتبعة لضروب من النعم الدينية والدنيوية، ووفقني لتحمل أعبائها، وتبليغ أحكامها بالآيات البينة والبراهين الساطعة، ووفقني لاتباع الحق الذي أنتم عنه عمون.

﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾؛ أي: سيريكم ربكم آيات عذابه وسخطه فتعرفون

---

(1) الشوكاني.
(2) البحر المحيط.
(3) روح البيان.
(4) المراغي.

بها حقيقة نصحي، وسيتبيَّن لكم صدق ما دعوتكم إليه من الرشاد حين لا تُجدي المعرفة، ولا تُفيد التبصرة شيئاً، ونحو الآية قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

ثم ذيَّل هذا بتقرير ما قبله من الوعد والوعيد بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: وما ربك بغافل عما يعمله هؤلاء المشركون، ولكنه مؤخِّر عذابهم إلى أجل هم بالغوه، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، فلا يحزنك تكذيبهم، فإني لهم بالمرصاد، وأيقن بأني ناصرك وخاذل عدوك، ومذيقهم الذل والهوان.

روي: أن عمر بن عبد العزيز قال: فلو كان الله مغْفَلاً شيئاً لأغفل ما تُعفي الرياح من أثر قدمي ابن آدم، وكان الإمام أحمد كثيراً ما ينشد هذين البيتين:

إِذَا مَا خَلَوْتَ ٱلدَّهْرَ يَوْماً فَلاَ تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيْبُ

وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ يَغْفَلُ سَاعَةً ... وَلاَ أَنَّ مَا تُخْفِيْهِ عَنْهُ يَغِيْبُ

الإعراب

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: ناصب واسمه، ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: بدل من اسم الإشارة، ﴿يَقُصُّ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾، ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَقُصُّ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة، ﴿أَكْثَرَ﴾: مفعول به لـ﴿يَقُصُّ﴾، ﴿ٱلَّذِى﴾: مضاف إليه، ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، ﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾، وجملة ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الإسمية صلة الموصول. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه، ﴿لَهُدًى﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿هدى﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: معطوف على ﴿هدى﴾، ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور، تنازع فيه هدى ورحمة على كونه صفة لهما، وجملة ﴿إِنَّ﴾ معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ الأولى. ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: ناصب واسمه، ﴿يَقْضِى﴾: فعل

مضارع وفاعل مستتر يعود على الرب، ﴿بَيْنَهُم﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَقْضِي﴾، ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَقْضِي﴾ أيضاً، وجملة ﴿يَقْضِي﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ الأولى بعاطف مقدر، ﴿وَهُوَ﴾: ﴿الواو﴾: واو الحال، ﴿هُوَ﴾: مبتدأ، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبر أول، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿يَقْضِي﴾.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿فَتَوَكَّلْ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت أن الله هو العزيز العليم، وأردت بيان ما هو اللازم لك فأقول لك توكل على الله، ﴿توكل﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿توكل﴾، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة، ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه، ﴿عَلَى ٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور خبر ﴿إن﴾، ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: صفة للحق، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، مسوقة لتعليل الأمر بالتوكل. ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه، ﴿لَا﴾: نافية، ﴿تُسْمِعُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على محمد، ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ معطوفة بعاطف مقدر على جملة ﴿إن﴾ الأولى، على كونها تعليلاً ثانياً للأمر بالتوكل، ﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لَا﴾: نافية، ﴿تُسْمِعُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر معطوف على ﴿تُسْمِعُ﴾ الأول، ﴿ٱلصُّمَّ﴾: مفعول به أول، ﴿ٱلدُّعَآءَ﴾: مفعول ثان، ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مجرد عن معنى الشرط، ﴿وَلَّوْا۟﴾: فعل وفاعل، ﴿مُدْبِرِينَ﴾: حال من الفاعل، والجملة الفعلية في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها، والظرف متعلق بـ﴿تُسْمِعُ﴾.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا

يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿ما﴾: حجازية، ﴿أَنتَ﴾: في محل الرفع اسم ﴿ما﴾، ﴿بِهَٰدِي﴾ ﴿الباء﴾: زائدة، ﴿هادي العمي﴾: خبر ﴿ما﴾ الحجازية منصوب محلاً مجرور لفظاً، ﴿ٱلْعُمْيِ﴾: مضاف إليه، ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾: متعلق بـ﴿هادي﴾، عداه بـ﴿عن﴾ لتضمنه معنى تصرفهم، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، ﴿إن﴾ نافية، ﴿تُسْمِعُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ، ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به، والجملة مستأنفة، ﴿يُؤْمِنُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿مَن﴾، ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جار ومجرور مضاف إليه متعلق بـ﴿يُؤْمِنُ﴾، وجملة ﴿يُؤْمِنُ﴾ صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، ﴿فَهُم﴾ ﴿الفاء﴾ عاطفة، ﴿هم مسلمون﴾: مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة على جملة الصلة، عطف اسمية على فعلية. ﴿وَإِذَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها، على كونها فعل شرط لها، ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلق بـ﴿وَقَعَ﴾، ﴿أَخْرَجْنَا﴾: فعل وفاعل جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾ مستأنفة مسوقة لبيان بعض أشراط الساعة، ﴿لَهُمْ﴾ متعلق بـ﴿أَخْرَجْنَا﴾، ﴿دَآبَّةً﴾: مفعول ﴿أَخْرَجْنَا﴾، ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق بـ﴿أَخْرَجْنَا﴾، ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾: فعل مضارع ومفعول به، وفاعل مستتر يعود على الدابة، والجملة الفعلية في محل النصب صفة لـ﴿دابة﴾، ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾: ناصب واسمه، ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلق بـ﴿يُوقِنُونَ﴾، وجملة ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿أنَّ﴾ وجملة ﴿أنَّ﴾ بفتح الهمزة في تأويل مصدر مجرور بالباء المقدرة؛ أي: تخبرهم بعدم إيقان الناس بآيات ربنا، وأما بكسر الهمزة فمقول لقول محذوف، تقديره: تكلمهم وتقول لهم إن الناس كانوا بآياتنا.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿يوم﴾: منصوب على الظرفية متعلق

بمحذوف، تقديره: واذكر يا محمد لقومك قصة يوم نحشر، والجملة المحذوفة مستأنفة، ﴿نَحْشُرُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يوم﴾، ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿نَحْشُرُ﴾، ﴿فَوْجًا﴾: مفعول به لـ﴿نَحْشُرُ﴾، ﴿مِّمَّن﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿فَوْجًا﴾، وجملة ﴿يُكَذِّبُ﴾ صلة ﴿من﴾ الموصولة، ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلق بـ﴿يُكَذِّبُ﴾، ﴿فَهُمْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿هم﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يُوزَعُونَ﴾: في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل الجر معطوفة على جملة ﴿نَحْشُرُ﴾، عطف اسمية على الفعلية.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف جر وغاية، ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، مضمن معنى الشرط، ﴿جَآءُو﴾: فعل وفاعل، ومتعلق ﴿جَآءُو﴾: محذوف، تقديره: حتى إذا جاءوا إلى موضع الحساب، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذَا﴾ على كونها فعل شرط لها، ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الله، والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ الشرطية لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾ من فعل شرطها وجوابها في محل الجر بـ﴿حَتَّىٰٓ﴾، والجار والمجرور أعني ﴿حَتَّىٰٓ﴾ متعلق بـ﴿يُوزَعُونَ﴾، أو بـ﴿نَحْشُرُ﴾، والتقدير: فهم يوزعون إلى قوله سبحانه وقت مجيئهم موضع الحساب: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى﴾ ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التوبيخي التقريعي، ﴿كذبتم﴾: فعل وفاعل، ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾: متعلق بـ﴿كذبتم﴾، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟﴾ ﴿الواو﴾: حالية، ﴿لم تحيطوا﴾: جازم وفعل وفاعل مجزوم بـ﴿لم﴾، ﴿بِهَا﴾: متعلق بـ﴿تُحِيطُوا۟﴾، ﴿عِلْمًا﴾ تمييز محول عن الفاعل، والجملة الفعلية في محل النصب حال من فاعل ﴿كذبتم﴾ مؤكدة للإنكار والتوبيخ، ﴿أَمَّاذَا﴾ ﴿أم﴾: منقطعة بمعنى بل الإضرابية، ﴿ما﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ، ﴿ذا﴾: اسم موصول بمعنى الذي في محل الرفع خبر المبتدأ، ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿تَعْمَلُونَ﴾: خبر

﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة ﴿ذا﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: كنتم تعملونه، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿ماذا﴾: اسم استفهام مركب في محل النصب مفعول مقدم لـ﴿تعملون﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَوَقَعَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قَالَ﴾، ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلق بـ﴿وَقَعَ﴾، ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ ﴿الباء﴾: حرف جر وسبب، ﴿ما﴾: مصدرية وجملة ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾ صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالباء، تقديره: بسبب ظلمهم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿وَقَعَ﴾ أيضاً، ﴿فَهُمْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿هم﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿وَقَعَ﴾.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿أَلَمْ﴾ ﴿الهمزة﴾ فيه للاستفهام التقريري، أو الإنكاري، ﴿لم﴾: حرف جزم، ﴿يَرَوْاْ﴾: فعل مضارع وفاعل، مجزوم بـ﴿لم﴾، والرؤية هنا قلبية، لا بصرية كما مر، والجملة الفعلية مستأنفة إنشائية لا محل لها من الإعراب، ﴿أَنَّا﴾: ناصب واسمه، ﴿جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، إن كان جعل بمعنى خلقنا، أو مفعول أول، والثاني محذوف، تقديره: مظلماً، إن كان بمعنى صيَّرنا، وجملة ﴿جَعَلْنَا﴾ في محل الرفع خبر ﴿أَنَّا﴾، وجملة ﴿أَنَّا﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿يَرَوْاْ﴾؛ أي: ألم يروا جعلنا الليل مظلماً، ﴿لِيَسْكُنُواْ﴾ ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿يسكنوا﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ مضمرة بعد لام كي، ﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ﴿يسكنوا﴾، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لسكونهم فيه، الجار والمجرور متعلق بـ﴿جعلنا﴾، ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾: معطوف على ﴿ٱلَّيْلَ﴾، ﴿مُبْصِرًا﴾: حال، أو مفعول ثان، ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب، ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿إن﴾، ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ ﴿اللام﴾ حرف ابتداء، ﴿آيات﴾: اسمها مؤخر، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة، ﴿لِّقَوْمٍ﴾: صفة

لآيات، وجملة ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: صفة لـ﴿قوم﴾.

﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿وَيَوۡمَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿يوم﴾: منصوب باذكر محذوفاً، تقديره: واذكر يا محمد لقومك قصة يوم ينفخ في الصور، والجملة المحذوفة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾، ﴿يُنفَخُ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ﴿فِي ٱلصُّورِ﴾: جار ومجرور نائب فاعل لـ﴿يُنفَخُ﴾، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يوم﴾، ﴿فَفَزِعَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿فزع﴾: فعل ماض بمعنى يفزع، ﴿مَن﴾ اسم موصول في محل الرفع فاعل، والجملة معطوفة على جملة ينفخ، ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: معطوف على ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء، ﴿مَن﴾ اسم موصول في محل النصب على الاستثناء، ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: إلا من شاء الله عدم فزعه، ﴿وَكُلٌّ﴾ ﴿الواو﴾: حالية، ﴿كلٌّ﴾: مبتدأ سوغ الابتداء بالنكرة قصد العموم، أو نية المضاف إليه؛ أي: وكلهم، ﴿أَتَوۡهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، ﴿دَٰخِرِينَ﴾: حال من فاعل ﴿أَتَوۡهُ﴾، وجملة ﴿أَتَوۡهُ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿فزع﴾، ﴿وَتَرَى﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿ترى﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على محمد، أو على أي مخاطب، ورأى هنا بصرية، ﴿ٱلۡجِبَالَ﴾: مفعول به، والجملة في محل الجر معطوفة على جملة ﴿يُنفَخُ﴾، ﴿تَحۡسَبُهَا﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول أول، ﴿جَامِدَةً﴾: مفعول ثان لـ﴿تحسب﴾، والجملة الفعلية في محل النصب حال من فاعل ﴿ترى﴾، ﴿وهي﴾ ﴿الواو﴾: حالية، ﴿هي﴾: مبتدأ، وجملة ﴿تَمُرُّ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، ﴿مَرَّ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة، والجملة الاسمية في محل النصب حال من الضمير المستكن في ﴿جَامِدَةً﴾، ﴿ٱلسَّحَابِۚ﴾ مضاف إليه ﴿صُنۡعَ

﴿ٱللَّهِ﴾: منصوب على المفعولية المطلقة بفعل محذوف وجوباً، تقديره: صنع الله ذلك صنعاً، والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد مضمون ما قبلها، ﴿ٱلَّذِيٓ﴾: في محل الجر صفة للجلالة، ﴿أَتْقَنَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول، ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: مفعول به، ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه، ﴿خَبِيرٌۢ﴾: خبره، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها، ﴿بِمَا﴾: متعلق بـ﴿خَبِيرٌۢ﴾، وجملة ﴿تَفْعَلُونَ﴾ صلة ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره تفعلونه.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

﴿مَن﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما، ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿مَن﴾: على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾، ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾ متعلق بـ﴿جَآءَ﴾، ﴿فَلَهُۥ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَن﴾: الشرطية، ﴿له﴾: جار ومجرور خبر مقدم، ﴿خَيْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر، ﴿مِّنْهَا﴾: متعلق بـ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾: الشرطية مستأنفة، ﴿وَهُم﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿هم﴾: مبتدأ، ﴿مِّن فَزَعٍ﴾: متعلق بـ﴿ءَامِنُونَ﴾، ﴿ءَامِنُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل الجزم معطوفة على جملة الجواب. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ﴿يوم﴾: منصوب على الظرفية الزمانية، ﴿يوم﴾: مضاف، ﴿إذ﴾ ظرف لما مضى من الزمان في محل الجر مضاف إليه مبني بسكون مقدر منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة التخلص من التقاء الساكنين، والظرف متعلق بمحذوف صفة لـ﴿فَزَعٍ﴾، تقديره: من فزع كائن في ذلك اليوم، وقرىء بإضافة ﴿فَزَعِ﴾ إلى ﴿يَوْمِئِذٍ﴾، ﴿وَمَن﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿مَن﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما، ﴿جَآءَ﴾ فعل ماض وفاعل مستتر، في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونه فعل شرط لها، ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ متعلق بـ﴿جَآءَ﴾، ﴿فَكُبَّتْ﴾ ﴿الفاء﴾ رابطة الجواب داخلة على قد محذوفة؛ أي: قد كبت، ليصح اقتران الجواب بها، ﴿كبت﴾: فعل ماض مغير الصيغة، في

محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونه جواباً لها، ﴿وُجُوهُهُمْ﴾: نائب فاعل، ومضاف إليه، ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾: متعلق بـ﴿كبت﴾، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿مَن﴾ الأولى. ﴿هَلْ﴾: حرف للاستفهام الإنكاري، ﴿تُجْزَوْنَ﴾: فعل مضارع ونائب فاعل. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ، ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ثان لـ﴿تُجْزَوْنَ﴾ ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿تَعْمَلُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة. وجملة ﴿تُجْزَوْنَ﴾ في محل النصب مقول لقول محذوف وقع حالاً من ﴿وُجُوهُهُمْ﴾، تقديره: فكبت وجوههم في النار حالة كونهم مقولا لهم هل تجزون إلا ما كنتم تعملون.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

﴿إِنَّمَآ﴾: أداة حصر، ﴿أُمِرْتُ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل النصب مقول لقول محذوف، تقديره: قل لهم: إنما أمرت، ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿أَعْبُدَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿رَبَّ﴾: مفعول به، ﴿هَٰذِهِ﴾: مضاف إليه، ﴿ٱلْبَلْدَةِ﴾: بدل من اسم الإشارة، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف، تقديره: إنما أمرت بعبادة رب هذه البلدة، ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة لـ﴿رَبَّ﴾، ﴿حَرَّمَهَا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة صلة الموصول، ﴿وَلَهُۥ﴾ ﴿الواو﴾: حالية، ﴿له﴾: خبر مقدم، ﴿كُلُّ شَىْءٍ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿حَرَّمَهَا﴾، ﴿وَأُمِرْتُ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أُمِرْتُ﴾ الأولى، ﴿أَنْ﴾ حرف مصدر، ﴿أَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ﴿أن﴾، واسمها ضمير يعود على النبي ـ عليه السلام ـ، ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: خبر ﴿أَكُونَ﴾، وجملة ﴿أَكُونَ﴾ في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف، تقديره: وأمرت بكوني من المسلمين.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿وَأَنۡ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿أَنۡ﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، والجملة في تأويل مصدر معطوف على مصدر منسبكٍ من أن أكون، تقديره: وأمرت بكوني من المسلمين وبتلاوتي القرآن، ﴿فَمَنِ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم ما أمرت به، وأردتم بيان عاقبة من اهتدى ومن ضل منا ومنكم فأقول لكم، ﴿من اهتدى﴾ ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿ٱهۡتَدَىٰ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، ﴿فَإِنَّمَا﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب جوازاً، لشبه الجواب بالجملة الاسمية بدخول ﴿إن﴾ المكفوفة عليها، ﴿إنما﴾: أداة حصر، أو ﴿إن﴾: حرف نصب مكفوف، و﴿ما﴾: كافة، ﴿يَهۡتَدِي﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿من﴾، ﴿لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية في محل الجزم بمن الشرطية على كونها جواباً لها وجملة من الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَمَن﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر إما جملة الشرط، أو الجواب، ﴿ضَلَّ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مَن﴾ في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها، ﴿فَقُلۡ﴾ ﴿الفاء﴾ رابطة الجواب وجوباً، ﴿قل﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة الفعلية في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، والرابط محذوف، تقديره: فقل له، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿من﴾ الأولى، ﴿إِنَّمَآ﴾: أداة حصر، ﴿أَنَا۠﴾: مبتدأ، ﴿مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾: خبر، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لـ﴿قل﴾، ﴿وَقُلِ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿قل﴾: فعل أمر وفاعل مستتر، والجملة مستأنفة، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿قل﴾. ﴿سَيُرِيكُمۡ﴾ ﴿السين﴾: حرف استقبال، جيء بها لتأكيد مضمون الكلام، ﴿يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على الله، ومفعولان، لأنه من أرى البصرية، تعدت إلى مفعولين بالهمزة، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿قل﴾، ﴿فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ ﴿الفاء﴾:

عاطفة، ﴿تعرفونها﴾: فعل وفاعل ومفعول به، معطوف على ﴿سَيُرِيكُمْ﴾، ﴿وَمَا رَبُّكَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿ما﴾: حجازية، ﴿رَبُّكَ﴾: اسمها، ﴿بِغَٰفِلٍ﴾: خبرها. و﴿الباء﴾: زائدة، والجملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى، مقررة لما قبلها، ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿غافل﴾، وجملة ﴿تَعْمَلُونَ﴾ صلة ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: عما تعملونه.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ والصم جمع الأصم، كالغُرِّ جمع الأغرّ، والصمم فُقدان حاسة السمع، كما مر، وشُبِّه به مَنْ لا يُصْغي إلى الحق ولا يقبله كما شُبّه هٰهنا، والدعاء: الدعوة إلى أمر من الأمور.

﴿إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ يقال: ولَّى عن الشيء إذا أعرض عنه، وترك قربه، ويقال: أدبر إذا أعرض، وولى دبره، ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ والعمي جمع الأعمى، والعمى: افتقاد حاسة البصر، فشبه سبحانه من افتقد البصيرة بمن افتقد البصر، في عدم الاهتداء إلى المقصود، والمعنى: ما أنت بمرشد من أعماه الله سبحانه عن الهدى، وأعمى قلبه عن الإيمان اهـ. «سمين».

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ وقع حدث وحصل، والمراد من القول ما دل من الآيات على مجيء الساعة، ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾؛ أي: تنبئهم وتخبرهم، ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ والحشر: الجمع، والمراد به هنا هو الحشر للعذاب، بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق، والأمة: جماعة أرسل إليهم رسول كما في «القاموس»، والفوج: الجماعة من الناس كالزمرة كما في «الوسيط»، والجماعة المارة المسرعة كما في «المفردات»، وكان هذا هو الأصل، ثم أطلق وإن لم يكن مرور ولا إسراع، والجمع أفواج وفؤوج، وجمع الجمع أفاوج وأفايج وأفاويج، والفائجة الجماعة، ومتَّسع ما بين كل مرتفعين من رمل.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يُحبس أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة، ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾؛ أي: ولم تدركوا حقيقة

كنهها، ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ والصور هو: القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ـ عليه السلام ـ للموت والحشر.

﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ والفزع: انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخوف، ولا يقال: فزعت من الله، كما يقال: خفت منه، والمراد بالفزع هنا ما يعتري الكل مؤمناً وكافراً عند البعث والنشور، بمشاهدة الأمور الهائلة الخارقة للعادات في الأنفس والآفاق، من الرعب والتهيب الضروريّين الجِبْلِيّين، ﴿دَٰخِرِينَ﴾؛ أي: أذلاء صاغرين، وفي «القاموس»: دخر الشخص كمنع وفرح دخراً ودخوراً صغر وذل، وأدخرته بالألف للتعدية، ويقال: أدخرته فدخر؛ أي: أذللته فذل.

﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾؛ أي: ثابتة في أماكنها، من جمد الماء وكل سائل قام وثبت ضد ذاب. ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ والصنع: إجادة الفعل فكل صنع فعل، وليس كل فعل صنعاً، ولا يُنسب إلى الحيوانات كما يُنسب إليها الفعل كما في «المفردات»، والإتقان: الإتيان بالشيء على أكمل حالاته، وهو مأخوذ من قولهم: تقن أرضه إذا ساق إليها الماء الخاثر بالطين لتصلح للزراعة، وأرض تقنة، والتقن فعل ذلك بها، والتقن أيضاً ما رُمي به في الغدير من ذلك أو الأرض، ويقال: أتقن الشيء إذا أحكمه، يقال: رجل تقن، بكسر التاء وسكون القاف؛ أي: حاذق بالأشياء.

﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾؛ أي: ألقيت منكوسة، والكب إسقاط الشيء على وجهه، ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ والعبادة هي غاية التذلل والخضوع، والبلد: المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه، وإقامتهم فيه، ولاعتبار الأثر قيل: بلدة؛ أي: أثر.

﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾؛ أي: جعلها حراماً؛ أي: ممنوعاً منه، ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ والتلاوة قراءة القرآن متتابعة كالدراسة والأوراد الموظفة، والقراءة أعم، يقال: تلاه تبعه متابعة ليس بينهما ما ليس منهما.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ﴾ حيث أسند القص إلى القرآن، لأن القص لا يوصف به إلا الناطق المميز، ولكن القرآن لما تضمن نبأ الأولين كان كالشخص الذي يقص على الناس الأخبار.

ومنها: المجاز في قوله: ﴿يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ﴾ حيث أطلق الحكم على المحكوم به على سبيل التجوز.

ومنها: المبالغة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لأن فعيلاً من صيغ المبالغة.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ إلخ. حيث مثل أحوال الكفار في عدم انتفاعهم بما يتلى عليهم من الآيات بالموتى، وفي عدم إصغائهم إلى الحق وقبولهم له بالصم الذين لا يسمعون النداء، وفي عدم اهتدائهم إلى الحق والصواب بالعمي الذين لا يهتدون إلى المقصود.

ومنها: تقييد نفي عدم الاسماع بقوله: ﴿إِذَا وَلَّوْا۟﴾ لتكميل التشبيه وتأكيد النفي، فإن إسماعهم في هذه الحالة أبعد؛ أي: إن الأصم لا يسمع الدعاء، مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريباً منه، فكيف إذا كان خلفه بعيداً منه.

ومنها: الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ﴾ لتربية المهابة، وكان مقتضى السياق أن يقال: قلنا، لأن قبله ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾ بالتكلم.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ للتأنيب.

ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ فقد أسند الإبصار إلى الزمان، وهو لا يعقل، لأن المعنى: ليبصروا بما فيه من الإضاءة طرق التقلب في

أمور المعاش، فبولغ فيه، حيث جعل الإبصار الذي هو حال الناس حالاً له، ووصفاً من أوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها.

ومنها: الاحتباك في قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ والاحتباك عند البديعيين هو: الحذف من أحد المتقابلين نظير ما أثبته في الآخر، لأن أصل التركيب: ألم يروا أنا جعلنا الليل مظلما ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ليتحركوا فيه، فحذف مظلماً لدلالة مبصراً عليه، وحذف ليتحركوا فيه لدلالة ليسكنوا عليه.

ومنها: الإخبار بالماضي عن المستقبل في قوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وكان السياق يقتضي بأن يأتي بالمستقبل أيضاً، ولكنه عدل إلى الماضي للإشعار بتحقق الفزع، وأنه كائن لا محالة، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ ففيه طباق عجيب بين الجمود والحركة السريعة، حيث جعل ما يبدو لعين الناظر من الأجرام العظام كالجبل في جموده ورسوخه، ولكنه سريع يمر مروراً حثيثاً كما يمر السحاب.

ومنها: التشبيه البليغ في قوله: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ أي: تمر كمر السحاب في السرعة، حذفت الأداة ووجه الشبه فأصبح تشبيهاً بليغاً مثل: محمد قمر.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ وفي قوله: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ و﴿مَن ضَلَّ﴾.

ومنها: الإضافة لتشريف المضاف إليه في قوله: ﴿رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ لأن الإضافة تكون لتشريف المضاف إليه، كما أنها تكون لتشريف المضاف في نحو ناقة الله، وبيت الله، وروح الله.

ومنها: الاحتراس في قوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ ففيه احتراس بديع، فقد

أضاف سبحانه اسمه إلى مكة تشريفاً لها، وذكراً لتحريمها، ولما أضاف اسمه إلى البلدة المخصوصة بهذا التشريف أتبع ذلك إضافة كل شيء سواها إلى ملكه، قطعاً لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار إليها، وتنبيهاً على أن الإضافة الأولى إنما قصد بها التشريف لا لأنها ملك الله تعالى خاصة.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

جملة ما حوته هذه السورة من حكم وأحكام وقصص

اشتملت هذه السورة على الأمور التالية:

١ ـ وصف القرآن الكريم بأنه هدى ورحمة للمؤمنين.

٢ ـ قصص موسى عليه السلام.

٣ ـ قصص سليمان عليه السلام.

٤ ـ قصص ثمود، وقصص قوم لوط.

٥ ـ النعي على المشركين في عبادة الأصنام والأوثان، وإقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى.

٦ ـ إنكار المشركين للبعث والنشور، وقولهم: ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾.

٧ ـ علم الله بما في الصدور.

٨ ـ حكم القرآن على ما اختلف فيه بنو إسرائيل.

٩ ـ قطع الأطماع في إيمان المشركين، وتشبيههم بالعُمْيِ الصُّمِّ.

١٠ ـ أشراط الساعة كخروج الدابة من الأرض، وحشر فوج من كل أمة وتسيير الجبال.

١١ ـ الجزاء على العمل خيراً كان أو شراً.

١٢ ـ أمر الرسول ﷺ أن يقول للمشركين: إنه إنما أمر بعبادة رب مكة، لا بعبادة الأصنام والأوثان.

١٣ ـ أمره بحمد الله والثناء عليه، وطلبه تلاوة القرآن.

١٤ ـ أنه سبحانه سيُري المشركين آياته فيعرفونها حق المعرفة، حين لا يفيدهم ذلك شيئاً. وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين[1].

والله أعلم

* * *

---

(١) وهذا آخر ما يسره الله سبحانه لنا في تفسير سورة النمل، وكان الفراغ في أوائل ليلة الأربعاء، السادسة عشر من شهر الجمادى الأولى، من شهور سنة ألف وأربع مئة وثلاثة عشر من تاريخ الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

سورة القصص

سورة القصص[1] نزلت بعد النمل، وهي مكية كلها على ما روى الحسن وعطاء وطاوس وعكرمة، وقال مقاتل: مكية إلا من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾(٥٢) إلى قوله: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٥٥) فمدنية، وإلا آية ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (٨٥) فإنها نزلت بالجحفة، أثناء الهجرة إلى المدنية، فليست مكية ولا مدنية.

وهي ثمان وثمانون آية[2]، وألف وأربع مئة وإحدى وأربعون كلمة. وخمسة آلاف وثمان مئة حرف.

التسمية: سميت سورة القصص، لأن الله تعالى ذكر فيها قصة موسى ـ عليه السلام ـ مفصلة موضحة، من حين ولادته إلى حين رسالته، ولاشتمالها على الحكاية والأخبار العجيبة، والقصص مصدر بمعنى الإخبار، وتسمى أيضاً سورة موسى، واعلم أن أسماء السور توقيفية، وكذا ترتيبها وترتيب الآيات، فلا بد فيها من ملاحظة المناسبة.

المناسبة: ووجه مناسبة هذه السورة لما قبلها أمور[3]:

١ ـ أنه سبحانه بسط في هذه السورة ما أوجز في السورتين قبلها من قصص موسى عليه السلام، وفصَّل هنا ما أجمله هناك، فشرح تربية فرعون لموسى، وذبح أبناء بني إسرائيل، الذي أوجب إلقاء موسى حين ولادته في اليم، خوفاً عليه من الذبح، ثم ذكر قتله القبطي، ثم فراره إلى مدين، وما وقع له مع شعيب من زواجه بينته، ثم مناجاته لربه.

---

(١) المراغي.

(٢) الخازن.

(٣) المراغي.

٢ ـ أنه أجمل في السورة السالفة توبيخ المشركين بالسؤال عن يوم القيامة، وبسطه هنا أتم البسط.

٣ ـ أنه فصل هناك أحوال بعض المهلكين من قوم صالح، وقوم لوط، وأجمله هنا في قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ. . .﴾ الآيات.

٤ ـ بسط هناك حال من جاء بالحسنة، وحال من جاء بالسيئة، وأوجز ذلك هنا، وهكذا من المناسبات التي تظهر بالتأمل حين قراءة السورتين.

وقال أبو حيان[١]: مناسبة أول هذه السورة لآخر السورة التي قبلها: أن الله سبحانه أمر نبيه ﷺ بحمده، ثم قال: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وكان مما فُسِّر به آياته تعالى معجزات الرسول، وأنه أضافها تعالى إليه، إذ كان هو المخبر بها على قدمه فقال: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إذ كان الكتاب هو أعظم المعجزات، وأكبر الآيات البينات اهـ.

الناسخ والمنسوخ: قال أبو عبد الله[٢] محمد بن حزم الأندلسي: سورة القصص كلها محكم إلا آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ. . .﴾ الآية (٥٥) نسخت بآية السيف اهـ.

والله أعلم

* * *

---

(١) البحر المحيط.
(٢) الناسخ والمنسوخ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ
يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ
فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ (٦) وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ
فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ
(٧) فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟
خَٰطِـِٔينَ (٨) وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا
عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ (١١) ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ
لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ
هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ
عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى
فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ
(١٧) فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ
مُّبِينٌ (١٨) فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ
نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ (١٩)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱسْتَوَىٰٓ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر[1] ما أفاض به على موسى من نعمه في الصغر من إنجائه من الهلاك بعد وضعه في التابوت وإلقائه في النيل، وإنجائه من الذبح الذي عم بني إسرائيل.. أردفه بذكر ما أنعم به عليه في كبره من إيتائه العلم والحكمة، ثم إرساله رسولاً ونبياً إلى بني إسرائيل والمصريين، ثم ذكر ما حصل منه من قتل المصري الذي اختصم مع اليهودي بوكزه بجُمْع يده، وكان ذلك سبباً في موته، ثم طلبه المغفرة من ربه على ما فعل، ثم تصميمه وعزمه أن لا يناصر غوياً مجرماً، ثم أعقب ذلك بذكر خصام آخر بين ذلك اليهودي وقبطي آخر، وقد هم موسى بإغاثته أيضاً فقال له المصري: أتريد الإصلاح في الأرض، أم تريد أن تكون من الجبارين المفسدين.

التفسير وأوجه القراءة

﴿طسٓمٓ ①﴾ يشير[2] إلى القسم بطاء طَوله تعالى، وطاء طهارة قلب حبيبه ﷺ عن محبة غيره، وطاء طهارة أسرار موحديه عن شهود سواه، وبسين سرِّه مع محبيه، وبميم مننه على كافة مخلوقاته بالقيام بكفاياتهم على قدر حاجاتهم، كذا في «التأويلات النجمية»، وقد تقدم[3] قولنا: إن أحق الآراء وأجدرها بالقبول في معنى هذه الحروف المقطعة أنها حروف يُراد بها التنبيه كما يراد مثل ذلك من معنى «يا» في النداء، و«ألا» في الاستفتاح، ونحوهما، ويُنطق بها بأسمائها هكذا (طا، سين، ميم) وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿طسٓمٓ ①﴾ طاء طَوله وقدرته، وسين سنائه ورفعته، وميم ملكه.

﴿تِلْكَ﴾؛ أي: هذه السورة ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾؛ أي: آيات مخصوصة من القرآن الظاهر إعجازه، فاسم الإشارة إلى آيات هذه السورة، فالإشارة لمحقق

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.

حاضر في علم الله تعالى، والظاهر أن الكتاب هو القرآن، وقيل: اللوح المحفوظ؛ أي[1]: إن آيات هذه السورة آيات الكتاب الذي بيَّن بفصاحته أنه من كلام الله، وبيَّن صدق نبوة محمد ﷺ، وبيَّن خبر الأولين والآخرين، وبيَّن الحلال والحرام، والوعد والوعيد، والإخلاص والتوحيد، وبيَّن كيفية التخلص من شبهات أهل الضلال.

والخلاصة[2]: أي هذه آيات الكتاب الكريم الذي أنزلته إليك أيها الرسول واضحاً جلياً، كاشفاً لأمور الدين وأخبار الأولين، لم تتقوَّله، ولم تتخرَّصه، كما زعم المشركون المنكرون له ولرسالة مَنْ أوحي إليه.

ثم ذكر ما هو الدليل على أنه وحي يوحى، وليس هو من وضع البشر فقال: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ﴾؛ أي: نقرأ عليك يا محمد بواسطة جبريل ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾؛ أي: بعض خبر موسى وفرعون، حال كون ذلك الخبر متلبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾ والصدق الذي لا كذب فيه، فهو حال من النبأ أو حالة كوننا متلبسين بالحق، فهو حال من فاعل ﴿نَتْلُوا﴾، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: لأجل قوم يصدقون بك وبالقرآن، وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل، لأنهم المنتفعون به.

والمعنى[3]: أي نتلو عليك بعض أخبار موسى ومحاجته لفرعون وغلبته إياه بالحجة، وأخبار فرعون وجبروته وطغيانه، وكيف قابل الحق بالباطل، ولم تُجْدِ معه البراهين الساطعة والمعجزات الواضحة، فأخذناه أخذ عزيز مقتدر، فكانت عاقبته الدمار والوبال، وأُغرق هو ومن معه من جنده أجمعين، نتلوها عليك تلاوة على وجه الحق، كأنك شاهد حوادثها، مبصر وقائعها، تصف ما ترى وتُبصر عياناً لقوم يصدقون بك وبكتابك، لتطمئن به قلوبهم، وتثلج به صدورهم، ويعلموا أنه الحق من ربهم، وأن سنته فيمن خالفك وعاداك من المشركين هي

---

(١) المراح.
(٢) المراغي.
(٣) المراغي.

سننته فيمن عادى موسى، ومن آمن معه من بني إسرائيل، وأن النصر دائماً للمتقين، ويخزي الله المكذبين، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

وإنما جعل التلاوة للمؤمنين فقط، وهو يُتلى على الناس أجمعين لبيان أنه لا يعتبر بها إلا من كان له قلب واع، وأُذن سامعة تذكّر وتتعظ بآياته، أما من أعرض عنه وأبى واستكبر، وقال: إن هذا إلا سحر يؤثر.. فلا تفيده الآيات والنذر، ولا يلقي له بالاً، ولا يعي ما فيه من حكمة، ولا ما يسوقه من عبرة، فهو على نحو ما حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾.

ثم فصل هذا المجمل، ووضحه بقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فهو[1] استئناف بياني لذلك النبأ كأن سائلاً قال: وكيف نبأهما؟ فقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وتصديره بحرف التأكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده؛ أي: إن فرعون اللعين تجبَّر وطغى في أرض مصر، وقهر أهل مملكته، وجاوز الغاية في الظلم والعدوان، وساس البلاد سياسة غاشمة.

ومما مكن له في ذلك ما بيَّنه الله سبحانه بقوله: ﴿وَجَعَلَ﴾ فرعون ﴿أَهْلَهَا﴾؛ أي: أهل أرض مصر؛ أي: أهل مملكته ﴿شِيَعًا﴾؛ أي: فرقاً يشيعونه ويتبعونه ويطيعونه في كل ما يريد من الشر والفساد، أو جعلهم أصنافاً في استخدامه، يستعمل كل صنف في عمل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة، ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية.

والمعنى[2]: أي وفرَّقهم فرقاً مختلفة، وأحزاباً متعددة، وأغرى بينهم العداوة والبغضاء كيلا يتفقوا على أمر، ولا يُجمعوا على رأي، ويشتغل بعضهم بالكيد لبعض، وبذا يلين له قيادهم، ولا يصعب عليه خضوعهم واستسلامهم، وتلك هي سياسة الدول الكبرى في العصر الحاضر بل وفي الصغرى، كما تفعله الحُبُوشُ بين شعوب الأرمية الإسلامية استثماراً لم يُسمع قط في العالم قديماً

---

(١) روح البيان.　　(٢) المراغي.

وحديثاً، وذلك هو دستورها في حكمها لمستأمراتها، وقد نقش حكامها في صدورهم ذلك الدستور الذي ساروا عليه: فَرِّقْ تَسُدْ، وطالما أجدى عليهم في سياسة تلك البلاد التي يعمها الجهل، ويطغى على أهلها حب الظهور، ويرضون بالنفاية والقشور، رحماك اللهم رحماك! بسطت لعبادك سننك في الأكوان، وأبنت لهم طبيعة الإنسان، وأنه محب للظلم والعدوان:

وَٱلظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ ٱلنُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ... ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لاَ يَظْلِمُ

وجملة قوله[1]: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ حال من فاعل جعل؛ أي: جعلهم شيعاً حال كونه مستضعفاً طائفة منهم، أو مستأنفة مسوقة لبيان حال الأهل الذين جعلهم فرقاً وأصنافاً، كأنه قيل: كيف جعلهم شيعاً؟ فقال: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾؛ أي: من أهل مصر، وتلك الطائفة بنو إسرائيل، ومعنى الاستضعاف: إنهم عجزوا وضعفوا عن دفع ما ابتلوا به عن أنفسهم.

قال ابن عباس[2]: إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس، وعملوا المعاصي، ولم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر، فسلط الله عليهم القبط، فاستضعفوهم إلى أن أنجاهم الله على يد نبيه موسى ـ عليه السلام ـ؛ أي: يجعل جماعة منهم أذلاء مقهورين يسومهم الخسف، ويعاملهم بالعسف.

ثم فسر هذا الاستضعاف بقوله: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ كثيراً صغاراً، وأصل الذبح شق حلق الحيوان، والتشديد للتكثير؛ أي: يقتل أبناء تلك الطائفة كثيراً، بعضهم إثر بعض، حتى قتل تسعين ألفاً من أبناء بني إسرائيل صغاراً، وقرأ الجمهور ﴿يذبّح﴾ مضعفاً، وأبو حيوة وابن محيصن بفتح الياء وسكون الذال.

﴿وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾؛ أي: يترك بناتهم أحياء لأجل الاستخدام، وذلك لأن الأنبياء الذين كانوا قبل موسى عليه السلام بشروا بمجيء موسى عليه السلام، وفرعون كان قد سمع ذلك، فلهذا كان يذبح أبناء بني إسرائيل عند الولادة، وهذا

---

(١) روح البيان.
(٢) المراح.

الوجه أولى بالقبول مما سيأتي، وقيل: إن المنجمين في ذلك العصر أخبروه أنه يذهب ملكه على يد مولود من بني إسرائيل.

وجملة قوله: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾[1] بدل من جملة ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾، ويجوز أن تكون مستأنفة للبيان، أو حالاً، والمعنى[2]: أي يذبح أبناءهم حين الولادة، وقد وكَّل بذلك عيوناً تتجسس، فكلما ولدت امرأة من بني إسرائيل ذكراً ذبحوه، ويستبقي إناثهم، لأنه يتوجس خيفة من الذكران الذي يتمرسون الصناعات، وبأيديهم زمام المال، فإذا طال بهم الأمد استولوا على المرافق العامة، وغلبوا المصريين عليها، والغلب الاقتصادي في بلد ما أشد وقعاً وأعظم أثراً في أهلها من الغلب الاستثماري، ومن ثم لم يشأ أن يقتل النساء.

وروى السدي[3]: أن فرعون رأى في منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتعلت على بيوت مصر فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، فسأل علماء قومه فأخبره الكهنة أنه سيخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يديه، فأخذ يفعل ما قص علينا الكتاب الكريم.

قال الزجاج: والعجب من حمق فرعون! فإن الكاهن الذي أخبره بذلك إن كان صادقاً عنده فما ينفع القتل؟ وإن كان كاذباً فلا فائدة فيه اهـ.

ولا يعنينا من أمر هذه الرواية شيء، فسواء صحت أو لم تصح، فإن السر المعقول ما قصصناه عليك أولاً.

ثم علل اجتراحه لتلك الجرائم وإزهاقه للأرواح البريئة بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: إن فرعون[4] كان من الراسخين في التجبر والإفساد بقتل خلق كثير من المعصومين، ومن ثم سوَّلت له نفسه الخبيثة أن يفعل ما فعل من تلك الفظائع، وقتل سلائل الأنبياء بلا جريمة ارتكبوها، ولا ذنب جنوه. وقد كانت هناك وسائل عديدة ليصل بها إلى اتقاء شرور اليهود بحسب ما يزعم، وكان

---

(١) الشوكاني.
(٢) المراغي.
(٣) المراح.
(٤) المراغي.

له فيها غنية من سفك الدماء، ولكن قساة القلوب، غلاظ الأكباد تتوق نفوسهم إلى الولوع في الدم، ويجعلونه الترياق الشافي لحزازات نفوسهم، وسخائم أفئدتهم.

ثم ذكر سبحانه ما أكرم به هذه الأمة المستضعفة، وما أتاح لها من السلطان الديني والدنيوي فتأسست لهم دولة عظيمة في بلاد الشام وصاروا يتصرفون في أرض مصر كما شاؤوا فقال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: وأردنا أن نتفضل بإحساننا بإرسال موسى عليه السلام على من استضعفهم فرعون، وأذلهم، وهم بنو إسرائيل، وننجيهم من بأسه، ونريهم في أنفسهم وفي أعدائهم فوق ما يحبون، وأكثر مما يؤملون بخلاصهم من فرعون، وإغراقه.

وقوله: ﴿وَنُرِيدُ﴾ معطوف على جملة قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ وإن كانت الجملة المعطوف عليها اسمية، لأن بينهما تناسباً من حيث إنَّ كل واحدة منهما وقع بياناً وتفسيراً لنبأ موسى وفرعون، ويجوز أن تكون حالاً من فاعل يستضعف، بتقدير مبتدأ؛ أي: ونحن نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض، والأول أولى، والتعبير[1] في قوله: ﴿وَنُرِيدُ﴾ بصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية، واستحضار صورتها.

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾؛ أي: قادة في الخير، ودعاة إليه، وولاة على الناس، وملوكاً فيهم، بعد أن كانوا أتباعاً مسخرين لآخرين، وفي «كشف الأسرار»: أي أنبياء، وكان بين موسى وعيسى عليهما السلام ألف نبي من بني إسرائيل.

﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ لملك فرعون ومساكن القبط، وأملاكهم، فيكون ملك فرعون فيهم، ويسكنون في مساكنه، ومساكن قومه، وينتفعون بأملاكه وأملاكهم، وأخر الوراثة عن الإمامة مع تقدمها عليها زماناً، لانحطاط رتبتها عنها.

ونمكن لهم في الأرض؛ أي: ونسلطهم على أرض مصر والشام، يتصرفون فيهما كيف ما شاؤوا، بتأييدهم بكليم الله، ثم بالأنبياء من بعده، وأصل[2]

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

التمكين أن تجعل لشيء مكاناً يتمكن فيه، ثم استُعير للتسليط، كما سيأتي في مبحث البلاغة؛ أي: نجعلهم مقتدرين عليها وعلى أهلها، مسلطين على ذلك يتصرفون به كيف شاؤوا. وقرأ الجمهور[1]: ﴿نمكن﴾ بدون لام عطفاً على نمن، وقرأ الأعمش ﴿ولنمكن﴾ بلام كي؛ أي: وأردنا ذلك لنمكن أو ولنمكن فعلنا ذلك.

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ﴾ رؤية بصرية، وقرأ الجمهور[2]: ﴿ونُري﴾ بالنون المضمومة وكسر الراء مضارع أرى الرباعي، وبنصب ما بعده على أن الفاعل هو الله سبحانه، وقرأ عبد الله وحمزة والكسائي والأعمش وخلف: ﴿ويرى﴾ بفتح الياء والراء مضارع رأى الثلاثي، والفاعل فرعون، وما بعده، والقراءة الأولى ألصق بالسياق، لأن قبلها نريد، ونجعل ونمكن بالنون، وأجاز الفراء: ﴿ويري﴾ فرعون بضم الياء التحتية وكسر الراء؛ أي: ويُري الله فرعون.

﴿وَهَٰمَٰنَ﴾ وزير فرعون وأحد رجاله، وذُكر لنباهته في قومه، ومحله من الكفر، ألا ترى إلى قوله: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾، ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾؛ أي: عساكرهما، وإضافة الجنود إليهما إما للتغليب، أو أنه كان لهامان جنود مخصوصة به، وإن كان وزيراً، أو لأن جند السلطان جند لوزيره اهـ «شهاب».

﴿مِنْهُم﴾؛ أي: من أولئك المستضعفين ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾؛ أي: ما كان فرعون وهامان وجنودهما يخافونه من المستضعفين، ويجتهدون في دفعه، من ذهاب ملكهم، وهلاكهم على يد مولود من بني إسرائيل، والموصول هو المفعول الثاني على القراءة الأولى، والمفعول الأول على القراءة الثانية، والمعنى: أن الله يريهم، أو يرونهم الذي كانوا يحذرون منه ويجتهدون في دفعه، من ذهاب ملكهم، وهلاكهم على يد المولود من بني إسرائيل المستضعفين.

والخلاصة[3]: أي ونري أولئك الأقوياء والأعداء الألداء على أيدي بني

---

(١) البحر المحيط.

(٢) الشوكاني.

(٣) المراغي.

إسرائيل من المذلة والهوان، وما كانوا يتوقعونه من زوال الملك والسلطان على يد مولود منهم، ولكن لا يُنْجي حذر من قدر، فنفذ حكم الله الذي جرى به القلم من القدم على يد هذا الغلام، الذي احترز من وجوده، وقتل بسببه ألوفاً من الولدان، وكان منشؤه ومرباه على فراشه، وفي داره، وغذاؤه من طعامه، وكان يُدَلِّلُهُ ويتبنَّاهُ، وحتفه وهلاكه وهلاك جنوده على يديه، ليعلم أن رب السمٰوات والأرض هو الغالب على أمره الشديد المحال، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وخلاصة ما سلف:

١ ـ أن فرعون علا في الأرض.

٢ ـ استضعف حزباً من أحزاب مصر.

٣ ـ قتل الأبناء.

٤ ـ استحيا النساء.

٥ ـ أنه كان من المفسدين.

وقد قابل سبحانه هذه الخمسة بخمسة مثلها تكرمة لبني إسرائيل:

١ ـ أنه مَنَّ عليهم بإنقاذهم من بطش فرعون وجبروته.

٢ ـ أنه جعلهم أئمة مقدَّمين في الدارين.

٣ ـ أنه ورَّثهم أرض الشام.

٤ ـ أنه مكَّن لهم في أرض الشام ومصر.

٥ ـ أنه أرى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون، من ذهاب ملكهم على أيديهم.

هذان عظمة وضعف يعقب أحدهما الآخر، كما يعقب الليل النهار، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ انظر

إلى الدولتين الفارسية والرومية، وما كان لهما من مجد بازخ، وملك واسع كيف دالت دولتهما، وذهب ريحهما بظلم أهلهما، وتقسم ملكهما، ثم قامت بعدهما الدولة العربية، وعاشت ما شاء الله أن تعيش، ثم قام بعدها بنو عثمان، وملكوا أكثر مما كان بيد الأمة العربية ثم هرمت دولتهم، وشاخت، واستولت عليها ممالك أوروبا: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾.

ولما ذكر الله سبحانه أنه سيمن على بني إسرائيل الذين استُضعفوا في الأرض.. أردف ذلك تفصيل بعض نعمه عليهم فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: ألهمنا أم موسى - يوحانذ بنت لاوي بن يعقوب - وفي «القرطبي»: قال الثعلبي: كان اسم أم موسى لوخا بنت هاند بن لاوي بن يعقوب اهـ.

وقذفنا في قلبها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾؛ أي: أرضعيه ما أمكنك إخفاؤه عن عدوه وعدوك، وذلك أن أم موسى حبلت بموسى، فلم يظهر بها أثر الحبل من نشوء البطن، وتغير اللون، وظهور اللبن، وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل، حتى ولدت موسى ليلة لا رقيب عليها ولا قابلة، ولم يطَّلع عليها أحد من القوابل الموكَّلة من جهة فرعون بحبالى بني إسرائيل، ولا من غيرهن إلا أخته مريم، فأوحى إليها أن أرضعيه، قيل: أرضعته ثمانية أشهر، وقيل: أربعة أشهر، وقيل ثلاثة، وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها.

وليس الوحي الذي أوحى الله إليها هو الوحي الذي يوحى إلى الرسل، بل إيحاء الله تعالى إليها إلهام، وقذف في القلب، قاله ابن عباس وقتادة، أو منام قاله قوم، أو إرسال ملك قاله قطرب وقوم، وهذا هو الظاهر لقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وأجمعوا على أنها لم تكن نبية، فإن كان الوحي بإرسال ملك كما هو الظاهر، فهو كإرساله للأقرع والأبرص والأعمى، كما في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما.

وقد سلَّمت على عمران بن حصين الملائكة، كما في الحديث الثابت في الصحيح، فلم يكن بذلك نبياً، والظاهر أن هذا الإيحاء هو بعد الولادة، فيكون

ثم جملة محذوفة؛ أي: ووضعت موسى أمه في زمن الذبح، وخافت عليه، وأوحينا إليها أن أرضعيه، و﴿أَنْ﴾ في ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ مفسرة، لأن في الوحي معنى القول، ويجوز أن تكون مصدرية؛ أي: بأن أرضعيه، وقرأ عمرو بن عبد الواحد وعمر بن عبد العزيز ﴿أن أرضعيه﴾ بكسر نون ﴿أن﴾ ووصل همزة ﴿أَرْضِعِيهِ﴾، فالكسر لالتقاء الساكنين، وحُذفت همزة الوصل على غير القياس، لأن القياس فيه نقل حركة الهمزة، وهي الفتحة إلى النون، كقراءة ورش.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على موسى من جواسيس فرعون ونقبائه، الذين يقتلون أولاد بني إسرائيل اتباعاً لأمره، أو من الجيران أن ينمُّوا عليه إذا سمعوا صوته ﴿فَأَلْقِيهِ﴾؛ أي: فألقي موسى ﴿فِي الْيَمِّ﴾؛ أي: في بحر النيل؛ أي: فاطرحيه في التابوت، والتابوت في البحر، وقد تقدم بيان الكيفية التي ألقته في اليم عليها في سورة طه، ﴿وَلَا تَخَافِي﴾؛ أي: من غرقه وضياعه، ومن التقاطه فيُقتل ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لفراقه إياك.

رُوي: أن دارها كانت على الشاطىء، فاتخذت تابوتاً مطلياً بالقار، ومهَّدت فيه مهداً، وألقته في النيل، وليس هناك من دليل على الزمن الذي قضته بين الولادة والإلقاء في اليم.

ثم وعدها سبحانه بما يسلِّيها، ويطمئن قلبها، ويملؤه غبطة وسروراً، وهو رده إليها، وجعله رسولاً نبياً، فقال: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ﴾؛ أي: رادو ولدك ﴿إِلَيْكِ﴾ عن قريب، لتكوني أنت المرضعة له، ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إلى فرعون وقومه؛ أي: وباعثوه رسولاً إلى هذا الطاغية، وجاعلو هلاكه ونجاة بني إسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه.

وهذه الآية هي من معجزات الإيجاز، لأنها اشتملت على أمرين: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ و﴿ألقيه﴾، ونهيين ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾، وخبرين، ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾، و﴿جاعلوه﴾ وبشارتين في ضمن الخبرين، وهما الرد والجعل من المرسلين، حُكي عن الأصمعي قال: سمعت أعرابية تُنشد:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِذَنْبِي كُلِّهِ   قَبَّلْتُ إِنْسَاناً بِغَيْرِ حِلِّهِ

مِـثْـلُ ٱلْـغَـزَالِ نَـاعِـمَـاً فِـيْ دَلِّـهِ   فَـٱنْـتَـصَـفَ ٱلـلَّـيْـلُ وَلَـمْ أُصلِّـهِ

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك، قالت: أو يُعدُّ هذا فصاحة مع قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ...﴾ الآية. فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين، في أسهل نظم وأوجز عبارة.

فإن قلت: ما فائدة وحي الله تعالى إلى أم موسى بإرضاعه مع أنها ترضعه طبعاً وإن لم تؤمر بذلك؟

قلت: أمرها بإرضاعه ليألف لبنها فلا يقبل ثدي غيرها بعد وقوعه في يد فرعون، فلو لم يأمرها به ربما كانت تسترضع له مرضعة فيفوت المقصود.

فإن قلت: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ هو معطوف على جواب الشرط، فيلزم عليه التناقض بين إثبات الخوف في قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ وبين نفيه في قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ لأن التركيب يكون حينئذٍ هكذا: فإذا خفت عليه فلا تخافي، وذلك تناقض؟

قلت: لا يلزم التناقض، لأن معناه إذا خفت عليه القتل فألقيه في اليم، ولا تخافي عليه الغرق.

فإن قلت: ما الفرق بين الخوف والحزن حتى عطف أحدهما على الآخر في الآية؟

قلت: الخوف غم يصيب الإنسان لأمر يتوقعه في المستقبل، والحزن غم يصيبه لأمر وقع ومضى.

فصل في ذكرِ القصة في ذلك

قال ابن عباس[1] ـ رضي الله عنهما ـ: إن أم موسى لما تقاربت ولادتها بأن أحست بالطلق أرسلت إلى قابلة، وكانت مصافية لأم موسى، وقالت لها:

---

(١) المراح.

لينفعني اليوم حبك إياي، فجلست القابلة تعالجها، فلما نزل موسى إلى الأرض هالها نور بين عينيه فارتعش كل مفصل منها، ودخل حب موسى قلبها فقالت: يا هذه ما جئتك إلا لقتل مولودك، ولكني وجدت لابنك هذا حباً شديداً، فاحفظي ابنك، فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء إلى بابها ليدخل على أم موسى، فقالت أخته: يا أماه هذا الحارس بالباب، فلفته بخرقة ووضعته في تنور مسجور، فطاش عقلها، فلم تعقل ما تصنع فدخل، فإذا التنور مسجور، ورأى أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن، فقال: لِمَ دخلَتْ القابلة عليك؟ قالت: إنها حبيبة لي، دخلت للزيارة، فخرج من عندها فرجع إليها عقلها، فقالت لأخت موسى: أين الصبي؟ قالت: لا أدري، فسمعت بكاءً في التنور، فانطلقت إليه، وقد جعل الله النار عليه برداً وسلاماً، فأخذته، ثم إن أم موسى عليه السلام لما رأت جد فرعون في طلب الولد خافت على ابنها فقذف الله في قلبها أن تتخذ له تابوتاً، ثم تقذف التابوت في النيل، فذهبت إلى نجار من قوم فرعون، فاشترت منه تابوتاً صغيراً طوله خمسة أشبار وعرضه كذلك، فقال لها: ما تصنعين به؟ فقالت: لي ابن أخبؤه فيه، فلما انصرفت ذهب النجار إلى الذباحين ليخبرهم بذلك، فلما جاءهم أمسك الله لسانه، وجعل يشير بيده فضربوه، وطردوه، فلما عاد إلى موضعه رد الله عليه نطقه، فذهب مرة أخرى ليخبرهم، فأخذ الله لسانه وبصره، فجعل لله تعالى إنه إن رد عليه بصره ولسانه لا يدلهم عليه، فعلم الله تعالى منه الصدق، فرد الله عليه ذلك، وانطلقت أم موسى وألقته في النيل، وكان لفرعون بنت لم يكن له ولد غيرها، وكان بها برص شديد، وكان فرعون قد شاور الأطباء والسحرة في أمرها، فقالوا: أيها الملك لا تبرأ هذه إلا من قبل البحر، يوجد منه شبه الإنسان، فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها، فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم كذا، في شهر كذا، حين تشرق الشمس، فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس له كان على شفير النيل، ومعه امرأته آسية بنت مزاحم، وأقبلت بنت فرعون في جواريها، حتى جلست على شاطىء النيل، إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج، وتعلق بشجرة، فقال: ائتوني به، فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه، فعالجوا فتح الباب، فلم

يقدروا عليه، وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه، فنظرت آسية، فرأت نوراً في جوف التابوت لم يره غيرها، فعالجته ففتحته، فإذا هي بصبيٍّ صغير، وإذا نور بين عينيه، فألقى الله محبته في قلوب آسية وفرعون، فأخرجوه من التابوت، وعمدت بنت فرعون إلى ريقه فلطَّخت به برصها، فبرئت في الحال، فقبلته وضمَّته إلى صدرها، فقالت الغواة من قوم فرعون: أيها الملك إنا نظن أن هذا هو الذي نحذر منه، رُمي في البحر خوفاً منك، فهم فرعون بقتله، فاستوهبته آسية من فرعون، فوهبه لها، فترك قتله وتبنته، فقيل لآسية: سمِّيه، فقالت: سمَّيته موشى ـ بالشين المعجمة ـ لأنا وجدناه في الماء والشجر، فإن معنى مو: ماء، ومعنى شا: شجر، فأصل موسى ـ بالمهملة ـ موشى بالمعجمة، وذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ والالتقاط إصابة الشيء من غير طلب. والمراد بآل فرعون هم الذين أخذوا التابوت الذي فيه موسى من البحر. والفاء عاطفة على محذوف، تقديره: فألقته أم موسى في اليم بعدما جعلته في التابوت، فالتقطه من وجده من آل فرعون.

قال الزجاج[1]: كان فرعون من أهل فارس من اصطخر اهـ؛ أي: فأخذ موسى أهل فرعون ـ يعني جواريه ـ من بين الماء والشجر يوم الاثنين صبيحة الليل الذي ألقي فيه التابوت، أخذ اللقطة التي يُعنى بها، وتصان عن الضياع.

روي أن الموج أقبل به يرفعه مرة، ويخفضه أخرى، حتى أدخله بين الأشجار عند بيت فرعون، فخرج جواري امرأته إلى الشط فوجدن التابوت فأدخلنه إليها، وظنن أن فيه مالاً، فلما فتحنه وجدن فيه غلاماً، فوقعت عليها رحمته فأحبته حباً شديداً، ولما أخبرت فرعون به أراد أن يذبحه، إذ قال: إني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل، وأن يكون هلاكنا على يديه، فلم تزل تكلمه حتى تركه لها.

ثم ذكر سبحانه أن العاقبة كانت ضد ما قصدت، فقال: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾

---

(١) النسفي.

موسى في عاقبة أمره ﴿عَدُوًّا﴾ في[1] دينهم ﴿وَحَزَنًا﴾ لما يصنعه بهم، وقيل: عدواً لرجالهم، وحزناً على نسائهم، فقتل الرجال بالغرق، واستذل النساء؛ أي: التقطوه ليصير بهم الأمر إلى ذلك، إذ أراد الله ذلك، لا أنهم أخذوه له، وجعل موسى نفس الحزن إيذاناً لقوة سببيته لحزنهم، واللام هنا[2] لام العاقبة والصيرورة، لا لام العلة والإرادة، لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً، بل إنما أخذوه ليكون لهم ولداً وقرة عين، ولكن لما صار عاقبة أمرهم إلى ذلك أبرز مدخولهم في معرض العلة لالتقاطهم، تشبيهاً له في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه، وهو المحبة والتبني.

وهذا[3]: مثل ما تقول لآخر تؤنبه على فعل كان قد فعله، وهو يظن نفسه محسناً فيه، وأدى الأمر إلى مساءة وضر قد لحقه: فعلت هذا لضر نفسك، وهو قد كان حين الفعل راجياً نفعه، غير أن العاقبة جاءت بخلاف ما كان يرجو، وكقولهم: اشترى فلان بضاعة كذا ليخسر، مع أن الحامل له على الشراء الاسترباح، وهذا جار على سنن العرب في كلامهم، فيذكرون الحال بالمآل، قال شاعرهم:

وَلِلْمَنَايَا تُرَبِّيْ كُلُّ مُرْضِعَةٍ ... وَدُوْرُنَا لِخَرَابِ ٱلدَّهْرِ نَبْنِيْهَا

وقال آخر:

فَلِلْمَوْتِ تَغْذُوْ ٱلْوَالِدَاتُ سِخَالَهَا ... كَمَا لِخَرَابِ ٱلدَّهْرِ تُبْنَى ٱلْمَسَاكِنُ

وقال آخر:

لِدُوْا لِلْمَوْتِ وَٱبْنُوْا لِلْخَرَابِ ... فَكُلُّكُمُ يَصِيْرُ إِلَىٰ ٱلتُّرَابِ

فعاقبة البناء الخراب، وإن كان في الحال مفروحاً به، وعاقبة تغذية السخال الذبح، وإن كانت الآن تُغذَّى لتسمن.

---

(١) زاد المسير.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

والخلاصة[1]: أن الله قيَّضهم لالتقاطه ليجعله لهم عدواً وحزناً، ويستبين بطلان حذرهم منه، وهذا الذي ذكرنا باختصار ما عليه جمهرة المفسرين والبيانيين، ولا تغتر بقول من شذَّ بإنكار وقوع المجاز في القرآن، مع كونه نزل بلسان عربي مبين، والكلام العربي يجري على طريقتين: إما على الحقيقة، وإما على المجاز، والقرآن إنما نزل على قانون لغتهم لكون من أُنزل عليه عربياً فصيحاً.

قلت: ويحتمل كون الكلام هنا على حذف، بدليل ما سيأتي، فتكون اللام على معناها الأصلي، أعني لام كي، فلا مجاز، والتقدير: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم ولداً وقرة عين، فصار لهم عدواً وحزناً، ومعنى عداوته إياهم: مخالفته لهم في دينهم، وحملهم على الحق، وحزنهم بزوال ملكهم على يديه، بالغرق بعد أن يظهر فيهم الآيات، ولم يستجيبوا لدعوته، فحلت بهم القوارع، كما هي سنة الله تعالى في خلقه المكذبين للرسل.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿وَحَزَنًا﴾ بفتح الحاء والزاي، وهي لغة قريش، وقرأ ابن وثاب وطلحة والأعمش وحمزة والكسائي وابن سعدان: بضم الحاء وإسكان الزاي، واختار القراءة الأولى أبو عبيدة وأبو حاتم، وهما لغتان، كالعدم والعُدْم، والرشد والرُشْدِ، والسَّقَم والسُّقْم.

ثم بيَّن أن القتل الذي يفعله فرعون وهامان وجنودهما لبني إسرائيل حمق وطيش، فقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَٰطِـِٔينَ﴾ تعليل لما قبله، أو اعتراض لقصد التأكيد لاعتراضه بين المعطوف الذي هو: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وبيَّن المعطوف عليه الذي هو: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ﴾؛ أي: كانوا[3] خاطئين فيما كانوا عليه من الكفر والظلم، فعاقبهم الله تعالى بأن رُبّي عدوهم، ومن هو سبب هلاكهم على يديه، أو كانوا خاطئين في كل ما يأتون، وما يذرون، فليس ببدع

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

(٣) المراح.

منهم أن قتلوا ألوفاً لأجله، ثم أخذوه يربونه ليكبر، ويفعل بهم ما كانوا يحذرون.

وأُضيف الجند هنا وفيما قبل إلى فرعون وهامان[1]، وإن كان هامان لا جنود له، لأن أمر الجنود لا يستقيم إلا بالملك والوزير، إذ بالوزير تحصل الأموال، وبالملك وقهره يتوصل إلى تحصيلها، ولا يكون قوام الجند إلا بالأموال.

وقرىء ﴿خاطيين﴾ بغير همز، فاحتمل أن يكون أصله الهمز وحذفت، وهو الظاهر، وقيل: من خطا يخطو؛ أي: خاطين الصواب. ولما التقطوه همُّوا بقتله، وخافوا أن يكون المولود الذي يحذرون زوال ملكهم على يديه، فألقى الله محبته في قلب آسية امرأة فرعون ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ﴾ حين رآه فرعون وهم بقتله، وهي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد، الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام، وقيل: كانت من بني إسرائيل من سبط يوسف عليه السلام.

أي: قالت لفرعون حين أخرجته من التابوت، وهمَّ فرعون بقتله لقول الكهنة، كما سيأتي: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ﴾؛ أي: لذة عين، ومسرة قلب؛ أي: هذا الغلام قرة عين ﴿لِّي وَلَكَۖ﴾ يا فرعون ﴿لَا تَقۡتُلُوهُ﴾؛ أي: لا تقتلوا يا فرعون هذا الغلام، خاطبته بلفظ الجمع تعظيماً له، ليساعدها فيما تريده.

قال ابن عباس: لما قالت آسية ذلك، قال فرعون: يكون لك، وأما أنا فلا حاجة لي فيه، وروي أنه لو قال: لي، كما هو لك لهداه الله كما هداها.

قال ابن إسحاق: إن الله تعالى ألقى محبته عليه السلام في قلبها، لأنه كان في وجهه ملاحة، فكل من رآه أحبه، ولأنها حين فتحت التابوت رأت النور، ولأنها لما فتحته رأته يمتص أصبعه، ولأن ابنة فرعون لما لطخت برصها بريقه زال.

---

(١) البحر المحيط.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ هذا الغلام؛ أي: أترجى نفعه لنا لو كان له أبوان معروفان، ﴿أَوْ﴾ عسى أن ﴿نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ ونتبناه إذا لم يُعرف له أبوان، لما فيه من الوسامة وجمال المنظر التي تجعله أهلاً لتبني الملوك، وكانت آسية لا تلد، ولم يكن لفرعون ولد ذكر، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حال[1] من آل فرعون، والتقدير: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً، وقالت امرأة فرعون: كذا وكذا، والحال أنهم لا يشعرون؛ أي: لا يعلمون بأنهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط، ورجاء النفع منه، والتبني له.

وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ...﴾ الآية، اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطأهم، كما مر آنفاً، وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان، وقيل[2]: هذا ابتداء كلام من الله تعالى؛ أي: وهم لا يشعرون أن هلاكهم على يديه وبسببه، وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل، وقال ابن عباس: أي: وهم لا يشعرون إلى ماذا يصير أمر موسى عليه السلام. وقال آخرون: هذا من تمام كلام امرأة فرعون، أي: بنو إسرائيل وأهل مصر لا يشعرون أنا التقطناه، وأنه ليس منا، وهذا بعيد، كما قاله الشوكاني.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية: عسى أن ينفعنا لنفعه الله، ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه، روي أنه قالت الغواة من قوم فرعون: إن نظن إلا أنَّ هذا هو الذي يحذر منه، رُمي في البحر خوفاً منك فاقتله، فهمّ فرعون بقتله، فقالت آسية: إنه ليس من أولاد بني إسرائيل، فقيل لها: وما يدريك؟ فقالت: إن نساء بني إسرائيل يشفقن على أولادهن، ويكتمنهم مخافة أن تقتلهم، فكيف يُظنُّ بالوالدة أنها تُلقي الولد بيدها في البحر؟ أو قالت: إن هذا كبير، ومولود قبل هذه المدة التي أُخبرت لك، فاستوهبته لما رأت عليه من دلائل النجاة، فتركه، وسمَّته آسية موسى، لأن تابوته وُجد بين الماء والشجر، والماء في لغتهم: مو، والشجر: شا.

---

(١) روح البيان. (٢) المراح.

وبعد أن أخبر الله سبحانه عن حال من لقيه موسى عليه السلام خبَّر عن حال من فارقه بقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾؛ أي: صار قلب أم موسى ﴿فَارِغًا﴾؛ أي: خالياً عن كل شيء إلا من ذكر موسى وهمِّه، و﴿أصبح﴾ هنا بمعنى صار[1]، والفؤاد القلب، لكن يقال له: فؤاد إذا اعتُبر فيه معنى التفؤد؛ أي: التحرق والتوقد، كما في «المفردات» و«القاموس»، فالفؤاد من القلب، كالقلب من الصدر، يعني الفؤاد وسط القلب وباطنه الذي يحترق بسبب المحبة ونحوها، وقال بعضهم: الصدر معدن نور الإسلام، والقلب معدن نور الإيقان، والفؤاد معدن نور البرهان، والنفس معدن القهر والامتحان، والروح معدن الكشف والعيان، والسر معدن لطائف البيان اهـ.

أي: صار فؤاد أم موسى صفراً من العقل، وخالياً من الفهم لما غشيها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوع موسى في يد فرعون، دل عليه الربط الآتي، فإنه تعالى قال في وقعة بدر: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ إشارة إلى نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنه لم تكن أفئدتهم هواء؛ أي: خالية فارغة عن العقل والفهم لفرط الحيرة.

وقيل معناه[2]: ناسياً للوحي الذي أوحى الله ـ عز وجل ـ إليها حين أمرها أن تُلقيه في اليم، ولا تخاف ولا تحزن، والعهد الذي عهد إليها أن يرده إليها، ويجعله من المرسلين، فجاءها الشيطان، وقال: كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه، وتولَّيتَ أنت قتله، وألقيته في البحر وأغرقته، ولما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت: إنه قد وقع في يد عدوه الذي فررت منه، فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها، والمعنى الأول أولى، وقال أبو عبيدة: فارغاً من الحزن إذ لم يُغرق، وهذا فيه بُعدٌ، وتُبْعِدُهُ القراءات الشواذُّ التي في اللفظة.

---

(١) روح البيان.

(٢) الخازن.

وقرأ فضالة بن عبيد الأنصاري[1]، والحسن، ويزيد بن قطيب، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير، ومحمد بن السميقع، وأبو العالية، وابن محيصن: ﴿فزعاً﴾ بالفاء والزاي والعين المهملة من الفزع؛ أي: خائفاً وجلاً.

وقرأ ابن عباس: ﴿قرعاً﴾ بالقاف المفتوحة والراء المهملة المكسورة والعين المهملة، من قرع رأسه إذا انحسر شعره، كأنه خلا من كلا شيء إلا من ذكر موسى، وقيل: ﴿قرعاً﴾ من القارعة، وهي الهم العظيم، وقرأ بعض الصحابة ﴿فزغاً﴾ بالفاء المكسورة والزاي الساكنة والغين المنقوطة، ومعناه ذاهباً هدراً تالفاً من الهم والحزن، وقرأ الخليل بن أحمد ﴿فُرُغاً﴾ بضم الفاء والراء.

﴿إِنْ﴾؛ أي: إنها، فإن شأنية ﴿كَادَتْ﴾؛ أي: قاربت[2] من ضعف البشرية وفرط الاضطراب ﴿لَتُبْدِى بِهِۦ﴾؛ أي: لتظهر بموسى، وأنه ابنُها، وتُفشي سرها، وأنها ألقته في النيل، قال في «كشف الأسرار»: الباء زائدة؛ أي: تُبديه، أو المفعول مقدر؛ أي: تُبدي القول به؛ أي: بسبب موسى.

﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾؛ أي: شددنا عليه بالصبر والثبات بتذكير ما سبق من الوعد، وهو رده إليها، وجعله من المرسلين، ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: من المصدقين بما وعدها الله بقوله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ ولم يقل من المؤمنات تغليباً للذكور، وفيه إشارة إلى أن الإيمان من مواهب الحق، إذ المبني على الموهبة وهو الوحي أولاً، ثم الربط بالتذكير ثانياً موهبة، وجواب لولا محذوف، تقديره: لولا أن ربطنا على قلبها لأبدت به، واللام في قوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بربطنا، وهذا شبيه بقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾.

والمعنى: أي أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها شُعاعاً لما دهمها من الجزع والحزن، وتوقع الهلاك الذي لا مندوحة منه جرياً على عادته مع أنداده ولداته، ولولا أن عصمناها، وثبتنا قلبها لأعلنت أمرها، وأظهرت أنه

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

ابنها، وقالت من شدة الوجد: (وا ولداه)، وقد فعلنا ذلك لتكون من المصدقين بوعدنا: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

ثم أخبر عن فعلها في تعرف خبره، بعد أن أخبر عن كتمها إياه بقوله: ﴿وَقَالَتِ﴾ أم موسى ﴿لِأُخْتِهِۦ﴾؛ أي: لأخت موسى عليه السلام الشقيقة؛ أي: وقالت لابنتها، وكانت كبيرة تعي ما يُقال لها، ولم يقُل لبنتها للتصريح بمدار المحبة، وهو الأخوة، إذ به يحصل امتثال الأمر، واسم أخته مريم بنت عمران، وافق اسم مريم أم عيسى، واسم زوجها غالب بن يوشا.

وقال الضحاك: اسمها كلثمة، وقال السهيلي: اسمها كلثوم، وهي شقيقته وأمهما يوحانذ، وأبوهما عمران، وهو غير عمران أبي مريم أم عيسى، لأن بين عمرانين ألف سنة وثمان مئة سنة اهـ. شيخنا.

قال بعضهم: والأصح أن اسمها كلثوم، لا مريم، لما روى الزبير بن بكار: أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة رضي الله عنها، وهي مريضة، فقال لها: «يا خديجة، أشعرت أن زوجتي معك في الجنة مريم بنت عمران، وكلثوم أخت موسى، وهي التي علَّمت ابن عمها قارون الكيمياء، وآسية امرأة فرعون». فقالت: آلله أخبرك بهذا يا رسول الله؟ فقال: «نعم»، فقالت: بالرفاء والبنين، وأطعم رسول الله ﷺ خديجة من عنب الجنة، وقولها: بالرفاء والبنين أعرست؛ أي: اتخذت العروس حال كونك متلبساً بالالتئام والاتفاق؛ أي: بالملاءمة والموافقة بينكما، وهو دعاء يدعى به في الجاهلية لمن تزوج، ولعل هذا قبل ورود النهي عن ذلك، كذا في إنسان العيون.

وفيه أن[1] هؤلاء النسوة حماهن الله تعالى عن أن يطأهن أحد، فقد ذُكر أن آسية لما ذُكرت لفرعون أحب أن يتزوجها، فتزوجها على كره منها ومن أبيها، مع بذله لها الأموال الكثيرة، فلما زُفَّت له وهمَّ بها أخذه الله تعالى عنها، وكان ذلك حاله معها، وكان قد رضي عنها بالنظر إليها، وأما مريم، فقيل: إنها تزوجت

---

(١) روح البيان.

بابن عمها يوسف النجار، ولم يقربها، وإنما تزوجها لمرافقتها إلى مصر، لما أرادت الذهاب إلى مصر بولدها عيسى ـ عليه السلام ـ وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة، ثم عادت مريم وولدها إلى الشام، ونزلا الناصرة، وأخت موسى لم يُذكر أنها تزوجت. انتهى.

﴿قُصِّيهِۖ﴾؛ أي: اتَّبعي أثر موسى وتتبعي خبره، وفتشي نبأه، وانظري أين وقع حتى تعرفي خبره. وقوله: ﴿فَبَصُرَتۡ بِهِۦ﴾ معطوف على محذوف، تقديره: فاتَّبعته أخته، فبصرت به؛ أي: أبصرته.

﴿عَن جُنُبٍ﴾؛ أي: عن بُعد، ولا توهم أنها تراه ﴿وَهُمۡ﴾؛ أي: والحال أن آل فرعون ﴿لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون أنها تقصه، وتتعرف حاله، أو أنها أخته.

والمعنى: أي قالت أم موسى لأخته مريم: تتبعي أثره، وتسمعي خبره، وانظري أين وقع، وإلى من صار، فتتبعته فأبصرته من مكان بعيد اختفاء من الناس، والحال أنهم لا يشعرون أنها تقصه، وتتعرف حاله، وأنها أخته، وتطلبه وتبصره.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿عَن جُنُبٍ﴾ بضمتين، وقرأ قتادة والحسن والأعرج وزيد بن علي: ﴿جنب﴾ بفتح وسكون، وعن قتادة بفتحهما أيضاً، وعن الحسن بضم الجيم وإسكان النون، وقرأ النعمان بن سالم عن جانب، والجُنُب والجانب والجنابة والجناد بمعنى واحد، وقال قتادة: معنى عن جنب أنها تنظر إليه كأنها لا تريده، وقرأ الجمهور: ﴿فَبَصُرَتۡ﴾ بفتح الباء وضم الصاد، وقرأ قتادة: ﴿فبصَرت﴾ بفتح الصاد، وعيسى: بكسرها.

ثم شرع سبحانه يذكر أسباب رده إليها فقال: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ﴾ التحريم هنا بمعنى المنع، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ لأنه لا معنى للتحريم على صبي غير مكلف؛ أي[2]: منعنا موسى أن يرضع من

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.

المرضعات، ويشرب لبن غير أمه، بأن أحدثنا فيه كراهة ثدي النساء والنفار عنها، ﴿مِن قَبۡلُ﴾؛ أي: من قبل تقصي أخته أثره، أو من قبل أن نرده على أمه، كما قال في «الجلالين»، أو من قبل مجيء أمه كما قاله أبو الليث، أو في القضاء السابق، لأنا أجرينا القضاء بأن نرده إلى أمه كما في «كشف الأسرار».

أي[1]: منعنا موسى أن يرتضع من المرضعات التي أحضرها فرعون من قبل مجيء أمه، قال الضحاك: كانت أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر حتى عرف ريحها، وروي[2] أن موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثدياً وهو يصيح، فقالوا لأخت موسى بعد نظرها له، وقربها منه: هل عندك مرضعة تدلينا عليها، لعله يقبل ثديها.

﴿فَقَالَتۡ﴾؛ أي: أخت موسى لآل فرعون، عند عدم قبوله ثدي أحد من المرضعات ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ﴾؛ أي: يربونه ﴿لَكُمۡ﴾ ويضمنون رضاعه، ويقومون بجميع مصالحه ﴿وَهُمۡ﴾؛ أي: والحال أن أهل ذلك البيت ﴿لَهُۥ﴾؛ أي: لهذا الغلام ﴿نَٰصِحُونَ﴾؛ أي: حافظون يبذلون النصح في أمره، ولا يقصرون في إرضاعه وتربيته.

قال السدي: لما قالت مريم ذلك أخذوها، وقالوا: إنك قد عرفت هذا الغلام، فدلينا على أهله، فقالت: ما أعرفه، روي أنهم قالوا لها: من يكفل؟ قالت: أمي، قالوا: ألأمك لبن؟ قالت: نعم لبن هارون، وكان هارون وُلد في سنة لا يُقتل فيها صبي، فقالوا صدقت.

روي[3]: أن هامان لما سمعها قال: إنها لتعرفه وأهله، خذوها حتى تخبر من له؟ فقالت: إنما أردت وهم للملك ناصحون، تعني أرجعت الضمير إلى الملك، لا إلى موسى، تخلصاً من يده، فقال هامان: دعوها لقد صدقت، فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله، فأتت بأمه، وموسى على يد فرعون يبكي،

---

(١) المراح.
(٢) المراح.
(٣) روح البيان.

وهو يعلله، أو في يد آسية فدفعه إليها، فلما وجد ريحها استأنس بها، والتقم ثديها، وجعل يمصه حتى امتلأت جنباه رياً، فقال فرعون: من أنت منه، فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن، لا أوتى بصبي إلا قبلني، فدفعه إليها، فقالوا: أقيمي عندنا، فقالت: لا أقدر على فراق بيتي، إن رضيتم أن أكفله في بيتي وإلا فلا حاجة لي به، وأظهرت عدم الرغبة فيه نفياً للتهمة، فرضوا بذلك، فرجعت به إلى بيتها، فلم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها وأتحفها بالذهب والجواهر، فأبدلها الله بعد خوفها أمناً، وهي موفورة العز والجاه، والرزق الواسع.

وقد جاء في الأثر: «مثل الذي يعمل الخير ويحتسب كمثل أم ترضع ولدها وتأخذ أجرها»، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ﴾؛ أي: فرددنا موسى، وصرفناه ﴿إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ ووالدته ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ وتطيب نفسها بوصول ولدها إليها، وتربيتها له في بيتها، ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على موسى بفراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أن جميع ما وعده من رده إليها، وجعله من المرسلين ﴿حَقٌّ﴾ ثابت لا خلف فيه بمشاهدة بعضه، وقياس بعضه عليه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾؛ أي: أكثر آل فرعون ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بذلك، بل كانوا في غفلة عن القدر وسر القضاء، أو أكثر الناس لا يعلمون أن المقصود الأصلي من رده إليها علمها بأن وعد الله حق، لا خُلف فيه بمشاهدة بعضه، وقياس بعضه عليه، فهذا هو الغرض الديني، وما سواه من قرة العين، وذهاب الحزن تبع، فمكث موسى عند أمه إلى أن فطمته، وأمر فرعون بإجراء أجرتها لكل يوم دينار، فأتت به فرعون، واستمر عنده، يأكل من مأكوله، ويشرب من مائه، ويلبس من ملبوسه إلى أن كمل.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾ موسى ﴿أَشُدَّهُۥ﴾؛ أي: كمال قوته الجسمانية، وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة، وهو[1] مفرد على بناء الجمع، كما سبق في سورة

---

(١) روح البيان.

يوسف ﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾؛ أي: انتهى شبابه، وتكامل عقله، والاستواء من الثلاثين إلى الأربعين، وقال في يوسف: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ فقط، لأنه أوحي إليه في صباه حين كان في البئر، وموسى عليه السلام أوحي إليه بعد أربعين سنة، كما قال سبحانه: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾؛ أي: أعطينا موسى ﴿حُكۡمٗا﴾؛ أي: نبوة[1] ﴿وَعِلۡمٗاۚ﴾؛ أي: فقهاً في الدين، أو علماً بمصالح الدارين، أو علم الحكماء والعلماء، أو سمتهم قبل استنبائه، فلا يقول قولاً، ولا يفعل فعلاً يُستجهل فيه، وهو أوفق لنظم القصة، لأنه تعالى استنبأه بعد الهجرة والمراجعة اهـ. «أبو السعود».

والمراد بالهجرة خروجه إلى مدين، وبالمراجعة رجوعه منها اهـ «شهاب»، وكان عمره عند رجوعه من مدين أربعين سنة، لأنه أقام في مصر ثلاثين سنة ثم ذهب إلى مدين، وأقام فيها عشر سنين، ووقعة قتل القبطي كانت قبل ذهابه إلى مدين فهو السبب فيه.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما جزينا موسى وأمه ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ على إحسانهم؛ أي: وكما جزينا موسى على طاعته إيانا، وصبره على أمرنا بالحكم والعلم، وجزينا أمه على استسلامها أمرنا، حين ألقت ولدها في البحر تصديقاً لوعدنا؛ أي: كما جزيناها برد ولدها إليها، وجعله من المرسلين، نجزي كل من أحسن من عبادنا، وأطاع أمرنا، وانتهى عما نهيناه عنه، على إحسانه أياً كان، والمراد العموم، وفي الآية تنبيه على أنهما كانا محسنين في عملهما، متّقين في عنفوان عمرهما، فمن أدخل نفسه في زمرة أهل الإحسان جازاه الله بأحسن الجزاء.

حكي[2]: أن امرأة كانت تتعشى، فسألها سائل، فقامت ووضعت في فمه لقمة، ثم وضعت ولدها في موضع، فاختلسه الذئب، فقالت: يا رب ولدي، فأخذ آخذ عنق الذئب، واستخرج الولد من فيه بغير أذىً، وقال لها: هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل.

وبعد أن أخبر بتهيئته للنبوة، ذكر ما كان السبب في هجرته إلى مدين،

---

(١) النسفي. (٢) روح البيان.

وتوالي الأحداث الجسام عليه، فقال: ﴿وَدَخَلَ﴾ موسى عليه السلام ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾؛ أي: مدينة منف، وهي مدينة فرعون موسى، التي كان ينزلها، وفيها كانت الأنهار تجري تحت سريره، وكانت في غربي النيل، على مسافة اثني عشر ميلاً من مدينة فسطاط مصر، المعروفة يومئذ بمصر القديمة، ومنف بفتح الميم وسكون النون، وقيل: بضم الميم وسكون النون، يمنع من الصرف للعلمية والعجمة، أو التأنيث، أصلها مآفة، ومعناها[1] بلغة القبط ثلاثون، لأنها أول مدينة عُمِّرت بأرض مصر بعد الطوفان، نزلها مصر بن حام بن نوح في ثلاثين رجلاً، فسُمِّيت مآفت، ثم عُرِّبت فصارت منف، وكانت دار الملك بمصر في قديم الزمان.

قيل: إن موسى عليه السلام لما بلغ أشده، وآتاه العلم في دينه ودين آبائه علم أن فرعون وقومه على الباطل، فتكلم بالحق، وعاب دينهم، واشتهر ذلك منه، حتى آل الأمر إلى أن خافوه وخافهم، وكان له من بني إسرائيل شيعة يقتدون به، ويسمعون منه، وبلغ في الخوف بحيث ما كان يدخل مدينة فرعون إلا خائفاً فدخلها يوماً ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾؛ أي: حال كونه مستخفياً، في وقت غفلة كائنة من أهل المدينة؛ أي: وقت غفلتهم من دخوله؛ أي: دخلها في وقت لا يُعتاد دخولها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: دخلها في الظهيرة عند المقيل، وقد خلت الطرق؛ أي: دخلها وقت كونهم قائلين غافلين، مشغولين بنوم القيلولة، ﴿فَوَجَدَ فِيهَا﴾؛ أي: في المدينة بعد دخولها ﴿رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ ويتضاربان، ويلازمان مقدمات القتل من الضرب والقتل.

﴿هَٰذَا﴾؛ أي: أحدهما ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾؛ أي: ممن شايعه وتابعه في دينه، وهم بنو إسرائيل، قيل: هو السامري ﴿وَهَٰذَا﴾؛ أي: الآخر ﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾؛ أي: من المعادين له على دينه، وهم قوم فرعون.

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾؛ أي: طلب من موسى أن ينصره ويعينه ﴿ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾؛

(١) المراح. (٢) البحر المحيط.

أي: من شيعة موسى ﴿عَلَى﴾ خصمه ﴿ٱلَّذِى﴾ كان ﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾؛ أي: من عدو موسى، فأغاثه، لأن نصر المظلوم واجب في جميع الملل، فالقبطي الذي سخر الإسرائيلي كان طباخ فرعون، استسخره لحمل الحطب إلى مطبخه، واسمه فليثون، أو فأثون، والإشارة في هذا على الحكاية، وإلا فهو والذي من عدوه ما كانا حاضرين حال الحكاية لرسول الله ﷺ، ولكنهما لما كانا حاضرين يشار إليهما وقت وجدان موسى إياهما حكى حالهما وقتئذٍ، أو لحكاية الحال عبر عن غائب ماض باسم الإشارة الذي هو موضوع للحاضر، وقال المبرِّد: العرب تشير بهذا إلى الغائب، قال جرير:

هَـذَا ٱبْـنُ عَـمِّـيْ فِـيْ دِمَـشْـقَ خَـلِـيْـفَـةٌ   لَـوْ شِـئْـتُ سَـاقَـكُـمُ إِلَـيَّ قَـطِـيْـنَـا

ذكره أبو حيان اهـ.

وقرأ أبو طالب القارىء[1]: ﴿على حينَ﴾ بنصب نون حين، ووجهه أنه أجرى المصدر مجرى الفعل، كأنه قال: على حين غفل أهلها، فبناه كما بناه حين أضيف إلى الجملة المصدرة بفعل ماض كقوله:

عَلَىٰ حِيْنَ عَاتَبْتُ ٱلْمَشِيْبَ عَلَىٰ ٱلصِّبَا

وهذا توجيه فيه شذوذ

وقرأ نعيم بن ميسرة ﴿يقتلان﴾ بإدغام التاء في التاء، ونقل فتحها إلى القاف، وقرأ الجمهور: ﴿فاستغاثه﴾؛ أي: طلب غوثه، ونصره على القبطي، وقرأ سيبويه وابن مقسم والزعفراني بالعين المهملة والنون بدل الثاء؛ أي: طلب الإعانة على القبطي، قال أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة: والاختيار قراءة ابن مقسم، لأن الإعانة أولى في هذا الباب، وقال ابن عطية: ذكرها الأخفش، وهي تصحيف لا قراءة. انتهى.

وليست تصحيفاً فقد نقلها ابن خالويه عن سيبويه، وابن جبارة عن ابن

(١) البحر المحيط.

مقسم والزعفراني، وروي أنه لما اشتد التناكر بينهما قال القبطي لموسى: لقد هممت أن أحمله عليك ـ يعني الحطب ـ فاشتد غضب موسى وكان قد أوتي قوة فوكزه فمات، كما قال: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾؛ أي[1]: ضربه موسى بجمع كفه، وقيل: الوكز الضرب في الصدر، وقيل: الوكز الدفع بأطراف الأصابع، ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾؛ أي: قتله موسى، وفرغ من أمره، فندم موسى عليه، ولم يكن قصده القتل بل دفعه، ودفنه في الرمل، وكل شيء فرغت منه وأتممته فقد قضيت عليه.

وقرأ عبد الله[2]: ﴿فلكزه﴾ باللام بدل الواو، وعنه ﴿فنكزه﴾ بالنون، والظاهر أن فاعل ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ ضمير عائد على موسى، وقيل: يعود على الله؛ أي: فقضى الله عليه بالموت، ويحتمل أن يعود على المصدر المفهوم من وكزه؛ أي: فقضى الوكز عليه، وكان موسى لم يتعمد قتله بل قصد دفعه، فندم على قتله.

و﴿قَالَ هَٰذَا﴾ القتل ﴿مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ وإنما أضاف العمل إلى الشيطان، لأنه كان بإغوائه ووسوسته، وإنما قال بهذا القول مع أن المقتول كافر حقيق بالقتل، لأنه لم يكن حنيئذٍ مأموراً بقتل الكفار، أو لأنه كان مأموناً عندهم فلم يكن له اغتيالهم، ولا يقدح ذلك في عصمته، لكونه خطأ، وإنما عده من عمل الشيطان، وسماه ظلماً، واستغفر منه جرياً على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم، ولو كان من محقرات الصغائر، أو كان هذا قَبْلَ النبوة.

وقيل[3]: إن هذا إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه، والمعنى إن عمل هذا المقتول من عمل الشيطان، والمراد بيان كونه مخالفاً لأمر الله تعالى، مستحقاً للقتل، وقيل: هذا إشارة إلى المقتول، يعني أنه من جُنْدِ الشيطان وحزبه، ثم وصف الشيطان بقوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إن الشيطان ﴿عَدُوّٞ﴾ لابن آدم ﴿مُّضِلّٞ﴾ له عن طريق الحق والاعتدال ﴿مُّبِينٞ﴾؛ أي: ظاهر العداوة والإضلال.

---

(١) الخازن.

(٢) البحر المحيط.

(٣) الخازن.

ثم ﴿قَالَ﴾ موسى مناجياً مع الله سبحانه، وتوسيط[1] ﴿قَالَ﴾ بين كلاميه لإبانة ما بينهما من المخالفة، من حيث إنه مناجاة ودعاء بخلاف الأول، يا ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتل نفس لم أؤمر بقتلها، يعني القبطي، وقيل[2]: هو على سبيل الاتضاع لله تعالى، والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه، وإن لم يكن هناك ذنب ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ ذنبي، واستر علي، ولا تؤاخذني بما فعلت، قال قتادة: عرف والله المخرج فاستغفر اهـ.

ثم لم يزل موسى عليه السلام يعدد ذلك على نفسه، مع علمه بأنه قد غُفر له، حتى إنه يوم القيامة يقول عند طلب الناس الشفاعة منه: إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، كما ثبت ذلك في حديث الشفاعة الصحيح، وإنما عده ذنباً وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ مع كون المقتول كافراً من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر بالقتل.

ثم ذكر أنه أجاب دعاءه وغفر له، فقال: ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ ربه؛ أي: فعفا عن ذنبه، ولم يعاقبه عليه. ثم ذكر ما هو كالعلة لما قبله. فقال: ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى ﴿هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾[3] بإزالة الزلل ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بإزالة الخجل؛ أي: إنه تعالى هو الستار لذنوب من أناب إليه، المتفضل عليه بالعفو عنها، الرحيم له بأن لا يعاقبه بعد أن أخلص توبته، ورجع عن حوبته.

وفي «الشوكاني»: ووجه استغفاره[4]: أنه لم يكن لنبي أن يقتل حتى يؤمر، وقيل: إنه طلب المغفرة من تركه للأولى، كما هو سنة المرسلين، أو أراد: إني ظلمت نفسي بقتل هذا الكافر، لأن فرعون لو عرف ذلك لقتلني به، والمعنى[5] عليه: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتل القبطي من غير أمر، فإن فرعون إذا عرف ذلك قتلني به، ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾؛ أي: فاستره علي، ولا توصل خبره إلى فرعون،

---

(١) روح البيان.
(٢) الخازن.
(٣) النسفي.
(٤) الشوكاني.
(٥) المراح.

﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾؛ أي: فستره عن الوصول إلى فرعون ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾؛ أي: المبالغ في ستر ذنوب عباده ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾؛ أي: المبالغ في رحمتهم بستر ذنوبهم وهذا خلاف الظاهر، فإن موسى عليه السلام ما زال نادماً على ذلك خائفاً من العقوبة بسببه، كم ذُكر اشتكاؤه من ذلك في حديث الشفاعة الصحيح.

وقيل: إن هذا كان قبل النبوة، وقيل: كان ذلك قبل بلوغه سن التكليف، وإنه كان إذ ذاك في اثنتي عشرة سنة، وكل هذه التأويلات البعيدة محافظة على ما تقرر من عصمة الأنبياء، ولا شك أنهم معصومون من الكبائر، والقتل الواقع منه لم يكن عن عمد فليس بكبيرة، لأن الوكزة في الغالب لا تقتل.

وفي «فتح الرحمٰن»(١): إن قلت: كيف جعل موسى قتله القبطي الكافر من عمل الشيطان، وسماه ظلماً لنفسه، واستغفر منه؟

قلت: أما جعله ذلك من عمل الشيطان، فلكونه كان الأولى له تأخير قتله إلى زمن آخر، فلما عجله ترك الأولى المندوب إليه، فجعله من عمل الشيطان، ولم يكن قصد موسى قتل القبطي، إنما كان يريد دفع أذاه عن الإسرائيلي بدليل أنه لم يضربه بشيء يقتل، وإنما ضربه بجمع يده، بلكمة كانت هي القاضية، فلذلك ندم على فعله، واستغفر ربه، لأن في قتل القبطي فتنة، والشيطان تفرحه الفتنة، فلذلك نسبه إلى الشيطان.

وأما تسميته ظلماً فمن حيث إنه حرم نفسه الثواب بترك المندوب، أو من حيث أنه قال ذلك على سبيل الانقطاع إلى الله، والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه، وإن لم يكن ثمة ذنب، وأما استغفاره من ذلك فمعناه اغفر لي ترك ذلك المندوب انتهى.

ثم ذكر أنه شكر ربه على هذه النعمة التي أنعم بها عليه، فقال: ﴿قَالَ﴾ موسى يا ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ إما قسم محذوف الجواب، و﴿ما﴾ إما مصدرية أو موصولة؛ أي: أقسم عليك بإنعامك علي بالمغفرة لأتوبن ﴿فَلَنْ أَكُونَ﴾ بعد

---

(١) فتح الرحمٰن.

هذا أبداً ﴿ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: معيناً لهم، يقال: ظاهرته؛ أي: قويت ظهره بكوني معه؛ أي[1]: أقسم يا رب بإنعامك علي بالقوة والمعرفة، فلن أكون معيناً لأحد من المشركين، بل أكون معاوناً للمسلمين؛ أي: إني وإن أسأت في هذا القتل الذي لم أومر به فلا أترك نصرة المسلمين على المجرمين، ونصرة المؤمن واجبة في جميع الشرائع. قال الكسائي: وفي قراءة عبد الله ﴿فلا تجعلني ظهيراً للمجرمين﴾.

وإما استعطاف؛ أي: بحق إحسانك علي اعصمني، فلن أكون معيناً لمن تؤدي معاونته إلى الجرم. والجرم فعل يوجب قطيعة فاعله، وأصله القطع، قال ابن عطاء: العارف بنعم الله من لا يوافق من خالف ولي نعمته، والعارف بالمنعم من لا يخالفه في حال من الأحوال انتهى.

وأراد[2] بمظاهرة المجرمين، إما صحبة فرعون، وانتظامه في جماعته، وتكثير سواده، حيث كان يركب بمركبه كالولد مع الوالد، وكان يسمى ابن فرعون، وإما مظاهرة من أدَّت مظاهرته إلى الجرم والإثم، كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى قتل الذي لم يحل له قتله، وقيل: أراد إني وإن أسأت في هذا القتل الذي لم أُومر به فلا أترك نصرة المسلمين على المجرمين، فعلى هذا كان الإسرائيلي مؤمناً، ونصرة المؤمن واجبة في جميع الشرائع. وقيل في بعض الروايات: إن ذلك الإسرائيلي كان كافراً، وإنما قيل له إنه من شيعته، لأنه كان إسرائيلياً، ولم يرد الموافقة في الدين فعلى هذا ندم، لأنه أعان كافراً على كافر، فقال: لا أكون بعد هذا ظهيراً للكافرين، وقيل ليس هذا خبراً بل هو دعاء؛ أي: فلا تجعلني يا رب ظهيراً للمجرمين، كما تدل عليه قراءة عبد الله، وقال النحاس: إن جعله من باب الخبر أَوْفَى، وأشبه بنسق الكلام اهـ.

ثم إن[3] هذا الدعاء، وهو قوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ إلخ حسن إذا وقع

---

(١) المراح.
(٢) القرطبي.
(٣) روح البيان.

بين الناس اختلاف وفرقة في دين أو ملك أو غيرهما، وإنما قال موسى هذا عند اقتتال الرجلين، ودعا به ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عند قتال علي ومعاوية، كذا في «كشف الأسرار».

﴿فَأَصْبَحَ﴾ موسى؛ أي: دخل في الصباح، فأصبح إما تامة؛ أي: دخل في الصباح حالة كونه ﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ التي قتل فيها القبطي، وفي هذا إشارة إلى أن دخول المدينة والقتل كانا بين العشاءين، حين اشتغل الناس بأنفسهم، كما ذهب إليه البعض، حال كونه ﴿خَآئِفًا﴾ على نفسه من آل فرعون أن يقتلوه بسبب القبطي ﴿يَتَرَقَّبُ﴾؛ أي: يتوقع المكروه، وينتظر متى يؤخذ به. وهو الاستفادة منه، والترقب: انتظار المكروه، أو ينتظر الأخبار، وما يقال فيه، وقال ابن عطاء[1]: خائفاً على نفسه، يترقب نصرة ربه، وفيه دليل على أنه لا بأس بالخوف من دون الله، بخلاف ما يقوله بعض الناس: إنه لا يسوغ الخوف من دون الله تعالى.

وإما ناقصة، والمعنى عليه؛ أي: فصار موسى عليه السلام في تلك المدينة التي قتل فيها القبطي خائفاً من جنايته التي جناها، بقتله النفس التي قتلها، وصار يتجسس الأخبار، ويسأل عما يتحدث به الناس من أمره وأمر القبطي، وما هم بالغوه به، وداخلته الهواجس خيفة أن يقتلوه به ﴿فَإِذَا﴾ للمفاجأة؛ أي: فإذا الإسرائيلي ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾؛ أي: طلب من موسى النصرة قبل هذا اليوم على دفع القبطي المقتول ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾؛ أي: يستغيثه من بعد؛ أي: يستغيث موسى بعالي الصوت من بعيد من الصراخ، وهو الصوت أو شديده كما في «القاموس».

والمعنى: إن الإسرائيلي الذي خلَّصه موسى بالأمس يستغيث به الآن ثانياً من قبطي آخر، فـ﴿قَالَ لَهُۥ﴾؛ أي: لذلك الإسرائيلي المستغيث ثانياً على قبطي آخر؛ أي: قال له ﴿مُوسَىٰٓ إِنَّكَ﴾ أيها المستغيث ﴿لَغَوِيٌّ﴾؛ أي: لذو غواية وضلال، وهو فعيل بمعنى الغاوي، ﴿مُّبِينٌ﴾؛ أي: بيِّن الغواية والضلالة لا شك

---

(١) النسفي.

فيه، لأنك تسببت لقتل رجل في الأمس، وتُقاتل اليوم رجلاً آخر، يعني: إني وقعت في الأمس فيما وقعت فيه بسببك، فالآن تريد أن توقعني في ورطة أخرى، ثم دنا منهما ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ﴾ موسى ﴿أَن يَبْطِشَ﴾ ويأخذ ﴿بِـ﴾ الشدة والعنف القبطي ﴿الذي هو عدو لهما﴾؛ أي: عدو لموسى والإسرائيلي، إذ لم يكن على دينهما، ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل على الإطلاق، وقرأ الجمهور ﴿يَبْطِشَ﴾ بكسر الطاء، والحسن وأبو جعفر بضمها.

﴿قَالَ﴾ ذلك الإسرائيلي ظاناً أن موسى يريد أن يبطش به بناء على أنه خاطبه بقوله: إنك لغوي مبين، ورأى غضبه عليه، فلما سمع القبطي ذلك.. أفشاه، ولم يكن قد علم أحد من أصحاب فرعون أن موسى هو الذي قتل القبطي بالأمس، حتى أفشى عليه الإسرائيلي، هكذا قال جمهور المفسرين.

أو قال له القبطي منكراً: أتريد أن تفعل معي كما فعلت بالأمس، وتقتلني كما قتلت من قتلت، وكان قد عرف ذلك من حديث المصريين عنه. أو من هذا الإسرائيلي وهذا هو الظاهر.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ﴾ يعني القبطي المقتول. ﴿إِن تُرِيدُ﴾؛ أي: ما تريد يا موسى ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا﴾؛ أي: قاهراً عالياً ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في أرض مصر، تضرب وتقتل دون أن تنظر في العواقب، والجبار هو الذي يفعل ما يريده من الضرب والقتل، ولا ينظر في العواقب، ﴿وَمَا تُرِيدُ﴾ يا موسى ﴿أَن تَكُونَ﴾ في الأرض ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ بين الناس بالقول والفعل، فتدفع التخاصم بالحسن، أو من المتورعين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ولما قال هذا انتشر الحديث، وارتقى إلى فرعون وملئه، وظهر أن القتل الواقع في الأمس صدر من موسى، حيث لم يطلع على ذلك إلا ذلك الإسرائيلي، فهموا بقتل موسى، فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عم موسى ليخبر موسى. كما قال: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ...﴾ الآية.

الإعراب

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾.

﴿طسٓمٓ ۝١﴾ إن قلنا إنه علم للسورة فهو خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هذه السورة طسم؛ أي: مسماة بهذا اللفظ، أو مبتدأ خبره محذوف، تقديره: طسم هذا محله، أو مفعول لفعل محذوف أو لاسم فعل محذوف، فهو مثل أسماء التراجم، وإن قلنا فيه: الله أعلم بمراده به، فلا يحكم عليه بالإعراب، ولا بالبناء، لأن الإعراب والبناء فرعان عن إدراك المعنى، وعلى إعرابه، فالجملة مستأنفة. ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: خبر ومضاف إليه، ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: صفة لـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، والجملة مستأنفة، ﴿نَتْلُوا۟﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله، ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلق به، ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، ﴿وَفِرْعَوْنَ﴾: معطوف على موسى، وهما ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة، الجار والمجرور صفة لمفعول محذوف، تقديره: نتلو عليك شيئاً كائناً من نبأ موسى وفرعون، ويجوز أن تكون من زائدة على رأي الأخفش أي: نتلو عليك نبأ موسى وفرعون والأول أولى، لأنه لا ضرورة إلى زيادتها، والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لبيان آيات الكتاب المبين، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: إما حال من فاعل ﴿نَتْلُوا۟﴾؛ أي: نتلو عليك حال كوننا متلبسين بالحق والصدق، أو من مفعوله؛ أي: حال كونه؛ أي: الخبر متلبساً بالحق اهـ. شيخنا ﴿لِقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نَتْلُوا۟﴾، فهو بمثابة التعليل؛ أي: لأجل قوم، وجملة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ صفة لـ﴿قوم﴾، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾: ناصب واسمه، ﴿عَلَا﴾: فعل ماض وفاعل مستتر ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق به والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾. وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لبيان نبأ فرعون، لا محل لها من الإعراب، ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعولان في محل الرفع معطوف على جملة ﴿عَلَا﴾. ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على فرعون، ﴿طَآئِفَةً﴾: مفعول

به، ﴿مِنْهُمْ﴾: صفة لـ﴿طَآئِفَةً﴾، والجملة الفعلية في محل النصب حال من فاعل ﴿جَعَلَ﴾، أو صفة لـ﴿شِيَعًا﴾، ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب بدل اشتمال من ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾، لأن الاستضعاف مشتمل على الذبح والاستحياء، ﴿وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿يُذَبِّحُ﴾، ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه، ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر، ﴿مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ خبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾.

﴿وَنُرِيدُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، على كونها مسوقة لبيان نبأ موسى وفرعون، أو في محل النصب حال من ﴿طَآئِفَةً﴾ لتخصصه بالصفة؛ أي: يستضعف طائفة منهم حالة كوننا نريد المن عليهم. ﴿أَن﴾: حرف نصب، ﴿نَّمُنَّ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله، منصوب بـ﴿أن﴾، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلق بـ﴿نَّمُنَّ﴾، وجملة ﴿نَّمُنَّ﴾ مع ﴿أَن﴾ المصدرية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ﴿نريد﴾؛ أي: ونريد المن على الذين استضعفوا في الأرض، ﴿ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾: فعل ونائب فاعل صلة الموصول، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق به. ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله، ومفعولان معطوف على ﴿نَّمُنَّ﴾ على كونها منصوباً بأن المصدرية، ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعولان معطوف على ﴿نَّمُنَّ﴾ أيضاً، ﴿وَنُمَكِّنَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر معطوف على ﴿نَّمُنَّ﴾، ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق به أيضاً، أو حال من ضمير ﴿لَهُمْ﴾. ﴿وَنُرِىَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر معطوف على ﴿نَّمُنَّ﴾ أيضاً، وهو من رأى البصرية تعدى بالهمزة إلى مفعولين،

﴿فِرۡعَوۡنَ﴾: مفعول أول، ﴿وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾: معطوفان عليه، ﴿مِنۡهُم﴾: متعلق بـ﴿نري﴾، ﴿مَّا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ثان لـ﴿نري﴾، ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَحۡذَرُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، أو صفة للموصوفة، إن قلنا إنها موصوفة، والعائد أو الرابط محذوف، تقديره: ما كانوا يحذرونه.

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧﴾.

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ على كونها مسوقة لبيان نبأ موسى وفرعون، ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بأوحينا ﴿أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾: أن مفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول دون حروفه، ﴿أَرۡضِعِيهِۖ﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول به، والجملة مفسرة لـ﴿أوحينا﴾ لا محل لها من الإعراب، ويجوز أن تكون ﴿أَنۡ﴾: مصدرية، وهي مع مدخولها في تأويل مصدر مجرور بالباء المحذوفة، تقديره: وأوحينا إلى أم موسى بإرضاعك إياه، والجار المحذوف متعلق بـ﴿أوحينا﴾. ﴿فَإِذَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان، ﴿خِفۡتِ﴾: فعل وفاعل، ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها، والظرف متعلق بالجواب، ﴿فَأَلۡقِيهِ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إذا﴾ وجوباً، ﴿ألقيه﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول به، ﴿فِي ٱلۡيَمِّ﴾: متعلق بـ﴿ألقيه﴾، والجملة الفعلية جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ من فعل شرطها وجوابها معطوفة على جملة ﴿أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾ على كونها مفسرة لـ﴿أوحينا﴾، ﴿وَلَا تَخَافِي﴾: جازم وفعل مجزوم وفاعل معطوف على ﴿ألقيه﴾، ﴿وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ﴾: معطوف على أيضاً، ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه، ﴿رَآدُّوهُ﴾: خبره مرفوع بالواو، ﴿إِلَيۡكِ﴾: متعلق بـ﴿رَآدُّوهُ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل النهي المذكور قبله، ﴿وَجَاعِلُوهُ﴾: معطوف على ﴿رَآدُّوهُ﴾، وهو اسم فاعل أضيف إلى مفعوله الأول، ﴿مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ في محل نصب مفعوله الثاني.

﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۝٨ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾.

﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف، تقديره: فأرضعته وألقته، فالتقطه آل فرعون، ﴿التقطه﴾: فعل ومفعول، ﴿ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، ويجوز أن تكون الفاء فصيحة، ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾: اللام، حرف جر وتعليل، أو لام العاقبة، ﴿يكون﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد اللام، واسمها ضمير يعود على موسى، ﴿لَهُمْ﴾: متعلق بـ﴿عَدُوًّا﴾؛ أو حال منه، ﴿عَدُوًّا﴾: خبر ﴿يكون﴾، ﴿وَحَزَنًا﴾: معطوف عليه، والجملة في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لكونه عدواً لهم وحزناً، الجار والمجرور متعلق بـ﴿التقط﴾. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾: ناصب واسمه، ﴿وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾: معطوفان على فرعون، ﴿كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾. وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها، أو جملة معترضة لا محل لها من الإعراب لاعتراضها بين المعطوف عليه، وهو ﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾، والمعطوف وهو ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾. ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، معطوف على ﴿فَالْتَقَطَهُۥ﴾، ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو قرة عين، ﴿لِّى﴾: صفة لـ﴿قُرَّتُ﴾، ﴿وَلَكَ﴾: معطوف على ﴿لِّى﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾، ﴿لَا﴾: ناهية جازمة، ﴿تَقْتُلُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به مجزوم بلا الناهية، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾، ﴿عَسَىٰٓ﴾: فعل ماض من أفعال الرجاء تعمل عمل كان، واسمها ضمير يعود على موسى، ﴿أَن يَنفَعَنَآ﴾: ناصب وفعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة في تأويل مصدر منصوب على كونه خبر ﴿عَسَىٰٓ﴾، ولكنه على تأويل اسم فاعل، أو على تقدير مضاف، والتقدير عسى هذا الغلام نافعاً لنا، أو ذا نفع لنا، وجملة ﴿عَسَىٰٓ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾، ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتفصيل، ﴿نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، ومفعولان، معطوف على ﴿يَنفَعَنَآ﴾، ﴿وَهُمْ﴾

﴿الواو﴾: حالية، ﴿هم﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل النصب حال من ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، وهي من كلام الله تعالى، ويبعد أن يكون من كلام آسية.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأَصْبَحَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿أصبح﴾: فعل ماض ناقص، ﴿فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ اسمها ومضاف إليه، ﴿فَٰرِغًا﴾: خبرها، والجملة مستأنفة، ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، ﴿كَادَتْ﴾: فعل ناقص من أفعال المقاربة، واسمها ضمير يعود على ﴿أُمِّ مُوسَىٰ﴾، ﴿لَتُبْدِى﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿تبدي﴾: فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير يعود على ﴿أُمِّ مُوسَىٰ﴾، ﴿بِهِۦ﴾ متعلق بـ﴿تبدي﴾؛ أي: لتبدي القول به، أو ﴿الباء﴾ زائدة؛ أي: لتبديه، وجملة ﴿تبدي﴾ في محل النصب خبر ﴿كاد﴾، وجملة ﴿كاد﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ المخففة، وجملة ﴿إن﴾ المخففة مستأنفة. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف امتناع لوجود، ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿رَّبَطْنَا﴾: فعل ماض وفاعل في محل النصب بـ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾: متعلق بـ﴿رَّبَطْنَا﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء، والخبر محذوف وجوباً، تقديره: لولا ربطنا على قلبها موجود، وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوف، تقديره: لأبدت به، وجملة ﴿لَوْلَآ﴾ مستأنفة. ﴿لِتَكُونَ﴾ ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿تكون﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، واسمها ضمير يعود على أم موسى، ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: خبر ﴿تكون﴾، وجملة ﴿تكون﴾ في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لكونها من المؤمنين، الجار والمجرور متعلق بـ﴿رَّبَطْنَا﴾.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿وَقَالَتْ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على أم موسى، والجملة معطوفة على جملة ﴿أصبح﴾، ﴿لِأُخْتِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿قالت﴾، ﴿قُصِّيهِۖ﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾، ﴿فَبَصُرَتْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف، تقديره: فذهبت ترتاده وتقص آثاره فبصرت به، ﴿بصرت﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على أخت موسى، ﴿بِهِۦ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، ﴿عَن جُنُبٍ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿بصرت﴾؛ أي: بصرت به حالة كونها مستخفية كائنة عن جنب وبُعد، أو حال من ضمير ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بعيداً، ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ خبره، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿بصرت﴾، والرابط مقدر، والتقدير: فبصرت به وهم لا يشعرون بها. ﴿وَحَرَّمْنَا﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿حرمنا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿حرمنا﴾، ﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾: مفعول به، ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿حرمنا﴾؛ أي: من قبل رده إلى أمه، أو حال من ضمير ﴿عَلَيْهِ﴾، ﴿فَقَالَتْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على أخت موسى، والجملة معطوفة على جملة ﴿بصرت﴾، ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام للاستفهام الاستخباري، ﴿أَدُلُّكُمْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَدُلُّكُمْ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾، ﴿يَكْفُلُونَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به، والجملة في محل الجر صفة لـ﴿أَهْلِ بَيْتٍ﴾، ﴿وَهُمْ﴾ ﴿الواو﴾ حالية، ﴿هم﴾: مبتدأ، ﴿لَهُۥ﴾: متعلق بما بعده، ﴿نَٰصِحُونَ﴾: خبر، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿يَكْفُلُونَهُۥ﴾.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿رددناه﴾: فعل وفاعل ومفعول به، معطوف على محذوف، تقديره: فأذنوا لها في إرضاعه فرددناه، ﴿إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾: جار

ومجرور متعلق بـ﴿رددنا﴾، ﴿كَيْ﴾: حرف نصب، ﴿تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: فعل وفاعل منصوب بكي، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل المقدرة، تقديره: فرددناه إلى أمه لقرة عينها، ﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لَا﴾: نافية، ﴿تَحْزَنَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على أم موسى، معطوف على ﴿تَقَرَّ﴾. ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾ ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿تعلم﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وفاعله ضمير يعود على أم موسى، والجملة في تأويل مصدر مجرور باللام، والتقدير: ولعلمها ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، والجار والمجرور معطوف على الجار والمجرور المقدر في قوله: ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾، ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: ناصب واسمه وخبره، والجملة في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿تعلم﴾، ﴿وَلَكِنَّ﴾ ﴿الواو﴾: حالية، ﴿لكن﴾: حرف نصب واستدراك، ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسمها، وجملة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: خبرها، ومفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾: محذوف، تقديره: كون وعد الله حقاً، وجملة ﴿لكن﴾: في محل النصب حال من اسم ﴿أنّ﴾ ولكن على تقدير الرابط؛ أي: ولتعلم أن وعد الله حق والحال أن أكثرهم لا يعلمون كون وعد الله حقاً.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَاسْتَغَٰثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾.

﴿وَلَمَّا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿لما﴾: حرف شرط غير جازم، ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة فعل شرط لـ﴿لما﴾، ﴿وَاسْتَوَىٰ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر معطوف على ﴿بَلَغَ﴾، ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، ﴿حُكْمًا﴾ مفعول ثان، ﴿وَعِلْمًا﴾: معطوف على ﴿حُكْمًا﴾، والجملة جواب ﴿لما﴾، وجملة ﴿لما﴾ مستأنفة. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿كذلك﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف، ﴿نَجْزِى﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ مفعول به، والتقدير: ونجزي المحسنين جميعاً جزاء مثل

جزائنا لموسى وأمه، والجملة معطوفة على جملة ﴿لما﴾. ﴿وَدَخَلَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة على محذوف، تقديره: وغاب عن فرعون مدة طويلة ثم رجع ودخل المدينة، ﴿دخل﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على موسى، ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾: مفعول به على السعة، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾، أو من فاعل ﴿دخل﴾؛ أي: مختلساً، ﴿مِّنْ أَهْلِهَا﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿غَفْلَةٍ﴾، ﴿فَوَجَدَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿وجد﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على موسى، معطوف على ﴿دخل﴾، ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿وجد﴾، ﴿رَجُلَيْنِ﴾: مفعول به لـ﴿وجد﴾، لأنه من وجدان الضالة، فيتعدى لمفعول واحد، وجملة ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾: صفة لـ﴿رَجُلَيْنِ﴾، ﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ، ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب صفة ثانية لـ﴿رَجُلَيْنِ﴾، وقيل في محل النصب حال من ﴿رَجُلَيْنِ﴾، لأن سيبويه جوز مجيء الحال من النكرة من غير شرط، ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿استغاثه الذي﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿وجد﴾، ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾: جار ومجرور صلة الموصول، ﴿عَلَى ٱلَّذِى﴾: متعلق بـ﴿استغاثه﴾، ﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾: صلة الموصول، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾: فعل ومفعول وفاعل معطوف على ﴿استغاثه﴾، ﴿فَقَضَىٰ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على موسى، أو على الوكز المفهوم من وكزه، ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿قضى﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على موسى، والجملة مستأنفة، ﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ، ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه، ﴿عَدُوٌّ﴾: خبره، ﴿مُّضِلٌّ﴾: صفة لـ﴿عَدُوٌّ﴾، ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة ﴿مُّضِلٌّ﴾، أو صفة ثانية لـ﴿عَدُوٌّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على موسى، والجملة مستأنفة،

﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿فَٱغْفِرْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية، ﴿اغفر﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على الله، ﴿لِي﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إن﴾، ﴿فَغَفَرَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية، ﴿غفر﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الله، والجملة معطوفة على جملة ﴿قَالَ﴾، ﴿لَهُۥٓ﴾: متعلق بغفر، ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه، ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، ﴿ٱلْغَفُورُ﴾: خبر أول لـ﴿إن﴾ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ خبر ثان لها، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على موسى، والجملة مستأنفة، ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿بِمَآ﴾ ﴿الباء﴾: حرف جر وقسم، ﴿ما﴾: مصدرية، ﴿أَنْعَمْتَ﴾: فعل وفاعل، ﴿عَلَىَّ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَنْعَمْتَ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بباء القسم، والجار والمجرور متعلق بفعل قسم محذوف، تقديره: أقسم بإنعامك علي بالمغفرة، وجواب القسم محذوف، تقديره: لأتوبن، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء، ﴿عَلَىَّ﴾ متعلقان به ﴿فَلَنْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على الجواب المحذوف، ﴿لن أكون﴾: ناصب وفعل ناقص، واسمه مستتر فيه يعود على موسى، ﴿ظَهِيرًا﴾: خبره، ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: متعلق بـ﴿ظَهِيرًا﴾، وجملة ﴿أَكُونَ﴾: معطوفة على جواب القسم المحذوف.

﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿فَأَصْبَحَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أصبح﴾: فعل ماض تام بمعنى دخل في الصباح، وفاعله ضمير يعود على موسى، ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: متعلق بـ﴿أصبح﴾، أو حال من الفاعل، ﴿خَآئِفًا﴾: حال من فاعل ﴿أصبح﴾، ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على موسى، والجملة الفعلية حال ثانية، أو ثالثة، أو حال من

الضمير في ﴿خَآئِفًا﴾ فتكون حالاً متداخلة، ومفعول ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ محذوف، تقديره: يترقب المكروه، ويجوز أن يكون ﴿أصبح﴾ ناقصاً واسمها مستتر فيها، ﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ حال ﴿خَآئِفًا﴾ خبرها، وجملة ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ حال ثانية. أو خبر ثان لها، ﴿فَإِذَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿إذا﴾ حرف فجأة، ﴿ٱلَّذِى﴾ مبتدأ، ﴿ٱسْتَنصَرَهُۥ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به، ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾: متعلق به، والجملة صلة الموصول، ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ومتعلق ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ محذوف، تقديره: على قبطي آخر، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿أصبح﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، ﴿لَهُۥ﴾: متعلق به، ﴿مُوسَىٰٓ﴾: فاعل، والجملة مستأنفة، ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه، ﴿لَغَوِىٌّ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿غوي﴾: خبره، ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة ﴿غوي﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿فَلَمَّآ﴾ ﴿الفاء﴾ عاطفة، ﴿لما﴾: حرف شرط غير جازم، ﴿أن﴾: زائدة لاطراد زيادتها بعد ﴿لما﴾ كما هنا. وقيل لو مسبوقة بقسم كقوله:

فَأُقْسِمُ أَنْ لَوِ ٱلْتَقَيْنَا وَأَنْتُمُ ... لَكَانَ لَكُمْ يَوْمٌ مِنَ ٱلشَّرِّ مُظْلِمُ

وإنما زاد ﴿أن﴾ بعد ﴿لما﴾ للإشعار بأن موسى لم تكن مسارعته إلى قتل الثاني كما كانت مسارعته إلى قتل الأول، بل كان عنده إبطاء في بسط يده إليه، فعبر القرآن عن ذلك الإبطاء بزيادة ﴿أن﴾، وقد تقدم في سورة يوسف ما يماثل هذا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾. ﴿أَرَادَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على موسى، والجملة فعل شرط لـ﴿لما﴾، ﴿أَن يَبْطِشَ﴾: ناصب وفعل مضارع منصوب، وفاعل مستتر يعود على موسى، والجملة في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، تقديره: فلما أن أراد بطشه، ﴿بِٱلَّذِى﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَبْطِشَ﴾، ﴿هُوَ عَدُوٌّ﴾: مبتدأ وخبر صلة الموصول، ﴿لَّهُمَا﴾ متعلق بـ﴿عَدُوٌّ﴾، أو صفة له، ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر

يعود على الإسرائيلي المستغيث، والجملة الفعلية جواب ﴿لما﴾، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَتُرِيدُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، ﴿تريد﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر وجوباً يعود على موسى، ﴿أَن تَقْتُلَنِى﴾: ناصب وفعل مضارع منصوب، وفاعل مستتر ونون وقاية ومفعول به، والجملة في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، تقديره: أتريد قتلك إياي، وجملة ﴿أَتُرِيدُ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء، ﴿كَمَا﴾ ﴿الكاف﴾: حرف جر. ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿قَتَلْتَ نَفْسًۢا﴾: فعل وفاعل ومفعول، ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ متعلق بـ﴿قَتَلْتَ﴾، والجملة الفعلية مع ﴿ما﴾: المصدرية في تأويل مصدر مجرور بالكاف، الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف، والتقدير: أن تقتلني قتلاً كائناً كقتلك نفساً بالأمس. ﴿إن﴾: نافية، ﴿تُرِيدُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ، ﴿أَن﴾: حرف نصب، ﴿تَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ﴿أن﴾، واسمها ضمير يعود على موسى، ﴿جَبَّارًا﴾ خبرها ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ صفة ﴿جَبَّارًا﴾، وجملة ﴿تَكُونَ﴾: في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ﴿تُرِيدُ﴾، والتقدير: إن تريد يا موسى إلا كونك جباراً في الأرض. ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿ما﴾: نافية، ﴿تُرِيدُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على موسى، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿إِن تُرِيدُ﴾، ﴿أَن﴾: حرف نصب، ﴿تَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمها ضمير يعود على موسى، ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾: خبر ﴿تَكُونَ﴾، وجملة ﴿تَكُونَ﴾: في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، والتقدير: وما تريد كونك من المصلحين. والله أعلم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ﴾؛ أي: ننزل عليك، والتلاوة: الإتيان بالثاني بعد الأول في القراءة؛ أي: نقرأ قراءة متتابعة بواسطة جبريل، يعني يقرأ عليك جبريل بأمرنا،

﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ﴾ والنبأ الخبر العجيب العظيم الشأن.

﴿عَلَا﴾؛ أي: تجبر واستكبر، ﴿شِيَعًا﴾؛ أي: فرقاً يستخدم كل صنف في عمل من بناء وحفر وحرث، إلى نحو ذلك من الأعمال الشاقة، وهو جمع شيعة بالكسر، وهو مَنْ يتقوَّى بهم الإنسان، وينتشرون عنه، لأن الشياع الانتشار والتقوية، يقال: شاع الحديث؛ أي: كثر وقوي. وشاع القوم انتشروا وكثروا.

وفي «القاموس»: و«التاج»: وغيرهما من كتب اللغة: شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، والجمع شيع وأشياع، والشيعة الفرقة، وتقع على الواحد والاثنين، والجمع مذكراً ومؤنثاً، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً، والواحد شيعي. وقال الزمخشري: ﴿شِيَعًا﴾ فرقاً يشيعونه على ما يريد ويطيعونه، لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه. قال في «كشف الأسرار»: كان القبط إحدى الشيع، وهم شيعة الكرامة.

﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ والاستضعاف جعلهم ضعفاء مقهورين، والطائفة هنا هم بنو إسرائيل، ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ وأصل الذبح شق حلق الحيوان، والتشديد هنا للتكثير، والمعنى: يقتل بعضهم إثر بعض، حتى قتل تسعين ألفاً من أبناء بني إسرائيل صغاراً.

﴿وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ والاستحياء الاستبقاء؛ أي: يتركهن أحياء للخدمة لقول بعض الكهنة له: إن مولوداً يُولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك، ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ جمع إمام، وهو من يقتدى به في الدين، أو في الدنيا، ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقال: مكَّن له إذا جعل له مكاناً موطَّأً ممهداً يجلس عليه، والمراد هنا نسلطهم على أرض مصر والشام، يتصرفون فيهما كيف يشاؤون .اهـ «أبو السعود».

﴿وَهَٰمَٰنَ﴾ وزير فرعون المذكور هنا، وهامان عدو اليهود، وزير إحشو يروش الفارسي، ذُكر في سفر استير من كتب العهد القديم، ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ والحذر الاحتراز عن مخيف كما في «المفردات»؛ أي: ما كانوا

يتوقعونه من ذهاب ملكهم، وهلاكهم على يد مولود من بني إسرائيل.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ وأصل الوحي الإشارة السريعة، ويقع على كل تنبيه خفي، والإيحاء إعلام في خفاء، قال الإمام الراغب: يقال: للكلمة الإلهية التي تُلْقى إلى أنبيائه وحي، وذلك:

١ ـ إما برسول مشاهد يرى ذاته ويُسمع كلامه، كتبليغ جبريل للنبي ﷺ في صورة معينة.

٢ ـ وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى عليه السلام كلام الله تعالى.

٣ ـ وإما بإلقاء في الروع، كما ذكر ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي».

٤ ـ وإما بإلهام، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾.

٥ ـ وإما بتسخير نحو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾.

٦ ـ وإما بالمنام كقوله ﷺ: «انقطع الوحي وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن» انتهى بإجمال، فالمراد هنا وحي الإلهام، كما ذكره الراغب، فجملة أقسام الوحي ستة. فافهم.

﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: في بحر النيل، ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ والفرق بين الخوف والحزن: أن الخوف غم يلحق الإنسان بسبب توقع مكروه يحدث في المستقبل، والحزن ـ بفتحتين وبضم فسكون ـ كالرَّشَدِ والرُّشْدِ، والسَّقَمِ والسُّقْمِ، غم يلحق الإنسان بسبب مكروه قد حصل.

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ والالتقاط إصابة الشيء وأخذه فجأة، من غير طلب له، ومنه اللقطة، وهو مال بلا حافظ، ثم يُعرف مالكه، واللقيط هو طفل لم يعرف نسبه، يطرح في الطريق أو غيره، خوفاً من الفقر أو الزنى، ويجب أخذه

إن خيف هلاكه بأن وجده في الماء، أو بين يدي سبع، وتفصيله في كتب الفقه، وآل الرجل: خاصته الذين يؤول إليه أمرهم للقرابة، أو الصحبة، أو الموافقة في الدين.

﴿خَاطِئِينَ﴾ والمراد من الخطأ هنا الخطأ في الرأي، وهو ضد الصواب والمراد به الشرك والعصيان لله، والخطا مقصوراً العدول عن الجهة، والخاطىء من يأتي بالخطأ، وهو يعلم أنه خطأ، وهو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان. يقال: خطىء الرجل إذا ضل في دينه وفعله، والمخطىء من يأتي به، وهو لا يعلم؛ أي: يريد ما يحسن فعله، ولكن يقع منه بخلاف ما يريد، يقال: أخطأ الرجل في كلامه وأمره إذا زل وهفا.

﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي﴾ يقال: قرَّت به العين إذا فرحت به وسرت، ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ والفؤاد القلب، لكن يقال له فؤاد إذا اعتُبر فيه معنى التفؤد؛ أي: التحرق والتوقد، كما في «المفردات» و«القاموس»، كما مر في مبحث التفسير بأبسط مما هنا، ﴿فَارِغًا﴾؛ أي: خالياً من العقل، لما دهمها من الخوف والحيرة، حين سمعت بوقوعه في يد عدوه، نحو ما جاء في قوله: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾؛ أي: خلاء لا عقول بها، والفراغ خلاف الشغل.

﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾ يقال: بدا الشيء بُدُواً وبَدْواً ظهر ظهوراً بيِّناً، وأبداه أظهره إظهاراً بيناً، والإبداء إظهار الشيء، ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا﴾ والربط الشد وهو العقد القوي، والربط على القلب شده، والمراد هنا تثبيته، ﴿قُصِّيهِ﴾؛ أي: اقتفى أثره، وتتبعي خبره، أمر من قص أثره قصاً وقصصاً من باب شد.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾؛ أي: أبصرته، ﴿عَن جُنُبٍ﴾؛ أي: عن بعد، يقال: جنبته وأجنبته ذهبت عن ناحيته وجنبه، ومنه الجنب لبعده عن الصلاة ومس المصحف ونحوهما، والجار الجنب؛ أي: البعيد، ويقال: الجار الجنب أيضاً للقريب اللاصق بك إلى جنبك.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ التحريم هنا بمعنى المنع، لأنه لا معنى للتحريم

الشرعي على صبي غير مكلف، والمراضع جمع مرضع ـ بضم الميم وكسر الضاد ـ وهي المرأة التي ترضع؛ أي: من شأنها الإرضاع، وإن لم تكن تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فهي بدون التاء، لأنها من الصفات الثابتة، والمرضعة بالتاء هي التي في حالة إرضاع الولد بنفسها، ففي الحديث: «ليس للصبي خير من لبن أمه، أو ترضعه امرأة صالحة كريمة الأصل، فإن لبن المرأة الحمقاء يسري وأثر حمقها يظهر يوماً». وفي الحديث أيضاً: «الرضاع يغيِّر الطباع»، قالوا: العادة جارية بأن من ارتضع امرأة، فالغالب عليه أخلاقها من خير وشر، كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي.

﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾؛ أي: يضمنون رضاعه والقيام بشؤونه، والكفالة الضمان والعيالة، يقال: كفل به كفالة وهو كفيل إذا تقبل به، وضمنه وكفله فهو كافل إذا عاله، ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ والنصح ضد الغش، وهو تصفية العمل من شوائب الفساد، وفي «المفردات»: النصح تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه. انتهى، والمراد أنهم يفعلون ما ينفعه في غذائه وتربيته، ولا يقصرون في خدمته.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ واحدة الأشد شدة، كأنعم ونعمة، وقيل: مفرد على وزن الجمع، كما مر، والشدة القوة والجلادة، وبلوغ الأشد استكمال القوة الجسمانية، وانتهاء النمو المعتد به، ﴿وَاسْتَوَى﴾ والاستواء اعتدال العقل وكماله، ويختلف ذلك باختلاف الأقاليم والأزمان والأحوال.

﴿حُكْمًا﴾ والحكم الحكمة، ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ﴾؛ أي: في وقت لا يتوقعون دخولها فيه ﴿مِن شِيعَتِهِ﴾؛ أي: ممن شايعه وتابعه في الدين، وهم بنو إسرائيل، ﴿مِنْ عَدُوِّهِ﴾؛ أي: من مخالفيه في الدين، وهم القبط، والعدو يُطلق على الواحد والجمع، ﴿فَاسْتَغَاثَهُ﴾؛ أي: طلب غوثه ونصره.

﴿فَوَكَزَهُ﴾؛ أي: فضربه بجمع يده؛ أي: بيده مجموعة الأصابع، والوكز ـ كالوعد ـ: الدفع والطعن والضرب بجمع الكف، وهو بالضم والكسر حين يقبضها، وقال أبو حيان: والوكز الضرب باليد مجموعة كعقد ثلاثة وسبعين .اهـ.

وفي «المصباح»: وكزه وكزاً ـ من باب وعد ـ إذا ضربه ودفعه، ويقال: ضربه بجمع كفه على ذقنه، ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾؛ أي: فقتله وأنهى حياته، ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ أي: من تزيينه، ﴿مُّبِينٌ﴾؛ أي: ظاهر العداوة والإضلال، ﴿فَٱغْفِرْ لِى﴾؛ أي: فاستر ذنوبي، ﴿ظَهِيرًا﴾؛ أي: معيناً.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾؛ أي: ينتظر ما يناله من أذى، وفي «المفردات»: ترقب احترز راقباً؛ أي: حافظ، وذلك إما لمراعاة رقبة المحفوظ، وإما لرفعه رقبته، ﴿ٱسْتَنصَرَهُ﴾؛ أي: طلب نصرته ومعونته، ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾؛ أي: يطلب الاستغاثة برفع الصوت، ﴿لَغَوِىٌّ﴾؛ أي: ضال من غوى يغوي كرمى يرمي، وغواية كعداوة.

﴿يَبْطِشَ﴾؛ أي: يأخذ بصولة وسطوة، ﴿جَبَّارًا﴾ والجبار هو الذي يفعل ما يفعل من غير نظر في العواقب، وقيل: هو الذي يتعاظم ولا يتواضع لأمر الله تعالى، ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾؛ أي: ممن يبغون الإصلاح بين الناس ويدفعون التخاصم بالحسن.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الإشارة بالبعيد عن القريب في قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ تنزيلاً لبعد مرتبته في الكمال منزلة بعده الحسي.

ومنها: حكاية الحال الماضية في قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ لاستحضار تلك الصورة في الذهن.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حيث شبه التسليط بالتمكين بجامع استحقاق التصرف في كل، فاستعار له اسمه، فاشتق من التمكين ـ بمعنى التسليط ـ نمكن، بمعنى نسلط على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومنها: الإضافة للتغليب في قوله: ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾ لأن الجنود إنما كانت لفرعون.

ومنها: نوع عجيب من الإطناب في قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ وهو من أجمل الإطناب، وهو أن يذكر الشيء فيؤتي فيه بمعان متداخلة، إلا أن كل معنى مختص بخصيصة ليست للآخر، فقد قلنا في باب اللغة: إن الخوف هو غم يصيب الإنسان لأمر يُتوقع نزوله في المستقبل، وأما الحزن فهو غم يصيبه لأمر وقع فعلاً ومضى، فنُهيت عنهما جميعاً.

ومنها: إيثار الجملة الاسمية على الفعلية في قوله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ولم يقل سنرده ونجعله رسولاً، وذلك للاعتناء بالبشارة، لأن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ﴾ فإن ذلك كناية عن فقدان العقل، وطيش اللب، والمعنى: أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طاش صوابها، وطار عقلها لما انتابها من فرط الجزع والدهش.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ شبه ما قذف الله في قلبها من الصبر بربط الشيء المنفلت خشية الضياع، واستعار لفظ الربط للصبر.

ومنها: الاستعارة أو المجاز المرسل في قوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ لأن من حرم عليه شيء فقد منعه، لأن الصبي ليس من أهل التكليف.

ومنها: صيغة التعظيم في قوله: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ تخاطب فرعون، ولم تقل: لا تقتله، تعظيماً له، ليساعدها على ما تريده من ترك قتله.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿يَكْفُلُونَهُۥ﴾ لأنه كناية عن إرضاعه والقيام بتربيته.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

ومنها: الإشارة على الحكاية في قوله: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ وإلا فهو والذي

من عدوه ما كانا حاضرين حال الحكاية لرسول الله ﷺ، ولكنهما لما كانا حاضرين يشار إليهما وقت وجدان موسى إياهما حكى حالهما وقتئذٍ، كما مر.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ لأنه كناية عن الموت، والقضاء في الأصل فصل الأمر.

ومنها: توسيط في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ لإبانة ما بينهما من المخالفة، من حيث أنه مناجاة ودعاء، بخلاف الأول كما مر.

ومنها: صيغة المبالغة في قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

ومنها: الطباق المعنوي بين ﴿جَبَّارٗا﴾ ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ لأن الجبار المفسد المخرب المكثر للقتل، ففيه طباق في المعنى.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ قيل: المراد[1] بهذا الرجل حزقيل، هو مؤمن آل فرعون،

(١) الشوكاني.

وكان ابن عم موسى، وقيل: اسمه شمعون، وقيل: طالوت، وقيل: شمعان، ﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾؛ أي: من آخر المدينة، أو من أبعدها، وفي سورة يس: قدم ﴿مِّنۡ أَقۡصَا﴾ على ﴿رَجُلٌ﴾ لأنه لم يكن من أقصاها، وإنما جاء منها، وهنا وصفه بأنه من أقصاها، وهما رجلان مختلفان، وقضيتان متباينتان .اهـ «سمين»، فما هنا في قضية موسى، وما هناك في قضية حوراي عيسى .اهـ، وسيأتي التعليل بغير ذلك عن «فتح الرحمٰن».

وجملة قوله: ﴿يَسۡعَىٰ﴾؛ أي: يُسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم، حتى وصل إلى موسى عليه السلام، صفة لرجل، ويجوز أن يكون في محل نصب على الحال، لأن لفظ رجل وإن كان نكرة فقد تخصص بقوله: ﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾. ويجوز أن يتعلق ﴿مِّنۡ أَقۡصَا﴾ بـ﴿جاء﴾، أو صفة لرجل، أي: جاء إلى موسى مسرعاً فوصل إليه.

فـ﴿قَالَ﴾ الرجل ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ﴾؛ أي: إن أشراف قوم فرعون ﴿يَأۡتَمِرُونَ﴾ ويتشاورون ﴿بِكَ﴾؛ أي: بسببك، وإنما سمي[1] التشاور ائتماراً لأن كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر ﴿لِيَقۡتُلُوكَ﴾؛ أي: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، فاتفقوا على أن يحتالوا فيك ليهلكوك، ﴿فَٱخۡرُجۡ﴾ من هذه المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ في أمري إياك بالخروج، ومن المشفقين عليك، واللام في قوله: ﴿لَكَ﴾ للبيان، كأنه قيل: لك أقول هذه النصيحة، وليس صلة للناصحين، لأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول، وهو اللام في الناصح، وقيل: يجوز، لأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها.

﴿فَخَرَجَ﴾ موسى عليه السلام ﴿مِنۡهَا﴾؛ أي: من المدينة حالة كونه ﴿خَآئِفٗا﴾ على نفسه من آل فرعون ﴿يَتَرَقَّبُ﴾؛ أي: يتوقع لحوق الطالبين والتعرض له في الطريق، ويكثر الالتفات، وينظر هل يلحقه أحد يطلبه.

﴿قَالَ﴾ عند ذلك يا ﴿رَبِّ نَجِّنِي﴾؛ أي: خلصني ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وادفع

---

(١) روح البيان.

عني شر الكافرين وحل بيني وبينهم، واحفظني من لحوقهم، يعني: قوم فرعون، وهذا يدل على أن قتله عليه السلام لذلك القبطي لم يكن ذنباً، فاستجاب الله دعاءه ونجاه كما سيأتي.

قال بعضهم: إن الله سبحانه إذا أراد بعبده أن يكون له فرداً أوقعه في واقعة شنيعة، ليفر من دون الله إلى الله، فلما فر إليه خائفاً من الامتحان وجد جمال الرحمٰن، وعلم أن جميع ما جرى عليه واسطة الوصول إلى المراد، نسأل الله الوصول إليه وهو خير مسؤول، وقصد الذهاب إلى مدين، لأنها ليست تحت سلطنة فرعون، ولأنه وقع في نفسه أن بينه وبين أهل مدين قرابة، لأنهم من ولد مدين بن إبراهيم عليه السلام، وهو من ذرية إبراهيم أيضاً.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾؛ أي: جعل وجهه نحو مدين، قاصداً لها؛ أي: سلك في الطريق الذي تلقاء مدين، وينتهي إليها، و﴿تِلْقَآءَ﴾ تفعال بمعنى حذاء ومقابل، وأصله من اللقاء كما سيأتي في مبحث اللغة إن شاء الله تعالى، ومدين قرية شعيب عليه السلام على بحر القلزم، سميت باسم مدين بن إبراهيم عليه السلام من امرأته قنطور، كان اتخذها لنفسه مسكناً فنسبت إليه، ولم تكن في ملك فرعون، وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام، كما بين الكوفة والبصرة، وكان هناك ثلاث طرق فأخذ موسى أوسطها، وأخذ طالبوه في الآخرين، وقالوا: المريب لا يأخذ أعظم الطرق، ولا يسلك إلا بنياتها، فبقي في الطريق ثماني ليال وهو حافٍ، لا يطعم إلا ورق الشجر.

والمعنى: ولما جعل موسى وجهه نحو مدين، وصار متوجهاً إلى جانبها ﴿قَالَ﴾ موسى توكلاً على الله وحسن ظن به، وكان لا يعرف الطرق، ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ﴾؛ أي: أرجو ربي ﴿أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ أي: الطريق الوسط المستقيم الذي يرميني إلى مدين، وكان لمدين ثلاث طرق فأخذ موسى الطريق الوسطى، وجاء الطلاب عقيبه، فقالوا: إن الفار لا يأخذ الطريق الوسط خوفاً على نفسه، بل الطرفين فشرعوا في الآخرين فلم يجدوه.

وقال ابن إسحاق: خرج موسى من مصر إلى مدين بغير زاد ولا مركوب، وبينهما مسيرة ثمانية أيام، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض، وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه.

فائدة: قوله: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ...﴾ الآية. قاله هنا بتقديم ﴿رَجُلٌ﴾ على ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾، وعكس في سورة يسٓ حيث قال: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ...﴾ الآية، قيل موافقة هنا لقوله قبل فوجد فيها رجلين يقتتلان، واهتماماً ثَمَّ بتقديم ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾، لما روي أن الرجل حزقيل، وقيل: حبيب، كان يعبد الله في جبل فلما سمع خبر الرسل سعى مستعجلاً .اهـ من «فتح الرحمٰن».

وحاصل معنى الآيات: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: وجاء[1] رجل مؤمن من آل فرعون، يُخفي إيمانه عن فرعون وآله لأسباب، هو بها عليم، يُسرع للحاق بموسى، إشفاقاً وخوفاً عليه أن يصيبه مكروه من فرعون وآله، وقال: يا موسى إن الملك وبطانته وأشراف دولته يدبرون لك المكايد، وينصبون لك الحبائل، يريدون أن يقتلوك، فالبدار البدار، والهرب الهرب، قبل أن يقبضوا عليك، وينفذوا ما دبروه، ويقتلوك فاخرج من المدينة مسرعاً، وإني لك لناصح أمين.

فانتصح بنصحه، وتقبل قوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا﴾؛ أي: فخرج من مدينة فرعون خائفاً، يترقب لحوق الطالبين، ويلتفت يميناً وشمالاً، وينظر أيتبعه أحد أم لا؟ ثم لجأ إلى الله تعالى، علماً منه أن لا ملجأ إلا إليه.

﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: قال: رب نجني من هؤلاء الذين من دأبهم الظلم والعسف، ووضع الأمور في غير مواضعها، فيقتلون من لا يستحق القتل، ومن لا يُجرم إلى أحد، فاستجاب الله دعاءه، ووفقه إلى سلوك الطريق الأعظم نحو مدين.

---

(١) المراغي.

ولما اتجه نحو مدين ماضياً إليها خارجاً عن مدينة فرعون قال: رب اهدني إلى سواء السبيل، وأرشدني إلى الطريق القويم، ونجني من هؤلاء الظلمة، وقد قال هذا توكلاً على الله، وثقة بحسن توفيقه، وقد كان لا يعرف الطريق، فعنَّ له ثلاث طرائق، فسار في الوسطى، وأخذ طالبوه في الآخرين، وقالوا: المريب لا يسلك أعظم الطرق، بل يأخذ بنياتها ـ أضيقها غير المشهور ـ، وقد روي: أنه بقي ثماني ليال وهو حاف لا يطعم إلا ورق الشجر، إذ ليس معه زاد، ولا دابة يركبها.

ثم ذكر سبحانه ما جرى له حين وصوله إلى مدين من الأحداث، فقال: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ﴾؛ أي: ولما وصل موسى وجاء ﴿مَآءَ مَدْيَنَ﴾ وهو[1] بئر على طرف المدينة على ثلاثة أميال منها أو أقل كانوا يسقون منها، قال[2] ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ورد موسى عليه السلام ماء مدين وإنه ليتراءى خضرة البقل في بطنه من الهزال، ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على جانب البئر وفوق شفيرها ﴿أُمَّةً﴾؛ أي: جماعة كثيرة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: من أهل مدين ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشيهم من مائها، قيل: كانوا أربعين رجلاً.

﴿وَوَجَدَ﴾ موسى ﴿مِن دُونِهِمُ﴾؛ أي: من دون الناس الذين يسقون، أي: في مكان أسفل منهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ﴾ صفورياء وليا، ابنتا يثرون، ويثرون هو شعيب. قاله السهيلي في «كتاب التعريف»، ﴿تَذُودَانِ﴾؛ أي[3]: تحبسان وتمنعان أغنامهما عن التقدم إلى الماء حتى يفرغ الناس، وتخلو لهما البئر. وقيل: تكفان أغنامهما عن أن تختلط بأغنام الناس، وقيل تمنعان أغنامهما عن أن تَنِدَّ، وتذهب، والقول الأول أولى لما بعده، وقوله: ﴿قَالَ﴾ موسى للمرأتين ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾؛ أي: ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس، والخطب[4] الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب؛ أي: ما شأنكما فيما أنتما عليه من التأخر والذود، ولم لا تباشران

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) الخازن.

(٤) روح البيان.

السقي كدأب هؤلاء.

قال بعضهم: كيف استجاز موسى أن يكلم امرأتين أجنبيتين؟

والجواب: كان آمناً على نفسه معصوماً من الفتنة، فلأجل علمه بالعصمة كلمهما، كما يقال: كان للرسول ﷺ التزوج بامرأة من غير شهود، لأن الشهود لصيانة العقد عن التجاحد، وقد عُصم الرسول من أن يجحد نكاحاً، أو يُجحد نكاحه، دون غيره من أفراد أمته.

وقرأ شَبَمْرٌ[1]: ﴿خِطبكما﴾ بكسر الخاء؛ أي: من زوجكما، ولم لا يسقي هو، وهذه القراءة نادرة، ﴿قَالَتَا﴾؛ أي: البنتان ﴿لَا نَسْقِى﴾، أي: لا نقدر أن نسقي أغنامنا ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾؛ أي: حتى يصرف الرعاء مواشيهم عن الماء.

والمعنى[2]: عادتنا أن لا نسقي مواشينا حتى يصرف الرعاء مواشيهم بعد ريها، ويرجعوا، عجزاً عن مساجلتهم وحذراً من مخالطة الرجال، فإذا انصرفوا سقينا من فضل مواشيهم، وحذف مفعول السقي والذود والإصدار، لما أن الغرض هو بيان تلك الأفعال أنفسها، إذ هي التي دعت موسى إلى ما صنع في حقهما من المعروف، فإنه عليه السلام إنما رحمهما لكونهما على الذياد والعجز والعفة، وكونهم على السقي غير مبالين بهما، وما رحمهما لكون مذودهما غنماً ومستقيهم إبلاً مثلاً.

وقرأ ابن مصرف[3]: ﴿لا نُسقي﴾ بضم النون، وقرأ أبو جعفر وشيبة والحسن وقتادة وأبو عمر وابن عامر: ﴿يصدر﴾ بفتح الياء وضم الدال؛ أي: يصدرون بأغنامهم، وقرأ باقي السبعة والأعرج وطلحة والأعمش وابن أبي إسحاق وعيسى: بضم الياء وكسر الدال؛ أي: يصدرون أغنامهم.

وقرأ الجمهور[4]: ﴿ٱلرِّعَآءُ﴾ بكسر الراء جمع تكسير، قال الزمخشري: وأما

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

(٤) البحر المحيط.

الرِعاء بالكسر فقياس، كصيام وقيام. انتهى، قلتُ وليس بقياس، لأنه جمع راع، وقياس فاعل الصفة للعاقل أن تُكسر على فُعلة، كقاض وقضاة، وما سوى جمعه هذا، فليس بقياس، وقرىء ﴿الرعاء﴾ بضم الراء، وهو اسم جمع كالرحال والثناء، قال أبو الفضل الرازي، وقرأ عياش عن أبي عمرو: ﴿الرعاء﴾ بفتح الراء وهو مصدر أقيم مقام الصفة، فاستوى لفظ الواحد والجماعة فيه، وقد يجوز أنه حذف منه المضاف.

وقولهما: ﴿وَأَبُونَا﴾ وهو شعيب عليه السلام ﴿شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ السن، أو القدر والشرف، لا يستطيع أن يخرج، فيرسلنا للرعي والسقي اضطراراً، اعتذار إلى موسى عن مباشرتهما السقي بأنفسهما، وتنبيه على أن أباهما لا يقدر على السقي لشيخوخته وكبره، واستعطاف لموسى في إعانتهما.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ ماشيتهما رحمة عليهما، وطلباً لوجه الله تعالى، قيل: عمد موسى إلى بئر على رأسه صخرة، لا يرفعها إلا عشرة رجال، فنحاها بنفسه، واستقى الماء من ذلك البئر، روي[1] أن الرجال كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يرفعه إلا سبعة رجال، أو عشرة أو أربعون، فرفعه وحده، مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم، ولعله زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عن ذلك، وهو الذي يقتضيه سوق النظم الكريم.

﴿ثُمَّ﴾ بعد فراغه من السقي ﴿تَوَلَّىٰٓ﴾؛ أي: أعرض وانصرف موسى ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾؛ أي: ظلُّ سَمْرةٍ هناك، فجلس فيه ليستريح من حر الشمس، وهو جائع لم يذق طعاماً سبعة أيام، والظل هو المكان الذي لم يقع عليه شعاع الشمس ﴿فَقَالَ﴾ يا ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾؛ أي: إلى ما تنزله إلي من خير، واللام بمعنى إلى متعلق بـ﴿فقير﴾، و﴿أَنزَلْتَ﴾ بمعنى المضارع، ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ بيان لـ﴿ما﴾ ﴿فَقِيرٌ﴾ خبر ﴿إن﴾، والمعنى: يا إلهي إني محتاج فقير إلى ما تنزله إلي من خزائن جودك ورزقك أي رزق كان، ولو شق تمرة.

---

(١) روح البيان.

وروي عن ابن عباس أنه قال: لقد قال موسى ذلك، وهو أكرم خلق الله عليه، ولقد افتقر إلى شق تمرة، ولصق بطنه بظهره من شدة الجوع، وقال المفسرون: تعرض لما يطعمه لما ناله من الجوع، ولم يصرح بالسؤال، وحكى ابن جرير: أنه أسمع المرأتين هذا الكلام تعريضاً أن تطعماه.

ويحتمل أن يريد[١]: رب إني بسبب ما أنزلت إلي من خير الدين، وهو النجاة من الظالمين، صرت فقيراً في الدنيا، وذلك لأن موسى كان عند فرعون في ثروة وملك، فقال ذلك رضاً بهذا البدل الديني، وفرحاً به، وشكراً له.

ولما كان موسى عليه السلام جائعاً سأل من الله ما يأكل، ولم يسأل من الناس ففطنت الجاريتان، فلما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس، وأغنامهما قفلت، قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقى لنا، ثم تولى إلى الظل فقال: رب إلخ، فقال أبوهما: هذا رجل جائع، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لنا.

﴿فَجَآءَتۡهُ﴾؛ أي: فجاءت موسى ﴿إِحۡدَىٰهُمَا﴾؛ أي: إحدى البنتين، عقيب ما رجعتا إلى أبيهما، وهي الكبرى عند الأكثرين، واسمها صفورياء أو صفوراء، فإن قلت: كيف جاز لشعيب إرسال ابنته لطلب أجنبي؟ قلت: لأنه لم يكن له من الرجال من يقوم بأمره، ولأنه ثبت عنده صلاح موسى وعفته، بقرينة الحال، وبنور الوحي.

وقرأ ابن محيصن[٢]: ﴿فجاءته احداهما﴾ بحذف همزة إحداهما تخفيفاً، على غير قياس، مثل ويل امه، في ويل أمه، ويا بافلان، والقياس أن يُجعل بين وبين، ذكره أبو حيان.

حالة كونها ﴿تَمۡشِي﴾ حال من فاعل جاءته ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾؛ أي: على ما

---

(١) المراح.

(٢) البحر المحيط.

هو عادة الأبكار، مائلة عن الرجال، رافعة كمها على وجهها؛ أي: جاءته مستحية متحفزة، قد سترت وجهها بكم درعها، قال أبو بكر بن طاهر[1]: لتمام إيمانها، وشرف عنصرها، وكريم نسبها، أتته على استحياء، وفي الحديث: «الحياء من الإيمان»؛ أي: شعبة منه، قال أعرابي: لا يزال الوجه كريماً ما غلب حياؤه، ولا يزال الغصن رطباً ما بقي لحاؤه.

والجمهور على أن الداعي أباهما، هو شعيب عليه السلام، وهما ابنتاه[2]، وقال الحسن: هما ابنتا أخي شعيب، وهو مروان، وأن شعيباً كان قد مات، وقال أبو عبيدة: هارون، وقيل: هو رجل صالح ليس من شعيب يُنسب، وقيل: كان عمهما صاحب الغنم، وهو المزوج، عبَّرت عنه بالأب، إذ كان بمثابته، والأول أرجح، وهو ظاهر النظم القرآني.

﴿قَالَتْ﴾ استئناف بياني، كأنه قيل: ماذا قالت له لما جاءته؟ ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾؛ أي: ليكافئك ﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾؛ أي: جزاء سقيك لنا.

فإن قلت: إن موسى[3] لم يسق لابنتي شعيب طلباً للأجر، فكيف أجاب دعوة شعيب في قول ابنته له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾؟

قلت: يجوز أن يكون أجاب دعوته لوجه الله تعالى، على وجه البر والمعروف لا طلباً للأجر، وإن سمي في الدعوة أجراً. اهـ «فتح الرحمن»، ولأنه[4] كان بين الجبال خائفاً مستوحشاً فأجابها.

فانطلقا وهي أمامه، فألزقت الريح ثوبها بجسدها، فوصفته أو كشفته عن ساقيها، فقال لها: امشي خلفي، وانعتي إليَّ الطريق، فتأخرت، وكانت تقول: عن يمينك وشمالك وقدامك، حتى أتيا دار شعيب، فبادرت المرأة إلى أبيها فأخبرته، فأذن له في الدخول، وشعيب يومئذٍ شيخ كبير، وقد كُفَّ بصره، فسلَّم موسى فرد عليه السلام وعانقه، ثم أجلسه بين يديه، وقدَّم إليه طعاماً فامتنع منه،

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) فتح الرحمٰن.
(٤) روح البيان.

وقال: أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيته، وإنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا، لأنه كان من بيت النبوة من أولاد يعقوب، فقال شعيب: لا والله يا شاب، ولكن هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا، فتناول هذا، وإنَّ مَنْ فعل معروفاً فأُهدي إليه شيء لم يحرم أخذه، وفي «الكشاف»: أنَّ طلب الأجرة لشدة الفاقة غير منكر، وهو جواب آخر، ويشهد لصحته ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ اهـ.

والمعنى[1]: أي فجاءته إحدى المرأتين تمشي، وهي حيية، قد سترت وجهها بثوبها، قائلة: إن أبي يدعوك ليكافئك على ما صنعت من الإحسان، وأسديت إلينا من المعروف بسقي غنمنا، قال عمرو بن ميمون: ولم تكن سلفعاً من النساء ـ جريئة على الرجال ـ خرَّاجة ولاَّجة، وقد أسندت إلى أبيها وعللتها بالجزاء، حتى لا يتوهم من كلامها شيء من الريبة، كما أن في كلامها دلالة على كمال العقل، والحياء والعفة كما لا يخفى.

ولما قدمت هذه المرأة إلى موسى أجابها تبركاً بالشيخ وزيارة له، لا طمعاً في الأجر، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾؛ أي: فلما جاء موسى هذا الشيخ ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾؛ أي: وحدثه حديثه مع فرعون وآله، في كفرهم وطغيانهم وإذلالهم للعباد، وتآمرهم على قتله، وهربه منهم بعد الذي علمه.

والقصص مصدر، سمي به المفعول كالعلل؛ أي: المقصوص، يعني: أخبره بجميع ما اتفق له، من عند قتله القبطي إلى عند وصوله إلى ماء مدين، ﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿لَا تَخَفْ﴾ من حولهم وطولهم، إنك قد ﴿نَجَوْتَ مِنَ﴾ سطوة أولئك ﴿ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: من فرعون وقومه، فإنه لا سلطان لهم بأرضنا، ولسنا في مملكتهم، أو المعنى: قَبِل الله دعاءك في قولك: ﴿نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وفيه[2]: إشارة إلى أن مَنْ وقع في الخوف يقال له: ﴿لَا تَخَفْ﴾ كما أن من وقع في الأمن يقال له: خف، وقال أويس القرني ـ رحمه الله تعالى ـ: كن في

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

أمر الله كأنك قتلت الناس كلهم، يعني: خائفاً مغموماً .اهـ.

ثم إن موسى قد تربى عند فرعون بالنعمة الظاهرة، ولما هاجر إلى الله، وقاسى مشاق السفر والغربة عوَّضه الله عند شعيب النعمة الظاهرة والباطنة، وقد قيل:

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضاً عَمَّنْ تُفَارِقُهُ وَٱنْصَبْ فَإِنَّ ٱكْتِسَابَ ٱلْمَجْدِ فِيْ ٱلنَّصَبِ
فَٱلأُسْدُ لَوْلاَ فِرَاقُ ٱلْخِيْسِ مَا ٱفْتَرَسَتْ وَٱلسَّهْمُ لَوْلاَ فِرَاقُ ٱلْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ

وقيل أيضاً:

بِلاَدُ ٱللَّهِ وَاسِعَةٌ فَضَاءٌ وَرِزْقُ ٱللَّهِ فِيْ ٱلدُّنْيَا فَسِيْحُ
فَقُلْ لِلْقَاعِدِيْنَ عَلَىٰ هَوَانٍ إِذَا ضَاقَتْ بِكُمْ أَرْضٌ فَسِيْحُوْا

ألا ترى أن موسى عليه السلام وُلد بمصر، ولما ضاقت به هاجر إلى أرض مدين، فوجد السعة مطلقاً، فالكامل لا يكون زمانياً ولا مكانياً، بل يسيح إلى حيث أمر الله تعالى، من غير ليِّ العنق إلى ورائه، ولو كان وطنه، فإن الله تعالى إذا كان مع المرء فالغربة له وطن، والمضيق له وسيع.

ولما أمَّنه وطمأنه على نفسه دار الحديث، وكان ذا شجون و﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا﴾؛ أي: قالت واحدة من البنتين، وهي الكبرى التي استدعته إلى أبيها، وهي التي تزوجها موسى ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾؛ أي: يا أبي ويا والدي ﴿ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ لنا؛ أي: اتخذ موسى أجيراً لرعي الغنم، والقيام بأمرها.

وفيه[1]: دليل على أن الإجارة كانت عندهم مشروعة، وقد اتفق على جوازها ومشروعيتها جميع علماء الإسلام إلا الأصم، فإنه من سماع أدلتها أصم.

وجملة قوله: ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ تعليل لما وقع منها من الإرشاد لأبيها إلى استئجار موسى؛ أي: إنه حقيق باستئجارك له، لكونه جامعاً

(١) الشوكاني.

بين خصلتي القوة والأمانة؛ أي: إن خير من استعملت على عملك من قوي على عملك وأدى الأمانة.

ورُوي: أن أباها قال لها: ما رأيت من قوته وأمانته، فأخبرته بالأمر الذي كان، قالت: أما قوته فإنه قلب الحجر وحده، وكان لا يقلبه إلا النفر، وأما أمانته، فإنه قال: امشي خلفي وأرشديني الطريق، لأني امرؤ من عنصر إبراهيم، لا يحل لي منك ما حرمه الله تعالى.

فخصَّت[1] هاتين الخصلتين بالذكر، لأنها كانت تحتاج إليهما في ذلك الوقت، أما القوة فلسقي الماء، وأما الأمانة فلحفظ البصر، وصيانة النفس عنها، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ لأن الحفظ والعلم كان محتاجاً إليهما، أما الحفظ فلأجل ما في خزانة الملك، وأما العلم فلمعرفة ضبط الدخل والخرج، واللام في القوي الأمين للجنس، لا للعهد، فيكون موسى مندرجاً تحته، ولا يخفى أن مقالها من جوامع الكلم والحكمة البالغة، لأنه متى اجتمعت هاتان الصفتان: الأمانة والكفاية في القائم بأداء أمر من الأمور تكلل عمله بالظفر، وكفل له أسباب النُّجْح، وقيل القوي في دينه، الأمين في جوارحه.

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أفرس الناس ثلاثة: بنت شعيب، وصاحب يوسف في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ﴾، وأبو بكر في عمر.

قال المفسرون: فرغب فيه شعيب فـ﴿قَالَ﴾ له ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ﴾؛ أي: أزوجك يا موسى ﴿إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾؛ أي: الحاضرتين أمامك، فانظر من يقع اختيارك عليها منهما، وفيه مشروعية عرض وليِّ المرأة لها على الرجل، وهذه سنة ثابتة في الإسلام، كما ثبت من عرض عمر لابنته حفصة على أبي بكر وعثمان. والقصة معروفة.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي﴾ نفسك أو على أن تكون أجيراً لي ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾؛ أي: ثماني سنوات ترعى لي فيها غنمي؛ أي: حال كونك مشروطاً عليك أن تكون لي

(١) روح البيان.

أجيراً في رعي غنمي ثماني سنوات، وقوله[1]: ﴿هَٰتَيْنِ﴾ يدل على أنه كان له غيرهما، وهذه مواعدة منه، ولم يكن ذلك عقد نكاح، إذ لو كان عقداً لقال: قد أنكحتك.

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ﴾ الثماني السنين التي شرطتها عليك، فجعلتها ﴿عشراً فـ﴾ إحسان ﴿مِنْ عِندِكَ﴾؛ أي: فإتمامها من عندك تفضلاً، لا من عندي إلزاماً عليك، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾؛ أي: وما أحب أن أشاقك بمناقشة، أو مراعاة أوقات، ولا إتمام عشر، ولا غير ذلك.

ثم رغبه في قبول الإجارة فقال: وإنك ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في حسن الصحبة، والوفاء بالعهد ولين الجانب؛ أي: ممن تحسن صحبتهم، ويوفون بما تريد من خير لك ولنا، وقيل[2]: أراد بالصلاح على العموم، فيدخل صلاح المعاملة في تلك الإجارة تحت الآية دخولاً أولياً.

ومراده بالاستثناء[3]: التبرك به، وتفويض الأمر إلى توفيقه، لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى، وقرأ ورش أحمد بن موسى عن أبي عمرو: ﴿أنكحك احْدَى﴾ بحذف الهمزة، ذكره أبو حيان.

واعلم: أن قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾ شرط، وليس بصداق، لقوله: تأجرني نفسك، دون تأجرها نفسك. ويجوز أن يكون النكاح جائزاً في تلك الشريعة بشرط أن يكون منعقد العمل في المدة المعلومة لولي المرأة، كما يجوز في شريعتنا، بشرط رعي غنمها في مدة معلومة.

واعلم: أن المهر لا بد وأن يكون مالاً متقوماً؛ أي: في شريعتنا لقوله تعالى: ﴿أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم﴾ وأن يكون مسلماً إلى المرأة لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ فلو تزوجها على تعليم القرآن، أو خدمته لها سنة يصح النكاح، ولكن يصار إلى مهر المثل، لعدم تقويم التعليم والخدمة، هذا إن كان الزوج

---

(١) النسفي.
(٢) الشوكاني.
(٣) روح البيان.

حراً، وإن كان عبداً فلها الخدمة، فإن خدمة العبد ابتغاء بالمال، لتضمنها تسليم رقبته، ولا كذلك الحر، فالآية سواء حُملت على الصداق، أو على الشرط، فناظرة إلى شريعة شعيب، فإن الصداق في شريعتنا للمرأة، لا للأب. والشرط وإن جاز عند الشافعي، لكنه لكونه جراً لمنفعة المهر ممنوع عند الإمام أبي حنيفة رحمهما الله تعالى، وقال بعضهم: ما حُكي عنهما بيان لما عزما عليه، واتفقا على إيقاعه، من غير تعرض لبيان موجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلاً.

واعلم: أن في فرار موسى من فرعون إلى شعيب إشارة إلى أنه ينبغي لطالب الحق أن يسافر من مقام النفس الأمارة إلى عالم القلب، ويفر من سوء قرين، كفرعون إلى خير قرين كشعيب، ويخدم المرشد بالصدق والثبات.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قاله هنا[1] بلفظ الصالحين، وفي الصافات بلفظ ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ حيث قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ لأن ما هنا من كلام شعيب، وهو المناسب للمعنى هنا، إذ المعنى ستجدني من الصالحين في حسن العشرة والوفاء بالعهد، وما هناك من كلام إسماعيل، وهو المناسب للمعنى، ثم إذ المعنى ستجدني من الصابرين على الذبح.

ثم ذكر جواب موسى بقوله: ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام لشعيب ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قلته وعاهدتني فيه، وشارطتني عليه قائم وثابت ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ﴾ جميعاً، لا أنا أخرج عما شرطت عليَّ، ولا أنت تخرج عما شرطت على نفسك، ﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ﴾ الثمانية الأعوام والعشرة الأعوام، فأي شرطية[2]، منصوبة بـ﴿قَضَيۡتُ﴾، وما زائدة مؤكدة لإبهام أي في شياعها، والأجل مدة الشيء.

والمعنى: أي الأجلين أكثرهما أو أقصرهما ﴿قَضَيۡتُ﴾ وأتممت ووفيتك بأداء الخدمة فيه، وجواب الشرط قوله: ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾؛ أي: لا تعدي علي، ولا تجاوز بطلب الزيادة، فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة

---

(١) فتح الرحمٰن. (٢) روح البيان.

على الثمان، أو أيَّما الأجلين قضيت فلا إثم علي، يعني: كما لا إثم علي في قضاء الأكثر، كذلك لا إثم علي في قضاء الأقصر. والأول أظهر.

﴿وَٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ من الشروط الجارية بيننا ﴿وَكِيلٌ﴾؛ أي: شاهد وحفيظ، فلا سبيل لأحد منا إلى الخروج عنه أصلاً. فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين، وزوجه ابنته صفورياء، ودخل موسى البيت، وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنين، كما في «فتح الرحمٰن».

وقرأ الحسن والعباس عن أبي عمرو[1]: ﴿أيما﴾ بحذف الياء الثانية، كما قال الشاعر:

تَنَظَّرْتُ نَصْراً وَٱلسِّمَاكَيْنِ أَيَمَا عَلَيَّ مِنَ ٱلْغَيْثِ ٱسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهْ

وقرأ عبد الله ﴿أي الأجلين ما قضيت﴾ بزيادة ما بين ﴿ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ و﴿قَضَيْتُ﴾.

قال الزمخشري: فإن قلت: ما الفرق بين موقع المزيدة في القراءتين؟

قلت: وقعت في المستفيضة مؤكدة لإبهام أي زائدة في شياعها، وفي الشاذة تأكيداً للقضاء، كأنه قال: أي الأجلين صممت على قضائه، وجرَّدتُ عزيمتي له، وقرأ أبو حيوة وابن قطيب: ﴿فلا عدوان﴾ بكسر العين.

قال أبو حيان[2]: وظاهر قوله: ﴿أَنْ أُنكِحَكَ﴾ أن الإنكاح إلى الولي، لا حق للمرأة فيه، خلافاً لأبي حنيفة في بعض صوره، بأن تكون بالغة عالمة بمصالح نفسها، فإنها تعقد على نفسها بمحضر من الشهود.

وفيه دليل على عرض الولي وليته على الزوج، وقد فعل ذلك عمر، كما مر، ودليل على تزويج ابنته البكر من غير استئمار، وبه قال مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة: إذا بلغت البكر فلا تزوج إلا برضاها، قيل: وفيه دليل على قول من قال: لا ينعقد النكاح إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج، وبه قال ربيعة والشافعي

---

(١) البحر المحيط. (٢) البحر المحيط.

وأبو ثور وأبو عبيد وداود، و﴿إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ﴾ مبهم، وهذا عرض، لا عقد، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ﴾، وحين العقد يعين من شاء منهما، وكذلك لم يحد أول أمد الأجارة، والظاهر جواز النكاح بالإجارة، وبه قال الشافعي وأصحابه، وابن حبيب، وقال الزمخشري لهاتين: فيه دليل على أنه كانت له غيرهما. انتهى كما مر، ولا دليل في ذلك لأنهما كانتا هما اللتين رآهما تذودان، وجاءته إحداهما فأشار إليهما، والإشارة إليهما لا تدل على أن له غيرهما.

رُوي[1]: أنه لما أتم العقد قال شعيب لموسى: ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي، وكانت عنده عصيُّ الأنبياء، فأخذ عصاً هبط بها آدم من الجنة، ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى شعيب، فمسَّها وكان مكفوفاً، فلم يرضها له خوفاً من أن لا يكون أهلاً لها، وقال: غيرها، فما وقع في يده إلا هي سبع مرات، فعلِمَ أن لموسى شأناً، وحين خرج للرعي قال له شعيب: إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ عن يمينك، فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنيناً ـ التنين بوزن السكيت: الحية العظيمة، كما في «القاموس» ـ أخشى منه عليك وعلى الغنم، فأخذت الغنم ذات اليمين، ولم يقدر على كفها، ومشى على أثرها، فإذا عشب وريف لم يُرَ مثله فنام، فإذا بالتنين قد أقبل، فحاربته العصا حتى قتلته، وعادت إلى جنب موسى دامية، فلما أبصرها دامية والتنين مقتولاً.. سُرَّ، ولما رجع إلى شعيب أخبره بالشأن، ففرح شعيب، وعلم أن لموسى والعصا شأناً، وقال: إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع، ودرعاء ـ أبلق وبلقاء ـ والدرع البياض في صدور الشاء ونحورها، فأوحى الله سبحانه إليه في المنام: أن اضرب بعصاك الماء الذي هو في مستقى الأغنام، ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء، فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى إلى موسى وامرأته، فوفى له بالشرط، وسلَّم إليه الأغنام، قال أبو الليث: مثل هذا الشرط في شريعتنا غير واجب، إلا أن الوعد من الأنبياء واجب، فوفاه بوعده. انتهى.

---

(١) روح البيان.

والفاء في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ عاطفة على محذوف معلوم من السياق، تقديره: فعقد شعيب العقدين، وباشر موسى ما التزمه، وأتم أبعد الأجلين، وهو عشر سنين، فلما قضى موسى وأتم الأجل المشروط بينهما، وفرغ منه استأذن موسى شعيباً في زيارة أهله في مصر، فبكى شعيب وقال: يا موسى كيف تفارقني وقد ضعفت وكبرت الآن، فقال له موسى: قد طالت غيبتي عن أمي وخالتي وهارون أخي وأختي في مملكة فرعون، فقام شعيب وبسط يديه، وقال: يا رب بحرمة إبراهيم الخليل وإسماعيل الصفي وإسحاق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رُدَّ عليَّ قوّتي وبصري، فأمَّن موسى على دعائه، فردَّ الله عليه بصره وقوَّته، ثم أذن له في الذهاب، وأوصاه بابنته.

﴿وَسَارَ﴾ موسى وذهب بإذن شعيب نحو مصر، لصلة رحمه وزيارة أمه وأخيه وأخته، حالة كونه متلبساً ﴿بِأَهْلِهِۦٓ﴾؛ أي: بزوجته صفورياء وولده منها ـ فإنها ولدت منه قبل السير ـ والخادم، وفيه دليل على أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء، وكان في البرية والليلة مظلمة باردة، فضرب خيمته على الوادي، وأدخل أهله فيها، وأوى أغنامه حولهم، وقد كان ساقها معه، وكانت امرأته حاملاً، فأخذها الطلق فأراد أن يقدح، فلم يظهر له نار فاغتم لذلك، فحينئذٍ ﴿ءَانَسَ﴾ وأبصر ﴿مِن جَانِبِ﴾ جبل ﴿ٱلطُّورِ نَارًا﴾؛ أي: من الجهة التي تلي جبل الطور على يسار الطريق ناراً مضيئة، قال بعضهم: أبصر ناراً دالة على الأنوار، لأنه رأى النور على هيئة النار، لكون مطلبه النار، والإنسان يميل إلى الأشياء المعهودة المأنوسة، ولا تخلو النار من الاستئناس خاصة في الشتاء، وكان شتاء، تجلِّى الحق بالنور في لباس النار على حسب إرادة موسى، وهذه سنته تعالى، ألا ترى إلى جبريل أنه عَلِمَ أن النبي عليه السلام أحب دحية، فكان أكثر مجيئه إليه في صورة دحية.

فلما آنس ناراً ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ هٰهنا، واثبتوا فيه، وانتظروني حتى أرجع إليكم فـ﴿إني أنست﴾ وأبصرت ﴿نَارًا﴾ مضيئة من جانب الطور، فـ﴿لعلي آتيك منها﴾؛ أي: من عند النار ﴿بِخَبَرٍ﴾ الطريق إلى مصر، وقد كان

ضل الطريق وتحيَّر ﴿أَوْ﴾ آتيكم بـ﴿جَذْوَةٍ﴾؛ أي: بعود غليظ متقد ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ وتتسخنون بتلك النار؛ أي: لكي تتدفؤوا بها، والجذوة العود الغليظ، سواء كانت في رأسه نار أو لا، ولذلك وصفها بقوله من النار.

وقرأ حمزة[1]: ﴿لأهله امكثوا﴾ في الوصل بضم الهاء، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿إني﴾ بفتح الياء، وقرأ الجمهور[2]: ﴿جذوة﴾ بكسر الجيم، وقرأ حمزة ويحيى بن وثاب والأعمش وطلحة وأبو حيوة: بضمها، وقرأ عاصم والسلمي وذر بن حبيش: بفتحها.

ومعنى الآية[3]: أي فلما وفى موسى الأجل الذي اتفق عليه مع حميه تحمَّل بأهله، وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره، وسلك بهم الطريق في ليلة مطيرة وظلمة باردة، ونزل منزلاً، فجعل كلما أورى زنده لا يضيء شيئاً، فعجب لذلك، وبينا هو كذلك رأى ناراً تضيء عن بُعد، فقال لأهله: انتظروا قليلاً إني أبصرت ناراً، لعلي آتيكم منها بخبر الطريق، وكانوا قد ضلوا عنه، أو آتيكم بقطعة من الحطب فيها نار، لتستدفئوا بها من البرد، وكان الوقت شتاء، فترك موسى أهله في المنزل الذي أنزلهم فيه، وذهب إلى النار التي أبصرها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾؛ أي: أتى النار التي أبصرها وجاءها ﴿نُودِيَ﴾ موسى ﴿مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ﴾؛ أي: من طرف الوادي وجانبه، وقوله: ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ صفة للشاطىء، وهو إما من اليُمْنِ بمعنى البركة، لكونه مباركاً فيه على موسى، أو من اليمين المقابل لليسار بالنسبة إلى موسى؛ أي: من الطرف الذي يلي يمينه دون يساره؛ أي: أتاه النداء من الطرف الأيمن من الوادي.

وقوله: ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ متعلق بنودي؛ أي: نودي موسى في البقعة المباركة على موسى، والبقعة قطعة من الأرض لا شجر فيها، كما سيأتي في مباحث اللغة، وُصفت بكونها مباركة، لأنه حصل فيها ابتداء الرسالة، وتكليم الله

(١) المراح.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.

إياه، أو متعلق بمحذوف حال من الشاطىء.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ﴾ بضم الباء، وقرأ أبو سلمة والأشهب العقيلي ومسلمة: بفتحها، وهي لغة حكاها أبو زيد، قال: سمعت العرب تقول هذه بقعة طيِّبة بفتح الباء.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدل اشتمال من شاطىء الواد، لأنها كانت ثابتة على الشاطىء، وبقيت إلى عهد هذه الأمة، كما في «كشف الأسرار»، وكانت[2] عُنَّاباً أو سمرة أو سدرة أو زيتوناً أو عوسجاً، والعوسج إذا عظم يقال له الغرقد، بالغين المعجمة. وفي الحديث: «إنها شجرة اليهود ولا تنطق» يعني إذا نزل عيسى وقتل اليهود فلا يختفي منهم أحد تحت شجرة إلا نطقت، وقالت: يا مسلم هذا يهودي فاقتله إلا الغرقد، فإنه من شجرهم فلا ينطق، كما في «التعريف والأعلام» للإمام السهيلي.

﴿أَن﴾ مفسرة بمعنى أي، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: أنا الله الذي ناديتك ودعوتك باسمك، وأنا رب الخلائق أجمعين، وهذا أول كلامه لموسى، وهو وإن خالف لفظاً لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المقصود، ويجوز[3] أن تكون أن هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، وجملة النداء مفسرة له. والأول أولى.

وقرأ الجمهور بكسرة همزة ﴿إني﴾ على إضمار القول، أو على تضمين النداء، معناه: وقُرىء بالفتح فهي معمولة لفعل مضمر، تقديره: أي يا موسى اعلم أني أنا الله رب العالمين.

ومعنى الآية: أي فلما جاء إلى النار التي أبصرها من جانب الطور ناداه ربه من جانب الوادي الأيمن؛ أي: عن يمين موسى في البقعة المباركة من ناحية

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

الشجرة: يا موسى إني أنا الله ربك ورب العالمين جميعاً، وقد خلق الله فيه علماً يقينياً بأن المتكلم هو الله تعالى، وأن ذلك الكلام كلامه، وقد جُعلت الشجرة مباركة، لأنه تعالى كلم موسى هناك، وبعثه نبياً، ثم أمره الله سبحانه أن يُلقي عصاه لديه آية على نبوته، فقال: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ معطوف على ﴿أَن يَـٰمُوسَىٰٓ﴾، وكلاهما مفسِّر لـ﴿نُودِىَ﴾، أي: ونودي أن ألق واطرح من يدك عصاك، فألقاها فصارت حية فاهتزت.

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا﴾؛ أي: فلما رأى موسى عصاه حية ﴿تَهْتَزُّ﴾؛ أي: تتحرك تحركاً شديداً حالة كونها ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾؛ أي: حية صغيرة في سرعة الحركة، مع عظم جسمها، أو في الهيئة والجثة، فإنها إنما كانت ثعباناً عند فرعون، والجان حية كحلاء العين لا تؤذي، كثيرة في الدور، ﴿وَلَّىٰ﴾؛ أي: أعرض عنها حالة كونه ﴿مُدْبِرًا﴾؛ أي: منهزماً وهارباً من الخوف.

﴿و﴾ حالة كونه ﴿لم يعقب﴾ ولم يرجع إليها، ولم يلتفت، فنودي ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ﴾ إليها وارجع ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ﴾ من شرها، فإني لا يخاف لدي المرسلون، فأخذها موسى فإذا هي عصا كما كانت.

فإن قلت[1]: ما الفائدة في إلقائها؟

قلتُ: أن يألفها ولا يخافها عند فرعون إذا ناظره بقلب العصا وغيره من المعجزات، كما في «الأسئلة المقحمة»، وقيل: المعنى أقبل إليَّ يا موسى ولا تخف مما تهرب منه، فإنك آمن من أن ينالك سوء، إنما هي عصاك، أردنا أن نريك فيها آية كبرى، لتكون عونك لدى الطاغية الجبار فرعون ملك مصر.

وفيه[2]: إشارة إلى إلقاء كل متوكأ، غير الله، فمن اتكأ على الله أمن، ومن اتكأ على غيره وقع في الخوف، ويقال: شتَّان ما بين نبينا محمد ﷺ وبين موسى عليه السلام، موسى رجع من سماع الخطاب، وأتى بثعبان سلَّطه على عدوه، ونبينا عليه السلام أُسري به إلى محل الدنو فأوحي إليه ما أوحي، ورجع وأتى

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.

لأمته بالصلاة التي هي المناجاة، فقيل له: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

ثم أراه آية أخرى زيادة في طمأنينته، وأمره بقوله: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ﴾؛ أي[1]: ادخل كفك اليمين ﴿فِي جَيْبِكَ﴾؛ أي: في طوق قميصك وأخرجها ﴿تَخْرُجْ﴾ تلك اليد إذا أخرجتها حالة كونها ﴿بَيْضَاءَ﴾ لها ضوء كضوء الشمس ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ وعيب كالبرص، وقيل[2]: المعنى ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾؛ أي: أدخلها في مِدْرعتك، وهي ثوب من صوف يُلبس بدل القميص، ولا يكون له كم بل ينتهي كمه عند المرفقين، ثم أخرجها ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾؛ أي: حال كونها مضيئة مشرقة لها شعاع كشعاع الشمس ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ وعيب منفِّر كالبرص ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ أي: وأدخل الكف اليمين التي حصل فيها البياض في جيبك. ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ أي: لأجل إزالة الرهب والخوف والفزع الحاصل لك من بياضها فتعود إلى حالها، فيزول عنك الفزع الذي حصل لك منها، فعلى هذا المعنى فلا يكون تكراراً مع ما قبله، فالإدخال الأول لطلب بياضها، والثاني لإزالة بياضها.

وقيل: معنى ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾؛ أي: اضمم يديك المبسوطتين، تتقي بها الحية، كالخائف الفزع بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى، وبالعكس، أو بإدخالهما في الجيب، فيكون تكريراً لـ﴿اسْلُكْ يَدَكَ﴾ لغرض آخر، وهو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار جرأة، ومبدأ لظهور معجزة، ويجوز أن يكون المراد بالضم التجلد، والثبات عند انقلاب العصا حية، استعارة من حال الطائر، فإنه إذا خاف نشر جناحيه، وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه، فعلى هذا يكون تتميماً لمعنى ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾، لا تكريراً لـ﴿اسْلُكْ يَدَكَ﴾، ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾؛ أي: من أجل الرهب؛ أي: إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلداً، أو ضبطاً لنفسك.

وعبارة المراغي هنا[3]: ولما اعترى موسى الخوف من العصا تارة، ومن

---

(١) المراح.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

الدهشة بشعاع يده مرة أخرى أمره ربه أن يضع يده على صدره، ليزول ما به من الخوف، فقال: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾؛ أي: وضع يدك على صدرك يذهب ما بك من خوف، كما يشاهد من حال الطائر، إذا خاف نشر جناحيه، وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه، وكان موسى يرتعد خوفاً، إما من آل فرعون، وإما من الثعبان، قال ابن عباس: كل خائف إذا وضع يده على صدره زال خوفه.

وعبارة أبي حيان: ومعنى قوله: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ وقوله: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ على أحد التفسيرين واحد، ولكن خولف بين العبارتين، وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين، وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء، وفي الثاني إخفاء الرهب.

فإن قلت: قد جعل الجناح ـ وهو اليد في أحد الموضعين ـ مضموماً، وفي الآخر مضموماً إليه، وذلك قوله هنا: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ وفي طه: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ فما التوفيق بينهما؟.

قلت: المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى، وبالمضموم إليه اليد اليسرى، وكل واحد من يمنى اليدين ويسراهما جناح.

وقرأ الحرميان نافع وابن كثير وأبو عمرو[1]: ﴿من الرَهَب﴾ بفتح الراء والهاء، وحفص: بفتح الراء وسكون الهاء، وباقي السبعة: بضم الراء وإسكان الهاء، وقرأ قتادة والحسن وعيسى والجحدري بضمهما، وقال بعض أهل المعاني: الرَّهْبُ الكُمُّ، بلغة حمير وبني حنيفة، قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول لآخر: أعطني ما في رهبك، فسألته عن الرهب، فقال: الكم، فعلى هذا يكون معناه: أضمم إليك يدك، وأخرجها من الكم، ذكره الشوكاني.

والإشارة في قوله[2]: ﴿فَذَٰنِكَ﴾ إلى العصا واليد، وهما مؤنثان، ولكن ذكّرا لتذكير الخبر، كما أنه قد يؤنث المذكر لتأنيث الخبر، كقراءة من قرأ ﴿ثم

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

لم يكن فتنتهم إلا أن قالوا﴾ بالياء في ﴿تكن﴾، ﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾؛ أي: حجتان نيِّرتان، ومعجزتان باهرتان، ودليلان واضحان كائنان ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ يا موسى واصلان ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ ومنهيان إليهم ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: إن فرعون وملئه ﴿كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾؛ أي: خارجين عن حدود الله وطاعته أبلغ خروج، فكانوا أحقاء بأن نرسلك إليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين، والجملة تعليل لما قبلها.

ومعنى ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ . . .﴾ إلخ؛ أي: فما[1] تقدم من جعل العصا حية تسعى، وخروج اليد بيضاء من غير سوء، بعد وضع اليد في الجيب، دليلان واضحان على قدرة ربك، وصحة نبوة من جريا على يده، أرسلناهما إلى فرعون وملئه.

ثم أظهر العلة له في إظهار الآيات لهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾؛ أي: خارجين عن طاعة الله سبحانه، مخالفين لأمره منكرين لكل دين جاء به الرسل، فكانوا جديرين بأن نرسلك إليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو[2]: ﴿فذانك﴾ بتشديد النون، وباقي السبعة: بتخفيفها، وقرأ ابن مسعود وعيسى وأبو نوفل وابن هرمز وشبل: ﴿فذانيك﴾ بياء بعد النون المكسورة، وهي لغة هذيل، وقيل: بل لغة تميم، ورواها شبل عن ابن كثير، وعنه أيضاً: ﴿فذانيك﴾ على لغة من فتح نون التثنية، نحو قوله:

عَلَىٰ أَحْوَذِيَّيْنَ ٱسْتَقَلَّتْ عَشِيَّةً فَمَا هِيَ إِلاَّ لَمْحَةٌ وَتَغِيْبُ

وقرأ ابن مسعود: بتشديد النون مكسورة بعدها ياء، قيل: وهي لغة هذيل، وقال المهدوي بل لغتهم تخفيفها.

ولما سمع موسى قول الله سبحانه ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ طلب منه سبحانه أن يقوي قلبه فـ﴿قال﴾؛ أي: موسى يا ﴿رَبِّ﴾؛ أي:

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

يا مربي ويا مالك أمري ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: من القوم، وهم القبط ﴿نَفْسًا﴾ وهو فاتون خباز فرعون، الذي وكزه موسى فقضى عليه ﴿فَأَخَافُ﴾ منهم ﴿أَن يَقْتُلُونِ﴾ي بمقابلتها، ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ﴾ بن عمران ﴿هُوَ أَفْصَحُ﴾ وأبين ﴿مِنِّي لِسَانًا﴾؛ أي: كلاماً، وكان في لسان موسى عقدة من قبل الجمرة التي تناولها، وأدخلها فاه، تمنعه عن إعطاء البيان حقه، ولذلك قال فرعون ولا يكاد يبين ﴿فَأَرْسِلْهُ﴾؛ أي: فأرسل أخي هارون إلى فرعون وقومه ﴿مَعِيَ﴾ حال كونه ﴿رِدْءًا﴾؛ أي: معيناً ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ بالرفع إما صفة لـ﴿رِدْءًا﴾؛ أي[1]: معيناً مصدقاً لي بتلخيص الحق، وتقرير الحجة وتوضيحها وتزييف الشبهة وإبطالها، لا بأن يقول له: صدقت، أو للقوم: صدِّقوه، يؤيد ذلك المعنى قوله: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ لأن ذلك يقدر عليه الفصيح وغيره، كما في «فتح الرحمٰن»، أو حال من مفعول ﴿أرسله﴾، أو مستأنف، وبالجزم على جواب الأمر.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿رِدْءًا﴾ بالهمز، وأبو جعفر ونافع والمدنيَّان بحذف الهمزة، ونقل حركتها إلى الدال، والمشهور عن أبي جعفر بالنقل، ولا همز ولا تنوين، ووجهه: أنه أجرى الوصل مجرى الوقف، وقرأ عاصم وحمزة: ﴿يصدقني﴾ بضم القاف، فيحتمل الأوجه الثلاثة السابقة، وقرأ باقي السبعة: بالإسكان، وقرأ أُبيٌّ وزيد بن علي: ﴿يصدقوني﴾ والضمير لفرعون وقومه، قال ابن خالويه: هذا شاهد لمن جزم، لأنه لو كان رفعاً لقال: يصدقونني. انتهى، والمعنى في يصدقوني: أرجو تصديقهم إياي.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ ي إذا لم يكن معي هارون، لعدم انطلاق لساني بالمحاجة؛ أي: أخاف أن يردوا كلامي، ولا يقبلوا مني دعوتي، ولساني لا يطاوعني عند المحاجة.

ومعنى الآية: أي قال موسى: يا رب إني قتلت من قوم فرعون نفساً،

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.

فأخاف إن أتيتهم ولم أُبن عن نفسي بحجة أن يقتلوني، لأن ما في لساني من عقدة يحول بيني وبين ما أريد من الكلام، وأخي هارون هو أفصح مني لساناً، وأحسن بياناً، فأرسله معي عوناً، يُلخِّص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل، ويجيب عن الشبهات، ويجادل هؤلاء الجاحدين المعاندين، وإني أخاف أن يكذبوني، ولساني لا يطاوعني حين المحاجة.

الإعراب

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، أو معطوفة على محذوف معلوم من السياق، تقديره: فذهب القبطي الذي سمع ما قاله الإسرائيلي، وقد علم أن موسى هو قاتل القبطي الأول إلى فرعون، وأخبره بجلية الأمر، فغضب فرعون، فأمر بقتل موسى، وإلقاء القبض عليه، وجاء رجل إلى موسى بطريق أقرب من طريقهم. ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿جاء﴾، أو صفة لـ﴿رَجُلٌ﴾، وجملة ﴿يَسْعَىٰ﴾ صفة لـ﴿رَجُلٌ﴾، أو حال منه، إن قلنا إن الجار والمجرور فيما قبله صفة لـ﴿رَجُلٌ﴾، لتخصصه بالصفة حينئذٍ ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿رَجُلٌ﴾، والجملة معطوفة بعاطف مقدر على جملة ﴿جَآءَ﴾، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ ناصب واسمه، وجملة ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿بِكَ﴾ متعلق بـ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾؛ أي: يتشاورون فيك، من الائتمار بمعنى التشاور، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿يقتلوك﴾: فعل وفاعل ومفعول به منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لقتلهم إياك، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾. ﴿فَٱخْرُجْ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما قلت لك، وأردت بيان ما

هو النصيحة لك فأقول لك: اخرج، ﴿اخرج﴾: فعل أمر وفاعل مستتر، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه، ﴿لَكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، ﴿مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَخَرَجَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف، تقديره: فقبل موسى نصيحته فخرج، ﴿خرج﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، ﴿مِنْهَا﴾: متعلق بـ﴿خرج﴾، ﴿خَآئِفًا﴾: حال من فاعل ﴿خرج﴾، ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، ومفعول يترقب محذوف؛ أي: الشر، أو لحوقهم به، وقيل: يترقب غوث الله، والأول أنسب بالسياق، وجملة ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ في محل النصب حال ثانية من فاعل ﴿خرج﴾، ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب حال ثالثة من فاعل ﴿خرج﴾، ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف، حذف منه حرف النداء، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿نَجِّنِى﴾: فعل دعاء، ونون وقاية، ومفعول به، وفاعل مستتر يعود على ﴿رَبِّ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء، ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ متعلق بـ﴿نَجِّنِى﴾ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ صفة لـ﴿ٱلْقَوْمِ﴾.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وَلَمَّا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿لمّا﴾: حرف شرط غير جازم، ﴿تَوَجَّهَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة فعل شرط للما، لا محل لها من الإعراب، ﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾: ظرف مكان ومضاف إليه متعلق بـ﴿تَوَجَّهَ﴾، و﴿مَدْيَنَ﴾: ممنوع الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة جواب ﴿لَمّا﴾، وجملة ﴿لَمّا﴾ مستأنفة، ﴿عَسَىٰ﴾: فعل ماض جامد من أفعال الرجاء، ﴿رَبِّىٓ﴾: اسمها، ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿يَهْدِيَنِى﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر ونون وقاية، ومفعول به، ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: منصوب بنزع الخافض، أو مفعول ثان على

التوسع، والجملة الفعلية مع ﴿أَن﴾ المصدرية في تأويل مصدر منصوب على كونه خبر ﴿عَسَىٰ﴾، ولكنه على تأويل اسم الفاعل؛ أي: عسى ربي هادياً لي إلى سواء السبيل، وجملة ﴿عَسَىٰ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وَلَمَّا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لمّا﴾: حرف شرط غير جازم، ﴿وَرَدَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، ﴿مَآءَ مَدْيَنَ﴾: مفعول به، ومضاف إليه، مجرور بالفتحة، لأنه اسم لا ينصرف، والمانع له من الصرف العلمية والتأنيث المعنوي، والجملة فعل شرط لـ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، ﴿وَجَدَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر، ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿وَجَدَ﴾، لأن وجد هنا بمعنى لقي، يتعدى لمفعول واحد، ﴿أُمَّةً﴾: مفعول به لـ﴿وَجَدَ﴾، ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: صفة لـ﴿أُمَّةً﴾، وجملة ﴿يَسْقُونَ﴾ صفة ثانية لـ﴿أُمَّةً﴾، وجملة ﴿وَجَدَ﴾ جواب ﴿لَمّا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَمّا﴾ معطوفة على جملة ﴿لَمّا﴾ الأولى. ﴿وَوَجَدَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر، معطوف على جملة ﴿وَجَدَ﴾ الأولى، ﴿مِن دُونِهِمُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿وَجَدَ﴾؛ أي: في مكان أسفل منهم، ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ﴾ مفعول به، وجملة ﴿تَذُودَانِ﴾ صفة لـ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ﴾، ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر، معطوف بعاطف مقدر على ﴿وَجَدَ﴾ الثاني؛ أي: فقال لهما، ﴿مَا﴾: اسم استفهام للاستفهام الاستخباري، في محل الرفع مبتدأ، ﴿خَطْبُكُمَا﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿قَالَتَا﴾ ﴿قال﴾: فعل ماض، و﴿التاء﴾ علامة تأنيث الفاعل، وحركت بالفتح لمناسبة ألف التثنية، والألف فاعل، والجملة مستأنفة، ﴿لَا﴾: نافية، ﴿نَسْقِى﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَتَا﴾، ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية، ﴿يُصْدِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، بمعنى إلى، ﴿ٱلرِّعَآءُ﴾: فاعل مرفوع، والجملة في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾

بمعنى إلى، والتقدير: إلى إصدار الرعاء عن الماء، الجار والمجرور متعلق بـ﴿نَسْقِي﴾، ﴿وَأَبُونَا﴾: مبتدأ، ﴿شَيْخٌ﴾: خبر، ﴿كَبِيرٌ﴾: صفة ﴿شَيْخٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿نَسْقِي﴾.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿فَسَقَىٰ﴾ ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿سقى﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿قَالَتَا﴾، ﴿لَهُمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿سقىٰ﴾، ومفعول السقي محذوف؛ أي: فسقى غنمهما لأجلهما، ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب، ﴿تَوَلَّىٰٓ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر، معطوف على ﴿سقى﴾، ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾: متعلق بـ﴿تَوَلَّىٰٓ﴾. ﴿فَقَالَ﴾ ﴿الفاء﴾ عاطفة، ﴿قال﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، معطوف على ﴿تَوَلَّىٰٓ﴾. ﴿رَبِّ﴾ منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه، ﴿لِمَآ﴾ ﴿اللام﴾: حرف جر، ﴿ما﴾: اسم موصول، أو موصوفة في محل الجر باللام، الجار والمجرور متعلق بـ﴿فَقِيرٌ﴾، ﴿أَنزَلْتَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديره: لما أنزلته، ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَنزَلْتَ﴾، ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: حال من ﴿ما﴾، أو من العائد المحذوف، ﴿فَقِيرٌ﴾: خبر ﴿إن﴾، وعدي ﴿فَقِيرٌ﴾ باللام، لأنه ضمن معنى سائل، أو طالب، وإلا فهو يتعدى بإلى، و﴿أَنزَلْتَ﴾ بمعنى المضارع، والتقدير: يا رب إني فقير؛ أي: سائل وطالب لما تنزله إلي، حال كونه من خير ورزق.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿فَجَآءَتْهُ﴾ ﴿الفاء﴾ عاطفة على محذوف يفهم من سياق الكلام، تقديره: فرجعتا إلى أبيهما، في زمن أقل مما يرجعان إليه في العادة، فسألهما عن سبب

ذلك، فأخبرتاه بقصة من سقى لهما، فقال لإحداهما: ادعيه لي، فجاءته، ﴿جاءته إحداهما﴾: فعل وفاعل، ومفعول به وتاء تأنيث، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، ﴿تَمْشِى﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر، والجملة في محل النصب حال من ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾، ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾: حال من فاعل ﴿تَمْشِى﴾؛ أي: حالة كونها مستحية خفرة، وقيل: واضعة كم درعها على وجهها حياء منه. ﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر، معطوف بعاطف مقدر على ﴿جاءته﴾، ﴿إِنَّ أَبِى﴾: ناصب واسمه، ﴿يَدْعُوكَ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾، ﴿لِيَجْزِيَكَ﴾ ﴿اللام﴾ حرف جر وتعليل، ﴿يجزيك﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، ﴿أَجْرَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يَدْعُوكَ﴾، ﴿مَا﴾: مصدرية، ﴿سَقَيْتَ﴾: فعل وفاعل، ﴿لَنَا﴾: متعلق به، والجملة الفعلية مع ﴿مَا﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بإضافة ﴿أَجْرَ﴾ إليه؛ أي: ليجزيك جزاء سقيك إيانا. ﴿فَلَمَّا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف، تقديره: فأجابها، لا ليأخذ الأجر، ولكن لأجل التبرك بأبيهما، لما سمع منهما أنه شيخ كبير، ﴿لَمَّا﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿جَآءَهُۥ﴾: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، والجملة فعل شرط لـ﴿لما﴾، ﴿وَقَصَّ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر، معطوف على ﴿جاء﴾، ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به، ﴿ٱلْقَصَصَ﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على ﴿جَآءَهُۥ﴾، ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر، والجملة جواب ﴿لما﴾، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على تلك المحذوفة، ﴿لَا﴾: ناهية جازمة، ﴿تَخَفْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾. والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿نَجَوْتَ﴾: فعل وفاعل، ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: متعلق به، ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: صفة للقوم، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة للنهي عن الخوف.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ ﴿يا﴾: حرف نداء، ﴿أبت﴾: منادى مضاف منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة، المعوضة عنها تاء التأنيث، وياء المتكلم المحذوفة في محل الجر مضاف إليه، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَتۡ﴾، ﴿ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿إِنَّ خَيۡرَ﴾: ناصب واسمه، ﴿خَيۡرَ﴾: مضاف، و﴿مَنِ﴾: اسم موصول في محل الجر مضاف إليه، ﴿ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديره: استأجرته، ﴿ٱلۡقَوِيُّ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، ﴿ٱلۡأَمِينُ﴾: صفة لـ﴿ٱلۡقَوِيُّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾، مسوقة لتعليل الأمر بالاستئجار.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على شعيب، والجملة مستأنفة، ﴿إِنِّيٓ﴾: ناصب واسمه، ﴿أُرِيدُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾، ﴿أَنۡ﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿أُنكِحَكَ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول أول، ﴿إِحۡدَى﴾: مفعول ثان، والجملة الفعلية مع ﴿أَنۡ﴾ المصدرية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، والتقدير: إني أريد إنكاحي إياك إحدى ابنتي، ﴿إِحۡدَى﴾ مضاف، ﴿ٱبۡنَتَيَّ﴾: مضاف إليه مجرور بالياء المدغمة في ياء المتكلم، لأنه من المثنى. ﴿ٱبۡنَتَيَّ﴾ مضاف، وياء المتكلم في محل الجر مضاف إليه، ﴿هَٰتَيۡنِ﴾: صفة لـ﴿ٱبۡنَتَيَّ﴾، والإشارة لتمييزهما من بين بقية أخواتهما، فقد كان له ـ كما يروى ـ سبع بنات، ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر، ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿تَأۡجُرَنِي﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والنون للوقاية، والياء ضمير المتكلم في محل النصب مفعول أول، والثاني محذوف، تقديره: نفسك، ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية متعلق

بـ﴿تَأْجُرَنِي﴾، والجملة الفعلية مع ﴿أَن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بعلى، الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال، إما من الفاعل في ﴿أُنكِحَكَ﴾، أو من المفعول؛ أي: مشروطاً عليَّ، أو عليك ذلك. ﴿فَإِنْ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما قلت لك، وأردت بيان حقيقة الأمر فأقول لك إن أتممت، ﴿إن﴾: حرف شرط جازم، ﴿أَتْمَمْتَ﴾: فعل وفاعل، في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية، على كونه فعل شرط لها، ﴿عَشْرًا﴾: مفعول به، ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب إن الشرطية وجوباً، لكون الجواب جملة اسمية، ﴿من عندك﴾: جار ومجرور، متعلق بمحذوف، لكونه خبراً لمبتدأ محذوف، تقديره: فالإتمام كائن من عندك، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية، على كونها جواباً لـ﴿إن﴾ الشرطية، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قال﴾.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿ما﴾: نافية، ﴿أُرِيدُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر، والجملة معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الشرطية، ﴿أَنْ أَشُقَّ﴾: ناصب وفعل منصوب، وفاعل مستتر، في تأويل مصدر على المفعولية، والتقدير: وما أريد إدخال المشقة عليك، ﴿عَلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَشُقَّ﴾، ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ ﴿السين﴾: حرف استقبال لتأكيد الاستقبال، ﴿تجدني﴾ فعل مضارع، وفاعل مستتر، ونون وقاية، ومفعول به، معطوف على ما قبله، ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم على كونه فعل شرط لها، والجواب محذوف، تقديره: إن شاء الله تجدني صالحاً، والجملة معترضة جيء بها للتبرك، ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: متعلق بـ﴿تجدني﴾، أو حال من الياء في ﴿تجدني﴾، أو مفعول ثان لوجد. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة مستأنفة، ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ، ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾: ظرف متعلق بمحذوف، خبر المبتدأ، تقديره:

ذلك المشروط قائم وثابت بيننا لا نحيد عنه، كلانا فيه سواء، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ﴾ ﴿أي﴾: اسم شرط جازم يجزم فعلين، منصوب على المفعولية، مقدماً على عامله وجوباً. ﴿ما﴾: زائدة لتأكيد الإبهام المستفاد من ﴿أي﴾، ﴿ٱلۡأَجَلَيۡنِ﴾: مضاف إليه، ﴿قَضَيۡتُ﴾: فعل وفاعل، في محل الجزم بـ﴿أي﴾ على كون فعل شرط لها، ﴿فَلَا﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب وجوباً، ﴿لا﴾: نافية تعمل عمل إن، ﴿عُدۡوَٰنَ﴾: في محل النصب اسمها، ﴿عَلَيَّ﴾: خبرها، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿أي﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿أي﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿وَٱللَّهُ﴾: مبتدأ، ﴿عَلَىٰ مَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿وَكِيلٌ﴾، وجملة ﴿نَقُولُ﴾ صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: على ما نقوله، ﴿وَكِيلٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩﴾.

﴿فَلَمَّا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف معلوم من السياق، تقديره: فتم العقد على النكاح والإجارة، ومارس موسى العمل المشروط عليه في الأجل المضروب، ﴿لما﴾: حرف شرط غير جازم، ﴿قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة فعل شرط لـ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، ﴿وَسَارَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر، معطوف على ﴿قَضَىٰ﴾، ﴿بِأَهۡلِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿سار﴾، أو حال من فاعل ﴿سار﴾؛ أي: متلبساً بأهله، ﴿ءَانَسَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على تلك المحذوفة، ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿ءَانَسَ﴾، أو حال من ﴿نَارٗاۖ﴾، لأنه صفة نكرة قدمت عليها، ﴿نَارٗاۖ﴾: مفعول به. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر، معطوف بعاطف مقدر على ﴿ءَانَسَ﴾، ﴿لِأَهۡلِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿قال﴾،

﴿امْكُثُوٓا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه، ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة للأمر بالمكث، ﴿لَّعَلِّيٓ﴾: ناصب واسمه، ﴿ءَاتِيكُم﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر ومفعول به، ﴿مِّنْهَا﴾: حال من ﴿خبر﴾، لأنه صفة نكرة قدمت عليها، ﴿بِخَبَرٍ﴾: متعلق ﴿ءَاتِيكُم﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ في محل النصب حال من فاعل ﴿ءَانَسْتُ﴾، ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾: معطوف على ﴿خبر﴾، ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: صفة لـ﴿جَذْوَةٍ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ناصب واسمه، وجلمة ﴿تَصْطَلُونَ﴾ خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، على كونها معللة للإتيان.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿فَلَمَّآ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف يقتضيه المقام، تقديره: فسار إليها، ﴿لما﴾: حرف شرط غير جازم، ﴿أَتَىٰهَا﴾: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، والجملة فعل شرط لـ﴿لما﴾، ﴿نُودِىَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿مِن شَٰطِئِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نُودِىَ﴾، ﴿شَٰطِئِ﴾: مضاف، ﴿ٱلْوَادِ﴾: مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الياء المحذوفة للتخلص من التقاء الساكنين، وحُذفت في الخط تبعاً للفظ في الرسم العثماني، ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾: صفة لـ﴿شَٰطِئِ﴾، ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ﴾: حال من ﴿شَٰطِئِ﴾، ﴿ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾: صفة لـ﴿ٱلْبُقْعَةِ﴾، ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: بدل من قوله: ﴿مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ﴾ بدل اشتمال، لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطىء؛ أي: أتاه النداء من شاطىء الوادي من قبل الشجرة، ﴿أَن﴾: مفسرة بمعنى أي، لأن النداء قول، والتقدير: أي يا موسى، وأجاز أبو البقاء وغيره أن تكون مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف يفسره جملة النداء؛ أي: نودي بأنه؛ أي: الشأن، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾: منادى

مفرد العلم، وجملة النداء مفسرة لجملة ﴿نُودِيَ﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه، ﴿أَنَا﴾: ضمير فصل، أو مبتدأ، ﴿اللَّهُ﴾: خبر ﴿إن﴾، أو خبر ﴿أنا﴾، ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ صفة للجلالة، أو بدل منه، أو خبر ثان لـ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ جملة مفسرة للنداء لا محل لها من الإعراب.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وَأَنْ﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة، و﴿أن﴾: مفسرة معطوفة على ﴿أَن يَا مُوسَىٰ﴾، ﴿أَلْقِ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، ﴿عَصَاكَ﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿أَن يَا مُوسَىٰ﴾ على كونها مفسرة للنداء. ﴿فَلَمَّا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، تقديره: فألقاها فصارت ثعباناً، فلما رآها تهتز إلخ، ﴿لما﴾: حرف شرط غير جازم، ﴿رَآهَا﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ ومفعول به، لأن رأى هنا بصرية، والجملة الفعلية فعل شرط لـ﴿لما﴾، لا محل لها من الإعراب، ﴿تَهْتَزُّ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على العصا، والجملة في محل النصب حال من مفعول ﴿رَآهَا﴾، ﴿كَأَنَّهَا﴾: ناصب واسمه، ﴿جَانٌّ﴾: خبره، وجملة ﴿كأن﴾ في محل النصب حال من فاعل ﴿تَهْتَزُّ﴾، ﴿وَلَّىٰ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، ﴿مُدْبِرًا﴾: حال من فاعل ﴿وَلَّىٰ﴾، وجملة ﴿وَلَّىٰ﴾: جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على تلك الجملة المحذوفة. ﴿وَلَمْ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لم﴾: حرف جزم، ﴿يُعَقِّبْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لم﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَلَّىٰ﴾، ﴿يَا مُوسَىٰ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء معمول لمحذوف، تقديره: فنودي يا موسى، ﴿أَقْبِلْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر، والجملة الفعلية جواب النداء لا محل لها من الإعراب، ﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لا﴾: ناهية جازمة، ﴿تَخَفْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر، مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَقْبِلْ﴾، ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه، ﴿مِنَ الْآمِنِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿إن﴾،

وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل الأمر بالإقبال، والنهي عن الخوف.

﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿اسْلُكْ يَدَكَ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، معطوف على قوله: ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ بعاطف مقدر، لأنه من جملة ما نودي به، ﴿فِي جَيْبِكَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿اسْلُكْ﴾، ﴿تَخْرُجْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على اليد، مجزوم بالطلب السابق، ﴿بَيْضَاءَ﴾: حال من فاعل ﴿تَخْرُجْ﴾، ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿بَيْضَاءَ﴾، أو صفة له. ﴿وَاضْمُمْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر معطوف على ﴿اسْلُكْ﴾، ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلق به. ﴿جَنَاحَكَ﴾: مفعول به، ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾: متعلق بـ﴿اضمم﴾ على سبيل التعليل له؛ أي: من أجل الرهب، وقيل: بـ﴿وَلَّى﴾؛ أي: هرب من الفزع، وقيل: بـ﴿مُدْبِرًا﴾، وقيل: بمحذوف؛ أي: يسكن من الرهب. ﴿فَذَانِكَ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره إذا امتثلت ما أمرناك به، وأردت بيان حكمته فأقول لك ذانك إلخ. ﴿ذانك﴾: اسم إشارة، يشار به إلى المثنى المذكر القريب، في محل الرفع مبتدأ، مبني على الألف لكونه على صورة المثنى، أو مبني على الكسر، و﴿الكاف﴾: حرف دال على الخطاب، ﴿بُرْهَانَانِ﴾: خبر مرفوع بالألف، ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿بُرْهَانَانِ﴾؛ أي: مرسلان من ربك، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: متعلق بمرسلان، ﴿وَمَلَئِهِ﴾: معطوف على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة، ﴿إِنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه، ﴿كَانُوا قَوْمًا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، ﴿فَاسِقِينَ﴾ صفة ﴿قَوْمًا﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل إرسال البرهانين.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَى﴾، والجملة مستأنفة،

﴿رَبِّ﴾ منادى مضاف حذف منه حرف النداء، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه، ﴿قَتَلْتُ﴾: فعل وفاعل، ﴿مِنْهُمْ﴾: حال من ﴿نَفْسًا﴾، لأنه صفة نكرة قدمت عليها، ﴿نَفْسًا﴾ مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر إن وجلمة إن في محل النصب مقول قال على كونها جواب النداء. ﴿فَأَخَافُ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية لكون ما قبلها علة لما بعدها، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿يَقْتُلُونِ﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، وعلامة نصبه حذف النون، لأن أصله يقتلونني، والنون نون الوقاية، وياء المتكلم المحذوفة اجتزاء عنها بكسر نون الوقاية، أو لرعاية الفاصلة في محل النصب مفعول به، وجملة ﴿يَقْتُلُونِ﴾ مع ﴿أن﴾ المصدرية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ﴿أخاف﴾؛ أي: فأخاف قتلهم إياي، وجملة ﴿أخاف﴾ في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿قَتَلْتُ﴾.

﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَأَخِى﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿أخي﴾: مبتدأ ومضاف إليه، ﴿هَـٰرُونُ﴾: بدل عنه، أو عطف بيان له، ﴿هُوَ﴾: مبتدأ ثان، ﴿أَفْصَحُ﴾: خبر له، ﴿مِنِّى﴾: متعلق بـ﴿أَفْصَحُ﴾، ﴿لِسَانًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ، منصوب باسم التفضيل، وجملة المبتدأ الثاني مع خبره خبر للمبتدأ الأول. وجملة الأول معطوفة على جملة ﴿إن﴾. ﴿فَأَرْسِلْهُ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية، ﴿أرسله﴾: فعل دعاء، وفاعل مستتر يعود على الله، ومفعول به، ﴿مَعِىَ﴾: ظرف متعلق بـ﴿أرسله﴾، والجملة الفعلية معطوفة مفرعة على جملة قوله: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾، ﴿رِدْءًا﴾: حال من مفعول ﴿أرسله﴾؛ أي: حالة كونه عوناً لي على تبليغ الرسالة، ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾: فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم على قراءة الرفع، أو مجزوم بالطلب السابق على قراءة الجزم، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿أخي﴾، والنون للوقاية، والياء مفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب

صفة لـ﴿رِدۡءٗا﴾، أو حال من مفعول ﴿أرسله﴾، أو مستأنفة على قراءة الرفع، ﴿إِنِّيٓ﴾: ناصب واسمه، ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل طلب الإرسال، ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿يُكَذِّبُونِ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، وعلامة نصبه حذف النون، لأن أصله أن يكذبونني، حذفت النون الأولى للناصب، والثانية للوقاية، و﴿الواو﴾: فاعل، والياء المحذوفة للفاصلة مفعول به، والجملة الفعلية مع ﴿أَن﴾ المصدرية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، والتقدير: إني أخاف تكذيبهم إياي في الرسالة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَجَآءَ رَجُلٞ﴾ اسمه حزقيل، وقيل: شمعون، وقيل: سمعان، وهو الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ...﴾ إلخ. ﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾؛ أي: أبعدها مكاناً، يقال: قصوت عنه وأقصيت: أبعدت، والقصي البعيد، ﴿يَسۡعَىٰ﴾؛ أي: يسرع في مشيه.

﴿إِنَّ ٱلۡمَلَأَ﴾ الملأ أشراف الدولة ووجوهها، ﴿يَأۡتَمِرُونَ﴾؛ أي: يتشاورون من الائتمار، وهو التشاور، يقال: الرجلان يتآمران ويأتمران بمعنى واحد، لأن كل واحد فيهما يأمر صاحبه بشيء، أو يشير عليه بأمر. وقيل: معناه يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، ولعل هذا أوضح. وقد أورد صاحب «التاج» المعنيين، قال: «ائتمروا وتآمروا: تشاوروا، وائتمروا بفلان هموا به، وأمر بعضهم بعضاً بقتله، وقال الأزهري: ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضاً، كما قال: ﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ﴾» وقال النمر بن تولب:

أَرَىٰ ٱلنَّاسَ قَدْ أَحْدَثُوْا شِيْمَةً وَفِيْ كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤْتَمَرْ

﴿يَتَرَقَّبُ﴾؛ أي: يلتفت يمنة ويسرة، ﴿تَوَجَّهَ﴾ إلى الشيء إذا صرف وجهه إليه، ﴿تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ﴾؛ أي: جهتها، والتلقاء تفعال من لقيت، وهو مصدر اتسع فيه فاستُعمل ظرفاً، يقال: جلس تلقاءه؛ أي: حذاءه ومقابلته ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾؛

أي: مستقيمه، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك، ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾؛ أي: وصل والورود إتيان الماء، وضده الصدور، وهو الرجوع عنه، وفي «المفردات»: الورود أصله قصد الماء ثم يستعمل في غيره، ﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: جماعة كثيرة منهم.

﴿مَآءَ مَدْيَنَ﴾ والمراد بماء مدين البئر التي كانوا يستقون منها، ومدين بلدة على بحر القلزم، محاذية لتبوك، فيها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام، ﴿تَذُودَانِۖ﴾؛ أي: تطردان أغنامهما عن الماء خوفاً من السقاة الأقوياء، ومنه قول الشاعر:

لَقَدْ سَلَبَتْ عَصَاكَ بَنُوْ تَمِيْمٍ فَمَا تَدْرِيْ بِأَيٍّ عَصَا تَذُوْدُ

﴿مَا خَطْبُكُمَاۖ﴾؛ أي: ما شأنكما، ولم لا تردان مع هؤلاء، قال الزمخشري: وحقيقته ما مخطوبكما؛ أي: ما مطلوبكما من الذياد، فسُمِّي المخطوب خطباً، كما سُمِّي المشؤون شأناً في قولك: ما شأنك، يقال: شأنت شأنه؛ أي: قصدت قصده، وفي «القاموس»: وشرحه الخطب ـ مصدر ـ والشأن، يقال: ما خطبك؛ أي: ما شأنك، وما الذي حملك عليه، والخطب الأمر صغر أو عظم، وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه، ولهذه المادة معان كثيرة يرجع إليها في المعاجم المطولة.

﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ الصدر عن الشيء الرجوع عنه، يقال في فعله: صدر من باب ضرب ونصر ودخل، والصدر بفتحتين اسم مصدر منه، ويتعدى بنفسه، فيقال صدره غيره؛ أي: رجَّعه وردَّه، ويُستعمل رباعياً، فيقال: أصدره غيره .اهـ. من «القاموس» و«المختار».

والرعاء جمع راع على غير قياس، لأن فاعلاً ـ الوصف المعتل اللام، كقاض ـ قياسه فُعَلَةٌ، كقضاة ورُماة، خلافاً للزمخشري في قوله: إنه جمع راع على فعال قياس، كصيام وقيام، قال ابن مالك:

فِيْ نَحْوِ رَامٍ ذُوْ اطِّرَادٍ فُعَلَهْ

أما جمع فعال فيطرد في ستة أنواع نوردها فيما يلي:

١ ـ اسم أو صفة ليست عينهما ياء، على وزن فعل أو فعلة، فالاسم ككعب وكعاب، وثوب وثياب، ونار ونيار، وقصعة وقصاع، وجنة وجنان، والصفة كصعب وصعبة وصعاب، وضخم وضخمة وضخام، وندر مجيئه من معتل العين كضيعة وضياع، وضيف وضياف.

٢ ـ اسم صحيح اللام غير مضاعف، على وزن فعل أو فعلة، كجمل وجمال، وجبل وجبال، ورقبة ورقاب، وثمرة وثمار.

٣ ـ اسم على وزن فعل كذئب وذئاب، وظل وظلال، وبئر وبئار.

٤ ـ اسم على وزن فعل ليست عينه واواً، ولا لامه ياءً، كرمح ورماح، ودهن ودهان، وأما الدِّهان في قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ فسيأتي أنه اسم مفرد، ومعناه الجلد الأحمر.

٥ ـ صفة صحيحة اللام على وزن فعل أو فعيلة، ككريم وكريمة وكرام، ومريض ومريضة ومراض، وطويل وطويلة وطوال.

٦ ـ صفة على وزن فعلان، أو فعل أو فعلانة أو فُعلانة، كعطشان وعطشى وعطاش، وريان وريا ورواء، وندمان وندمى وندام، وخمصان وخمصانة وخماص.

وما جُمع على فعال من غير ما ذكر فهو على غير القياس، وذلك كراع وراعية ورعاء، وقائم وقائمة وقيام، وصائم وصائمة وصيام، وأعجف وعجفاء وعجاف، وخير وخيار، وجيد وجياد، وجواد وجياد، وأبطح وبطاح، وقلوص وقلاص، وأنثى وإناث، ونطفة ونطاف، وفصيل وفصال، وسبع وسباع، وضبع وضباع، ونُفَسَا ونِفَاس، وعُشراء وعشار، هذا ولا ندري كيف ندَّ هذا عن الزمخشري، فقال في كشافه: وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام.

والرَّعْي ـ بالفتح ـ في الأصل: حفظ الحيوان؛ إما بغذائه الحافظ لحياته، أو بذبِّ العدو عنه، والرِعْيُ ـ بالكسر ـ: ما يرعاه، والمرعى: موضع الرعي،

ويُسمى كل سائس لنفسه أو لغيره راعياً، وفي الحديث: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته»، وقيل: الرعاء هم الذين يرعون المواشي، والرعاة هم الذين يرعون الناس، وهم الولاة.

﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ والخير يكون بمعنى الطعام، كما في الآية، وبمعنى المال، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ وبمعنى القوة، كما في قوله: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾، وبمعنى العبادة، كما في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾، ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾؛ أي: جعل ظهره يلي ما كان يليه وجهه.

﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ الاستحياء والحياء: الحشمة، والانقباض، والانزواء، قال في «المصباح»: يقال: استحيت بياء واحدة وبياءين، ويتعدى بنفسه وبالحرف فيقال: استحييته واستحيت منه.

﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ القصص بفتحتين مصدر بمعنى المقصوص، وقد سُمِّي به فيما بعْدُ المقصوص، يقال: قصَّ عليه الخبر حدَّثه به، ومصدره قصص بفتحتين، أما القصص بكسر القاف فهو جمع قصة، ﴿حِجَجٍ﴾ جمع حجة بكسر الحاء، وهي السنة.

﴿أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾؛ أي: أن أُدخل عليك مشقة، واشتقاق المشقة من الشق، فإن ما يصعب عليك يشق اعتقادك في إطاقته، ويوزع رأيك في مزاولته.

﴿ٱلْأَجَلَيْنِ﴾؛ أي: الأطول أو الأقرب، ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ والطور اسم جبل مخصوص، والنار يقال: للَّهب الذي يبدو للحاسة، وللحرارة المجردة، ولنار جهنم، ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾ المكث ثبات مع انتظار؛ أي: قفوا مكانكم واثبتوا فيه، ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ والجذوة عود غليظ، سواء كانت في رأسه نار أو لا، وفي «المفردات»: الجذوة التي يبقى من الحطب بعد الالتهاب.

﴿مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ والشاطىء الجانب، وهو شفير الوادي، وكذلك الشط والسيف والساحل، كلها بمعنى واحد. والوادي في الأصل الموضع الذي

يسيل فيه الماء، ومنه سمي المفرج بين الجبلين وادياً.

﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ والبقعة قطعة من الأرض لا شجر فيها، وُصفت بكونها مباركة، لأنه حصل فيها ابتداء الرسالة وتكليم الله إياه.

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ الجانُّ الحية الصغيرة التي توجد في كثير من الدور ولا تؤذي، ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ من سلك الشيء إذا أنفذه فيه، وفي «المصباح»: السلك بالفتح والسلوك كل منهما مصدر لسلك الشيء في الشيء، إذا أنفذه فيه، فإنه من بابي قعد ونصر .اهـ. ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ والجيب الفتحة في القميص ونحوه من حيث يخرج الرأس.

﴿جَنَاحَكَ﴾ جناح الإنسان عضده، ويقال: اليد كلها جناح، ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ الرهب مخافة مع تحزن واضطراب؛ أي: من أجل الرهب، ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾ تثنية برهان، والبرهان فعلان، من قولهم: أبره الرجل إذا جاء بالبرهان، أو من قولهم: بره الرجل إذا ابيض، ويقال: برهاء وبرهة للمرأة البيضاء، ونظيره تسمية الحجة سلطاناً من السليط، وهو الزيت لإنارتها، وقيل: هو فعلال، لقولهم: برهن.

وقال الزمخشري: فإن قلت: لِمَ سُمِّيت الحجة برهاناً؟

قلت: لبياضها وإنارتها، من قولهم للمرأة البيضاء: برهرهة، بتكرير العين واللام معاً، وهذا تعليل لطيف لا يُحسِّن استنباطه غير هذا الإمام، ومعنى ذلك أن النون في البرهان زائدة، يقولون: أَبْرَهَ الرجل إذا جاء بالبرهان، وفي معاجم اللغة: وأبره أتى بالبرهان، أو بالعجائب، وغلب الناس، وهذا هو قول الزمخشري، والمحققين، وزعم صاحب «القاموس» في أحد قوليه أن النون أصلية، قال: وبرهن عليه أقام البرهان، والبرهان بالضم الحجة فتدبر.

﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ من الفصاحة، والفصاحة لغة الخلوص، يقال: فصح اللبن، وأفصح، فهو فصيح؛ أي: خلص من الرغوة، ومنه فصح الرجل جادت لغته، وأفصح تكلم بالعربية، وقيل: الفصيح الذي ينطق، والأعجم الذي

لا ينطق، وأما في اصطلاح أهل البيان: فالفصاحة خلوص الكلمة عن تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس، وفصاحة الكلام خلوصه من ضعف التأليف والتعقيد.

﴿رِدْءًا﴾ والردء المعين من أردأته على عدوه إذا أعنته، يقال: فلان ردء فلان إذا كان ينصره ويشد ظهره، ومنه قول الشاعر:

ألـــم تـــر أن أصـــرم كـــان ردئـــي   وخـــيـــر الـــنـــاس فـــي قـــل ومـــال

وفي «الفتوحات»: والردء العون، وهو فعل بمعنى مفعول، كالدفء بمعنى المدفوء به، وردأته على عدوه أعنته عليه، وردأت الحائط دعمته بخشبة لئلا يسقط. وقال النحاس: يقال: ردأته وأردأته.

فائدة: قال بعضهم في قوله: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ مقام الفصاحة هو مقام الصحو والتمكين، الذي يقدر صاحبه على أن يُخبر عن الحق وأسراره بعبارة لا تكون ثقيلة في موازين العلم، وهذا حال نبينا ﷺ حيث قال: «أنا أفصح العرب، وبُعثت بجوامع الكلم» اهـ «الروح».

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التأكيد بإن واللام في قوله إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك مطابقة لمقتضى الحال.

ومنها: إضافة الصفة إلى الموصوف في قوله: ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: السبيل الوسط.

ومنها: تنكير أمة في قوله: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ للدلالة على الكثرة.

ومنها: كثرة الإيجاز في هذه الآيات، أعني قوله: ﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ

يَسْقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فقد حذف المفعول به في أربعة أماكن، أحدها مفعول ﴿يَسْقُونَ﴾؛ أي: مواشيهم، والثاني مفعول ﴿تَذُودَانِ﴾؛ أي: مواشيهما، والثالث ﴿لَا نَسْقِى﴾؛ أي: مواشينا، والرابع ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾؛ أي: مواشيهما، وعلة الحذف أن الغرض هو أن يُعلم أنه كان من الناس سقي، ومن البنتين ذود، وأنهما قالتا: لا نسقي؛ أي: لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء، وأنه كان من موسى سقي، فأما كون المسقي غنماً أو إبلاً أو غير ذلك، فذلك أمر خارج عن نطاق الغرض.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فقد أرادتا أن تقولا له: إننا امرأتان ضعيفتان مستورتان، لا نقدر على مزاحمة الرجال، وما لنا رجل يقوم بذلك، وأبونا شيخ طاعن في السن، فقد أضعفه الكبر وأعياه، فلا مندوحة لنا عن ترك السقيا، وإرجائها إلى أن يقضي الناس أوطارهم من الماء، وبذلك طابق جوابهما سؤاله، لأنه سألهما عن علة الذود، فقالتا ما قالتاه.

ومنها: الاستعطاف والترحم في قوله: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وفيه أيضاً التعبير بالماضي عن المضارع في قوله: ﴿لِمَآ أَنزَلْتَ﴾؛ أي: إلى ما تنزله إلي.

ومنها: الإشارة في قوله: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ فقد أشار بلمح خاطف يشبه لمح الطرف، وبلغة هي لغة النظر إلى وصف جمالها الرائع الفتان باستحياء، لأن الخفر من صفات الحسان، ولأن التهادي في المشي من أبرز سماتهن.

قال الأعشى:

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا ... مَرُّ ٱلسَّحَابَةِ لاَ رَيْثٌ وَلاَ عَجَلُ

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾.

ومنها: الإتيان بالكلام الجامع المانع الحكيم في قوله: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان في القائم بأمرك والمتعهد لشؤونك، وهما الكفاية والأمانة فقد فرغ بالك، وتم أمرك، وسهل

مرادك، ولأنه ذهب مذهب المثل المضروب ليذهب في مر العصور، وقادمات الدهور، وفيه التعميم الذي هو أجمل وأليق في مدح النساء للرجال من المدح الخاص، وأبقى للتحشم والتصوُّن، وخصوصاً بعد أن فهمت غرض أبيها، وهو تزويجها منه.

ومنها: التشبيه المرسل المجمل في قوله: ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ حذف وجه الشبه فأصبح مجملاً.

ومنها: الطباق بين ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ و﴿يُكَذِّبُونِ﴾.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ كنى عن اليد بالجناح، لأنها للإنسان كالجناح للطائر.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٣٨) وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ (٤٢) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣) وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٤٤) وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦) وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٩) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٠) ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ (٥٥)﴾

المناسبة

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا . . .﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما قال لموسى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ علم[1] أنه سيذهب بهذين البرهانين إلى فرعون وقومه، وحينئذٍ طلب منه أن يؤتيه ما يقوي به قلبه، ويزيل خوفه من فرعون، لأنه إنما خرج من ديار مصر فراراً منه، وهرباً من سطوته، فيُرسل معه أخاه هارون وزيراً. . فأجابه إلى ما طلب، وأرسله هو وهارون إلى فرعون وملئه، ومعهما المعجزات الباهرة، والأدلة الساطعة فلما عاينوا ذلك، وأيقنوا صدقه لجؤوا إلى العناد والمكابرة، فقالوا: ما هذا إلا سحر مفتعل، وما رأينا أحداً من آبائنا على هذا الدين، فقال لهم موسى: ربي أعلم بالمهتدي منا ومنكم، وسيفصل بيني وبينكم، ويجعل النصر والتأييد للصالحين من عباده.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم . . .﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أنه[2] لما رغب موسى فرعون وقومه في التوحيد، والنظر في الكون تارة، ورهّبهم من عذاب الله، وشديد نكاله تارة أخرى. . أجابه فرعون بتلك المقالة التي تدل على الجهل المطبق، ونقصان العقل، وأنه بلغ غاية لا حد لها في الإنكار، وأنه لا مطمع في إيمانه لعتوه وطغيانه، واستكباره في الأرض، حتى قال ما قال. ومن ثم كانت عاقبته في الدنيا الهلاك بالغرق هو وجنوده، واللعن من الله والناس، وفي الآخرة الطرد من رحمة الله، ثم أخبر سبحانه أنه آتى موسى التوراة وجعلها نوراً للناس يهتدون بها، وتكون لهم تذكرة من عقاب الله وشديد عذابه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ . . .﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بيّن فيما سلف أنه أرسل موسى، بعد أن أهلك القرون الأولى، ودرست الشرائع، واحتيج إلى نبي يُرشد الناس إلى ما فيه صلاحهم، في معاشهم ومعادهم. . أردف ذلك ببيان الحاجة

---

(١) المراغي. (٢) المراغي.

إلى إرسال رسوله محمد ﷺ، لمثل تلك الدواعي التي دعت إلى إرسال موسى عليه السلام لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ولأن رحمته اقتضت أن لا يعذب أحداً إلا إذا أرسل رسولاً، ويتضمن ذلك كون القرآن وحياً من عند الله سبحانه، لأن ما فُصل فيه من الأحوال لا يتسنى إلا بالمشاهدة أو التعلم ممن شاهدها، وقد انتفى كلاهما، فتبين أنه بوحي من علام الغيوب.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ. . .﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما[1] بين فيما سلف أنه إنما أرسل رسوله قطعاً لمعذرتهم، حتى لا يقولوا حين نزول بأسنا بهم: هلا أرسلت إلينا رسولاً فنتبعه. . أردفه ببيان أنه حين مجيء الرسول، وإنزال القرآن عليه جحدوا به، وكذبوا رسالته، ولم يعتدوا بكتابه، وطلبوا مجيء معجزات كمعجزات موسى، من مجيء التوراة جملة، وقلب العصا، وإخراج اليد بيضاء من غير سوء، وقد كفر المعاندون من قبلهم بما جاء به موسى من المعجزات، وقالوا: ما هي إلا سحر مفترى، وما هي إلا أساطير الأولين، وإن موسى ومحمد ساحران، تعاونا على الخداع والتضليل، وإنا لكافرون بكل منهما.

ثم أمر رسوله أن يقول لهم: إن استطعتم أن تأتوا بكتاب خير من كتابيهما، موصل إلى الحق، هاد إلى سبيل الرشد فافعلوا، فإن لم تستطيعوا ذلك فأنتم متبعون للهوى، سالكون سبيل الضلال، ولا أضل ممن يسلك هذه السبيل، ثم ذكر أنه ما أنزل الكتاب منجماً على هذا النهج إلا ليكون فيه عبرة وذكرى لهم، بين آن وآخر، لعلهم يرتدعون عن غيِّهم، ويثوبون إلى رشدهم.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ. . .﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه[2] لما أثبت أن القرآن وحي من عند الله، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. . أكد هذا بأن أثبت أن أهل الكتاب آمنوا به حين رأوا الأدلة تتظاهر على صدقه، وموافقته لمافي كتبهم من وصف، فأجدر بمن لا كتاب لهم من قبله أن يؤمنوا به.

---

(١) المراغي. (٢) المراغي.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية[1]: ما أخرجه ابن جرير والطبراني عن رفاعة القرظي قال: نزلت ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ في عشرة أنفار أنا أحدهم. وأخرج ابن جرير عن علي بن رفاعة قال: خرج عشرة رهط من أهل الكتاب، منهم رفاعة - يعني أباه - إلى النبي ﷺ فآمنوا، فأوذوا فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الآية، وأخرج عن قتادة قال: كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب، كانوا على الحق حتى بعث الله سبحانه محمداً ﷺ فآمنوا، منهم عثمان، وعبد الله بن سلام.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ...﴾ الآية، قال[2] سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي إلى النبي ﷺ، فلما قدموا عليه قرأ عليهم ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ حتى ختمها، فجعلوا يبكون، وأسلموا.

وأخرج[3] الطبراني في «الأوسط» بسند فيه من لا يُعرف عن ابن عباس: أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي ﷺ، فشهدوا معه أحداً، فكانت فيهم جراحات، ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة، قالوا: يا رسول الله إنا أهل ميسرة، فأذن لنا نجيء بأموالنا، نواسي بها المسلمين، فأنزل الله فيهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ...﴾ الآيات. فلما نزلت قالوا: يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجران، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ...﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: لما نزلت ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ فخرج مؤمنوا أهل الكتاب على أصحاب النبي ﷺ فقالوا: لنا أجران،

---

(١) لباب النقول.

(٢) المراغي.

(٣) لباب النقول في سورة الحديد.

ولكم أجر، فاشتد ذلك على الصحابة فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ...﴾ الآية. فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب.

التفسير وأوجه القراءة

فأجاب الله سبحانه موسى إلى ما طلب من إرسال هارون معه، حيث ﴿قَالَ﴾ سبحانه ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾؛ أي: سنقوي ظهرك ﴿بِأَخِيكَ﴾ هارون، ونعينك به على أمرك، فشد العضد كناية عن التقوية، والعضد[1] ما بين المرفق والكتف، وهي قوام اليد، وبشدتها تشتد؛ أي: سنقويك به، لأن الإنسان يقوى بأخيه، كقوة اليد بعضدها، وكان هارون يومئذٍ بمصر، ويقال في دعاء الخير: شد الله عضدك، وفي الشر: فت الله في عضدك.

وقرأ الجمهور ﴿عَضُدَكَ﴾ بفتح العين وضم الضاد، وقرأ زيد[2] بن علي والحسن: ﴿عُضُدك﴾ بضمتين، وعن الحسن: بضم العين وإسكان الضاد، وعن بعضهم: بفتح العين وكسر الضاد، وقرأ عيسى بن عمر: بفتحهما، ويقال: فيه عضد بفتح العين وسكون الضاد، ولا أعلم أحداً قرأ به.

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾؛ أي: حجة وبرهاناً، أو تسلطاً على فرعون وقومه، وغلبة عليهم؛ أي[3]: نجعل لكما غلبة بالحجة في الحال، وغلبة في المملكة في ثاني الحال، ﴿فَلَا يَصِلُونَ﴾؛ أي: فلا يصل فرعون وقومه ﴿إِلَيْكُمَا﴾ بالقتل والأذى، ولا يقدرون على غلبتكما بالحجة.

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾؛ أي: بسبب آياتنا التي تظهر على أيدكما، فالآية التي هي قلب العصا حية، تمنع من وصول ضرر فرعون وقومه إلى موسى وهارون عليهما السلام، لأنهم إذا علموا أنه متى ألقاها صارت حية عظيمة، وإن أراد إرسالها إليهم أهلكتهم.. زجرهم ذلك عن الإقدام عليهما بسوء، فصارت مانعة من وصولهم

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراح.

إليهما بالقتل وغيره. وقوله: ﴿بآياتنا﴾ إما متعلق بـ﴿لا يصلون﴾.

والمعنى عليه: أي سنقويك ونعينك بأخيك، ونجعل لكما تسلطاً عظيماً، وغلبة على عدوكما، فلا يصلون إليكما بوسيلة من وسائل الغلب، بسبب كون آياتنا معكما، وهي العصا واليد، أو بـ﴿ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ من قوله ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ أي أنتما ومن تبعكما الغالبون لفرعون وقومه، بسبب آياتنا وحججنا وسلطاننا الذي نجعله لكما، وفي هذا دليل على أن فرعون لم يصل إلى السحرة بشيء مما هددهم به، لأنهم من أكبر الأتباع الباذلين أنفسهم في سبيل الله سبحانه.

وقال أبو السعود: في سورة طه جمعهما في صيغة أمر الحاضر، مع أن هارون لم يكن حاضراً مجلس المناجاة، بل كان في ذلك الوقت بمصر للتغليب، فغلَّب الحاضر على غيره، وتقدم هناك أن الله في ذلك الوقت أرسل جبريل بالرسالة لهارون، وهو بمصر .اهـ.

وقال أبو حيان[1]: قوله: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ يحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿وَنَجْعَلُ﴾، أو بـ﴿يصلون﴾، أو بـ﴿الغالبون﴾، وإن كان موصولاً، على مذهب من يجوز عنده أن يتقدم الظرف والجار والمجرور على صلة أل، لأنهم يتوسعون فيهما أو بفعل محذوف؛ أي: اذهبا بآياتنا كما عُلِّق في تسع آيات بـ﴿اذهب﴾، أو تمتنعان منهم بآياتنا، وهذه أعاريب منقولة انتهى.

وقال الأخفش وابن جرير: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: أنتما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا.

ثم أبان ما صدر من فرعون عقب مجيء موسى إليه فقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾؛ أي: فلما جاء فرعون وقومه ﴿مُوسَىٰ﴾ عليه السلام حال كونه متلبساً ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ ومعجزاتنا، حالة كونها ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾؛ أي: واضحات الدلالة على صحة رسالته منه تعالى، والمراد[2] بالآيات المعجزات حاضرة كانت كالعصا واليد، أو

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

مترقبة كغيرها من الآيات التسع، فإن زمان المجيء وقت ممتد يسع الجميع، فلهذا جمع الآيات مع أن الظاهرة منها ثنتان فقط، العصا واليد، وقيل: جمعها لأن العصا في نفسها آيات عديدة، باعتبار أحوالها.

﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: قال فرعون وقومه: ﴿مَا هَٰذَآ﴾؛ أي: ما هذا الذي جئت به يا موسى ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾؛ أي: سحر مختلق مكذوب، اختلقته من قبل نفسك، لم يُفعل قبل هذا مثله، وذلك لأن النفس خُلقت من أسفل عالم الملكوت متنكسة، والقلب خلق من وسط عالم الملكوت، متوجهاً إلى الله سبحانه، فما كذب الفؤاد ما رأى، وما صدقت النفس ما رأت، فيرى القلب إذا كان سليماً من الأمراض والعلل الحق حقاً، والباطل باطلاً، والنفس ترى الحق باطلاً والباطل حقاً، ولهذا كان من دعائه ﷺ: «اللهم أرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه». وكان ﷺ مقصوده في ذلك سلامة القلب من الأمراض والعلل، وهلاك النفس، وقمع هواها، وكسر سلطانها، كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ السحر الذي جئت به، أو بهذا الذي جئت به من دعوى النبوة والرسالة ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: واقعاً في أيامهم وكائناً، أو المعنى: ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي تدعونا إليه من التوحيد، والذي تدَّعيه من الرسالة عن الله تعالى واقعاً ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقد كذبوا، فإنهم سمعوا ذلك على أيام يوسف عليه السلام.

﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿مُوسَىٰ﴾ عليه السلام، قرىء بالواو وبدونها، على كونها واقعة في جواب سؤال مقدر ﴿رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾ يريد نفسه، فيعلم أني محق، وأنتم مبطلون، وإنما جاء بهذه العبارة لئلا يصرح لهم بما يريده، قبل أن يوضح لهم الحجة. والله أعلم.

﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾؛ أي: عاقبة دار الدنيا، وهي الجنة، لأنها خلقت ممراً إلى الآخرة ومزرعة لها، والمقصود منها بالذات هو الثواب، وأما العقاب فمن نتائج أعمال العصاة وسيآتهم، فالعاقبة المطلقة الأصلية للدنيا هي

العاقبة المحمودة دون المذمومة، ولا اعتداد بعاقبة السوء، ويكون العقاب إنما قصد بالتبعية.

﴿إِنَّهُ﴾؛ أي: إن الشأن والحال ﴿لَا يُفْلِحُ﴾ ولا يظفر ﴿الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم بإهلاكها في الكفر والتكذيب؛ أي: لا يفوزون بمطلوب، ولا ينجون من محذور، ومن المحذور العذاب الدنيوي، ففيه إشارة إلى نجاة المؤمن وهلاك الكافر، وإلى أن الواجب على كل نفس السعي في نجاتها، ولو هلك غيرها لا يضرها.

وقرأ الجمهور: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ بالواو، وقرأ مجاهد وابن كثير وابن محيصن: ﴿قال موسى﴾ بلا واو، وكذلك هو في مصاحف أهل مكة، ومناسبة[1] قراءة الجمهور: أنه لما جاءهم بالبينات قالوا: كيت وكيت، وقال موسى: كيت وكيت، فيتميز الناظر فصل ما بين القولين، وفساد أحدهما، إذ قد تقابلا، فيعلم يقيناً أن قول موسى هو الحق والهدى، ومناسبة قراءة ابن كثير[2]: أنه إذا كانت الجملة الثانية كالمتصلة بالأولى، لكونها جواباً لسؤال اقتضته الأولى، تنزل الأولى منزلة السؤال، فتفصل الثانية عنها، كما يفصل الجواب عن السؤال .اهـ. «زاده»، كأنه قيل هنا: ماذا قال موسى في جوابهم: فقال: قال موسى ربي أعلم.. إلخ.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف والمفضل[3]: ﴿ومن يكون له عاقبة الدار﴾ بالتحتية، على أن اسم يكون عاقبة الدار، والتذكير لوقوع الفصل، ولأنه تأنيث مجازي. وقرأ الباقون: ﴿تكون﴾ بالفوقية، وهي أوضح من القراءة الأولى.

وعبارة النسفي هنا: أي ربي أعلم منكم بحال من أهّله الله سبحانه للفلاح الأعظم، حيث جعله نبياً وبعثه بالهدى، ووعده حسن العقبى، ولو كان كما تزعمون ساحراً مفترياً لما أَهَّلَهُ لذلك، لأنه غني حكيم، لا يرسل الكاذبين، ولا

---

(١) البحر المحيط.
(٢) زادة.
(٣) زاد المسير.

ينبىء الساحرين، ولا يفلح عنده الظالمون. انتهت.

وفي هذا الأسلوب من أدب الخطاب في الحجاج والمناظرة ما لا يخفى[1]، فهو لم يؤكد أن خصمه في ضلال، كما لم ينسبه إلى نفسه بل ردده بينهما، وهو يعلم أنه لأيهما، وعلى هذا النحو جاء الخطاب من النبي ﷺ للمشركين بقوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

ثم علل هذا بأن سنة الله قد جرت بأن المخذول هو الكاذب، فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾؛ أي: إنه لا ينجح الكافرون، ولا يدركون طلبتهم، وفي هذا إيماء إلى أنهم لا يظفرون بالفوز والنجاة، بل يحصلون على ضد ذلك، ولله در القائل من بحر الطويل:

فَلَيْتَكَ تَحْلُوْ وَٱلْحَيَاةُ مَرِيْرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَىٰ وَٱلأَنَامُ غِضَابُ
وَلَيْتَ ٱلَّذِيْ بَيْنِيْ وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِيْ وَبَيْنَ ٱلْعَالَمِيْنَ خَرَابُ

فائدة: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾ الآية. قاله[2] هنا بزيادة الباء في قوله: ﴿بِمَن جَآءَ﴾ وفي قوله في آخر السورة: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بدون زيادة الباء، تقوية للعامل هنا بحسب الظاهر، لضعفه عن العمل، لكونه اسم تفضيل، وحذفه هناك اكتفاء بدلالة الأول عليه.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ بعدما جمع السحرة وتصدى للمعارضة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾ والأشراف؛ أي: يا أيها القوم ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم﴾ في أي زمن ﴿مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾؛ أي: إلهاً غيري، كما يدَّعي موسى، والأمر محتمل أن يكون، وسأحقق ذلك لكم، وهذا الكلام ظاهره الإنصاف، ليتوصل بذلك إلى قبولهم ما يقول لهم بعد ذلك في شأن الإله، وتسليمهم إياه اعتماداً على ما رأوا من عظيم نصفته في القول؛ أي: ليس لكم إله غيري في الأرض.

---

(١) المراغي. (٢) فتح الرحمٰن.

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان قالهما فرعون، قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ وقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ كان بينهما أربعون سنة، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى».

وخلاصة مقاله[1]: لا علم لي برب غيري فتعبدوه، وتصدقوا قول موسى فيما جاءكم به، من أن لكم وله رباً غيري، ومعبوداً سواي، ونحو الآية قوله: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ وقوله: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

قال الرازي: ليس مراده من ادعاء الألوهية أنه خالق السمٰوات والأرض، والبحار والجبال، وخالق الناس، فإن العلم بامتناع ذلك واضح لكل ذي عقل، بل مراده بذلك وجوب عبادته فهو ينفي وجود الإله، ويقول لا تكليف على الناس إلا أن يطيعوا مليكهم، وينقادوا لأمره .اهـ بتصرف.

ثم خاطب وزيره هامان، آمراً له على سبيل التهكم أمام موسى، ليشكك قومه في صدق مقالته، فقال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ وهو التراب والماء المختلط؛ أي: أوقد النار على الطين بعد اتخاذه لبناً، حتى يصير آجراً، ولم يقل فرعون: اطبخ لي الآجر، لأنه أول من عمل الآجر، ولذلك أمره باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة.

﴿فَاجْعَل لِّي﴾ من ذلك الطين الذي توقد عليه حتى يصير آجراً ﴿صَرْحًا﴾؛ أي: قصراً عالياً مشرفاً كالمنارة ﴿لَّعَلِّي﴾ أصعد إليه و﴿أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ وأنظر إليه واقفاً عليه؛ أي: فاصنع لي آجراً، واجعل لي منه قصراً شامخاً، وبناء عالياً، أصعد وأرتقي إلى إله موسى، الذي يعبده في السماء، ويدَّعي أنه يؤيده وينصره، وهو الذي أرسله إلينا. وبمعنى الآية قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي

---

(١) المراغي.

صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾.

وإنما[1] حذف هنا ﴿أَتَىٰهُمۡ كِبۡرٌ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾ وذكره في غافر، لأن ما هنا تقدَّمه ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ من غير ذكر أرض، ولا غيرها، فناسبه الحذف، وما هناك تقدمه ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ فناسبه مقابلته بالسماء في قوله: ﴿ لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

ثم زاد قومه شكاً في صدقه بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾؛ أي: أظن موسى ﴿مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ في ادعائه أن له إلهاً غيري، وأنه رسوله. قاله تلبيساً وتمويهاً على قومه، لا تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾؛ أي: وإني لأظنه كاذباً فيما يدعي من أن له معبوداً في السماء، ينصره ويؤيده، وأنه هو الذي أرسله.

قال في «الأسئلة المقحمة»: ولا يُظن بأن فرعون كان شاكاً في عدم استحقاقه لدعوى الإلهية في نفسه، إذ كان يعلم حال نفسه من كونها أهل الحاجات ومحل الآفات، ولكن كان معانداً في دعواه، مجاحداً من غير اعتقاد له في نفسه بالإلهية.

وإنما قال هنا[2]: ﴿لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ وقال في غافر: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ موافقة للفاصلة هنا، وعلى الأصل بلا معارض ثَمَّ.

واعلم[3]: أن فرعون أوهم قومه أن إله موسى يمكن الوصول إليه والقدرة عليه، وهو عالم متيقن أن ذلك لا يمكن له، وقومه لغباوتهم وجهلهم، وإفراط عمايتهم يمكن ذلك عندهم، ونفس إقليم مصر يقضي لأهله تصديقهم بالمستحيلات، وتأثرهم بالموهمات والخيالات، ولا يُشك أنه كان من قوم فرعون من يعتقد أنه مبطل في دعواه، ولكن يوافقه مخافة سطوه، واعتدائه، كما

---

(١) فتح الرحمٰن.
(٢) فتح الرحمٰن.
(٣) البحر المحيط.

رأيناه يعرض لكثير من العقلاء، إذا حدَّث رئيس بحضرته بحديث مستحيل يوافقه على ذلك الحديث.

ولا يدل الأمر ببناء الصرح على أنه بني، وقد اختُلف في ذلك، فقيل: بناه، وذُكر من وصفه بما الله أعلم به، وقيل: لم يبن. قال أهل السير: لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة، حتى اجتمع عنده خمسون ألف بنَّاء، سوى الأتباع والأجراء، وطبخ الآجر والجص، ونجر الخشب وضرب المسامير، وأمر بالبناء، فبنوه ورفعوه وشيدوه، حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق، واشتد ذلك على موسى وهارون، لأن بني إسرائيل كانوا معذبين في بنائه، وأراد الله أن يفتنهم فيه، فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه، وأمر بنشَّابة فرمى بها نحو السماء فرُدَّت إليه، وهي ملطخة دماً، فقال قد قتلت إله موسى، وكان فرعون يقصده راكباً على البراذين، فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحيه، فقطعه ثلاث قطع، فوقعت قطعة منه على عسكره، فقتلت منهم ألف ألف رجل، ووقعت قطعة منه في البحر، وقطعة في المغرب، فلم يبق أحد عمل فيه شيئاً إلا هلك إلا من آمن بموسى.

قال أبو الليث: كان بلاط القصر خبث القوارير، وكان الرجل لا يستطيع القيام عليه من طوله، مخافة أن ينسفه الريح، وكان طوله خمسة آلاف ذراع، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع.

كلمة غريبة: وكتب بهلول على حائط من حيطان قصر عظيم بناه الخليفة هارون الرشيد: يا هارون رفعت الطين ووضعت الدين، رفعت الجص ووضعت النص، إن كان من مالك فقد أسرفت، إن الله لا يحب المسرفين، وإن كان من مال غيرك فقد ظلمت، إن الله لا يحب الظالمين.

ثم ذكر سبحانه ما هو السبب في العناد والجحود، فقال: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ﴾؛ أي: فرعون ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾؛ أي: جموعه القبط؛ أي: تعظموا عن الإيمان، ولم ينقادوا للحق ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في أرض مصر وما يليها، ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: حالة كونهم متلبسين بغير الحق؛ أي: بالباطل والكفر، أو استكبروا بغير

استحقاق للتكبر، فالاستكبار[1] بالحق لله سبحانه وتعالى، وهو المتكبر على الحقيقة؛ أي: المستحق للكبرياء، كما حكى النبي ﷺ عن ربه «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار»، وكل مستكبر سواه تعالى فاستكباره بغير الحق، والاستكبار التعظيم بغير استحقاق، بل بالعدوان، لأنه لم يكن له حجة يدفع بها ما جاء به موسى، ولا شبهة ينصبها في مقابلة ما أظهره من المعجزات.

﴿وَظَنُّوٓا۟﴾؛ أي: وظن فرعون وجنوده ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾؛ أي: لا يردون بالبعث للجزاء.

وقرأ حمزة والكسائي ونافع وعلي وخلف ويعقوب[2]: ﴿لا يرجعون﴾ مبنياً للفاعل، والجمهور: مبنياً للمفعول، والمعنى؛ أي: ورأى هو وجنوده كل من سواهم في أرض مصر حقيراً، عتواً منهم على ربهم، وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يُبعثون، ولا يُثابون، ولا يعاقبون. ومن ثم ركبوا أهواءهم، ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد، وأنه مجازيهم على خبيث أعمالهم وسيىء أقوالهم.

ثم أخبر بما نالهم من عقاب الدنيا بعد أن توعدهم بعقاب الآخرة، فقال: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾؛ أي: أخذنا فرعون وجموعه عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو أقصى الغايات.

ونظيره[3]: قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾؛ أي: فجمعنا فرعون وجنوده من القبط، ﴿فَنَبَذْنَـٰهُمْ﴾؛ أي: فطرحناهم، وألقيناهم ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: في بحر القلزم، وقيل: هو بحر سمي إسافاً من وراء مصر، حكاه ابن عساكر؛ أي: عاقبناهم بالإغراق فيه، وفيه تعظيم شأن الآخذ، وتحقير شأن المأخوذين، حيث إنهم مع كثرتهم، كحصيات تؤخذ بالكف، وتُطرح في البحر.

---

(١) النسفي.

(٢) البحر المحيط.

(٣) البيضاوي.

﴿فَٱنظُرۡ﴾ يا محمد بعين قلبك ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: كيف كان آخر أمر المشركين، حتى صاروا إلى الهلاك، وبيِّنه لقومك، ليعتبروا به، فإنك منصور عليهم.

وفي هذا[1]: ما لا يخفى من الدلالة على عظم شأن الخالق وكبريائه وسلطانه، وشديد احتقاره لفرعون وقومه، واستقلاله لهم، وإن كانوا عدداً كثيراً وجمّاً غفيراً، فما مثلهم إلا مثل حصيات صغار قذفها الرامي من يده في البحر.

ثم أمر رسوله ﷺ وقومه بالنظر والاعتبار، والتأمل في العواقب، ليعلموا أن هذه سنة الله في كل مكذب برسله، حيث قال: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: فانظر أيها المعتبر بالآيات كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، وكفروا بربهم، وردوا على رسوله نصيحته، ألم نهلكهم، ونورث ديارهم وأموالهم أولياءنا، ونخوِّلهم ما كان لهم من جنات وعيون، وكنوز ومقام كريم، بعد أن كانوا مستضعفين، تُقتَّل أبناؤهم، وتُستحيا نساؤهم، وإنا بك وبمن آمن بك فاعلون، فمخوِّلوك وإياهم ديار من كذبك وردَّ عليك ما أتيتهم به من الحق وأموالهم، بعد أن تستأصلوهم قتلاً بالسيف، سنة الله سبحانه في الذين خلوا من قبله.

ثم ذكر ما يوجب سوء عاقبتهم وعذابهم في النار، فقال: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾؛ أي: صيَّرنا فرعون وقومه في عهدهم ﴿أَئِمَّةً﴾؛ أي[2]: رؤساء، وقرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير أيمة بإبدال الهمزة الثانية ياء، ﴿يَدۡعُونَ﴾ الناس ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: إلى ما يؤدي إليها من الكفر والمعاصي؛ أي: جعلناهم قدوة يقتدي بهم أهل الضلال والفساد، فيكون عليهم وزرهم، ووزر من تبعهم، فكأنهم بإصرارهم على الكفر والتمادي فيه يدعون أتباعهم إلى النار، لأنهم اقتدوا بهم، وسلكوا طريقتهم تقليداً لهم.

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

والمعنى[1]: أي وجعلنا فرعون وقومه أئمة يقتدي بهم أهل العتو والكفر بالله تعالى، فهم يحثون على فعل الشرور والمعاصي، وتدسية النفوس بالفسوق والآثام، التي تلقي بفاعلها في النار، وما كفاهم أن كانوا ضالين كافرين بالله ورسوله، بل دأبوا على إضلال سواهم، وتحسين العصيان لهم، وبذا قد ارتكبوا جريمتين، فباؤوا بجزائين، جزاء الضلال، وجزاء الإضلال، وقد جاء في الحديث: «من سن سنة حسنة كان له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

ثم ذكر أنه لا نصير لهم، ولا شفيع في ذلك اليوم، فقال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه؛ أي: ويوم القيامة لا يجدون نصيراً، يدفع عنهم عذاب الله سبحانه إذا حاق بهم، وقد كانوا في الدنيا يتناصرون، فكان لهم مطمع في النصرة يومئذٍ بحسب ما يعرفون.

ثم ذكر ما هو كالفذلكة لما تقدم، وبيَّن سوء حالهم في الدارين فقال: ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ﴾؛ أي: ألحقناهم ﴿فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ وألزمناهم ﴿لَعْنَةً﴾؛ أي: طرداً وإبعاداً من الرحمة، أو لعناً من اللاعنين، لا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون، خلفاً عن سلف، أو أمرنا العباد بلعنهم، فكل من ذكرهم لعنهم، والأول أولى، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾؛ أي: من المطرودين المبعدين. وقيل: من المهلكين الممقوتين، وقال ابن عباس[2]: من المشوَّهين بسواد الوجوه، وزرقة العيون.

و﴿يَوْمَ﴾ متعلق بـ﴿ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ على أن اللام معرفة لا موصولة، يقال: قبح الله فلاناً قبحاً وقبوحاً؛ أي: أبعد من كل خير، فهو مقبوح، كما في «القاموس» وغيره. وعليه بنى الراغب، حيث قال في «المفردات»: ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾؛ أي: من الموسومين بحالة منكرة، كسواد الوجوه وزرقة العين، وسحبهم بالأغلال

---

(١) المراغي.

(٢) الخازن.

والسلاسل وغيرها. انتهى باختصار، قال في «الوسيط»: فيكون بمعنى المُقَبَّحِين. انتهى.

والمعنى[1]: أي وألزمنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزياً وغضباً منا عليهم، ومن ثم قضينا عليهم بالهلاك والبوار، وسوء الأحدوثة، ونحن متبعوهم لعنة أخرى يوم القيامة، فمخزوهم الخزي الدائم، ومهينوهم الهوان اللازم، الذي لا فكاك عنه.

ودلت الآية[2] على أن الاستكبار من قبائحهم المؤدية إلى هذه القباحة والطرد، قال عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه سبحانه: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار» وصف الحق سبحانه نفسه بالرداء والإزار، دون القميص والسراويل، لكونهما غير مخيطين، فبَعُدا عن التركيب الذي هو من أوصاف الجسمانيات.

واعلم: أن الكبر يتولد من الإعجاب، والإعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن، والجهل رأس الانسلاخ من الإنسانية، ومن الكبر الامتناع من قبول الحق، ولذا عظَّم الله أمره، فقال: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، وأقبح كبر بين الناس ما كان معه بخل، ولذلك قال عليه السلام: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل والكبر» ومن تكبر لرياسة نالها دل على دناءة عنصره، ومن تفكر في تركيب ذاته، فعرف مبدأه ومنتهاه وأوسطه عرف نقصه، ورفض كبره، ومن كان تكبره لغنية، فليعلم أن ذلك ظل زائل، وعارية مستردة.

ثم بيَّن سبحانه الحاجة التي دعت إلى إرسال موسى، ليكون كالتوطئة لبيان الحاجة الداعية إلى إنزال القرآن الكريم على رسوله ﷺ فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد أعطينا موسى الكتاب، وأنزلنا عليه التوراة،

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

وفصَّلنا فيها الأحكام التي فيها سعادة البشر في دنياهم وآخرتهم.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا﴾ في الدنيا بالعذاب ﴿ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾؛ أي: الأمم التي من قبل موسى وقومه، كقوم نوح وهود وصالح[1]، ودُرست معالم الشرائع وطُمست آثارها، واختلَّت نُظُم العالم، وفشا بينهم الشر والفساد، ورُفع الخير فاحتاج الناس إلى تشريع جديد، يُصلح ما فسد من عقائدهم وأفعالهم، بتقرير أصول في ذلك التشريع تبقى على وجه الدهور، وترتيب فروع تتبدل بتبدل العصور، واختلاف أحوال الناس حالة كون ذلك الكتاب، ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: أنواراً لقلوب بني إسرائيل، تبصر بها الحقائق وأصول الدين، وتميز بها بين الحق والباطل، حيث كانت عمياء عن الفهم والإدراك بالكلية، ﴿و﴾ حالة كونه ﴿هُدًى﴾ للناس؛ أي: هادياً لهم إلى الشرائع والأحكام، التي هي سبيل الله سبحانه.

قال في «إنسان العيون»[2]: التوراة أول كتاب اشتمل على الأحكام والشرائع، بخلاف ما قبلها من الكتب، فإنها لم تشتمل على ذلك، وإنما كانت مشتملة على الإيمان بالله وحده، وتوحيده، ومن ثمة قيل لها: صحف، وإطلاق الكتب عليها مجاز.

﴿و﴾ حالة كونه ﴿رَحۡمَةً﴾؛ أي: ذا رحمة لهم، حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وجنته، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: لكي يتذكروا، ويتعظوا بما فيه فيؤمنوا به، ويشكروه عليه، ولا يكفروه، ويجيبوا داعيه إلى ما فيه خير لهم.

قال أبو سعيد الخدري: قال النبي ﷺ: «ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء، ولا من الأرض منذ أنزل التوراة على موسى، غير القرية التي مُسخت قردة، ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾».

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

ولما قص الله سبحانه وتعالى من أنباء موسى وغرائب ما جرى له من الحمل به في وقت ذبح الأبناء[1]، ورميه في البحر في تابوت، ورده إلى أمه، وتبني فرعون له، وإيتائه الحكم والعلم، وقتله القبطي، وخروجه من منشئه فاراً، وتصاهره مع شعيب، ورعيه لغنمه السنين الطويلة، وعوده إلى مصر، وإضلاله الطريق ومناجاة الله له، وإظهار تينك المعجزتين العظيمتين على يديه، وهما العصا واليد، وأمره بالذهاب إلى فرعون ومحاورته معه، وتكذيب فرعون، وإهلاكه وإهلاك قومه، والامتنان على موسى بإيتائه التوراة، وأوحى تعالى بجميع ذلك إلى محمد رسوله ﷺ.

ذكره بإنعامه عليه بذلك، وبما خصه من الغيوب التي كان لا يعلمها لا هو ولا قومه، فقال: ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد حاضراً مع موسى ﴿بِجَانِبِ﴾ الجبل ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ من موسى ﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾ وأوحينا ﴿إِلَىٰ مُوسَى﴾ في حال رجوعه من مدين إلى مصر ﴿ٱلْأَمْرَ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه؛ أي: ما كنت حاضراً معه إذ ناديناه، وألزمناه بالذهاب إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾؛ أي: من الحاضرين قصته مع شعيب، فتُخبره للناس على الوجه الذي أتيناك به في هذه الأساليب المعجزة.

وخلاصة ذلك[2]: إن إخبارك بالغيوب الماضية، التي لم تشهدها، وقد قصصتها كأنك سامع راء لها، وأنت أمي لا تقرأ ولا تكتب، وقد نشأت بين قوم أميين لا يعرفون شيئاً من ذلك، لهو من أعظم البراهين على نبوتك، وإن إخبارك بذلك إنما هو بوحي من الله سبحانه كما قال: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

فإن قلت[3]: إن هذا الآية يُغني أولها، أعني قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ عن آخرها، أعني قوله: ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ وأي فائدة في ذكر آخرها؟

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

(٣) فتح الرحمٰن بتصرف.

قلتُ: لا يُغني أولها عن آخرها، إذ معنى أولها وما كنت يا محمد حاضراً إذ أوصلنا إلى موسى الوحي في الجانب الغربي من جبل الطور، ومعنى آخرها وما كنت من الشاهدين؛ أي: من الحاضرين قصته مع شعيب عليهم السلام، فاختلفت القصتان فلا إيراد على الآية.

وقوله: ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ إما على[1] حذف الموصوف وإقامة صفته مقامه؛ أي: وما كنت بجانب الجبل الغربي، أو بجانب المكان الغربي الذي وقع فيه مناجاة موسى مع ربه، أو من إضافة الموصوف إلى صفته كمسجد الجامع؛ أي: بالجانب الغربي، وعلى كلا التقديرين فجبل الطور غربي من موسى عليه السلام.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا﴾؛ أي: أوجدنا وخلقنا ﴿قُرُونًا﴾ كثيرة، وأمماً عديدة، بين زمانك يا محمد، وبين زمان موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ﴾؛ أي: على أولئك القرون ﴿ٱلْعُمُرُ﴾ والأمد والحياة والأجل، فلم يؤمنوا، فأهلكناهم قرناً بعد قرن؛ أي[2]: طالت أعمارهم، وامتدت مهلتهم، وتمادت حياتهم، وفترت النبوة، واندرست العلوم، ووقع التحريف في كثير منها، فتغيرت الشرائع والأحكام، وعميت عليهم الأنباء، وكادت الأخبار تخفى، لا سيما على آخرهم، فاقتضى الحال التشريع الجديد، فأرسلناك مجدداً لتلك الأخبار، مبيناً ما وقع فيه التحريف، وأعطيناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى، كأنه قال: وما كنت شاهداً لموسى وما جرى عليه، ولكنا أوحيناه إليك، ليكون إخبارك عن قصته معجزة لك، وبرهاناً على صدقك، فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة، ودل به على المسبب الذي هو الوحي، اختصاراً.

وعبارة أبي حيان: فإن قلت: كيف يتصل قوله: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ بهذا الكلام، ومن أي جهة يكون استدراكاً؟

قلت: اتصاله به وكونه استدراكاً من حيث إن معناه: ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قروناً كثيرة فتطاول على آخرهم، وهو القرن الذي أنت فيهم

---

(1) روح البيان.
(2) النسفي.

العمر؛ أي: أمد انقطاع الوحي، واندرست العلوم، فوجب إرسالك إليهم، فأرسلناك، وكسبناك العلم بقصص الأنبياء، وقصة موسى.

وقد استُدل بهذا الكلام على أن الله سبحانه قد عهد إلى موسى عهوداً في محمد ﷺ، وفي الإيمان به، فلما طال عليهم العمر، ومضت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود، وتركوا الوفاء بها، وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿ثَاوِيًا﴾؛ أي: مقيماً ﴿فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾؛ أي: مع موسى وشعيب والمؤمنين به، نفي لاحتمال كون معرفته للقصة بالسماع ممن شاهدها؛ أي: وما كنت مقيماً بين أهل مدين، كما أقام موسى فيهم، حالة كونك ﴿تَتْلُواْ﴾ وتقرأ ﴿عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على أهل مدين ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ الناطقة بالقصة بطريق التعلم منهم، فتقرأ على أهل مكة خبرهم، وتقص عليهم من جهة نفسك، وإنما أتتك بطريق الوحي الإلهي، فإخبارك لأهل مكة إنما هو عن وحي، لا عن مشاهدة للمخبر عنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ إياك[1]، وموحين إليك تلك الآيات ونظائرها، لتتلوها على أهل مكة، فتكون آية على صدقك، ولولا ذلك لما علمتها أنت، ولم تخبرهم بها. قال الزجاج: المعنى: إنك لم تشاهد قصص الأنبياء، ولا تُليت عليك، ولكنا أوحيناها إليك، وقصصناها عليك.

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾؛ أي: بجانب الجبل المسمى بالطور ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾؛ أي: وقت ندائنا موسى ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، واستنبائنا إياه، وإرسالنا له إلى فرعون وقومه، والمراد[2] جانب الطور الأيمن، كما قال: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ ولم يذكره هنا احترازاً عن إيهام الذم، فإنه ﷺ لم يزل بالجانب الأيمن من الأزل إلى الأبد، ففيه إكرام له، وحسن عبارة معه.

وقيل معناه: وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى ليلة المناجاة والتكليم، لما أتى الميقات مع السبعين، لأخذ التوراة، إذ قلنا له: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾.

---

(١) المراح.

(٢) روح البيان.

وقال وهب بن منبه[1]: لما ذكر الله سبحانه فضل محمد وأمته قال موسى: يا رب أرنيهم، فقال الله: إنك لن تصل إلى ذلك، ولكن إن شئت ناديت أمته وأسمعتك صوتهم، قال: بلى يا رب، قال الله تعالى: يا أمة محمد، فأجابوه من أصلاب آبائهم.

وقال ابن عباس: قال الله تعالى: «يا أمة محمد، فأجابوه من أصلاب الآباء والأرحام؛ أي: أرحام الأمهات، لبيك اللهم لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك، لا شريك لك، قال الله تعالى: يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي، وعفوي سبق عقابي، قد أعطيتكم قبل أن تسألوني، وقد أجبتكم قبل أن تدعوني، وقد غفرت لكم قبل أن تستغفروني، ومن جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي دخل الجنة، وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر».

وعلى ما قاله وهب يكون المنادى هو أمة محمد ﷺ، فيكون معنى الآية: وما كنتَ يا محمد بجانب الطور إذ كلَّمْنا موسى، فنادينا أمتك ﴿وَلَٰكِن﴾ أرسلناك بالقرآن العظيم الناطق بما ذكر ﴿رَّحْمَةً﴾ عظيمة كائنة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: لأجل رحمة كائنة منا لك، وللناس.

وقال الأخفش[2]: هو منصوب، يعني رحمة على المصدر؛ أي: رحمناك رحمة بإرسالك، والوحي إليك، وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك، وقال الزجاج: هو مفعول لأجله؛ أي: فعلنا ذلك بك لأجل الرحمة.

وقرأ الجمهور: ﴿رَّحْمَةً﴾ بالنصب، فقُدِّر: ولكن جعلناك رحمة، وقُدِّر أعلمناك ونبأناك رحمة، وقرأ عيسى بن عمر وأبو حيوة: بالرفع، وقُدِّر: ولكن هو رحمة، أو أنت رحمة، و﴿اللام﴾ في قوله: ﴿لِتُنذِرَ﴾ وتخوِّف بأس الله وعذابه بالقرآن ﴿قَوْمًا﴾ هم أهل مكة[3]، متعلقة بالفعل المعلل بالرحمة، وجملة ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ صفة ﴿قَوْمًا﴾؛ أي: لم يأتهم نذير ينذرهم من بأس

---

(١) الخازن.

(٢) الشوكاني.

(٣) روح البيان.

الله، لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى، وهي خمس مئة وخمسون سنة، أو بينك وبين إسماعيل، على أن دعوة موسى وعيسى مختصة ببني إسرائيل، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ويتعظون بإنذارك.

وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الأمر، والثواء في أهل مدين، والنداء، للتنبيه على أن كلاً من ذلك برهان مستقل، على أن حكايته عليه السلام للقصة بطريق الوحي الإلهي، ولو ذكر أولاً نفي ثوائه ﷺ في أهل مدين، ثم نفي حضوره ﷺ عند قضاء الأمر، كما هو الموافق للترتيب الوقوعي، لربما توهم أن الكل دليل واحد كما في «الإرشاد».

ثم من التذكير تجديد العهد الأزلي، وذلك بكلمة الشهادة، وهي سبب النجاة في الدارين.

واعلم[1]: أن الله سبحانه لما بيَّن قصة موسى عليه السلام لرسوله ﷺ جمع بين هذه الأحوال الثلاثة العظيمة، التي اتفقت لموسى، فالمراد بقوله: ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ هو إنزال التوراة عليه حتى تكامل دينه، واستقر شرعه.

والمراد بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ أول أمر موسى، والمراد بقوله: ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ ليلة المناجاة، فهذه أعظم أحوال موسى، ولما بيَّنها لرسوله، ولم يكن في هذه الأحوال حاضراً بيَّن الله سبحانه أنه بعثه، وعرَّفه هذه الأحوال الدالة على نبوته ﷺ، ومعجزته، كأنه قال: في إخبارك عن هذه الأشياء، من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك.

وحاصل معنى الآية[2]: أي وما كنت بجانب جبل الطور ليلة المناجاة، وتكليم الله موسى حتى تُحدث أخبارها، وتفصِّل أحوالها، حديث الخبير العليم ببواطن أمورها وظواهرها، ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بتلك الأخبار، وبغيرها مما فيه صلاح البشر وسعادتهم، في معاشهم ومعادهم، لتنذر قوماً لم يأتهم قبلك

---

(١) الخازن. (٢) المراغي.

نذير، وتحذرهم بأس الله، وشديد عقابه على إشراكهم به، وعبادتهم الأوثان والأنداد، لعلهم يرجعون عن غيِّهم، ويتذكرون عظيم خطئهم، وكبير جرمهم، فينيبوا إلى ربهم، ويقروا بوحدانيته، ويفردوه بالعبادة دون سواه من الآلهة.

ثم ذكر الحكمة في إرسال الرسول ﷺ، إليهم وأن في ذاك قطعاً لمعذرتهم، حتى إذا جاءهم بأسنا لم يجدوا حجة، فقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾؛ أي: أهل مكة، والمصيبة العقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: بما اقترفوا من الكفر والمعاصي، وأسند[1] التقديم إلى الأيدي، لأنها أقوى ما يُزاول به الأعمال، وأكثر ما يُستعان به في الأفعال.

﴿فَيَقُولُواْ﴾ عند رؤية العذاب، عطف على ﴿تُصِيبَهُم﴾، داخل في حيِّز ﴿لَوْلَآ﴾ الامتناعية، على أن مدار امتناع ما يُجاب به هو امتناعه، لا امتناع المعطوف عليه، وإنما ذُكر في حيِّزها للإيذان بأنه السبب الملجىء لهم إلى قولهم، وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوف، تقديره: ولولا قولهم: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ عند إصابة المصيبة إياهم، بسبب ما قدمت أيديهم في الدنيا موجود لما أرسلناك إليهم، أو لعاجلناهم بالعقوبة بسبب كفرهم، وكلمة ﴿لَوْلَآ﴾ في قوله: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا﴾ هي التحضيضية، بمعنى هلا، ﴿رَسُولًا﴾ مؤيداً من عندك بالآيات، ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ الظاهرة على يده، وهو جواب ﴿لَوْلَآ﴾ الثانية ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بها، وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ الأولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه.

والمعنى[2]: لولا قولهم هذا عند إصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما أرسلناك، لكن لما كان قولهم ذلك محققاً لا محيد عنه، أرسلناك قطعاً لمعاذيرهم بالكلية، وإلزاماً للحجة عليهم.

وعبارة النسفي هنا: ﴿لَوْلَآ﴾ الأولى امتناعية وجوابها محذوف، والثانية تحضيضية، والفاء الأولى للعطف، والثانية جواب لولا التحضيضية، لكونها في

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

حكم الأمر، إذ الأمر باعث على الفعل، والباعث والمحضض من واد واحد. والفاء تدخل في جواب الأمر، والمعنى: ولولا أنهم قائلون إذا عُوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي: هلا أرسلت إلينا رسولاً، محتجين علينا بذلك، لما أرسلنا إليهم رسولاً، يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة، ولا يُلزموها كقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

فإن قلت: كيف[1] استقام هذا المعنى، وقد جُعلت العقوبة هي السبب في الإرسال، لا القول، لدخول لولا الامتناعية عليها دونه؟.

قلت: القول هو المقصود بأن يكون سبباً للإرسال، ولكن العقوبة لما كانت سبباً للقول، وكان وجوده بوجودها جُعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال، فأُدخلت عليها لولا، وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى السببية، ويؤَوَّل معناها إلى قولك: ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلناك إليهم رسولاً.

وحاصل معنى الآية[2]: أي ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلناك إليهم حين يحل بهم بأسنا، ويأتيهم عذابنا على كفرهم بربهم، واجتراحهم للمعاصي قبل أن نرسلك إليهم: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً قبل أن يحل بنا سخطك، وينزل بنا عذابك، فنتبع أدلتك وآي كتابك التي تُنزلها عليه، ونكون من المؤمنين بألوهيتك، المصدقين برسولك.. لعاجلناهم العقوبة على شركهم، لكنا بعثناك إليهم نذيراً ببأسنا، كما هو سنتنا في أمثالهم، كما جاء في الآية الكريمة ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

والخلاصة: أنا أزحنا العذر، وأكملنا البيان، فبعثناك أيها الرسول إليهم، وقد حكمنا بأنا لا نُعاقب عبداً إلا بعد إكمال البيان، والحجة، وبعثة الرسل.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم﴾؛ أي: أهل مكة، وكفار العرب ﴿الْحَقُّ﴾؛ أي: القرآن،

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

لقوله: ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾، ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾؛ أي: بأمرنا ووحينا، كما في «كشف الأسرار».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما جاءهم محمد ﷺ ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: قال كفار مكة تعنتاً واقتراحاً، قال بعضهم: قاله قريش بتعليم اليهود ﴿لَوْلَآ﴾؛ أي: هلا ﴿أُوتِىَ﴾ محمد ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من الكتاب جملة لا مفرقاً.

قال بعض العلماء[1]: حجبوا بكفرهم عن رؤية كماليته ﷺ، وإلا لقالوا: لولا أوتي موسى مثل ما أوتي محمد من الكمالات؛ أي: فلما جاء محمد ﷺ هؤلاء القوم الذين لم يأتهم نذير من قبله بالكتاب الكريم، وهم أهل مكة، قالوا تمرداً وعناداً وتمادياً في الغي والضلال: هلا أُعطي محمد مثل ما أعطي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة، ومن قلب العصا حية، ومن اليد البيضاء، وتظليل الغمام وغير ذلك.

ثم ذكر أن هذه شنشنة المعاندين في كل زمان لا يريدون بما يقولون إظهار الحق، بل يقصدون التمادي والإنكار، ألا ترى أن من أرسل إليهم موسى قالوا مثل هذه المقالة، كما أشار إلى ذلك بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟﴾ الهمزة فيه للاستفهام الإنكاري داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أيقولون ذلك، أعني قولهم: لولا أوتي مثل ما أوتي موسى؛ أي: أيقول كفار مكة ذلك ولم يكفروا ﴿بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾ وأُعطي من الكتاب.

﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل هذا القول، كما كفروا بهذا القرآن، فإن كفار قريش كانوا منكرين لجميع النبوّات، فلما طلبوا من محمد ﷺ معجزات موسى عليه السلام رد الله تعالى عليهم بذلك القول، لأنه لا غرض لهم من هذا الاقتراح إلا التعنت.

ثم بين سبحانه كيفية كفرهم فقال: ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: قال كفار مكة هما

---

(١) روح البيان.

﴿سِحْرَانِ﴾؛ أي: ما أوتي محمد، وما أوتي موسى عليهما السلام سحران ﴿تَظَٰهَرَا﴾؛ أي: تعاونا بتصديق كل منهما الآخر، وذلك أن قريشاً بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود في عيد لهم، فسألوهم عن شأنه ﷺ، فقالوا: إنا نجده في التوراة بنعته وصفته، فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود، قالوا: إن موسى ساحر كما أن محمداً ساحر.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾؛ أي: كفار مكة ﴿إِنَّا بِكُلٍّ﴾؛ أي: بكل واحد من الكتابين ﴿كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: منكرون، والمعنى: إنا بكل من السحرين، أو بكل من الساحرين كافرون، على اختلاف القراءة فيه.

وقرأ الجمهور وابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿ساحران﴾ بصيغة اسم الفاعل، وفيمن عنوا به ثلاثة أقوال[1]:

أحدها: موسى ومحمد، قاله: ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير، فعلى هذا هو من قول مشركي العرب.

والثاني: موسى وهارون، قاله مجاهد، فعلى هذا هو من قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة.

والثالث: محمد وعيسى، قاله قتادة. قال ابن كثير: وهذا فيه بُعدٌ، لأن عيسى لم يجر له ذكرها هنا، وعلى هذا هو من قول اليهود، الذين لم يؤمنوا بنبينا.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وعبد الله وزيد بن علي ﴿سِحْرَانِ﴾ بكسر السين وسكون الحاء. وفيه ثلاثة أقوال أيضاً:

أحدها: التوراة والقرآن، قاله ابن عباس والسدي.

والثاني: الإنجيل والقرآن، قاله قتادة.

والثالث: التوراة والإنجيل، قاله أبو مجلز وإسماعيل بن أبي خالد، ومعنى

---

(١) زاد المسير.

الكلام: كل منهما سحر يقوي الآخر، فنسب التظاهر إلى السحرين توسعاً في الكلام.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿تَظَـٰهَرَا﴾ فعلاً ماضياً على وزن تفاعل. وقرأ طلحة والأعمش: ﴿اظّاهرا﴾ بهمزة الوصل، وشدّ الظاء، وكذا هي في حرف عبد الله، وأصله تظاهراً، فادغم التاء في الظاء فاجتلبت همزة الوصل، لأجل سكون التاء المدغمة، وقرأ محبوب عن الحسن ويحيى بن الحراث الذماري وأبو حيوة وأبو خلا عن اليزيدي: ﴿تظاهراً﴾ بالتاء وتشديد الظاء، وقال ابن خالويه: وتشديده لحن، لأنه فعل ماض، وإنما يشدد في المضارع.

وقال بعضهم: المعنى[2]: أولم يكفر أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم القبط، بما أوتي موسى من قبل القرآن، قالوا: إن موسى وهارون سحران؛ أي: ساحران تظاهرا، وقالوا: ﴿إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ﴾، يقول الفقير: إنه وإن صح إسناد الكفر إلى أبناء الجنس، من حيث إن ملل الكفر واحدة في الحقيقة، فكُفْر ملة واحدة بشيء في حكم كفر الملل الأخرى به، كما أسند أفعال الآباء إلى الأبناء من حيث رضاهم بما فعلوا لكن يلزم على هذا أن يخص ما أوتي موسى بما عدا الكتاب من الخوارق، فإن إيتاء الكتاب إنما كان بعد إهلاك القبط.

فالمعنى الأول هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم، ويدل عليه صريحاً قوله تعالى: ﴿قُلْ فَـأْتُوا بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ...﴾ الآية.

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يتحدى قومه، بأن يأتوا بكتاب أهدى للبشر، وأصلح لحالهم في المعاش والمعاد من التوراة والقرآن، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يقولون هذا القول تعجيزاً لهم، وتوبيخاً ﴿قُلْ فَـأْتُوا بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ﴾ سبحانه ﴿هُوَ﴾؛ أي: ذلك الكتاب ﴿أَهْدَىٰ﴾؛ أي: أكثر هداية للبشر وأصلح لهم ﴿مِنْهُمَآ﴾؛ أي: مما أوتياه من التوراة والقرآن؛ أي: إذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين، وقلتم فيهما ما قلتم فأتوا بكتاب من عند الله هو أوضح

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

في هداية الخلق منهما.

﴿أَتَّبِعْهُ﴾ جواب الأمر؛ أي: فإن أتيتم بذلك الأهدى، وجئتم به فإني لأتركهما وأتبع ما تجيئون به، ومثل هذا الشرط يقوله من وضحت حجته وسنحت محجته، لأن الإتيان بما هو أهدى من الكتابين أمر بيِّن الاستحالة، فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والإفحام والتعجيز المشوب بالتوبيخ.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أن التوراة والقرآن سحران مختلفان، وفي إيراد كلمة ﴿إن﴾ مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم، وفيه أيضاً دليل على أن قراءة الكوفيين: ﴿سحران﴾ أقوى من قراءة الجمهور، لأنه رجع الكلام إلى الكتابين، لا إلى الرسولين، ومعنى ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: إن كنتم فيما وصفتم به الكتابين أو الرسولين صادقين جادين.

وقرأ زيد بن علي برفع[1]: ﴿أتبعه﴾ على الاستئناف؛ أي: فأنا أتبعه، قال الفراء: إنه على هذه القراءة صفة للكتاب.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾؛ أي: فإن لم يستجب لك يا محمد هؤلاء الكفرة دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى، ولن يستجيبوا، كقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ فحذف المفعول به، وهو دعاؤك للعلم به، ولأن فعل الاستجابة يتعدى بنفسه إلى الدعاء، وباللام إلى الداعي، فإذا عدي إليه حذف الدعاء غالباً. كقوله:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيْبُ إِلَىٰ ٱلنِّدَا ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيْبُ

أي: فإن لم يفعلوا ما كلفتهم به من الإتيان بكتاب هو أهدى من الكتابين، وجواب الشرط قوله: ﴿فَٱعْلَمْ﴾ يا محمد ﴿أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ﴾؛ أي: إنما يتبع هؤلاء الكفرة ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾؛ أي: آراءهم الزائغة واستحساناتهم الزائفة، واختراعاتهم الفاسدة، بلا حجة ولا برهان، إذ لو كان لهم ذلك لأتوا به.

---

(١) الشوكاني.

وقيل المعنى: فإن لم يستجيبوا لك بالإيمان بما جئت به، والاستفهام في قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ إنكاري، بمعنى النفي؛ أي: لا أحد أضل ﴿مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ ومشتهاه في الدين ﴿بِغَيْرِ هُدًى﴾ وبيان وحجة ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ سبحانه، بل هو الفرد الكامل في الضلال، وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله لزيادة التقرير، والإشباع في التشنيع والتضليل، وإلا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة. وقال بعضهم: هوى النفس قد يوافق الحق، فلذا قيَّد الهوى به، فيكون في موضع الحال منه.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه ﴿لَا يَهْدِى﴾ ولا يرشد إلى دينه ﴿الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى، والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين.

وينبغي للعاقل أن يكون من أهل الهدى، لا من أهل الهوى، وإذا عرض له أمران فلم يدر أيهما أصوب فعليه بما يكرهه، لا بما يهواه، ففي حمل النفس على ما تكرهه مجاهدة، وأكثر الخير في الكراهية والعمل بما أشار إليه العقل السليم واللب الخالص.

والمعنى: أن الله سبحانه لا يوفِّق لإصابة الحق، واتباع سبيل الرشد من خالفوا أمره، وتركوا طاعته، وكذبوا رسله، وبدلوا عهده، واتبعوا هوى أنفسهم إيثاراً منهم لطاعة الشيطان على طاعة الرحمٰن.

ولما أثبت نبوة محمد ﷺ بيَّن الحكمة في إنزال القرآن منجماً، فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾، قرأ الجمهور ﴿وَصَّلْنَا﴾ مشدد الصاد، والحسن وأبو المتوكل وابن يعمر: بتخفيفها، والضمير في ﴿لَهُمُ﴾ لقريش، والتوصيل مبالغة في الوصل، وحقيقة الوصل رفع الحائل بين الشيئين؛ أي: وعزتي وجلالي لقد أكثرنا لقريش القول موصولاً بعضه ببعض، بأن أنزلنا عليهم القرآن آية بعد آية، وسورة بعد سورة، حسبما تقتضيه الحكمة، ليتصل التذكير، ويكون أدعى لهم؛ أي: أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضاً، ويُخبر عن الأمم الخالية كيف عذبوا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ويتعظون فيؤمنون.

والمعنى: أي ولقد نزلنا عليهم القرآن متواصلاً بعضه إثر بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة، وترشد إليه المصلحة العامة، وهي أن يكون أقرب إلى التذكير والتنبيه، فهم في كل يوم يطلعون فيه على حكمة جديدة وفائدة زائدة، فيكون ذلك أدعى إلى إيمانهم ورسوخه في نفوسهم، وامتلاء قلوبهم نوراً به، أو تابعنا لهم المواعظ والزواجر، وبيَّنا لهم ما أهلكنا من القرون قرناً بعد قرن، فأخبرناهم أنا أهلكنا قوم نوح بكذا، وقوم هود بكذا، وقوم صالح بكذا، لعلهم يتعظون فيخافون أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾ وأعطيناهم ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: التوارة والإنجيل. والمراد بالكتاب الجنس الصادق بالكتابين، وهم مؤمنو أهل الكتاب، ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾؛ أي: من قبل إيتاء القرآن، أو من قبل محمد ﷺ. والموصول مبتدأ خبره جملة قوله: ﴿هم به﴾؛ أي: بالقرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: يصدقون كونه من عند الله سبحانه؛ أي: الذين آمنوا بالتوراة والإنجيل من أهل الكتاب، ثم أدركوا محمداً ﷺ، كعبد الله بن سلام وأضرابه، هم يؤمنون بالقرآن، لأنهم قد وجدوا في كتبهم البشرى به، وانطباق الأوصاف عليه. ونحو الآية قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

ثم بيَّن ما أوجب إيمانهم به بقوله: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ﴾ هذا القرآن ﴿عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾؛ أي: صدَّقنا بأنه كلام الله سبحانه، وقالوا: ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ الذي نزل ﴿مِن﴾ عند ﴿رَّبِّنَآ﴾ حقاً و﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ﴾؛ أي: من قبل نزوله وقراءته علينا ﴿مُسْلِمِينَ﴾؛ أي: مخلصين لله بالتوحيد، مؤمنين بمحمد ﷺ، أنه نبي حق؛ أي: وإذا تُلي هذا القرآن عليهم قالوا: صدقنا بأنه نزل من عند ربنا حقاً، وقد كنا مصدقين به قبل نزوله، لأنا وجدنا في كتبنا نعت محمد، ونعت كتابه. وفي هذا إيماء إلى أن إيمانهم به أمر متقادم العهد، لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة، وأنهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن.

والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى الموصوفين بتلك الصفات، أي: أولئك

الموصوفون بما ذكر من النعوت ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم﴾ أي: يعطون ثوابهم في الآخرة ﴿مَّرَّتَيْنِ﴾ مرة على إيمانهم بكتابهم، ومرة على إيمانهم بالقرآن، أو بإيمانهم بنبيهم أولاً، وبإيمانهم بمحمد ﷺ، أو بإيمانهم بمحمد قبل بعثته وبعد بعثته. والباء في قوله: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ للسببية أي: بسبب صبرهم وثباتهم على الإيمانين، والعمل بالشريعتين.

وفي «التأويلات النجمية»[1]: على مخالفة هواهم، وموافقة أوامر الشرع ونواهيه، وفي الحديث: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، رجل كانت له جارية، فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم تزوجها فله أجره مرتين، وعبد أدى حق الله وحق مواليه، ورجل آمن بالكتاب الأول، ثم آمن بالقرآن، فله أجره مرتين» متفق عليه.

﴿وَيَدْرَءُونَ﴾؛ أي: يدفعون ﴿بِـ﴾الخصلة ﴿الحسنة﴾ وبالطاعة الخصلة ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾؛ أي: القبيحة والمعصية، أو بالقول الحسن القول القبيح، أو بالاحتمال والصفح ما يلاقونه من الأذى. وقيل بالتوبة والاستغفار الذنوبَ. وقيل: بشهادة أن لا إله إلا الله الشركَ.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾؛ أي: وينفقون مما أعطاهم الله من فضله من المال الحلال النفقات الواجبة لأهلهم، وذوي قرباهم، ويؤدون الزكاة المفروضة عليهم، ويساعدون البائسين وذوي الخصاصة المعوزين.

ثم مدحهم سبحانه بإعراضهم عن اللغو فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾؛ أي: ما لا ينفع في دين ودنيا ﴿أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾؛ أي: عن اللغو ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ لِلْلاَّغين ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ من الحلم والصفح ونحوهما ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ من اللغو والسفاهة وغيرهما، فكل مطالب بعمله، فلا يلحقنا من ضرر كفركم شيء، ولا يلحقكم من نفع إيماننا شيء ﴿سَلَٰمٌ﴾ وأمنة منا، وبراءة من ضررنا عليكم، فلا نقابلكم بمثل ما فعلتم بنا، ولا نجازيكم عليه، لأن المراد بالسلام هنا سلام متاركة وإعراض عن

---

(١) روح البيان.

سوءهم، لا سلام تحية وإكرام.

﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾؛ أي: لا نطلب صحبتهم، ولا نريد مخالطتهم ومخاطبتهم، والتخلق بأخلاقهم، ولا نجازيهم بالباطل على باطلهم، فإن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب، ويقولون: تباً لكم تركتم دينكم، فيُعرضون، ولا يردون عليهم، قال الزجاج: وهذا قبل الأمر بالقتال، وقال صاحب «الروح»: وحكم الآية وإن كان منسوخاً بآية السيف إلا أنَّ فيها حثاً على مكارم الأخلاق.

وفي الحديث: «ثلاث من لم يكنَّ فيه فلا يعتد بعلمه، حلم يرد به جهل جاهل، وورع يحجز عن معاصي الله، وحسن خلق يعيش به في الناس». وما أحسن قول بعضهم:

إِذَا رَأَيْتَ أَثِيْمَا كُنْ سَاتِرَاً وَحَلِيْمَا
يَا مَنْ يُقَبِّحُ لَغْوِيْ لِمْ لاَ تَمُرُّ كَرِيْمَا

والمعنى[1]: أي وإذا سمعوا ما لا ينفع في دين ولا دنيا من السب والشتائم، وتكذيب الرسول.. أعرضوا عن قائليه، ولم يخالطوهم، وإذا سفه عليهم سفيه، وكلمهم بما لا ينبغي رده من القول.. لم يقابلوه بمثله، إذ لا يصدر منهم إلا طيب الكلام، وقالوا: لنا أعمالنا، لا تثابون على شيء منها، ولا تعاقبون، ولكم أعمالكم لا نطالب بشيء منها، فنحن لا نشغل أنفسنا بالرد عليكم، سلام عليكم، سلام متاركة وتوديع، فإنا لا نريد طريق الجاهلين، ومثل الآية، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾.

روى محمد بن إسحاق أنه قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو يزيدون من نصارى الحبشة، حين بلغهم خبره، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه، وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مساءلته عما أرادوا دعاهم إلى الله، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوه فاضت

---

(١) المراغي.

أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب، بعثكم من ورائكم من أهل دينكم ترتادون لهم، لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، وصدقتموه فيما قال، ما رأينا ركباً أحمق منكم، فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه.

واعلم: أن اللغو عند أهل المعرفة كل ما يشغلك عن العبادة وذكر الحق، وكل كلام بغير خطاب الحال والواقعة، وطلب ما سوى الله سبحانه وتعالى.

الإعراب

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على الله، والجملة مستأنفة، ﴿سَنَشُدُّ﴾ ﴿السين﴾: حرف استقبال لتأكيد معنى الفعل، ﴿نشد﴾: فعل وفاعل مستتر، ﴿عَضُدَكَ﴾: مفعول به، ﴿بِأَخِيكَ﴾ متعلق بـ﴿نشد﴾، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَنَجْعَلُ﴾ فعل مضارع، وفاعل مستتر معطوف على ﴿نشد﴾، ﴿لَكُمَا﴾ جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ﴿جعل﴾، ﴿سُلْطَانًا﴾: مفعول أول له، ﴿فَلَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿لا﴾: نافية، ﴿يَصِلُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿نجعل﴾، ﴿إِلَيْكُمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَصِلُونَ﴾، ﴿بِآيَاتِنَا﴾: إما متعلق بـ﴿نجعل﴾، أو بـ﴿يَصِلُونَ﴾، أو بمحذوف، تقديره: اذهبا، أو بسلطاننا؛ أي: نسلطكما بآياتنا، أو بمحذوف حال، أو من لغو القسم، ولا أرى موجباً لترجيح بعضهم على بعض. فاختر منها ما ترى ترجيحه. ﴿أَنتُمَا﴾: مبتدأ، ﴿وَمَنِ﴾: اسم موصول في محل الرفع معطوف على ﴿أَنتُمَا﴾، ﴿اتَّبَعَكُمَا﴾: فعل وفاعل مستتر، ومفعول به صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، ﴿الْغَالِبُونَ﴾: خبر ﴿أَنتُمَا﴾ وما عطف عليه، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٦ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٣٧﴾.

﴿فَلَمَّا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف معلوم من السياق، تقديره: فجاءهم موسى بآياتنا فلما جاءهم قال إلخ، ﴿لما﴾: حرف شرط غير جازم، ﴿جَآءَهُم مُّوسَىٰ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة الفعلية فعل شرط لـ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿جاء﴾، أو بمحذوف حال من ﴿مُوسَىٰ﴾، ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: حال من ﴿آياتنا﴾. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة. ﴿مَا﴾ نافية، ﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ، ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ، ﴿سِحْرٌ﴾: خبر المبتدأ، ﴿مُّفْتَرًى﴾: صفة ﴿سِحْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿ما﴾: نافية، ﴿سَمِعْنَا﴾: فعل وفاعل، ﴿بِهَٰذَا﴾ متعلق بـ﴿سَمِعْنَا﴾، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية في قوله: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ﴾، ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا﴾: جار ومجرور حال من ﴿هَٰذَا﴾؛ أي: حال كونه كائناً في آبائنا، ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ صفة لـ﴿ءَابَآئِنَا﴾. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾: فعل وفاعل، معطوف على ﴿قَالُوٓاْ﴾، ﴿رَبِّيٓ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ وخبر، ﴿بِمَن﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: متعلق بـ﴿جَآءَ﴾، والجملة صلة ﴿من﴾ الموصولة، ﴿مِنْ عِندِهِۦ﴾: جار ومجرور حال من ﴿الهدى﴾، ﴿ومن﴾ اسم موصول في محل الجر معطوف على ﴿من﴾ الأولى، ﴿تَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص، ﴿لَهُۥ﴾: خبر مقدم لـ﴿تَكُونُ﴾، ﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: اسمها مؤخر، وجملة ﴿تَكُونُ﴾ صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها، على كونها مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى

ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿وَقَالَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة على محذوف، تقديره: وجمع فرعون السحرة وقال، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: فعل وفاعل، معطوف على تلك الجملة المحذوفة، ﴿يا﴾: حرف نداء، ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة، ﴿ها﴾: حرف تنبيه زائد، ﴿ٱلْمَلَأُ﴾: بدل من ﴿أي﴾، أو عطف بيان منه، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿مَا﴾: نافية، ﴿عَلِمْتُ﴾: فعل وفاعل، ﴿لَكُم﴾: حال من ﴿إِلَٰهٍ﴾، لأنه صفة نكرة قدمت عليها، ﴿مِّنْ﴾: زائدة، ﴿إِلَٰهٍ﴾: مفعول به، ﴿غَيْرِي﴾: صفة لـ﴿إِلَٰهٍ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾: على كونها جواب النداء. ﴿فَأَوْقِدْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أوقد﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على ﴿هامان﴾. ﴿لِي﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ﴾، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿فَٱجْعَل﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿اجعل﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر معطوف على ﴿أوقد﴾، ﴿عَلَى ٱلطِّينِ﴾: متعلق بـ﴿أوقد﴾، ﴿لِّي﴾: جار ومجرور في محل النصب مفعول ثان لـ﴿اجعل﴾، ﴿صَرْحًا﴾: مفعول أول له. ﴿لَّعَلِّيٓ﴾: ناصب واسمه، ﴿أَطَّلِعُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، والجملة في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَطَّلِعُ﴾، ﴿وَإِنِّي﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿إني﴾ ناصب واسمه، ﴿لَأَظُنُّهُۥ﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿أظنه﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر ومفعول أول، ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني، وجملة ﴿أظن﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب معطوفة على جملة ﴿لعل﴾.

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿استكبر﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود

على ﴿فِرْعَوْنُ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾، ﴿هُوَ﴾: تأكيد لضمير الفاعل المستتر في ﴿استكبر﴾ يعطف عليه ما بعده، ﴿وَجُنُودُهُ﴾: معطوف على الفاعل المستتر ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق بـ﴿استكبر﴾، ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من فاعل ﴿استكبر﴾ وما عطف عليه؛ أي: متلبسين بغير الحق. ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿استكبر﴾، ﴿أَنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه، ﴿إِلَيْنَا﴾ متعلق بـ﴿يُرْجَعُونَ﴾، وجملة ﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿ظن﴾، تقديره: وظنوا عدم رجوعهم إلينا. ﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أخذناه﴾: فعل وفاعل ومفعول به، معطوف على ﴿استكبر﴾، ﴿وَجُنُودَهُ﴾: معطوف على مفعول ﴿أخذنا﴾، ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: فعل وفاعل، ومفعول به معطوف على ﴿أخذناه﴾، ﴿فِي ٱلْيَمِّ﴾ متعلق بـ﴿نبذناهم﴾، ﴿فَٱنظُرْ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره إذا عرفت ما ذكرته لك، وأردت التعجب من شأنهم فأقول لك انظر، ﴿انظر﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على محمد، أو على أي مخاطب، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام للتعجب في محل النصب خبر مقدم لـ﴿كَانَ﴾، ﴿عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: اسمها ومضاف إليه، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل النصب ساد مسد مفعول ﴿انظر﴾، لأن الاستفهام علقه عن العمل فيما بعده.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿جعلناهم أئمة﴾: فعل وفاعل ومفعولان، معطوف على ﴿نبذناهم﴾، ﴿يَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل، ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل النصب صفة لـ﴿أَئِمَّةً﴾، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿يوم القيامة﴾: متعلق بـ﴿يُنصَرُونَ﴾، وجملة ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ في محل النصب معطوفة على جملة ﴿يَدْعُونَ﴾. ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، معطوف على قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ ﴿فِي هَٰذِهِ﴾: جار ومجرور حال من

ضمير المفعول، ﴿الدُّنْيَا﴾ بدل من اسم الإشارة، ﴿لَعْنَةً﴾: مفعول ثان، ﴿وَيَوْمَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿الْمَقْبُوحِينَ﴾ إن قلنا: إن أل فيه معرفة، أو بمحذوف دل عليه قوله: ﴿الْمَقْبُوحِينَ﴾ إن قلنا: إن أل فيه موصولة، تقديره: وقبحوا يوم القيامة، وإنما قدرنا محذوفاً لأن تعلقه بـ﴿الْمَقْبُوحِينَ﴾ ـ وهو الظاهر ـ يمنع منه وجود أل الموصولة فيه، لأن ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله، على أنهم قد اتسعوا في الظروف والمجرورات ﴿هم﴾: مبتدأ، ﴿مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣)﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿لقد﴾ ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق، ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: فعل وفاعل ومفعولان، لأن ﴿أتى﴾ هنا بمعنى أعطى يتعدى إلى مفعولين، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة، ﴿مِنْ بَعْدِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿آتَيْنَا﴾، ﴿مَا﴾: مصدرية، ﴿أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، ﴿الْأُولَى﴾: صفة لـ﴿الْقُرُونَ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾ المصدرية، ﴿مَا﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه، تقديره: من بعد إهلاكنا القرون الأولى، ﴿بَصَائِرَ﴾: حال من ﴿الْكِتَابَ﴾، ولكنه على تقدير مضاف؛ أي: ذا بصائر، أو جعله نفس البصائر مبالغة، أو مفعول لأجله، ﴿لِلنَّاسِ﴾: جار ومجرور نعت لـ﴿بصائر﴾، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: معطوفان على ﴿بَصَائِرَ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿لعل﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل الإيتاء.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤)﴾.

﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿ما﴾: نافية، ﴿كُنْتَ﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿بِجَانِبِ﴾: جار ومجرور خبر كان، ﴿الْغَرْبِيِّ﴾: مضاف إليه، وهو على حذف

الموصوف وإقامة الصفة مقامه؛ أي: بجانب الجبل الغربي، حيث ناجى موسى ربه، فتخبر الناس تلك القصة، وجملة ﴿كان﴾ مستأنفة، ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الجار والمجرور قبله، ﴿قَضَيۡنَآ﴾: فعل وفاعل، ﴿إِلَىٰ مُوسَى﴾ متعلق بـ﴿قَضَيۡنَآ﴾، ﴿ٱلۡأَمۡرَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذۡ﴾، ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿ما﴾: نافية، ﴿كُنتَ﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ خبره، والجملة معطوفة على جملة ﴿كان﴾ الأولى، والأمر المقضي هو الوحي الذي أوحي إليه.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٤٥ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٤٦﴾.

﴿وَلَٰكِنَّآ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لكنا﴾: ناصب واسمه، ﴿أَنشَأۡنَا﴾: فعل وفاعل، ﴿قُرُونٗا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿لكن﴾، وجملة ﴿لكن﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾، ﴿فَتَطَاوَلَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿تطاول﴾: فعل ماض، ﴿عَلَيۡهِمُ﴾: متعلق بـ﴿تطاول﴾، ﴿ٱلۡعُمُرُۚ﴾: فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَنشَأۡنَا﴾. ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿ما﴾: نافية، ﴿كُنتَ ثَاوِيٗا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿ثَاوِيٗا﴾، و﴿مَدۡيَنَ﴾ ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي، والجملة معطوفة على جملة ﴿كان﴾ الأولى، ﴿تَتۡلُواْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على محمد، ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ متعلق بـ﴿تَتۡلُواْ﴾، ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب حال من الضمير المستكن في ﴿ثَاوِيٗا﴾، أو خبر ثان لـ﴿كان﴾. ﴿وَلَٰكِنَّا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لكنا﴾: ناصب واسمه، ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿مُرۡسِلِينَ﴾: خبره، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿لكن﴾، وجملة ﴿لكن﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا﴾. ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿كُنتَ﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر ﴿كان﴾، وجملة

﴿كان﴾ معطوفة على جملة ﴿كان﴾ الأولى، ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الجار والمجرور قبله، ﴿نَادَيْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه، ﴿وَلَٰكِن﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لكن﴾: حرف استدراك مهمل، لأنها مخففة، ﴿رَّحْمَةً﴾: مفعول لأجله لفعل محذوف، تقديره: ولكن أرسلناك رحمة، ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿رَّحْمَةً﴾، والجملة الاستدراكية معطوفة على الجملة التي قبلها، ﴿لِتُنذِرَ﴾ ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿تنذر﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وفاعله ضمير يعود على محمد، ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به، وجملة ﴿تنذر﴾ مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: ولكن أرسلناك لإنذارك قوماً، وإنما جر باللام لاختلاف الفاعل، ﴿مَّا﴾: نافية، ﴿أَتَاهُم﴾: فعل ومفعول به، ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾ ﴿مِن﴾: زائدة، ﴿نَّذِيرٍ﴾: فاعل، ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: صفة ﴿نَّذِيرٍ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿لعل﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل الإنذار.

﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وَلَوْلَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، أو عاطفة، ﴿لولا﴾: حرف امتناع لوجود، ﴿أَن﴾: حرف مصدر، ﴿تُصِيبَهُم﴾: فعل مضارع ومفعول به منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿مُّصِيبَةٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية مع ﴿أَن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء، والخبر محذوف وجوباً، تقديره: ولولا إصابة المصيبة إياهم موجود، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف أيضاً، تقديره: لما أرسلناك رسولاً، وجملة ﴿لَوْلَا﴾ مع جوابها مستأنفة لا محل لها من الإعراب، أو معطوفة على ما قبلها، ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تُصِيبَهُم﴾، ﴿قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديره: بما قدمته أيديهم. ﴿فَيَقُولُوا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿يقولوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿تُصِيبَهُم﴾: منصوب بحذف النون، ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب

مقول لـ﴿يقولوا﴾، ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض بمعنى هلا، ﴿أَرْسَلْتَ﴾: فعل وفاعل، ﴿إِلَيْنَا﴾: متعلق به، ﴿رَسُولًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لـ﴿يقولوا﴾ على كونها جواب النداء ﴿فَنَتَّبِعَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية، ﴿نتبع﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب التحضيض، ﴿ءَايَٰتِكَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، ﴿وَنَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص، معطوف على ﴿نتبع﴾، واسمها ضمير مستتر يعود على المتكلمين، ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: خبر ﴿نكون﴾، وجملة ﴿نكون﴾ معطوف على جملة ﴿نتبع﴾، وجملة ﴿نتبع﴾ صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها، من غير سابك لإصلاح المعنى، تقديره: هلا إرسالك إلينا رسولاً، فاتباعنا آياتك، فكوننا من المؤمنين.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿فَلَمَّا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف، تقديره: فجاءهم الحق من عندنا فلما جاءهم الحق، ﴿لمّا﴾: حرف شرط غير جازم، ﴿جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: فعل ومفعول وفاعل، ﴿مِنْ عِندِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿جاء﴾، أو حال من ﴿ٱلْحَقُّ﴾، والجملة الفعلية فعل شرط لـ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على تلك المحذوفة، ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض بمعنى هلا، ﴿أُوتِىَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير مستتر يعود على محمد، ﴿مِثْلَ﴾: مفعول ثان لـ﴿أُوتِىَ﴾، وهو مضاف، و﴿مَآ﴾: اسم موصول في محل الجر مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾، ﴿أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: مثل ما أوتيه موسى. ﴿أَوَلَمْ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أيقول أهل مكة ذلك، ﴿لم﴾: حرف جزم ونفي، ﴿يَكْفُرُوا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لم﴾،

﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، ﴿أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: بما أوتيه موسى، ﴿مِن قَبۡلُۖ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أُوتِيَ﴾. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية جملة مفسرة لكفرهم لا محل لها من الإعراب، ﴿سِحۡرَانِ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هما؛ أي: التوراة والقرآن، أو موسى ومحمد عليهما السلام سحران، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾، ﴿تَظَٰهَرَا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الرفع صفة لـ﴿سِحۡرَانِ﴾. ﴿وَقَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قَالُواْ﴾ الأول، ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه، ﴿بِكُلّٖ﴾: متعلق بـ﴿كَٰفِرُونَ﴾، و﴿كَٰفِرُونَ﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾.

﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٩ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾.

﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿فَأۡتُواْ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا قلتم هذان سحران تظاهرا، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم فأقول لكم ائتوا، ﴿أئتوا﴾: فعل أمر وفاعل مبني على حذف النون، ﴿بِكِتَٰبٖ﴾ متعلق به، ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صفة لـ﴿كتاب﴾؛ أي: بكتاب كائن من عند الله تعالى، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول لـ﴿قُلۡ﴾. ﴿هُوَ أَهۡدَىٰ﴾: مبتدأ وخبر، ﴿مِنۡهُمَآ﴾: متعلق بـ﴿أَهۡدَىٰ﴾، والجملة الاسمية في محل الجر صفة ثانية لـ﴿كتاب﴾، ﴿أَتَّبِعۡهُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، مجزوم بالطلب السابق، والجملة الفعلية جملة جوابية لا محل لها من الإعراب، ﴿إِن﴾: حرف شرط، ﴿كُنتُمۡ﴾: فعل ناقص واسمه، في محل الجزم بإن، الشرطية على كونه فعل شرط لها، ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبر ﴿كان﴾، وجواب إن الشرطية معلوم مما قبلها،

تقديره: إن كنتم صادقين فاتوا بكتاب من عند الله، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿فَإِن﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف معلوم من السياق، تقديره: فإن أجابوا لك إلى ما طلبته منهم، ولن يجيبوا فالأمر واضح، ﴿إن﴾ حرف شرط، ﴿لَّمْ﴾: حرف جزم، ﴿يَسْتَجِيبُواْ﴾: فعل مضارع وفاعل مجزوم بـ﴿لم﴾، وعلامة جزمه حذف النون، ﴿لَكَ﴾: متعلق به، ﴿فَٱعْلَمْ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب إن الشرطية وجوباً، ﴿اعلم﴾: فعل أمر وفاعل مستتر، والجملة في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معطوفة على الجملة المحذوفة، ﴿أَنَّمَا﴾ ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر، ولكنها كفت عن العمل فيما بعدها بـ﴿ما﴾ الزائدة، ﴿ما﴾: كافة لكفِّها ما قبلها عن العمل فيما بعدها، أو يقال: أنما أداة حصر، ﴿يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية سادة مسد مفعولي ﴿اعلم﴾. ﴿وَمَنْ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿مَن﴾: اسم استفهام للاستفهام الإنكاري في محل الرفع مبتدأ، ﴿أَضَلُّ﴾: خبره، ﴿مِمَّنِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَضَلُّ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الشرطية، أو مستأنفة، ﴿ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ومضاف إليه، والجملة صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، ﴿بِغَيْرِ هُدًى﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من فاعل ﴿ٱتَّبَعَ﴾، أو من مفعوله، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: صفة لـ﴿هُدًى﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ﴾ خبره، ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: صفة لـ﴿ٱلْقَوْمَ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق، ﴿وَصَّلْنَا﴾: فعل وفاعل، ﴿لَهُمُ﴾: متعلق بـ﴿وَصَّلْنَا﴾، ﴿ٱلْقَوْلَ﴾: مفعول به، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة،

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿لعل﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿الَّذِينَ﴾: مبتدأ أول، ﴿ءَاتَيْنَـٰهُمُ الْكِتَـٰبَ﴾: فعل وفاعل ومفعولان، والجملة صلة الموصول، ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: حال من ﴿الْكِتَـٰبَ﴾، أو متعلق بـ﴿ءَاتَيْنَـٰهُمُ﴾ ﴿هُم﴾: مبتدأ ثان، ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بما بعده، وجملة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ الثاني، وجملة الثاني مع خبره: خبر للأول، وجملة الأولى مع خبره مستأنفة. ﴿وَإِذَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، ﴿يُتْلَىٰ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على القرآن، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق بـ﴿يُتْلَىٰ﴾، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذا﴾ على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي، ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ على كونها خبر المبتدأ، ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾، ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿ءَامَنَّا﴾، ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ﴾: ناصب واسمه وخبره، ﴿مِن رَّبِّنَآ﴾: جار ومجرور حال من ﴿الْحَقُّ﴾، وجملة ﴿إنّ﴾ مستأنفة، مسوقة لتعليل الإيمان به، ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه، ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: حال من ﴿مُسْلِمِينَ﴾، ﴿مُسْلِمِينَ﴾: خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّا﴾، وجملة ﴿إنّ﴾ مستأنفة مسوقة لبيان أن إيمانهم ليس بدعاً ولا مستحدثاً، وإنما هو أمر متقادم العهد. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾: مبتدأ، ﴿يُؤْتَوْنَ﴾: فعل ونائب فاعل، ﴿أَجْرَهُم﴾: مفعول ثان لأتى، لأنه بمعنى أعطى، ﴿مَّرَّتَيْنِ﴾: منصوب على المصدرية؛ أي: إيتاءين، أو على الظرفية؛ أي: في وقتين، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، ﴿بِمَا﴾ ﴿الباء﴾: حرف جر وسبب، ﴿ما﴾: مصدرية، ﴿صَبَرُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة ﴿ما﴾ المصدرية؛ أي: بسبب صبرهم الجار والمجرور متعلق بـ﴿يُؤْتَوْنَ﴾. ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾: فعل وفاعل، ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾: متعلق بـ﴿يدرؤون﴾، ﴿السَّيِّئَةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿يُؤْتَوْنَ﴾، ﴿وَمِمَّا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿مما﴾: متعلق بـ﴿يُنفِقُونَ﴾، ﴿رَزَقْنَـٰهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديره: مما

رزقناهموه، ﴿يُنفِقُونَ﴾: فعل وفاعل، معطوف على ﴿يدرؤون﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿وَإِذَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، ﴿سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذا﴾ على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي، ﴿أَعْرَضُوا﴾: فعل وفاعل، ﴿عَنْهُ﴾: متعلق به، والجملة جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿يُؤْتَوْنَ﴾ على كونها خبر المبتدأ. ﴿وَقَالُوا﴾: فعل وفاعل، معطوف على ﴿أَعْرَضُوا﴾، ﴿لَنَا﴾: خبر مقدم، ﴿أَعْمَالُنَا﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾، ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾: خبر مقدم ومبتدأ مؤخر، معطوف على ما قبله، ﴿سَلَامٌ﴾: مبتدأ، وسوغ الابتداء بالنكرة كونه في الأصل دعاء، أو وصفه بمحذوف، تقديره: منا، ﴿عَلَيْكُمْ﴾: خبره، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾، ﴿لَا﴾: نافية، ﴿نَبْتَغِي﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، ﴿الْجَاهِلِينَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب حال من ضمير المتكلمين في قوله: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾؛ أي: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، أو سلام منا عليكم، حالة كوننا لا نطلب صحبة الجاهلين ومعاشرتهم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ العضد ما بين المرفق والكتف، وفي «إعراب القرآن»: العَضُد بفتح العين وضم الضاد، وبالضم وبالكسر: غليظ الذراع، وهو من المرفق إلى الكتف، جمعه أعضاد وأعضد، وهو قوام اليد، وبشدته تشتد اليد، والمراد بشد العضد التقوية والإعانة، ﴿سُلْطَانًا﴾ والسلطان: التسلط والغلبة، ﴿مُفْتَرًى﴾؛ أي: مختلق لم يفعل قبل هذا الوقت مثله، أو تعلمته ثم افتريته على الله، اهـ «أبو السعود».

﴿عَلَى الطِّينِ﴾ والطين هو التراب والماء المختلط؛ أي: أوقد لي على الطين

بعد جعله لبناً فتكون آجراً، ﴿أَطَّلِعُ﴾؛ أي: أصعد وأرتقي، والطلوع والاطلاع الصعود، يقال: طلع الجبل واطلع بمعنى، وإن نفسك لطلعة إلى هذا الأمر، وإنها لتطلع إليه؛ أي: تُنازع.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾ والاستكبار إظهار الكبر باطلاً، بخلاف التكبر، فإنه أعم، والكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره، ﴿لَا يُرۡجَعُونَ﴾؛ أي: لا يُردون بالبعث للجزاء، من رُجع رجعاً، إذا رُد وصُرف، ﴿فَنَبَذۡنَٰهُمۡ﴾؛ أي: فطرحناهم، قال الراغب: النبذ إلقاء الشيء وطرحه، لقلة الاعتداد به، ﴿أَئِمَّةً﴾؛ أي: قدوة يقتدي بهم أهل الضلال، فيكون عليهم وزرهم وزر من تبعهم، ﴿لَعۡنَةً﴾؛ أي: طرداً من الرحمة.

﴿مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ جمع مقبوح، والمقبوح المطرود؛ أي: من المخزيين، يقال: قبَّحه الله إذا طرده ونحاه من كل خير، وفي «المصباح»: قبح الشيء قبحاً فهو قبيح، من باب قرب، وهو خلاف حسن، ﴿هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾؛ أي: من المبعدين عن الفوز، والتثقيل مبالغة، وقبَّح عليه فعله تقبيحاً، وقال أبو زيد: قبح الله فلاناً قُبْحاً وقُبوحاً: أبعده من كل خير، وقال أبو عمرو: قبحت وجهه بالتخفيف بمعنى قبَّحْتُ بالتشديد، ومثله قول الشاعر:

أَلاَ قَبَحَ ٱللَّهُ ٱلْبَرَاجِمَ كُلَّهَا ... وَقَبَحَ يَرْبُوعاً وَقَبَحَ دَارِمَا

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ قال الراغب: الهلاك الموت، لم يذكره الله سبحانه حيث يُفقد الذمُّ إلا في قوله: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ﴾، والقرون جمع قرن، وهو القوم المقترنون في زمان واحد.

﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ والبصائر جمع بصيرة، وهي نور القلب الذي به يُستبصر، كما أن البصر نور العين الذي به تبصر، والبصيرة العقل والفطنة والعبرة والشاهد والحجة، يقال: جوارحه بصيرة عليه؛ أي: شهود، وفراسة ذات بصيرة؛ أي: صادقة، والجمع بصائر، وقوله: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: أنواراً لقلوبهم تبصر بها

الحقائق، وتميز بها بين الحق والباطل، بعد أن كانت عُمياً عن الفهم والإدراك بالكلية.

﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ﴾ والعَمْر والعُمْر والعُمُر بالفتح والضم وبضمتين: الحياة، قال الراغب: العمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة؛ أي: طال عليهم الحياة وتمادى الأمد، ﴿ثَاوِيًا﴾؛ أي: مقيماً، يقال: ثوى يثوى ـ من باب ضرب ـ ثواءً وثوياً، فهو ثاو المكان وفيه وبه أقام، وثوى الرجل إذا مات. قال عُبيد بن الأبرص في مطلع معلَّقته:

آذَنَـتْـنَـا بِـبَـيْـنِـهَـا أَسْـمَـاءُ ... رُبَّ ثَـاوٍ يُـمَـلُّ مِـنْـهُ ٱلـثُّـوَاءُ

﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ والمصيبة العقوبة، قال الراغب: أصلها في الرمية ثم اختص بالمعاقبة، ﴿تَظَٰهَرَا﴾؛ أي: تعاونا وتناصرا، والتظاهر التعاون.

﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ والتوصيل مبالغة في الوصل، وحقيقة الوصل رفع الحائل بين الشيئين، والتوصيل ضم قطع الحبل بعضها إلى بعض، قال شاعرهم:

فَـقُـلْ لِـبَـنِـيْ مَـرْوَانَ مَـا بَـالُ ذِمَّـتِـيْ ... بِـحَـبْـلٍ ضَـعِـيْـفٍ مَـا يَـزَالُ يُـوَصَّـلُ

والمراد به هنا إنزال القرآن منجماً مفرقاً يتصل بعضه ببعض.

﴿ٱللَّغۡوَ﴾ اللغو الساقط من الكلام، وكل ما حقه أن يُلغى ويُترك من العبث وسخف القول، ﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ الابتغاء الطلب، والجهل معرفة الشيء على خلاف ما هو عليه؛ أي: لا نطلب صحبتهم ولا مخالطتهم.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ على طريق إطلاق السبب وإرادة المسبب، بمرتبتين تتبع إحداهما ثانيتهما، فإن شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد، وشدة اليد مستلزمة لقوة الشخص في المرتبة الثانية،

واختار الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» أن يكون كناية تلويحية، قال: الشد التقوية، فهو إما كناية تلويحية عن تقويته، لأن اليد تشد بشد العضد، والجملة تشد بشد اليد، أو استعارة تمثيلية شبه حال موسى في تقويته بأخيه بحال اليد في تقويتها بالعضد.

ومنها: الإطناب البديع في قوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ ولم يقل اطبخ لي الآجر، لأنه تركيبه مع سهولة لفظه ليس بفصيح، وذلك أمر يقرره الذوق وحده، فعبر عن الآجر بالوقود على الطين، فإن هذه العبارة أحسن مطابقة لفصاحة القرآن وعلو طبقته.

ومنها: التشبيه البليغ في قوله: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: أعطيناه التوراة كأنها أنوار لقلوب الناس، حُذف أداة الشبه ووجه الشبه، فأصبح بليغاً. قال في «حاشية البيضاوي»: أي: مشبهاً بأنوار القلوب، من حيث إن القلوب لو كانت خالية عن أنوار التوراة وعلومها لكانت عمياء، لا تستبصر، ولا تعرف حقاً من باطل.

ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾؛ أي: أهل قرون، لأن المراد به الأمم، لأنهم يُخلقون في تلك الأزمنة، فنُسبوا إلى القرون بطريق المجاز العقلي.

ومنها: جناس التحريف في قوله: ﴿وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ وهو ما يفوق فيه بين الكلمتين، أو بعضهما بضبط الشكل، مثاله في الشعر قول أبي العلاء المعري:

وَٱلْحُسْنُ يَظْهَرُ فِيْ شَيْئَيْنِ رَوْنَقُهُ بَيْتٍ مِنَ ٱلشِّعْرِ أَوْ بَيْتٍ مِنَ ٱلشَّعْرِ

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ فإن المراد بما كسبوا، وهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، قال الزمخشري: ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي جُعل كل عمل معبراً عنه باجتراح الأيدي.

ومنها: حذف الجواب لدلالة السياق عليه في قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ حُذف منه الجواب، تقديره: ما أرسلناك يا محمد رسولاً إليهم، وهو من باب الإيجاز بالحذف.

ومنها: التحضيض في قوله: ﴿لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: هلا أوتي، فهي للتحضيض، وليست حرف امتناع لوجود.

ومنها: تكرار حرف الاستدراك بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا﴾، وبقوله: ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا﴾، وبقوله: ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

ومنها: تكرار لولا بقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ وبقوله: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ وبقوله: ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ﴾، ولكن الأولى حرف امتناع لوجود، والأخيرتان حرفا تحضيض.

ومنها: الجناس المغاير في قوله: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾.

ومنها: تكرار ﴿أُوتِىَ﴾ ثلاث مرات.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾.

ومنها: التعجيز في قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ﴾ فالأمر خرج فيه عن حقيقته إلى معنى التعجيز.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (٥٦) وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٥٨) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ (٥٩) وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠) أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ (٦١) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ (٦٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ (٦٦) فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ (٦٧) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٧٥)﴾

المناسبة

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ...﴾

الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بين[1] فيما سلف أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى آمنوا به، وجاؤوا إليه زرافات ووحداناً من كل فج عميق، وجابوا الفيافي، وقطعوا البحار للإيمان به، بعد أن سمعوا أخباره، وترامت لهم فضائله وشمائله، وقد كان في هذا مقنع لقومه أن يؤمنوا به، وأن تُحدِّثه نفسه الشريفة بالطمع في إيمانهم، ودخول الهدى في قلوبهم، والانتفاع بما آتاه الله من العرفان، فتكون لهم به السعادة في الدنيا والآخرة.. أردف ذلك الآية الأولى تسلية له ﷺ، إذ لم ينجع في قومه الذين يُحبهم ويحرص عليهم أشد الحرص إنذاره وإبلاغه، فيقبلوا ما جاء به، بل أصروا على ما هم عليه، وقالوا: ﴿لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾، فكانوا على عكس قوم هم أجانب عنه آمنوا بما جاء به، وقالوا: ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر[2] أن التمتع بزينة الدنيا وزخرفها دون طاعة الله وعظيم شكره على نعمه يكون وبالاً على الكافر يوم القيامة حين يحضر للعذاب.. أردف ذلك بيان ما يحصل في هذا اليوم من الإهانة والتقريع للمشركين، حين يسألهم سؤالات يحارون في الجواب عنها، ويشتد عليهم الخطب حين لا يجدون مخلصاً، ومعذرة تُبرِّر لهم ما كانوا يقترفون، فيسألهم أولاً عن الآلهة التي كانوا يعبدونها في الدنيا، من أصنام وأوثان، هل ينصرونهم أو ينتصرون، ثم يأمرهم بدعوتهم فلا يجدون منهم رداً، ثم يسألهم عما أجابوا به الرسل حين دعوهم إلى الإيمان بربهم، فتخفى عليهم الحجج التي تُنجيهم من العذاب الذي لا مفر لهم منه، ولا يستطيع بعضهم أن يسأل بعضاً عما يلقنه من حجة لهول الموقف، واشتداد الخطب، ثم ذكر بعدئذٍ حال المؤمنين بربهم الذين عملوا صالح الأعمال، وبيَّن أنهم يلقون الفوز والظفر بالمراد فضلاً من ربهم ورحمة.

---

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما وبخهم[1] فيما سلف على اتخاذهم الشركاء، وذكر أنه يسألهم عنهم يوم القيامة تهكماً بهم، وتقريعاً لهم.. أردف ذلك بتجهيلهم على اختيار ما أشركوه، واصطفائهم إياه للعبادة، وأبان لهم أن تمييز بعض المخلوقات عن بعض واصطفاءه على غيره من حق الله، لا من حقكم أنتم، والله لم يصطف شركاءكم الذين اصطفيتموهم للعبادة والشفاعة، فما أنتم إلا جهال ضلال.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر أنه المستحق للحمد على ما أولاه من النعم، وتفضل به من المنن.. أردف هذا تفصيل ما يجب أن يُحمد عليه منها، ولا يقدر عليه سواه.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما[2] وبَّخ المشركين أولاً على فساد رأيهم في اتخاذ الشركاء لله، ثم ذكر التوحيد ودلائله.. عاد إلى تقريعهم وتبكيتهم ثانياً، ببيان أن إشراكهم لم يكن عن دليل صحيح، بل كان عن محض الهوى، كما يُرشد إلى ذلك قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾.

أسباب النزول

قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه[3] مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة أتاه النبي ﷺ، وقال: «يا عماه قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها عند الله يوم القيامة»، فقال: لولا أن تعيِّرني قريش، يقولون: ما حمله على ذلك إلا

---

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

(٣) لباب النقول.

جزعه من الموت لأقررت بها عينك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

قوله: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أن أناساً من قريش قالوا للنبي ﷺ: إن نتبعك يخطفنا الناس، فنزلت هذه الآية. وأخرج النسائي عن ابن عباس أن الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي ﷺ فقال: نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب، ونحن أكلة رأس - يريد أنا قليلو العدد - أن يتخطفونا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ...﴾ الآية.

قوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه ابن جرير عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في النبي ﷺ، وفي أبي جهل بن هشام. وأخرج عنه من وجه آخر أنها نزلت في حمزة وأبي جهل.

التفسير وأوجه القراءة

﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تَهْدِى﴾ هداية موصلة إلى المقصود لا محالة، ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته[1]، وقيل: أحببته لقرابته؛ أي: إنك يا محمد لا تستطيع هداية من أحببت من قومك، أو من غيرهم هداية موصلة إلى البغية، ولا تقدر أن تدخله في الإسلام، وإن بذلت فيه غاية الطاقة، وسعيت كل السعي، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته فيدخله في الإسلام؛ أي: إن الله سبحانه يقذف في قلب من يشاء نور الهداية فينشرح صدره للإسلام، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة في ذلك، وإنما عليك البلاغ.

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: بالمستعدين للهداية من غيرهم، فلا يهدي إلا المستعد لها، فيُمْنَحونها، ومنهم الذين ذكرت أوصافهم من أهل الكتاب، دون من هم من أهل الغواية، كقومك وعشيرتك. وفي «الخازن»: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: بمن قدر له في الأزل أن يهتدي .اهـ.

---

(١) الخازن.

قال الزجاج: أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب، وقد تقرر في الأصول أن الاعتبار بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فيدخل في ذلك أبو طالب دخولاً أولياً، وذلك أن النبي ﷺ قال لأبي طالب عند الموت: «يا عم قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة» قال: لولا أن تعيرني قريش ـ يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع ـ لأقررت بها عينك، ثم أنشد مخاطباً لرسول الله ﷺ:

وَدَعَوْتَنِيْ وَعَلِمْتُ أَنَّكَ صَادِقٌ ... وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِيْنَا

وَلَقَدَ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِيْنَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ ٱلْبَرِيَّةِ دِيْنَا

لَوْلاَ ٱلْمَلاَمَةُ أَوْ حِذَارُ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدْتَنِيْ سَمْحاً بِذَاكَ مُبِيْنَا

ولكن أنا على ملة الأشياخ، عبد المطلب وهاشم وعبد مناف، ثم مات فأتى علي ابنه للنبي ﷺ، وقال له: عمك الضال قد مات، فقال له: «اذهب فواره»، وما تقدم من أنه لم يؤمن حتى مات هو الصحيح.

وبمعنى الآية قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ وقوله: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

فإن قلت[1]: إن بين هذه الآية وآية ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ تناقضاً فما وجه الجمع بينهما؟

قلت: يُجمع بينهما بأن المنفي هنا خلق الهداية التي هي عبارة عن تقليب القلب من الباطل ـ وهو ما سوى الله ـ إلى الحق، وهو الله سبحانه، فليس هذا من شأن غير الله سبحانه، والمثبت هناك الدلالة على الدين القويم، وهذا هو الذي كان من شأن النبي ﷺ وغيره من كل مرشد.

ثم أخبر سبحانه عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباعهم للهدى، فقال: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾؛ أي: قال مشركو مكة ومن تابعهم ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ وندخل في

---

(١) البيضاوي بتصرف وزيادة.

دينك يا محمد ﴿نُتَخَطَّفْ﴾؛ أي: نؤخذ ونُخرج ﴿مِنْ أَرْضِنَآ﴾ مكة. ومعنى اتباع الهدى معه الاقتداء به ﷺ في الدين والسلوك إلى طريق الرشاد، والتخطف هو الانتزاع والاختلاس بسرعة.

وقرأ الجمهور: ﴿نُتَخَطَّفْ﴾ بالجزم جوابا للشرط. وقرأ المنقري: بالرفع على الاستئناف، مثل قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِكُكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ برفع الكاف؛ أي: فهو يدرككم الموت، والمعنى؛ أي: وقال كفار مكة: لقد نعلم يا محمد أنك على الحق، وأنك ما كذبت كذبة قط فنتهمك اليوم، ولكنا نخاف ونخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى، وخالفنا العرب أن يتخطفونا؛ أي: أن يأخذونا ويسلبونا ويقتلونا، ويخرجونا من مكة والحرم لإجماعهم على خلافنا، وهم كثيرون، ونحن أكلة رأس؛ أي: قليلون، لا نستطيع مقاومتهم.

ثم رد الله ذلك عليهم رداً مصدراً باستفهام تقرير مضمن للتوبيخ، فقال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ والهمزة فيه للاستفهام التقريري داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: ألم نعصمهم ونجعل مكانهم حرماً ذا أمن، لحرمة البيت الذي فيه، وذلك[1] أن العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون حيث كانوا لحرمة الحرم، ومن المعروف أنه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب، والحمام من الحدأة.

ثم وصف هذا الحرم بقوله: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾؛ أي: يُجلب إلى ذلك الحرم، ويُجمع إليه، ويُحمل من الشام ومصر والعراق ومن أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكيا وغيرها براً وبحراً وجواً ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أنواع الثمار والفواكه والحبوب؛ أي: يُحمل ويُجلب إليه أنواع الثمرات والفاكهات والخضروات والأبازير والبضاعات، من مشارق الأرض ومغاربها، براً وبحراً وجواً، فلا ترى شرقي الفواكه ولا غربيَّها مجمعة إلا في مكة، لدعاء إبراهيم عليه السلام حيث

---

(١) الخازن.

قال: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ومعنى[1] الكلية الكثرة، والجملة صفة أخرى لحرماً، دافعة لما عسى يُتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة، وهو الطعام المجلوب من بلد إلى بلد.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿يُجْبَىٰٓ﴾ بالتحتية اعتباراً بتذكير كل شيء، ووجود الفاصل بين الفعل وثمرات، وأيضاً ليس تأنيث ثمرات بحقيقي، واختار قراءة الجمهور أبو عبيد لما ذكرنا، وقرأ نافع وجماعة عن يعقوب وأبو حاتم عن عاصم: ﴿تُجبى﴾ بالتاء الفوقية اعتباراً بثمرات، وقرأ[3] الجمهور أيضاً: ﴿ثَمَرات﴾ بفتحتين، وقرأ أبان بن تغلب: بضمتين، جمع ثُمُر بضمتين، وقرأ بعضهم: ﴿ثمرات﴾ بفتح الثاء وإسكان الميم، وانتصاب ﴿رِّزْقًا﴾ على أنه مصدر مؤكد لمعنى يُجبى، لأن فيه معنى يرزق؛ أي: يرزقون رزقاً.

﴿مِّن لَّدُنَّا﴾؛ أي: من عندنا، لا من عند المخلوقات، فإذا كان حالهم هذا، وهم عبدة الأصنام، فكيف يخافون التخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بأن ذلك الرزق هو من عندنا، أي: أكثر أهل مكة جهلة، لا يتفطنون له ولا يتفكرون، ليعلموا ذلك لفرط جهلهم ومزيد غفلتهم، وعدم تفكرهم في أمر معادهم ورشادهم، لكونهم ممن طبع الله على قلبه، وجعل على بصره غشاوة.

وحاصل المعنى: أي إن ما اعتذرتم به لا يصلح أن يكون عذراً، لأنا جعلناكم في بلد أمين، وحرم معظَّم منذ وجد، فكيف يكون هذا الحرم آمناً لكم حال كفركم وشرككم، ولا يكون أمناً لكم وقد أسلمتم، واتبعتم الحق.

قال يحيى بن سلام: يقول سبحانه: كنتم آمنين في حرمي، تأكلون رزقي، وتعبدون غيري، أفتخافون إذ عبدتموني، وآمنتم بي، وقد تفضل عليكم ربكم،

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) البحر المحيط.

وأطعمكم من كل الثمرات، التي تُجلب من أرجاء الأرض ونواحيها، من كل بلد رزقاً منه لكم، ولكن أكثر أهل مكة جهلة، لا يفطنون إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم، ومن ثم قالوا ما قالوا، وقد كان من حقهم أن يعلموا أن تلك الأرزاق إنما وصلت إليهم من ربهم، فهو الذي يُخشى ويُتقى، لا سواه من المخلوقين.

وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾؛ أي: وأهلكنا كثيراً من أهل قرية بطرت وطغت، وكفرت في معشيتها، وأساءت في حقوق نعم الله عليها من الشكر، تخويف[1] لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بإنعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة، وقابلوها بالبطر فأُهلكوا، ورد لقولهم[2]: ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ . . .﴾ إلخ، فقد اعتقدوا أنهم ما داموا على دينهم فإنهم في أمن، وإن اتبعوا الرسول نزل بهم البلاء، فبيَّن الله لهم أن الأمر بالعكس، وهو إن تركوا دينهم وأسلموا أمنهم الله من عذاب الدنيا والآخرة، وإن داموا على دينهم لم يؤمنهم الله من عذاب الدارين، بدليل أنه أهلك كثيراً من القرى بأنواع العذاب لكفرهم.

وهذا هو الرد الثاني على شبهتهم، فإنه بعد أن بين ما خص به أهل مكة من النعم، أتبعه بما أنزله على الأمم الماضية، الذين كانوا في رغد من العيش، فكذبوا الرسل، فأزال عنهم تلك النعم، وأحل بهم النقم.

وفي «أبي السعود»: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ. . .﴾ إلخ، بيَّن الله[3] بهذا أن الأمر بالعكس، وأنهم أحقاء بأن يخافوا بأس الله، ولا يغتروا بالأمن الحاصل لهم؛ أي: وكثيراً من أهل القرى كان حالهم كحال هؤلاء في الأمن والخصب، فبطروا وطغوا فدمرهم الله، وخرَّب ديارهم .اهـ.

قال عطاء: عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام .اهـ وإجمال

---

(١) النسفي.

(٢) الفتوحات.

(٣) أبو السعود.

هذا: إن قولكم لا نؤمن خوفاً من زوال النعم ليس بحق، بل الإصرار على عدم قبول الإيمان هو الذي يزيل هذه النعم.

﴿فَتِلْكَ﴾ القرى التي تمرون عليها في أسفاركم إلى الشام، كديار ثمود وقوم شعيب، ﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾؛ أي: مساكن الذين ظلموا ـ ومنازلهم قد خربت ـ باقية الآثار، تشاهدونها في ذهابكم وإيابكم، حالة كونها ﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد هلاكهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من الزمن للمارة، فإنهم يلبثون فيها يوماً أو بعض يوم للاستراحة والعبرة، ويحتمل[1] أن شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم، فلم يبق من يسكنها من أعقابهم إلا قليلاً، إذ لا بركة في سُكنى الأرض الشؤم، وقال بعضهم: سكنها الهام والبوم، ولذا كان من تسبيحها سبحان الحي الذي لا يموت، وقيل: لم يُعمر منها إلا أقلها، وأكثرها خراب.

﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ منهم لتلك المساكن، لأنهم لم يتركوا وارثاً يرث منازلهم وأموالهم، ولم يخلفوا أحداً يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم، وصار أمرها إلى الله تعالى، لأنه الباقي بعد فناء الخلق، والشيء إذا لم يبق له مالك معين قيل إنه ميراث الله، لأنه هو الباقي بعد خلقه. ونحو الآية قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

ثم أخبر سبحانه عن عدله، وأنه لا يُهلك أحداً إلا بعد الإنذار، وقيام الحجة بإرسال الرسل، فقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ أي: وما كانت عادة ربك يا محمد وسنته في كل زمان أن يُهلك أهل القرى قبل الإنذار ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾؛ أي: في أصلها وكُبْراها التي تلك القرى سوادها وأتباعها، وخص الأصل والكبرى لكون أهلها أفطن وأشرف، والرسل إنما تبعث غالباً إلى الأشراف، وهم غالباً يسكنون المدن والقصبات ـ جمع قصبة ـ وهي العاصمة.

﴿رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ الناطقة بالحق، ويدعوهم إليه بالترغيب حيناً

---

(١) روح البيان.

والترهيب حيناً آخر، وذلك لإلزام الحجة وقطع المعذرة.

والمعنى(١): أي وما صح ولا استقام أن يكون الله سبحانه مهلك القرى الكافرة حتى يبعث في أمها رسولاً، يُنذرهم ويتلو عليهم آيات الله، الناطقة بما أوجبه الله عليهم، وما أعده من الثواب للمطيع، والعقاب للعاصي، ومعنى أمها أكبرها وأعظمها، وخص الأعظم منها بالبعثة إليها، لأن فيها أشراف القوم، وأهل الفهم والرأي، وفيها الملوك والأكابر، فصارت بهذا الاعتبار كالأم لما حولها من القرى، وقال الحسن: أم القرى أولها.

وفي «التكملة»: الأم هي مكة، والرسول محمد ﷺ، وذلك لأن الأرض دُحيت من تحتها، فيكون المعنى: وما كان ربك يا محمد مهلك البلدان التي هي حوالي مكة في عصرك وزمانك حتى يبعث في أمها؛ أي: في أم القرى التي هي مكة رسولاً، هو أنت.

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ﴾ بالعقوبة بعد بعثنا في أمها رسولاً يدعوهم إلى الحق، ويرشدهم إليه في حال من الأحوال ﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾؛ أي: إلا حال كون أهلها ظالمين بتكذيب رسولنا، والكفر بآياتنا، فالبعث غاية لعدم صحة الإهلاك بموجب السنة الإلهية، لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الإهلاك عقيب البعث، وهذه الجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ والاستثناء فيها مفرَّغ من أعم الأحوال، كما قدَّرنا.

ودلت الآية(٢): على أن الظلم سبب الهلاك، ولذا قيل: الظلم قاطع الحياة ومانع النبات، وكذا الكفران، يقال: النعم محتاجة إلى الأكفاء، كما تحتاج إليها الكرائم من النساء، وأهل البطر ليسوا من أكفاء النعم، كما أن الأراذل ليسوا أكفاء عقائل الحُرُم ـ جمع عقيلة ـ وعقيلة كل شيء أكرمه، وحرم الرجل أهله، فكما أن الكريمة من النساء ليست بكفء للرذيل من الرجال، فيفرَّق بينهما للحوق العار، فكذا النعمة تُسْلب من أهل البطر والكبر والغرور والكفران، وأما أهل

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.

الشكر فلا يضيع سعيهم بل يزداد حسن حالهم، ولله تعالى رزق واسع في البلاد، ولا فرق فيه بين الشاكر والكفور من العباد.

فعلى[1] العاقل أن يعرف الله تعالى، ويعرف قدر النعمة، فيقيِّدها بالشكر، ولا يضع الكفر موضع الشكر، فإنه ظلم صريح يحصل منه الهلاك مطلقاً، إما للقلب بالإعراض عن الله تعالى ونسيان أن العطاء منه، وإما للقالب بالبطش الشديد، وكم رأينا في الدهر من أمثاله من خرب قلبه، ثم خرب داره، ووجد آخر الأمر بواره، ولكن الإنسان من النسيان، لا يتذكر ولا يعتبر، بل يمضي على حاله من الغفلة، أيقظنا الله وإياكم من نوم الغفلة في كل لحظة، وشرفنا في جميع الساعات باليقظة الكاملة المحضة.

﴿وَمَا﴾ مبتدأ متضمنة لمعنى الشرط لدخول الفاء في خبرها، بخلاف الثانية، ﴿أُوتِيتُم﴾ أي: أُعطيتم، والخطاب لكفار مكة كما في «الوسيط»، ﴿مِن شَيْءٍ﴾ من أسباب الدنيا ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾، أي: فهو شيء شأنه أن يُتمتع ويُتزين به أياماً قلائل، ثم أنتم وهو إلى فناء وزوال، سمي منافع الدنيا متاعاً، لأنها تفنى ولا تبقى كمتاع البيت.

أي[2]: وما أُعطيتم يا معشر قريش من أسباب الدنيا كالمال والخدم فهو شيء عادته أن يُنتفع به، ويُتزين به أيام حياتكم، وقُرىء: ﴿فمتاعاً الحياة الدنيا﴾ بنصب الكلمتين، الأولى على المصدرية، والثانية على الظرفية؛ أي: يتمتعون متاعاً في الحياة الدنيا.

﴿وَمَا﴾ موصولة؛ أي: والجزاء الذي ادُّخِر ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى، وهو الثواب ﴿خَيْرٌ﴾ لكم في نفسه من ذلك، لأنه لذة خالصة من شوائب الألم، وبهجة كاملة عارية من مسة الهمم ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ لأنه أبدي، وهذا ينقضي بسرعة؛ أي: فمنافع الآخرة لمن آمن بالله وبرسوله أعظم وأدوم مما لكم في الدنيا، فتصيب كل أحد في الآخرة بالقياس إلى منافع الدنيا كلها، كالذرة بالقياس إلى البحر، فكيف

---

(١) روح البيان. (٢) فتح الرحمٰن.

قلتم: تركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا؟!.

وقيل: ﴿مَآ﴾ شرطية ﴿من شيء﴾ بيان لها، وقوله: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملة جوابها، أي: فهو متاع الحياة الدنيا. والهمزة في قوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ للاستفهام التوبيخي، داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: ألا تتفكرون فلا تعقلون أن الدنيا فانية، والآخرة باقية؛ أي: ألا تتفكرون فلا تعقلون هذا الأمر الواضح، فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، وتؤثرون الشقاوة الحاصلة من الكفر والمعاصي على السعادة المتولدة من الإيمان والطاعات.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ بالتاء الفوقانية على خطابهم وتوبيخهم، في كونهم أهملوا العقل في العاقبة، ونسب هذه القراءة أبو علي في «الحجة» إلى أبي عمرو وحده، وفي «التحرير والتحبير» بين الياء والتاء عن أبي عمرو، وقرأ أبو عمرو: ﴿يعقلون﴾ بالياء إعراض عن خطابهم، وخطاب لغيرهم، كأنه قال انظروا إلى هؤلاء وسخافة عقولهم، وقراءة الجمهور أرجح لقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾.

ومعنى الآية[2]: أي وما أُعطيتم أيها الناس من شيء من الأموال والأولاد فإنما هو متاع، تتمتعون به في الحياة الدنيا، وتتزينون به فيها، وهو لا يُغني عنكم شيئاً عند ربكم، ولا يُجديكم شروى نقير لديه، وما عنده خير لأهل طاعته وولايته، لدوامه وبقائه، بخلاف ما عندكم، فإنه ينفد وينقطع بعد أمد قصير، ونحو الآية قوله: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾، وقوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾، وقوله: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾. وفي الحديث: «والله ما الحياة الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر ماذا يرجع إليه».

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾؛ أي: أفلا عقول لكم أيها القوم، تتدبرون بها فتعرفوا الخير من الشر، وتختاروا لأنفسكم خير المنزلتين على شرهما، وتؤثروا الدائم الذي لا

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

نفاد له على الفاني الذي ينقطع، ومن أجل هذا أثر عن الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس، صُرف ذلك الثلث للمشتغلين بطاعة الله تعالى، وكأنه ـ رحمه الله ـ أخذه من هذه الآية.

قوله تعالى[1]: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ فإن قلت: لم قاله هنا بالواو وفي الشورى بالفاء، حيث قال: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾؟ قلت: لأن ما هنا لم يتعلق بما قبله كبير تعلق، فناسب الإتيان به بالواو المقتضية لمطلق الجمع، وما هناك متعلق بما قبله أشد تعلق، لأنه عقَّب مالهم من المخافة بما لهم من الأمنة، فناسب الإتيان به بالفاء المقتضية للتعقيب.

فإن قلت: قال هنا بزيادة ﴿وَزِينَتُهَا﴾ وفي الشورى بحذفه؟

قلت: لأن ما هنا لسبقه قصد ذكر جميع ما بُسط من رزق أعراض الدنيا، فذكر ﴿وَزِينَتُهَا﴾ مع المتاع، ليستوعب جميع ذلك، إذ المتاع ما لا بد منه في الحياة، من مأكول ومشروب وملبوس ومسكن ومنكوح، والزينة ما يتجمل به الإنسان، وحذفه في الشورى اختصاراً لعلمه من المذكور هنا.

ثم أكد ترجيح ما عند الله على ما في الدنيا من زينة فقال: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ الهمزة فيه للاستفهام الإنكاري داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، تقديره: أمتاع الدنيا وزينتها كما عند الله، فمن وعدناه وعداً حسناً كمن متعناه متاع الحياة الدنيا.

وعبارة «أبي السعود» هنا: والفاء لترتيب إنكار التساوي بين أهل الدنيا وأهل الآخرة ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله .اهـ، و﴿من﴾[2] موصولة مبتدأ؛ أي: فمن وعدناه على إيمانه وطاعته ﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾ هو الجنة وما فيها من النعم التي لا تُحصى، فإن حسن الوعد بحسن الموعود به.

---

(١) فتح الرحمٰن.

(٢) روح البيان.

﴿فَهُوَ﴾؛ أي: ذلك الموعود له ﴿لَاقِيهِ﴾؛ أي: لاقي ذلك الوعد الحسن، ورائيه ومصيبه ومدركه لا محالة، لاستحالة الخلف في وعده تعالى محمداً وأصحابه، والجملة الاسمية معطوفة على جملة الصلة، ﴿كَمَن﴾ موصولة خبر للأولى؛ أي: كمن ﴿مَّتَّعْنَاهُ﴾ وأعطيناه ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ من المال والخدم، كأبي جهل وأضرابه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ للحساب أو النار والعذاب، معطوف[1] على قوله: ﴿مَّتَّعْنَاهُ﴾ داخل معه في حيز الصلة، مؤكد لإنكار التشابه ومقرر له.

والمعنى: ثم هذا الذي متعناه هو يوم القيامة من المحضرين النار، وتخصيص المحضرين بالذين أُحضروا للعذاب اقتضاه المقام، والاستفهام للإنكار كما مر؛ أي: ليس حالهما سواء، فإن الموعود بالجنة لا بد أن يظفر بما وُعد به، مع أنه لا يفوته نصيبه من الدنيا، وهذا حال المؤمن، وأما حال الكافر فإنه لم يكن معه إلا مجرد التمتع بشيء من الدنيا، يستوي فيه هو والمؤمن، وينال كل واحد منهما حظه منه، وهو صائر إلى النار، فهل يستويان؟ لا.

وقرأ طلحة: ﴿أمن وعدناه﴾ بغير فاء، وقرأ الجمهور: ﴿ثم هو﴾ بضم الهاء، وقرأ الكسائي وقالون: بسكون الهاء إجراءً لثم مجرى الواو والفاء.

وعبارة البروسوي هنا قوله: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[2] وثم للتراخي في الزمان؛ أي: لتراخي حال الإحضار عن حال التمتيع، أو في الرتبة. ومعنى الفاء في ﴿أَفَمَن﴾ ترتيب إنكار التشابه بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله؛ أي: أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين؛ أي: لا يسوَّى بينهما، فليس من أكرم بالوعد الأعلى ووجدان المولى، وهو المؤمن، كمن أُهين بالوعيد والوقوع في الجحيم في العقبى، وهو الكافر، وذلك بإزاء شهوة ساعة وجدها في الدنيا،

---

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان.

ويقال: رب شهوة ساعة أورثت صاحبها حزناً طويلاً.

والمعنى[1]: أي أفمن وعدناه من خلقنا على طاعته إيانا بالجنة وجزيل نعيمها، مما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر، فآمن بما وعدناه وأطاعنا، فاستحق أن ننجز له وعدنا، فهو لاقيه حتماً وصائر إليه، كمن متعناه الحياة الدنيا، ونسي العمل بما وعدنا به أهل الطاعة، وآثر لذة عاجلة على لذة آجلة لا تنفد، ثم هو يوم القيامة إذا ورد على الله كان من المحضرين لعذابه وأليم عقابه؟

وهذه الآية تبين حال كل كافر متمتع في الدنيا بالعافية والغنى، وله في الآخرة النار، وحال كل مؤمن صبر على بلاء الدنيا ثقة بوعد الله، وله في الآخرة الجنة، وخلاصة ذلك: أفمن سمع كتاب الله فصدق به، وآمن بما وعده الله فيه، كمن متعناه متاع الحياة الدنيا، وقد كفر بالله وآياته، ثم هو يوم القيامة من المحضرين لعذابه، الجواب الذي لا ثاني له أنهما لا يستويان في نظر العقل الراجح.

وتلخيص المعنى: أنهم لما قالوا: تركنا الدين للدنيا.. قيل لهم: لو لم يحصل عقب دنياكم مضرة العقاب لكان العقل يقضي بترجيح منافع الآخرة على منافع الدنيا، فكيف وبعد هذه اللذة فيها يحصل العقاب الدائم، وجاء الكلام بأسلوب الاستفهام ليكون أبلغ في الاعتراف بالترجيح.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ إما معطوف على يوم القيامة، أو منصوب باذكر المقدر، والمراد به يوم القيامة، والضمير للكفار؛ أي: واذكر يا محمد لقومك قصة يوم ينادي الكفار ربهم، وهو عليهم غضبان ﴿فَيَقُولُ﴾ تفسير للنداء؛ أي[2]: فيقول الله سبحانه لهم توبيخاً وتقريعاً: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم ينصرونكم ويشفعون لكم، ومفعولا ﴿تَزْعُمُونَ﴾ محذوفان؛ أي: تزعمونهم شركائي، لدلالة الكلام عليهما؛ أي: أين الذين عبدتموهم من دوني، وأثبتم لهم شركة معي في استحقاق العبادة، وتزعمون في الدنيا أنهم يشفعون لكم في

---

(١) المراغي. (٢) المراح.

الآخرة، أين هم لينصروكم من هذا الذي نزل بكم.

والمعنى[1]: أي واذكر أيها الرسول لقومك يوم ينادي رب العزة هؤلاء الذين يضلون الناس، ويصدون عن سبيل الله، فيقول لهم: أين شركائي من الملائكة والجن والكواكب والأصنام، الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم لي شركاء؟ ليخلصوكم من هذا الذي نزل بكم من العذاب، وهذا السؤال للإهانة والتحقير، لأنهم عرفوا بطلان ما كانوا يفعلون، ونحو الآية قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

قال في «كشف الأسرار»: وسؤالهم عن ذلك ضرب من ضروب العذاب، لأنه لا جواب لهم إلا ما فيه فضيحتهم، واعترافهم بجهل أنفسهم.

ثم ذكر جواب هؤلاء الرؤساء الدعاة إلى الضلال، فقال: ﴿قَالَ﴾[2] استئناف مبني على حكاية السؤال، كأنه قيل: فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل: قال: ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ في الأزل بأن يكونوا من أهل النار، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ الآية، كما في «التأويلات النجمية».

وقال بعض أهل التفسير: معنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ ثبت مقتضاه، وتحقق مؤداه، وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وغيره من آيات الوعيد، والمراد بهم شركاؤهم من الشياطين، أو رؤساؤهم الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله، بأن أطاعوهم في كل ما أمروهم به ونهوهم عنه.

وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للأتباع أيضاً، لأصالتهم في الكفر، واستحقاق العذاب، ومسارعتهم إلى الجواب مع كون السؤال للعبدة، لتفطنهم أن السؤال عنهم لاستحقارهم وتوبيخهم بالإضلال، وجزمهم بأن العبدة سيقولون هؤلاء أضلونا ﴿رَبَّنَا﴾؛ أي: يا مالك أمرنا ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ الأتباع والعبدة، مبتدأ

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبره ﴿أَغْوَيْنَآ﴾ صلة الموصول، حذف منها العائد، ومرادهم بالإشارة بيان أنهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم، وأنهم غير قادرين على إنكاره ورده؛ أي: قال الرؤساء: يا ربنا هؤلاء الأتباع والعبدة هم الذين أغويناهم، وأضللناهم بتسويلنا لهم، ودعوناهم إلى الغي والضلال ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَاۖ﴾؛ أي: أضللناهم كما ضللنا، فغووا غياً مثل غيِّنا.

والمعنى: هؤلاء أتباعنا آثروا الكفر على الإيمان، كما آثرناه نحن، ونحن كنا السبب في كفرهم فقبلوا منا، وهو استئناف[1] للدلالة على أنهم غووا باختيارهم، وأنهم لم يفعلوا لهم إلا وسوسة وتسويلاً، وهذا هو الجواب في[2] الحقيقة، وما قبله تمهيد له؛ أي: ما أكرهناهم على الغي، وإنما أغوينا بما قضيت لنا ولهم الغواية والضلالة، يعنون[3] أنا لم نغو إلا باختيارنا، فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم، لأن إغوائنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلاً، فلا فرق إذاً بين غيِّنا وغيِّهم، وإن كان تسويلنا داعياً لهم إلى الكفر، فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل، وما بعث إليهم من الرسل، وأنزل عليهم من الكتب، وهو كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾.

ولم يقولوا: أغويناهم كما أغويتنا، كما قال إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ تأدباً مع الرب سبحانه، وقرأ[4] أبان عن عاصم وبعض الشاميين: ﴿كَمَا غَوِيْنَا﴾ بكسر الواو، قال ابن خالويه، وليس ذلك مختاراً، لأن كلام العرب غويت من الضلالة، وغويت من البشم.

﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَۖ﴾ يا رب منهم، ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوىً منهم، وهو تقرير لما قبله، ولذا لم يُعطف عليه، قوله: ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ إيانا مفعول ﴿يَعْبُدُونَ﴾؛ أي: ما كانوا يعبدوننا، وإنما كانوا يعبدون أهواءهم،

---

(١) البيضاوي.
(٢) روح البيان.
(٣) النسفي.
(٤) البحر المحيط.

ويطيعون شهواتهم، والمعنى: أن رؤساء الضلال أو الشياطين تبرؤوا ممن أطاعهم، قال الزجاج: بريء بعضهم من بعض، وصاروا أعداء، كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

وحاصل معنى الآية: أي قال رؤساء الضلال والدعاة إلى الكفر ـ الذين حق عليهم غضب الله، ولزمهم الوعيد بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ فدخلوا النار ـ: ربنا هؤلاء الأتباع الذين أضللناهم أغويناهم باختيارهم، كما غوينا نحن كذلك، ولم يكن منا لهم إلا الوسوسة والتسويل، لا القسر والإلجاء، فهم كانوا مختارين حين أقدموا على تلك العقائد وهذه الأعمال.

وخلاصة ذلك: أن تبعة غيِّهم واقعة عليهم، لا علينا، إذ لم نلجئهم إلى ذلك، بل كان منا مجرد الوسوسة فحسب، فإن كان تسويلنا لهم داعياً إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان، بما وضع من الأدلة العقلية، وبعث إليهم من الرسل، وأنزل إليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد، والمواعظ والزواجر، وناهيك بذلك صارفاً عن الكفر داعياً إلى الإيمان.

ثم زاد الجملة الأولى توكيداً بقوله: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم، ومما اختاروه من الكفر والمعاصي، اتباعاً لهوى أنفسهم، فلا لوم علينا في الحقيقة بسببهم، ونحو الآية ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾.

ثم ذكر ما هو كالعلة لنفي الشبهة عنهم، فقال: ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ أي: هم ما كانوا يعبدوننا، وإنما كانوا يعبدون الأوثان بما زينت لهم أهواؤهم، ثم طلب إليهم دعاء الشركاء توبيخاً لهم وتهكماً بهم، فقال: ﴿وَقِيلَ﴾ لمن عبد غير الله تعالى توبيخاً وتهديداً، والقائلون الخزنة ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي: استغيثوا بآلهتكم التي كنتم تعبدونهم من دون الله في الدنيا لينصروكم ويدفعوا عنكم العذاب.

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾؛ أي: فدعا العابدون معبوداتهم عند ذلك لشدة حيرتهم ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟﴾؛ أي: المعبودون ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: للعابدين ولا نفعوهم بوجه من وجوه

النفع، ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة، ﴿وَرَأَوُا﴾؛ أي: كل من العابدين والمعبودين ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ قد غشيهم، وتمنوا ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا؛ أي: وتمنوا عندئذٍ كونهم مهتدين في الدنيا، على أن ﴿لَوْ﴾ مصدرية معمولة لمحذوف، وقيل: إن ﴿لَوْ﴾ شرطية جوابها محذوف، تقديره: لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة، وقيل: ﴿لَوْ﴾ هنا للتمني؛ أي: تمنوا كونهم مهتدين، لا ضالين[1]، وقيل: المعنى لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لأنجاهم ذلك ولم يروا العذاب.

وحاصل المعنى[2]: أي وقيل للمشركين بالله الآلهة والأنداد في الدنيا: ادعوا آلهتكم الذين زعمتم جهلاً منكم شركتهم لله، ليدفعوا العذاب عنكم، فدعوهم لفرط الحيرة وغلبة الدهشة، فلم يجيبوهم عجزاً منهم عن الإجابة، والمقصود من طلب ذلك منهم فضيحتهم على رؤوس الأشهاد، بدعاء من لا نفع له، ولا فائدة منه.

ثم بيَّن حالهم حينئذٍ، وتمنِّيهم أن لو كانوا وُفِّقوا في الدنيا إلى سلوك طريق الهدى والرشاد، فقال: ﴿وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾؛ أي: وأيقن الداعون والمدعوون أنهم صائرون إلى النار لا محالة، وودوا حين عاينوا لو أنهم كانوا من المهتدين المؤمنين في الدنيا، ونحو الآية قوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾.

وبعد أن سُئِلوا عن إشراكهم بالله ـ توبيخاً لهم ـ سُئلوا عن تكذيبهم الأنبياء، كما أشار إلى ذلك بقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾؛ أي: واذكر يا محمد لقومك قصة يوم ينادي الله سبحانه وتعالى الكفار نداء تقريع وتوبيخ ﴿فَيَقُولُ﴾ الله سبحانه تفسيراً للنداء ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الذين أرسلتهم إليكم حين دعوكم إلى توحيدي وعبادتي، ونهوكم عن الشرك والمعاصي؛ أي: أي شيء كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين، حين بلَّغوكم رسالتي، أبالتصديق أم بالتكذيب؟ فهو معطوف

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

على ما قبله، فسُئلوا أولاً عن إشراكهم، وثانياً عن جوابهم الرسل الذين نهوهم عن ذلك. ذكره «أبو السعود».

والمعنى[1]: أي واذكر يا محمد يوم ينادي المشركين ربُّهم، وقد برز الناس في صعيد واحد، منهم المطيع، ومنهم العاصي، وقد أخذ بأنفاسهم الزحام، وتراكبت الأقدام على الأقدام، فيقول لهم: ماذا أجبتم المرسلين، فيما أرسلناهم به إليكم من دعائكم إلى التوحيد والبراءة من الأوثان والأصنام.

ثم بيَّن أنهم لا يحارون جواباً، ولا يجدون من الحجج ما يدافعون به عن أنفسهم، فقال: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾؛ أي: فخفيت عليهم الأخبار يوم إذ سُئلوا عن ذلك، ولم يجدوا معذرة يُجيبون بها، فلم يكن لهم إلا السكوت جواباً، والمراد بالأنباء[2] ما أجابوا به الرسل أو ما يعمها، وإذا كانت الرسل يفوّضون العلم في ذلك المقام الهائل إلى علاَّم الغيوب، مع نزاهتهم عن غائلة السؤال، كما قال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾، فما ظنُّك بهؤلاء الضلال.

قال أهل التفسير: أي صارت الأنباء كالعمى عنهم لا تهتدي إليهم، وأصله فعموا عن الأنباء؛ أي: الأخبار، وقد عكس بأن أثبت العمى الذي هو حالهم للأنباء مبالغة، وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه.

ثم بيَّن أنه تخفي عليهم كل طرق العلم التي كانت تجديهم في الدنيا، فقال: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ أي: فلا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب النافع، كما يتساءل الناس في المشكلات، لأنهم يتساوون جميعاً في العجز عن الجواب المنجي، لما اعتراهم من الدهشة، وعظيم الهول فلا نطق ولا عقل، أو لعلمهم بأن الكل سواء في الجهل، وفي «الخازن»: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ أي: لا يجيبون ولا يحتجون، وقيل: يسكتون فلا يسأل بعضهم بعضاً .اهـ.

---

(١) المراغي.
(٢) البيضاوي.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿فَعَمِيَتْ﴾ بفتح العين وتخفيف الميم، وقرأ الأعمش وجُناح بن حُبيش وأبو زرعة هرم بن عمرو بن جرير: بضم العين وتشديد الميم، والمعنى: أُظلمت عليهم الأمور فلم يستطيعوا أن يُخبروا بما فيه نجاة لهم. وأتى بلفظ الماضي لتحقق وقوعه، وقرأ طلحة: ﴿يساءلون﴾ بإدغام التاء في السين؛ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً فيما يتحاجون به، إذ أيقنوا أنه لا حجة لهم، فهم في عمى وعجز عن الجواب، والمراد بالنبأ الخبر عما أجاب به المرسل إليه رسوله.

ولما ذكر تعالى أحوال الكفار يوم القيامة، وما يكون منهم فيه أخبر بأن من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحاً، فإنه مرجوٌّ له الفلاح والفوز في الآخرة، وهذا ترغيب للكافر في الإسلام، وضمان له بالفلاح، فقال: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ بما جاء به النبي ﷺ ﴿وَعَمِلَ﴾ عملاً ﴿صَٰلِحًا﴾؛ أي: خالصاً لوجه الله ﴿فَعَسَىٰٓ﴾؛ أي: فحق ﴿أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾؛ أي: من الفائزين بالمطلوب عند الله تعالى الناجين من المكروه.

و﴿عسى﴾ وإن كانت في الأصل للرجاء فهو من الله سبحانه واجب، مفيد للتحقق، على ما هو عادة الكرام، وقيل: إن الترجي هو من التائب المذكور، لا من جهة الله سبحانه، بمعنى فليتوقع الفلاح، والمعنى[2]: فأما من تاب من المشركين وراجع الحق، وأخلص لله بالألوهية، وأفرد له العبادة وصدَّق نبيَّه، وعمل بما أمر به في كتابه على لسان نبيه فهو من الفائزين الذين أدركوا مطالبهم، وفازوا بجنات النعيم، خالدين فيها أبداً.

قال في «كشف الأسرار»: إنما قال: ﴿فَعَسَىٰٓ﴾[3] يعني إن دام على التوبة والعمل الصالح، فإن المنقطع لا يجد الفلاح، ونعوذ بالله من الحور بعدالكور، فينبغي لأهل الآخرة أن يباشروا الأعمال الصالحة، ويدوموا على أورادهم، وللأعمال تأثير عظيم في تحصيل الدرجات، وجلب المنافع والبركات، ولها نفع

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

لأهل السعادة في الدنيا والآخرة، ولأهل الشقاوة لكن في الدنيا فقط، فإنهم يجلبون بها المقاصد الدنيوية من المناصب والأموال والنعم، وقد عوَّض الله سبحانه عن عبادة الشيطان قبل كفره طول عمره، ورأى أثرها في الدنيا، فلا بد من السعي بالإيمان والعمل الصالح .اهـ.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أن يخلقه ﴿وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء اختياره واصطفاءه من خلقه كمحمد ﷺ؛ أي: فكما أن الخلق إليه فكذا الاختيار في جميع الأشياء له، لا يُسئل عما يفعل وهم يسألون، قال الزجاج: الوقف على ﴿وَيَخْتَارُ﴾ تام، و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ نافية؛ أي: ليس لهم أن يختاروا على الله شيئاً ما وله الخيرة عليهم، وهذا[1] متصل بذكر الشركاء الذين عبدوهم واختاروهم، وقيل: إن هذه الآية جواب عن قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾، وقيل: هذه الآية جواب عن اليهود، حيث قالوا: لو كان الرسول إلى محمد غير جبريل لآمنا به.

ولم يُدخل[2] العاطف في ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ لأنه بيان لقوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾، إذ المعنى: أن الخيرة لله سبحانه، وهو أعلم بوجوه الحكمة في أفعاله، فليس لأحد من خلقه أن يختار عليه، ومن جعل ﴿مَا﴾ موصولة ووصل الكلام على معنى: ويختار الذي لهم فيه الخيرة فقد أبعد، بل ﴿مَا﴾ لنفي اختيار الخلق، وتقرير اختيار الحق سبحانه، ومن قال معناه: ويختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح فهو مائل إلى الاعتزال، و﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ يستعمل بمعنى المصدر، وهو التخير، وبمعنى المتخير، كقولهم محمد خيرة الله من خلقه.

ومعنى الآية[3]: أي وربك يا محمد يخلق ما يشاء خلقه، وهو وحده سبحانه دون غيره يصطفي ما يريد أن يصطفيه ويختاره، فيختار أقواماً لأداء الرسالة وهداية الخلق، وإصلاح ما فسد من نظم العالم، ويميز بعض مخلوقاته

---

(١) الشوكاني.
(٢) النسفي.
(٣) المراغي.

عن بعض، ويفضله بما شاء، ويجعله مقدماً عنده، وليس لهم إلا اتباع ما اصطفاه، وهو لم يصطف شركاءهم، الذين اختاروهم للعبادة والشفاعة، فما هم إلا في ضلال مبين، صُدوا عن عمل ما يجب عليهم فعله طاعة لله ورسوله، وتصدوا لما ليس من حقهم أن يفعلوه بحال.

ونحو الآية قوله[1]: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ وقال الشاعر:

ٱلْعَبْدُ ذُوْ ضَجَرٍ وَٱلرَّبُّ ذُوْ قَدَرٍ ... وَٱلدَّهْرُ ذُوْ دُوَلٍ وَٱلرِّزْقُ مَقْسُوْمُ

وَٱلْخَيْرُ أَجْمَعُ فِيمَا ٱخْتَارَ خَالِقُنَا ... وَفِيْ ٱخْتِيَارِ سِوَاهُ ٱللَّوْمُ وَٱلشُّوْمُ

وروت عائشة عن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ كان إذا أراد أمراً قال: «اللهم خر لي واختر لي». وروى أنس أن النبي ﷺ قال له: «يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات، ثم انظر إلى ما يسبق إليه قلبك، فإن الخير فيه»، ويُستحب أن لا يقدم أحد على أمر من الأمور حتى يسأل الله الخيرة فيه، وذلك بأن يصلي ركعتين صلاة الاستخارة يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾. وفي الركعة الثانية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

وعن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ يعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي، ويسِّره لي، ثم بارك لي فيه، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به»، قال: ويسمي حاجته.

ثم أكد هذا وقرره بقوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾؛ أي: ليس لهم أن

---

(١) المراغي.

يختاروا على الله شيئاً، وله الخيرة عليهم، فله أن يرسل من يشاء رسولاً بحسب ما يعلمه من الحكمة والمصلحة، دون أن يكون ذلك منوطاً بمال أو جاه، كما خُيِّل إلى بعض المشركين، فقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.

ثم نزه سبحانه نفسه أن ينازعه في سلطانه أحد، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تنزه الله بذاته تنزهاً خاصاً به من أن ينازعه أحد، ويشاركه مشارك، ويزاحم اختيارَهُ اختيارَهُ ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: عن إشراكهم، أو عن الذين يجعلونهم شركاء له.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى مشيئته الأزلية في الخلق والاختيار، وأنه فاعل مختار، يخلق ما شاء، كيف يشاء، ممن يشاء، ولما يشاء، متى يشاء، وله اختيار في خلق الأشياء، فيختار وجود بعض الأشياء في العدم فيُبقيه فانياً في العدم ولا يوجده، وله الخيرة في أنه يخلق بعض الأشياء جماداً، وبعض الأشياء نباتاً، وبعض الأشياء حيواناً، وبعض الأشياء إنساناً، وأن يخلق بعض الإنسان كافراً، وبعض الإنسان مؤمناً، وبعضهم ولياً، وبعضهم نبياً، وبعضهم رسولاً، وأن يخلق بعض الأشياء شيطاناً، وبعضها جناً، وبعضها ملكاً، وبعض الملك كروبياً وبعضهم روحانياً، وله أن يختار بعض الخلق مقبولاً، وبعضهم مردوداً. انتهى.

والمعنى[1]: أي تنزيهاً له وعلواً عن إشراك المشركين، فليس لأحد أن ينازع اختياره أو يزاحمه فيه، لعلمه باستعداد خلقه وصلاحيتهم للاصطفاء، فإذا أراد النبي ﷺ أن يهدي أحداً ممن يحب، أو أراد أهل مكة أن يرسل الله رسولاً من عظمائهم قال الله لهم: ليس لكم من الأمر شيء، فلا النبي ﷺ بقادر على هدي عمه، ولا أهل مكة يصلون إلى أن تكون الرسالة في عظمائهم.

ثم بيَّن أن اختياره تعالى مبني على العلم الصحيح، لا اختيارهم، فقال:

---

(١) المراغي.

﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد يعلم ﴿مَا تُكِنُّ﴾؛ أي: تضمر وتخفي ﴿صُدُورُهُمْ﴾؛ أي: قلوبهم من الشرك أو من عداوة النبي ﷺ، وحقد المؤمنين، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾؛ أي: يظهرون بألسنتهم وجوارحهم كالطعن في النبوة وتكذيب القرآن.

قرأ الجمهور[1]: ﴿تُكِنُّ﴾ بضم التاء الفوقية وكسر الكاف، وقرأ ابن محيصن وحميد بفتح الفوقية وضم الكاف، أي: إن اختياره من يختار منهم للإيمان مبني على علم منه بسرائر أمورهم وبواديها، فيختار للخير أهله، فيوفقهم له، ويولي الشر أهله، ويخليهم وإياه. ونحو الآية قوله: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾.

ولما كان علمه بذلك جاء من كونه إلهاً واحداً فرداً صمداً، وكان غيره لا يعلم من علمه إلا ما علمه، قال: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ٱللَّهُ﴾؛ أي: المستحق للعبادة ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾؛ أي: لا أحد يستحقها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ سبحانه جل وعلا.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ﴾ يصلح للألوهية ﴿إِلَّا هُوَ﴾ وهو المتوحد بعز إلهيته، المتفرد بجلال ربوبيته، لا شبيه يساويه، ولا نظير يضاهيه، فلا معبود سواه، ولا يحيط الواصفون بكنه عظمته وهو العليم بكل شيء، القادر على كل شيء.

ثم ذكر بعض صفات كماله، فقال: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ استحقاقاً على عظمته والشكر استيجاباً على نعمته، ﴿فِى ٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: في الدنيا ﴿وَ﴾ في ﴿الآخرةِ﴾؛ أي[2]: هو المحمود في جميع ما يفعل في الدنيا والآخرة، لأنه المعطي لجميع النعم كلها عاجلها وآجلها، والمفيض لها على الخلق كافة، يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾، وبقولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾. ابتهاجاً وفرحاً بفضله، والتذاذاً بحمده؛ أي: بلا كلفة.

﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ فيما يخلق ويختار، ويعز ويذل، ويحيي ويميت؛ أي: له

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

القضاء النافذ في كل شيء، من غير مشاركة فيه لغيره، فلا معقِّب لحكمه، ولا راد لفضله، وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكم العدل اللطيف الخبير ﴿وَإِلَيْهِ﴾ لا إلى غيره ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالبعث من القبور يوم القيامة، فيجزي كل عامل جزاء عمله، إن خيراً وإن شراً، ولا يخفى عليه منهم خافية.

ويقال[1]: ثمانية أشياء تعم الخلق كلهم: الموت، والحشر، وقراءة الكتاب، والميزان، والحساب، والصراط، والسؤال، والجزاء، فظهر أن الحكم النافذ بيد الله تعالى، ولو كان شيء منه في يد الخلق لمنعوا عن أنفسهم الموت، ودفعوا ملاقاة الأعمال في الحشر، وطريق النجاة التسليم والرضى، والرجوع إلى الله تعالى بالاختيار، فإنه إذا رجع العبد إلى الله تعالى بالاختيار لم يلق عنده شدة، بخلاف ما إذا رجع بالاضطرار، ومن علامات الرجوع إلى الله إصلاح السر والعلانية، والحمد له على كل حال، فإن الجزع والاضطراب من الجهل بمبدأ الأمر ومبديه، وليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله هو المبتلي، وقل في الضراء والسراء: لا إله إلا هو، والتوحيد أفضل الطاعات، وخير الأذكار والحسنات، وصورته منجية، فكيف بمعناه.

وروي: أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: «يا موسى لا تسأل مني الغنى فإنك لا تجده، وكل خلق مفتقر إلي، وأنا الغني، ولا تسأل علم الغيب، فإنه لا يعلم الغيب غيري، ولا تسألني أن أكف لسان الخلق عنك، فإني خلقتهم ورزقتهم وأُميتهم وأُحييهم، وهم يذكرونني بالسوء، ولم أكف لسانهم عني، ولا أكف لسانهم عنك، ولا تسأل البقاء، فإنك لا تجده، وأنا الدائم الباقي».

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين من أهل مكة وغيرهم ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾؛ أي: أخبروني، عبر عن الإخبار بالرؤية، لأنها سببه؛ أي: أخبروني أيها القوم ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾؛ أي: دائماً مستمراً لا نهار معه

---

(١) روح البيان.

من السرد، وهو المتابعة والاطراد، والميم زائدة، وقيل: إن ميمه أصلية ووزنه فعلل، لا فعمل، وهو الظاهر، وقدم ذكر الليل على ذكر النهار، لأن ذهاب الليل بطلوع الشمس أكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل، كذا في «برهان القرآن»؛ أي: دائماً مستمراً ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ بإسكان الشمس تحت الأرض، أو تحريكها حول الأفق الغائر[1] ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ صفة لإله.

﴿يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ صفة أخرى له، عليها يدور أمر التبكيت والإلزام، قصد انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة؛ أي: أيُّ معبود غير الله سبحانه يأتيكم بضياء النهار، فتستضيئون به، ولم يقل[2] هل إله، فذكر بمن لإيراد الإلزام على زعمهم أن غيره آلهة، وفي هذا الأسلوب من التقريع والتبكيت والإلزام ما لا يخفى، وأتى بضياء[3]، وهو نور الشمس، ولم يجيء التركيب بنهار تتصرفون فيه، كما جاء بليل تسكنون فيه، لأن منافع الضياء متكاثرة، ليس التصرف في المعاش وحده، والظلام ليس بتلك المنزلة، ومن ثم قرن بالضياء ﴿أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾، لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده.

بيَّن لهم سبحانه أنه مهد لهم أسباب المعيشة، ليقوموا بشكر النعمة، فإنه لو كان الدهر الذي يعيشون فيه ليلاً دائماً إلى يوم القيامة لم يتمكنوا فيه من الحركة فيه، وطلب ما لا بد لهم منه مما يقوم به العيش من المطاعم والمشارب والملابس، ثم امتن عليهم فقال: ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾؛ أي: هل لكم إله من الآلهة التي تعبدونها يقدر على أن يرفع هذه الظلمة الدائمة عنكم بضياء؛ أي: بنور تطلبون فيه المعيشة، وتبصرون فيه ما تحتاجون إليه، وتصلح به ثماركم وتزهو عنده زرائعكم، وتعيش فيه دوابكم، وعن ابن كثير[4]: ﴿بضئاء﴾ بهمزتين.

---

(١) الغائر، أي: الغير المرئي وليس تحت الأرض بالكلية حتى يكون تكراراً .اهـ شهاب.
(٢) روح البيان.
(٣) البحر المحيط.
(٤) البيضاوي.

﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ما يقال لكم سماع تدبر وتفكر، فتتعظوا وتعلموا أن ربكم هو الذي يأتي بالليل، ويزيل النهار إذا شاء، وإذا أراد أتى بالنهار وأذهب الليل، ولا يقدر على ذلك سواه تعالى، والهمزة فيه للاستفهام التوبيخي المضمَّن للإنكار داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف؛ أي: ألا تتفكرون فتسمعون ما يقال لكم.

وختم هذه الآية به بناء على الليل لا على الضياء. وقال بعضهم قرن بالضياء السمع، لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر، يعني استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾؛ أي: أخبروني ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا﴾؛ أي: دائماً، لا ليل معه أبداً ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بإسكانها في وسط السماء، أو تحريكها فوق الأرض ﴿مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أيُّ معبود غير الله الذي له عبادة كل شيء ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ استراحة من متابعة الأسفار وأشغال النهار؛ أي: تستقرون فيه وتهدؤون، والهمزة في قوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ للاستفهام التوبيخي الإنكاري، داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أتعرضون عن هذه النعم العظيمة، فلا تبصرون الشواهد المنصوبة الدالة على القدرة الكاملة، فتعلموا بذلك أن العبادة لا تصلح إلا لمن أنعم عليكم بذلك، دون غيره، ومن له القدرة التي خالف بها بين الليل والنهار، وإذا أقروا بأنه لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل فقد لزمتهم الحجة، وبطل ما يستمسكون به من الشبه الساقطة، وقرن بالليل قوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأن البصر يدرك ما لا يدركه السمع من ذلك.

وجاء تذييل الآيتين بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ و﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لبيان أنهم لما لم ينتفعوا بالسمع والبصر نزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر، وعبارة «فتح الرحمٰن»: هنا ختم آية الليل بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ وآية النهار بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لمناسبة الليل المظلم الساكن للسماع، ومناسبة النهار النيِّر للأبصار، وإنما قدم الليل على النهار ليستريح الإنسان فيه، فيقوم إلى تحصيل ما هو مضطر

إليه من عبادة وغيرها بنشاط وخفة، ألا ترى أن الجنة نهارها دائم، إذ لا تعب فيها يحتاج إلى ليل يستريح أهلها فيه. انتهى.

واعلم[1]: أن فلك الشمس يدور في بعض المواضع رحوياً لا غروب للشمس فيه، فنهاره سرمدي فلا يعيش الحيوان فيه، ولا ينبت النبات فيه من قوة حرارة الشمس فيه، وكذلك يدور فلك الشمس في بعض المواضع بعكس هذا تحت الأرض ليس للشمس فيه طلوع فليله سرمدي، فلا يعيش الحيوان أيضاً فيه، ولا ينبت النبات ثمة، فلهذا المعنى قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ سبحانه وتعالى، و﴿مِن﴾ هنا للسبب؛ أي: وبسبب[2] رحمته إياكم ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: خلقهما لمنفعتكم.

ثم علل جعل كل واحد منهما، فبدأ بعلة الأول، وهو الليل، وهي ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾؛ أي: في الليل، ثم بعلة الثاني، وهو النهار، وهي ﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: في النهار بأنواع المكاسب، وفي هذا مدح للسعي في طلب الرزق، كما ورد في الحديث: «الكاسب حبيب الله» وهو لا ينافي التوكل.

ثم ذكر بما يشبه العلة لجعل هذين الشيئين، وهو ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: لكي تشكروا الله سبحانه وتعالى على هذه الرحمة والنعمة العظيمتين، وهذا النوع من علم البديع يسمى التفسير، وهو أن تذكر أشياء ثم تفسرها بما يناسبها، كما سيأتي في مبحث البلاغة إن شاء الله سبحانه.

أي[3]: ومن رحمته بكم أيها الناس جعل لكم الليل والنهار، وخالف بينهما، فجعل الليل ظلاماً لتستقروا فيه، راحة لأبدانكم من تعب التصرف نهاراً في شؤونكم المختلفة، وجعل النهار ضياء لتتصرفوا فيه بأبصاركم لمعايشكم، وابتغاء رزقه الذي قسمه بينكم بفضله، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: ولتستعدوا لشكره على إنعامه عليكم، وتخلصوا له الحمد، لأنه لم يشركه في إنعامه عليكم

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.

شريك، ومن ثم ينبغي أن لا يكون له شريك يُحمد.

والخلاصة: أن الليل والنهار نعمتان تتعاقبان على مر الزمان، والمرء في حاجة إليهما، إذ لا غنى له عن الكدح في الحياة لتحصيل قوته، ولا يتسنى له ذلك على الوجه المرضي لولا ضوء النهار، كما لا يكمل له السعي على الرزق إلا بعد الراحة والسكون بالليل، ولا يقدرعلى شيء من ذلك إلا الله الواحد القهار، وقال الزجاج: يجوز أن يكون معنى الآية: لتسكنوا فيهما، ولتبتغوا من فضل الله فيهما، ويكون المعنى: جعل لكم الزمان ليلاً ونهاراً لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله فيه. انتهى.

واعلم[1]: أنه وإن كان السكون في النهار ممكناً، وطلب الرزق في الليل ممكناً، وذلك عند طلوع القمر على الأرض، أو عند الاستضاءة بشيء مما له نور، كالسراج والكهرباء، لكن ذلك قليل نادر مخالف لما يألفه العباد، فلا اعتبار به.

قال إمام الحرمين وغيره من الفضلاء[2]: لا خلاف أن الشمس تغرب عند قوم وتطلع عند قوم آخرين، والليل يطول عند قوم، ويقصر عند آخرين، وعند خط الاستواء يكون الليل والنهار مستوياً أبداً. وسُئل الشيخ أبو حامد عن بلاد بلغار كيف يصلون، لأن الشمس لا تغرب عندهم إلا مقدار ما بين المغرب والعشاء، ثم تطلع فقال: يُعتبر صومهم وصلاتهم بأقرب البلاد إليهم. والأصح عند أكثر الفقهاء أنهم يقدرون الليل والنهار، ويعتبرون بحسب الساعات. كما قال عليه السلام في أيام الدجال: «يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة» فيقدَّر الصيام والصلاة في زمنه، كذا ورد عن سيد البشر.

قال في «القاموس»: بلغر كقرطق، والعامة تقول: بلغار، مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال شديدة البرد. انتهى، والفجر يطلع في تلك الديار قبل غيبوبة الشفق في أقصر ليالي السنة، فلا يجب على أهاليها العشاء والوتر لعدم سبب

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

الوجوب، وهو الوقت، لأنه كما أنه شرط لأداء الصلاة، فهو سبب لوجوبها، فلا تجب بدونه على ما تقرر في الأصول، وكذلك لا تجبان على أهالي بلدة يطلع فيها الفجر لما تغرب الشمس، فيسقط عنهم ما لا يجدون وقته، كما أن رجلاً إذا قطع يداه مع المرفقين أو رجلاه مع الكعبين ففرائض وضوئه ثلاث، لفوات محل الرابع، كذا في كتب الفقه.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ منصوب بـ﴿اذكر﴾؛ أي[1]: واذكر يا محمد لقومك يوم ينادي الله سبحانه وتعالى المشركين ﴿فَيَقُولُ﴾ توبيخاً لهم ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شركاء لي، كرر التقريع والتوبيخ لهم على اتخاذ الشركاء، للإشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله سبحانه من الإشراك، كما لا شيء أدخل في مرضاة الله تعالى من توحيده، ولاختلاف الحالتين، لأنهم ينادون مرة فيدعون الأصنام، وينادون أخرى فيسكتون.

وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ عطف على ينادي، وجاء بصيغة الماضي للدلالة على التحقق؛ أي: وأخرجنا من كل أمة من الأمم شهيداً عليهم بما كانوا عليه من الخير والشر، قال مجاهد: هم الأنبياء، وقيل: المراد بالشهيد: العدول من كل أمة، وذلك أنه سبحانه لم يخل عصراً من الأعصار عن عدول يرجع إليهم في أمر الدين، ويكونون حجة على الناس يدعونهم إلى الدين، فيشهدون على الناس بما عملوا من العصيان. والأول أولى.

والمعنى[2]: أي وأحضرنا من كل أمة شهيدها، وهو نبيها الذي يشهد عليها بما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله برسالته. ونحو الآية قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ وهذا في موقف من مواقف القيامة، وفي موقف آخر يكون الشهداء هم الملائكة، كما قال تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾.

ثم بين ما يطلب منهم بعد هذه الشهادة، فقال: ﴿فَقُلْنَا﴾ لكل من الأمم

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

﴿هَاتُوا﴾؛ أي: جيبوا، وأصله آتوا ﴿بُرْهَٰنَكُمْ﴾؛ أي: حجتكم ودليلكم على صحة ما ادعيتموه من أن معي شركاء مع إعذار الرسل إليكم، وإقامة الحجج عليكم، فعند ذلك خرسوا عن إقامة الحجة، فلم يجيبوا جواباً، وأيقنوا حينئذٍ بعذاب دائم ونار تتلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى، وحينئذ يستبين لهم خطأ ما كانوا يفعلون، كما قال: ﴿فَعَلِمُوٓا﴾ وأيقنوا يومئذ ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾ في الألوهية ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، لا يشاركه فيها أحد، ﴿وَضَلَّ﴾؛ أي: غاب ﴿عَنْهُم﴾ غيبة الضائع، وذهب وبطل ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: كانوا يختلقونه في الدنيا من الكذب بأن لله شركاء، يستحقون العبادة معه، وهم الأصنام والطواغيت، ولم ينتفعوا بعبادتهم.

قال بعضهم: واعلم أن الشركاء لا تنحصر في الأصنام الظاهرة، بل الأنداد ظاهرة وباطنة، فمنهم من صنمه نفسه، ومنهم من صنمه زوجته، حيث يحبها محبة الله، ويطيعها إطاعة الله، ومنهم من صنمه تجارته، فيتكل عليها، ويترك طاعة الله لأجلها، فهذه كلها لا تنفع يوم القيامة.

حكي: أن مالك بن دينار رحمه الله تعالى كان إذا قرأ في الصلاة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ غشي عليه، فسئل فقال: نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ونعبد أنفسنا؛ أي: نطيعها في أمرها، ونقول: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ونرجع إلى أبواب غيره.

روي: أن زكريا عليه السلام لما هرب من اليهود بعد أن قُتل يحيى عليه السلام وتوابعه وراءه تمثل له الشيطان في صورة الراعي، وأشار إليه بدخول الشجرة، فقال زكريا للشجرة: أكتميني فانشقت فدخل فيها، وأخرج الشيطان هدب ردائه، ثم أخبر به اليهود، فشقوا الشجرة بالمنشار، فهذا الشق إنما وقع له لالتجائه إلى الشجرة. واعلم أن الشرك أقبح جميع السيئات وأساسها، كما أن التوحيد أحسن جميع الحسنات وأساسها.

الإعراب

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾.

﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه، ﴿لَا﴾: نافية، ﴿تَهْدِى﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على محمد، ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إنّ﴾، وجملة ﴿إنّ﴾ مستأنفة، ﴿أَحْبَبْتَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديره: من أحببته. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لَٰكِنَّ اللَّهَ﴾: ناصب واسمه، ﴿يَهْدِى مَن﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿لكن﴾، وجملة ﴿لكن﴾ معطوفة على جملة ﴿إِنَّكَ﴾، ﴿يَشَآءُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله، والجملة صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، ﴿وَهُوَ﴾ ﴿الواو﴾: حالية، ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ وخبر، ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿يَهْدِى﴾.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوٓا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة أو معطوفة على جملة ﴿إن﴾، ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ﴾: جازم وفعل مضارع مجزوم، وفاعل مستتر يعود على المتكلمين، ومفعول به، ﴿مَعَكَ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿نَّتَّبِعِ﴾ ﴿نُتَخَطَّفْ﴾: فعل مضارع مجزوم على كونه جواب الشرط، ونائب فاعل مستتر، ﴿مِنْ أَرْضِنَآ﴾: متعلق بنتخطف، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾. ﴿أَوَلَمْ﴾ ﴿الهمزة﴾ للاستفهام التقريري داخلة على محذوف. و﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: ألم نعصمهم وألم نمكن لهم حرماً آمناً، والجملة المحذوفة مستأنفة، ﴿لم﴾: حرف جزم، ﴿نُمَكِّن﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله، ﴿لَّهُمْ﴾: متعلق به، ﴿حَرَمًا﴾: مفعول به، ﴿ءَامِنًا﴾: صفة لـ﴿حَرَمًا﴾، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة المحذوفة، ﴿يُجْبَىٰٓ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق به، ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: نائب فاعل ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل النصب صفة ثانية لـ﴿حَرَمًا﴾، ﴿رِّزْقًا﴾: حال من ﴿ثَمَرَٰتُ﴾ لتخصصه بالإضافة، ولكنه على تأويل المشتق؛ أي:

مرزوقاً، ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾: صفة لـ﴿رِّزْقًا﴾ أو مفعول مطلق معنوي لـ﴿يُجْبَىٰٓ﴾، لأن معنى الجباية والرزق واحد؛ أي: يرزقون رزقاً. وقيل: مفعول لأجله لـ﴿يُجْبَىٰٓ﴾. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة أو حالية، ﴿لكن أكثرهم﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: خبره، والجملة الاستدراكية معطوفة على الجملة الاستفهامية أو حال من ضمير ﴿لَّهُمْ﴾؛ أي: أولم نمكن لهم حرماً آمناً، حالة كون أكثرهم لا يعلمون ذلك.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿وَكَمْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿كم﴾: خبرية بمعنى عدد كثير، في محل النصب مفعول مقدم وجوباً لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾، ﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة مسوقة لتخويف قومه من سوء مغبة من كانوا في نعمة فغمطوها وقابلوها بالبطر، ﴿مِن قَرْيَةٍۭ﴾: تمييز لـ﴿كم﴾ الخبرية مجرور بـ﴿من﴾ الزائدة، ﴿بَطِرَتْ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة في محل الجر صفة لـ﴿قَرْيَةٍۭ﴾، ﴿مَعِيشَتَهَا﴾: منصوب بنزع الخافض، والخافض المحذوف متعلق بـ﴿بَطِرَتْ﴾، وقيل: منصوب على الظرفية الزمانية؛ أي: أيام معيشتها. ويجوز تضمين ﴿بَطِرَتْ﴾ معنى خسرت، فتكون ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ مفعولاً به، واقتصر عليه أبو البقاء. ﴿فَتِلْكَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿تلك﴾: مبتدأ، ﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾: خبر، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية؛ أعني: أهلكنا، ﴿لَمْ تُسْكَن﴾: جازم وفعل مغير ونائب فاعل، ﴿مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ثان لـ﴿تلك﴾، أو في محل النصب حال من ﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾، والعامل فيها معنى الإشارة، ﴿إلاَّ﴾: أداة استثناء مفرغ، ﴿قَلِيلًا﴾: صفة لمصدر محذوف؛ أي: سكنى قليلاً، أو صفة لظرف محذوف؛ أي: إلا زماناً قليلاً، أو مكاناً قليلاً، ﴿وَكُنَّا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة أو حالية ﴿كنا﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿نَحْنُ﴾: ضمير فصل، ﴿ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: خبره، والجملة إما معطوفة على جملة ﴿أَهْلَكْنَا﴾، أو حال من فاعل ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿ما﴾: نافية، ﴿كَانَ رَبُّكَ﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾: خبره ومضاف إليه، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان عادة الله تعالى في عباده، ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية، ﴿يَبْعَثَ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الله، منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ الجارة، ﴿فِىٓ أُمِّهَا﴾ متعلق بـ﴿يَبْعَثَ﴾، ﴿رَسُولًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى، تقديره: إلى بعثه رسولاً، الجار والمجرور متعلق بـ﴿كان﴾. ﴿يَتْلُوا۟﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿رَسُولًا﴾، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق به، ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب صفة لـ﴿رَسُولًا﴾، ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿ما﴾: نافية، ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ﴾: خبره ومضاف إليه، والجملة معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾ الأولى، ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء من أعم الأحوال، ﴿وَأَهْلُهَا﴾ ﴿الواو﴾: حالية، ﴿أهلها ظالمون﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل النصب حال من ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾، لأن المضاف كان مما يقتضي العمل؛ أي: وما كنا نهلكهم في حال من الأحوال إلا في حال كونهم ظالمين. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، أو عاطفة، ﴿ما﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط أو الجواب أو هما، ﴿أُوتِيتُم﴾: فعل ماض مغير الصيغة في محل الجزم بـ﴿ما﴾ على كونه فعل شرط لها، و﴿التاء﴾: نائب فاعل، ﴿مِّن شَىْءٍ﴾: حال من ﴿مَا﴾، أو من الضمير المحذوف الواقع مفعولاً ثانياً لأتى، لأنه بمعنى أعطى، ﴿فَمَتَٰعُ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿ما﴾ الشرطية وجوباً، ﴿فَمَتَٰعُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: فهو متاع الحياة الدنيا، ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾: مضاف إليه، ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة لـ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾، ﴿وَزِينَتُهَا﴾: معطوف على ﴿متاع﴾، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿ما﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿ما﴾ الشرطية مستأنفة، أو معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾. ﴿وَمَا﴾

﴿الواو﴾: حالية، أو عاطفة، ﴿ما﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ، ﴿عِندَ اللَّهِ﴾: ظرف ومضاف إليه، صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾: معطوف على ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب حال من ﴿متاع الحياة الدنيا﴾، ولكنه على تقدير رابط؛ أي: حالة كون ما عند الله خيراً منه وأبقى، أو معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾. ﴿أَفَلَا﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري التوبيخي داخلة على محذوف معلوم من السياق، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: ألا تتفكرون فلا تعقلون، والجملة المحذوفة مستأنفة، ﴿لا﴾: نافية، ﴿تَعْقِلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، ومفعول ﴿تَعْقِلُونَ﴾ محذوف، تقديره: أفلا تعقلون أن الباقي خير من الفاني، يعني أن من لا يُرجِّح منافع الآخرة على منافع الدنيا فإنه يكون خارجاً عن حد العقل، ورحم الله سبحانه الإمام الشافعي حيث قال: من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف ذلك الثلث إلى المشتغلين بطاعة الله سبحانه، كما مر.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿أَفَمَن﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أمتاع الدنيا وزينتها كما عند الله سبحانه، فمن وعدناه وعداً حسناً كمن متعناه متاع الحياة الدنيا، والجملة المحذوفة مستأنفة، ﴿من﴾: اسم موصول مبتدأ، ﴿وَعَدْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، ﴿وَعْدًا﴾: مفعول مطلق، ﴿حَسَنًا﴾: صفة ﴿وَعْدًا﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿فَهُوَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿هو﴾: مبتدأ، ﴿لَٰقِيهِ﴾: خبر ومضاف إليه، والجملة معطوفة على جملة الصلة، ﴿كَمَن﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على تلك المحذوفة، ﴿مَّتَّعْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، ﴿مَتَٰعَ﴾: مفعول مطلق، ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مضاف إليه، ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة للحياة، والجملة الفعلية صلة الموصول، ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ، ﴿هُوَ﴾: مبتدأ،

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: ﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة الصلة. ﴿وَيَوْمَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بمحذوف، تقديره: واذكر يوم يناديهم، والجملة المحذوفة مستأنفة، ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ فعل، وفاعل مستتر يعود على الله، ومفعول به، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾، ﴿فَيَقُولُ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿يقول﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله، والجملة في محل الجر معطوفة على جملة ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ على كونها مفسرة لها، ﴿أَيْنَ﴾: اسم استفهام في محل النصب على الظرفية المكانية مبني على الفتح، والظرف متعلق بواجب الحذف لوقوعه خبراً مقدماً، ﴿شُرَكَآءِىَ﴾: مبتدأ مؤخر ومضاف إليه، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لـ﴿يقول﴾، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الرفع صفة لـ﴿شُرَكَآءِىَ﴾، ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿تَزْعُمُونَ﴾: خبره، ومفعولا ﴿تَزْعُمُونَ﴾ محذوفان، تقديرهما: تزعمونهم شركائي، وجملة ﴿كان﴾ صلة الموصول، والعائد الضمير المحذوف من ﴿تَزْعُمُونَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، ﴿حَقَّ﴾: فعل ماض، ﴿عَلَيْهِمُ﴾: متعلق به، ﴿ٱلْقَوْلُ﴾: فاعل، والجملة صلة الموصول، ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مبتدأ، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: خبره، ﴿أَغْوَيْنَآ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديره: هؤلاء أتباعنا الذين أغويناهم، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونها جواب النداء. ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة على كونها مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿كَمَا﴾ ﴿الكاف﴾: حرف جر، و﴿ما﴾: مصدرية، ﴿غَوَيْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة مع ﴿ما﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بالكاف، الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف، معمول لفعل محذوف، معطوف على ﴿أَغْوَيْنَآ﴾، تقديره: أغويناهم فغووا غياً كائناً كغينا، وهذا الإعراب

على ما جرى عليه أبو علي الفارسي، وإعراب الزمخشري بأن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مبتدأ، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: صفته، ﴿أَغْوَيْنَآ﴾: صلته، وجملة ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾ خبره، وهذا الوجه فيه اعتراض، كما تعرفه بالمراجعة إلى المطولات.

﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿تَبَرَّأْنَآ﴾: فعل وفاعل، والجملة مفسرة لما قبلها، مقررة لها، في محل النصب مقول ﴿قال﴾، ﴿إِلَيْكَ ۖ﴾: متعلق بـ﴿تَبَرَّأْنَآ﴾، ﴿مَا﴾: نافية، ﴿كَانُوٓا۟﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿إِيَّانَا﴾: في محل النصب مفعول مقدم لـ﴿يَعْبُدُونَ﴾، وجملة ﴿يَعْبُدُونَ﴾ خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾، ﴿وَقِيلَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿قيل﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾: نائب فاعل محكي لـ﴿قيل﴾، وجملة ﴿قيل﴾ معطوفة على جملة ﴿قال﴾، وإن شئت قلت: ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قيل﴾. ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿دعوهم﴾: فعل ماض وفاعل ومفعول به. والجملة معطوفة مفرعة على جملة قوله: ﴿وَقِيلَ﴾، ﴿فَلَمْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿لم﴾: حرف جزم، ﴿يَسْتَجِيبُوا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لم﴾، ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾. ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، معطوف على ﴿دعوهم﴾، ﴿لَوْ﴾: حرف شرط، ﴿أَنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه، ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَهْتَدُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿كَانُوا۟﴾ في محل الرفع خبر ﴿أنّ﴾، وجملة ﴿أنّ﴾ في تأويل مصدر مرفوع على كونه فاعلاً لفعل محذوف، هو فعل شرط لـ﴿لَوْ﴾، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، تقديره: لو ثبت كونهم مهتدين في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة، وجملة ﴿لَوْ﴾ مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية، متعلق بمحذوف، تقديره: واذكر يوم يناديهم، والجملة معطوفة على الجملة السابقة، ﴿يَوْمَ﴾: مضاف، وجملة ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ في محل الجر مضاف إليه، كما مر نظيره قريباً، ﴿فَيَقُولُ﴾: فعل وفاعل مستتر، معطوف على ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ على وجه التفسير له، ﴿مَاذَآ﴾ اسم استفهام مركب في محل النصب على المفعولية المطلقة، لا مفعول به، لأن أجاب لا يتعدى إلى الثاني بنفسه بل بالباء، وإسقاط الجار ليس بقياس، ﴿أَجَبْتُمُ﴾: فعل وفاعل، ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: مفعول به لـ﴿أَجَبْتُمُ﴾، والمعنى: أي إجابة أجبتم المرسلين، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿يقول﴾. ﴿فَعَمِيَتْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿عميت﴾: فعل ماض، ﴿عَلَيْهِمُ﴾: متعلق به، ﴿ٱلْأَنۢبَآءُ﴾: فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿يقول﴾، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف مضاف إلى مثله متعلق بـ﴿عميت﴾، والتنوين فيه عوض عن الجملة المحذوفة؛ أي: يوم إذ نودوا وقيل لهم ماذا أجبتم المرسلين، ﴿فَهُمْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿هم﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: خبره، والجملة معطوفة على جملة ﴿عميت﴾.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿فَأَمَّا﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت حال المشركين، وأردت بيان حال المؤمنين فأقول لك أما، ﴿أما﴾: حرف شرط وتفصيل، ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ، ﴿تَابَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مَن﴾، والجملة صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ﴾: معطوفان عليه، ﴿صَٰلِحًا﴾: مفعول به، أو مفعول مطلق. ﴿فَعَسَىٰٓ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿أما﴾ واقعة في غير موضعها، ﴿عسى﴾: فعل ماض من أفعال الرجاء، واسمها ضمير مستتر، تقديره: هو يعود على ﴿مَن تَابَ﴾ ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿يَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمها ضمير مستتر يعود على ﴿مَن﴾، ﴿مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾: خبر ﴿يَكُونَ﴾، وجملة ﴿يَكُونَ﴾ في تأويل مصدر خبر ﴿عسى﴾، تقديره: فعسى كونه من

المفلحين، وجملة ﴿عسى﴾ في محل الرفع خبر ﴿مَن﴾ الموصولة، والجملة الاسمية جواب ﴿أما﴾ الشرطية لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿أما﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة. وجملة إذا المقدرة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وإن أردت البسط عن إعراب ﴿أما﴾ الشرطية وفاء الفصيحة فراجع شرحنا «الباكورة الجنية في إعراب الآجرومية» عند قول المتن: فأما الضمة.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿وَرَبُّكَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿ربك﴾: مبتدأ ومضاف إليه، وجملة ﴿يَخْلُقُ﴾ خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿يَخْلُقُ﴾، وجملة ﴿يَشَآءُ﴾ صلته، والعائد محذوف؛ أي: ما يشاء خلقه، وجملة ﴿وَيَخْتَارُ﴾ في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿يَخْلُقُ﴾، ﴿مَا﴾: نافية، ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، ﴿لَهُمُ﴾: خبرها مقدم، ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: اسمها مؤخر، والجملة مفسرة لما قبلها مقررة لها، لا محل لها من الإعراب. ويجوز أن تكون مستأنفة. وهنا أوجه من الإعراب لا تخلو عن اعتراض. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف وجوباً؛ أي: سبحوا الله أيها العباد تسبيحاً، أو أسبح الله سبحاناً، والجملة مستأنفة، ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾، والجملة معطوفة على جملة التسبيح، ﴿عَمَّا﴾: متعلق بـ﴿تعالى﴾، وجملة ﴿يُشْرِكُونَ﴾ صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، أو المصدرية، ﴿وَرَبُّكَ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَعْلَمُ﴾ خبره، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَرَبُّكَ﴾ الأول، ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿يَعْلَمُ﴾، ﴿تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديره: ما تكنه صدورهم، ﴿وَمَا﴾ عطف على ﴿مَا﴾ الأولى، وجملة ﴿يُعْلِنُونَ﴾ صلتها.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة، أو معطوفة على جملة ﴿وَرَبُّكَ﴾، ﴿لَآ﴾: نافية، تعمل عمل إن، ﴿إِلَـٰهَ﴾: في محل النصب اسمها، وخبر ﴿لَآ﴾ محذوف جوازاً، تقديره: موجود، ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ، ﴿هُوَ﴾: ضمير للمفرد المنزه في محل الرفع بدل من الضمير المستكن في خبر ﴿لَآ﴾، وجملة ﴿لَآ﴾ في محل الرفع خبر ثان لـ﴿هو﴾، ﴿لَهُ﴾: خبر مقدم، ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة خبر ثالث لـ﴿هو﴾، ﴿فِى ٱلْأُولَىٰ﴾: حال من ضمير ﴿لَهُ﴾، ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: معطوف على ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾، ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ معطوفة على جملة ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ ﴿وَإِلَيْهِ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿تُرْجَعُونَ﴾، ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة قوله: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ عطف فعلية على اسمية.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة مستأنفة، ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ ﴿الهمزة﴾ للاستفهام الاستخباري، ﴿رأيتم﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾، ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم، ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها، ﴿عَلَيْكُمُ﴾: متعلق بـ﴿سَرْمَدًا﴾، أو حال منه، ﴿ٱلَّيْلَ﴾: مفعول أول لـ﴿جعل﴾، ﴿سَرْمَدًا﴾: مفعوله الثاني، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿سَرْمَدًا﴾، لأنه بمعنى دائماً، أو بـ﴿جَعَلَ﴾، أو صفة لـ﴿سَرْمَدًا﴾، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية محذوف، تقديره: إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة فأخبروني ماذا تفعلون، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معترضة بين الفعل ومعموله، في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ، ﴿إِلَـٰهٌ﴾: خبره، ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾: صفة لـ﴿إِلَـٰهٌ﴾، ﴿يَأْتِيكُم﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، ﴿بِضِيَآءٍ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع صفة ثانية لـ﴿إِلَـٰهٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مفعول ثان لـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ معلقة عنها باسم

الاستفهام، ﴿أَفَلَا﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري التوبيخي داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: ألا تتفكرون فلا تسمعون ما يقال لكم، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾، ﴿لَا﴾: نافية، ﴿تَسْمَعُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على تلك الجملة المحذوفة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر، والجملة مستأنفة، ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: فعل وفاعل والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾، ﴿إِن﴾: حرف شرط، ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها، ﴿عَلَيْكُمُ﴾: متعلق بـ﴿سَرْمَدًا﴾، ﴿ٱلنَّهَارَ﴾: مفعول أول لـ﴿جَعَلَ﴾، ﴿سَرْمَدًا﴾: مفعول ثان له، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: متعلق بـ﴿سَرْمَدًا﴾، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية محذوف، تقديره: فأخبروني ماذا تفعلون، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معترضة بين الفعل ومعموله على كونها مقولاً لـ﴿قل﴾. ﴿من﴾ اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ، ﴿إِلَٰهٌ﴾: خبره، ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾: صفة لـ﴿إِلَٰهٌ﴾، والجملة الاستفهامية في محل النصب مفعول ثان لـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، علقت عنها باسم الاستفهام، وجملة ﴿يَأْتِيكُم﴾ صفة ثانية لـ﴿إِلَٰهٌ﴾، ﴿بِلَيْلٍ﴾: متعلق بـ﴿يَأْتِيكُم﴾، وجملة ﴿تَسْكُنُونَ﴾ في محل الجر صفة لـ﴿ليل﴾ ولكنها سببية، ﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ﴿تَسْكُنُونَ﴾، وهو الرابط بين الصفة والموصوف، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿الهمزة﴾ للاستفهام الإنكاري التوبيخي داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: ألا تعتبرون فلا تبصرون، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾، وجملة ﴿لا تبصرون﴾ معطوفة على تلك المحذوفة. كما مر نظير هذه الآية آنفاً.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمِن﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلق

بـ﴿جَعَلَ﴾، و﴿مِن﴾ هنا بمعنى الباء السببية، كما مر، ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة مستأنفة، ﴿لَكُمُ﴾: متعلق بـ﴿جَعَلَ﴾ على كونه مفعولاً ثانياً له، ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ مفعول أول له، ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ معطوف على ﴿ٱلَّيۡلَ﴾، ﴿لِتَسۡكُنُواْ﴾ ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿تسكنوا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، ﴿فِيهِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لسكونكم فيه، الجار والمجرور متعلق بـ﴿جَعَلَ﴾. ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾: معطوف على ﴿لِتَسۡكُنُواْ﴾، ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ متعلق بـ﴿تبتغوا﴾، ﴿وَلَعَلَّكُمۡ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿تَشۡكُرُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿لعل﴾ معطوفة على جملة ﴿تسكنوا﴾ على كونها في محل الجر بلام التعليل المقدرة.

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿وَيَوۡمَ﴾: ظرف متعلق بمحذوف، تقديره: واذكر يوم يناديهم، وجملة ﴿يُنَادِيهِمۡ﴾ في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يوم﴾، وجملة ﴿فَيَقُولُ﴾ معطوفة على جملة ﴿يُنَادِيهِمۡ﴾، ﴿أَيۡنَ﴾ خبر مقدم، ﴿شُرَكَآءِيَ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة في محل النصب مقول ﴿يقول﴾، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: صفة لـ﴿شُرَكَآءِيَ﴾، وجملة ﴿كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ صلة الموصول، وقد مر إعراب هذه الآية بلفظها تفصيلاً فجدد به عهداً. ﴿وَنَزَعۡنَا﴾: فعل وفاعل، ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٖ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿نزعنا﴾، والجملة الفعلية في محل الجر معطوفة على جملة ﴿يُنَادِيهِمۡ﴾ على كونها مضافاً إليه ليوم، ﴿شَهِيدٗا﴾: مفعول به لـ﴿نزعنا﴾، ﴿فَقُلۡنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿نزعنا﴾، ﴿هَاتُواْ﴾: فعل وفاعل، ﴿بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قلنا﴾، ﴿فَعَلِمُوٓاْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قلنا﴾، ﴿أَنَّ ٱلۡحَقَّ﴾ ناصب واسمه، ﴿لِلَّهِ﴾: خبره، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي علم، ﴿وَضَلَّ﴾ فعل ماض معطوف على ﴿علموا﴾، ﴿عَنۡهُم﴾: متعلق بـ﴿ضل﴾، ﴿مَّا﴾: اسم موصول في محل الرفع فاعل ﴿ضل﴾، ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَفۡتَرُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ﴿ما﴾

الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: ما كانوا يفترونه.

التصريف ومفردات اللغة

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى﴾ الهداية تارة يراد بها الدعوة والإرشاد إلى طريق الخير، وهي التي أثبتها الله سبحانه لرسوله في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وتارة يراد بها هداية التوفيق، وشرح الصدر بقذف نور يحيا به القلب، كما جاء في قوله: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ وهي بهذا المعنى نفيت عن رسول الله ﷺ في هذه الآية.

وفي «روح البيان»: الهداية من الله عبارة عن تقليب القلب من الباطل ـ وهو ما سوى الله ـ إلى الحق، وهو جانب الله سبحانه، فليس هذا من شأن غير الله تعالى، وفي «عرائس البيان»: الهداية مقرونة بإرادة الأزل، ولو كانت إرادة نبينا محمد ﷺ في حق أبي طالب مقرونة بإرادة الأزل لكان مهتدياً، ولكن كانت محبته وإرادته في حقه من جهة القرابة، ألا ترى أنه إذ قال: «اللهم أعز الإسلام بعمر» كيف أجابه. انتهى.

﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ معنى اتباع الهدى معه الاقتداء به عليه السلام في الدين والسلوك إلى طريق الرشاد.

﴿نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ التخطف الاختلاس والانتزاع بسرعة، ويراد به هنا الإخراج من البلاد، ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾؛ أي: جمعه فيه، والجابية الحوض العظيم الجامع له.

﴿بَطِرَتْ﴾؛ أي: طغت وتمردت وتجبرت وكفرت، ﴿مَعِيشَتَهَا﴾؛ أي: في عيشها وحياتها، وفي «الكرخي»: بطرت معيشتها؛ أي: كفرت نعمة معيشتها، والمعيشة ما يُعاش به من النبات والحيوان وغيرهما .اهـ، والبطر الطغيان في النعمة، قال بعضهم: البطر والأشر واحد، وهو دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة، وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها، ويقاربه الطرب، وهو خفة أكثر ما يعتري من الفرح، وفي «القاموس»: البطر محرك النشاط، والأشر

وقلة احتمال النعمة، والدهش والحيرة والطغيان بالنعمة وكراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهة، وفعل الكل كفرج، وبطر الحق؛ أي: تكبر عنده فلا يقبله.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ بيان للعادة الربانية؛ أي: ما صح وما استقام، وما كان، وما ثبت في حكمه الماضي، وقضائه السابق أن يُهلك القرى قبل الإنذار، بل حتى يبعث إلخ .اهـ «أبو السعود».

﴿فِيٓ أُمِّهَا﴾؛ أي: في أعظمها وأكبرها بالنسبة إلى ما حواليها فعادة الله أن يبعث الرسل في المدائن، لأن أهلها أعقل وأنبل وأفطن، وغيرهم يتبعهم اهـ. شيخنا؛ أي: أكثر نبالة، وهي الفضل والشرف، يقال: نبل فلان فهو نبيل؛ أي: شرف فهو شريف.

﴿مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾؛ أي: الذين يحضرون للعذاب، وقد اشتهر ذلك في اصطلاح القرآن كما قال ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾، وقال: ﴿إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ لأن في ذلك إشعاراً بالتكليف والإلزام، ولا يليق ذلك بمجالس اللذات، بل هو أشبه بمجالس المكاره والمضار.

﴿تَزۡعُمُونَ﴾ والزعم القول الفاسد، والحكم بلا دليل، ﴿حَقَّ عَلَيۡهِمُ﴾؛ أي: وجب وثبت.

﴿ٱلۡقَوۡلُ﴾؛ أي: مدلول القول ومقتضاه، وهو قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾، كما مر في مبحث التفسير، ﴿أَغۡوَيۡنَآ﴾ من أفعل الرباعي كأكرم ثلاثية غوى يغوي كضرب يضرب من الغواية، وهو الضلال.

﴿فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ من استجاب السداسي، فهو من استفعل بمعنى أفعل الرباعي؛ أي: فلم يجيبوا لهم، فالسين والتاء فيه زائدتان، ﴿فَعَمِيَتۡ﴾؛ أي: خفيت، ﴿ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾؛ أي: الحجج التي تنجيهم، ﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ من التساؤل الذي يدل على المشاركة من الجانبين؛ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾؛ أي: الاختيار عليه، وهو نفي لاختيارهم الوليد

وعروة .اهـ من «الروح»، والخيرة التخير كالطيرة بمعنى التطير، والخيرة الاختيار باصطفاء بعض الأشياء وترك بعض، وفي «المفردات»: الخيرة الحالة التي تحصل للمستخير والمختار، نحو القعدة والجلسة لحال القاعد والجالس. انتهى، وفي «الوسيط»: اسم من الاختيار يقام مقام المصدر، وهو اسم للمختار أيضاً. يقال: محمد خيرة الله من خلقه.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾؛ أي: تنزيهاً لله أن ينازعه أحد في الاختيار، ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾؛ أي: تخفي، يقال: أكننت الشيء إذا أخفيته في نفسك، وكننته إذا سترته في بيت أو ثوب أو غير ذلك من الأجسام، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾؛ أي: يظهرونه للغير، ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾؛ أي: القضاء النافذ في كل شيء دون مشاركة لغيره فيه، قال ابن عباس: حكم لأهل طاعته بالمغفرة، ولأهل معصيته بالشقاء والويل .اهـ.

﴿سَرْمَدًا﴾ السرمد الدائم المتصل، قال طرفة:

لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِيْ عَلَيَّ بِغُمَّةٍ ... نَهَارِيْ وَلاَ لَيْلِيْ عَلَيَّ بِسَرْمَدِ

وقد اختلف العلماء في اشتقاقه، فقيل: هو من السرد، وهو الاطراد والمتابعة، والميم مزيدة، ووزنه فعمل، كميم دلامص بضم الدال المهملة وكسر الميم من الدلاص، يقال درع دلاص؛ أي: ملساء متينة، وعبارة «زكريا»: الدلامص درع براق، يقال: درع دلاص، وأدرع دلاص، الواحد والجمع على لفظ واحد. قاله الجوهري .اهـ، وهذا ما رجحه الزمخشري وغيره، واختار صاحب «القاموس» وبعض النحاة أن الميم فيه أصلية، ووزنه فعلل، لأن الميم لا تنقاس زيادتها في الوسط والآخر .اهـ «شهاب».

﴿وَنَزَعْنَا﴾ يقال: نزع الشيء إذا جذبه من مقره كنزع القوس من كبده.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: طباق السلب في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾.

ومنها: الجناس المغاير بين ﴿يَهْدِى﴾ و﴿المهتدين﴾.

ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ حيث نسب الأمن إلى الحرم، وهو لأهله، ومثله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ لأن المراد أهلها، بدليل قوله فيما بعد: ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لأن الكلية كناية عن الكثرة كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾.

ومنها: أسلوب السخرية والتهكم في قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

ومنها: التشبيه المرسل في قوله: ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَآءُ﴾ قال الشهاب: استعير العمى لعدم الاهتداء، بجامع عدم الوصول إلى المقصود في كل، ثم اشتق من العمى بمعنى عدم الاهتداء، عميت عليهم الأنباء بمعنى لا تهتدي إليهم الأنباء، على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية، وقيل: إنه من باب القلب، وأصله فعموا عن الأنباء، والقلب من محسنات الكلام، وفيه أيضاً التضمين، لأنه ضمن العمى معنى الخفاء فعداه بعلى، ففيه ثلاثة أنواع من البلاغة: الاستعارة ـ والقلب ـ والتضمين.

ومنها: الطباق بين ﴿تُكِنُّ﴾ و﴿يُعْلِنُونَ﴾، وبين ﴿الْأُولَىٰ﴾ و﴿الْآخِرَةِ﴾ وهو من المحسنات البديعية.

ومنها: الإدماج في قوله: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ وحد الإدماج أن يدمج المتكلم، إما غرضاً في غرض، أو بديعاً في بديع، بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين، أو أحد البديعين، والآخر مدمج في الغرض الذي هو موجود في الكلام، فإن هذه الآية أدمجت فيها المبالغة في المطابقة، لأن انفراده سبحانه بالحمد في الآخرة ـ وهي الوقت الذي لا يحمد فيه سواه ـ مبالغة في وصف ذاته بالانفراد والحمد، وهذه وإن خرج الكلام فيها مخرج المبالغة في

الظاهر، فالأمر فيها حقيقة في الباطن، لأنه أولى بالحمد في الدارين، ورب الحمد والشكر والثناء الحسن في المحلين حقيقة، وغيره من جميع خلقه إنما يُحمد في الدنيا مجازاً، وحقيقة حمده راجعة إلى ولي الحمد سبحانه.

ومنها: التبكيت والتوبيخ في قوله: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾، ومثله ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ﴾.

ومنها: فن المناسبة في قوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ والمناسبة قسمان: مناسبة في المعاني، ومناسبة في الألفاظ، فالمعنوية هي أن يبتدىء المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ، فإنه سبحانه لما أسند جعل الليل سرمداً إلى يوم القيامة لنفسه، وهو القادر الذي جعل الشيء لا يقدر غيره على مضادته قال: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، لمناسبة السماع للطرف المظلم من جهة صلاحية الليل للسماع دون الإبصار، لعدم نفوذ البصر في الظلمة، ولما أسند جعل النهار سرمداً إلى يوم القيامة لنفسه، كأن لم يُخلق فيه ليل البتة قال في فاصلة هذه الآية: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لمناسبة ما بين النهار والإبصار. وأما المناسبة اللفظية فستأتي في غير هذا الموضع.

ومنها: اللف والنشر المرتب في قوله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ فإنه جمع الليل والنهار، ثم قال: ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فأعاد السكون إلى الليل، والابتغاء لطلب الرزق إلى النهار، وسماه علماء البديع باللف والنشر المرتب، لأنه أعاد الأول على الأول والثاني على الثاني.

وضابطه: أن يذكر متعدد على وجه التفصيل، أو الإجمال، ثم يذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يميز ما لكل منها، ويرده إلى ما هو له، فقد زاوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة: أولها ﴿لِتَسْكُنُوا۟﴾ في أحدهما، وهو الليل، و﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في ثانيهما، وهو النهار، ولإرادة شكركم في ثالثهما، وهذا النوع من علم البديع يسمى التفسير أيضاً، وهو أن يذكر

أشياء، ثم تفسرها بما يناسبها.

ومنها: التعبير بصيغة الماضي في قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ للدلالة على التحقق، وفيه الالتفات أيضاً، لإبراز كمال الاعتناء بشأن النزع.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

المناسبة

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر[1] حديث أهل الضلالة، وما يلقونه من الإهانة والاحتقار يوم القيامة، ومناداتهم على رؤوس الأشهاد بما يفضحهم،

---

(١) المراغي.

ويبيِّن لهم سوء مغبتهم. . أعقبه بقصص قارون، ليبين عاقبة أهل البغي والجبروت في الدنيا والآخرة، فقد أهلك قارون بالخسف، وزُلزلت به الأرض، وهوت من تحته، ثم أصبح مثلاً يضرب للناس في ظلمه وعتوه، ويستبين لهم به سوء عاقبة البغاة، وما يكون لهم من النكال والوبال في الدنيا والآخرة، فيندمون على ما فعلوا.

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ. . .﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر[1] فيما سلف بغي قارون وعتوه وجبروته، وكثرة ما أوتيه من المال، الذي تنوء به العصبة أولو القوة. . أردف ذلك تفصيل بعض مظاهر بغيه وكبريائه، فذكر أنه خرج على قومه وهو في أبهى حليِّه وحلله، والعدد العديد من أعوانه وحشمه، قصداً للتعالي على العشيرة، وأبناء البلاد، وفي ذلك كسر للقلوب وإذلال للنفوس، وتفريق للكلمة فلا تربطهم رابطة، ولا تجمعهم جامعة فيذلون في الدنيا بانقضاض الأعداء عليهم، وقد غرَّت هذه المظاهر بعض الجهال، الذين لا همَّ لهم إلا زخرف الحياة وزينتها، فتمنوا أن يكون لهم مثلها، فرد عليهم من وفَّقهم الله لهدايته: بأن ما عنده من النعيم لمن اتقى خير مما أوتي قارون، ولا يناله إلا من صبر على الطاعات واجتنب المعاصي، ثم أعقب ذلك بذكر ما آل إليه أمره من خسف الأرض به وبداره، ولم يجد معيناً ينصره، ويدفع العذاب عنه، وقد انقلب حال المتمنين المعجبين بحاله إلى متعجبين مما حل به، قائلين: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ لا لفضل منزلته عنده، وكرامته لديه كما بسط لقارون، ويضيِّق على من يشاء، لا لهوانه عليه، ولا لسخط عمله، ولولا أن تفضل علينا فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس لخسف بنا الأرض.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآيتين، مناسبة هاتين الآيتين لما قبلهما: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قول أهل

---

(١) المراغي.

العلم بالدين ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ أعقب ذلك بذكر محل هذا الجزاء ـ وهو الدار الآخرة ـ وجعله لعباده المؤمنين المتواضعين، الذين لا يترفعون على الناس، ولا يتجبرون عليهم، ولا يفسدون فيهم بأخذ أموالهم بغير حق، ثم بيَّن بعدئذٍ ما يحدث في هذه الدار جزاء على الأعمال في الدنيا. . فذكر أن جزاء الحسنة عشرة أضعافها إلى سبع مئة ضعف إلى ما لا يحيط به إلا علاَّم الغيوب، فضلاً من الله ورحمة، وجزاء السيئة مثلها لطفاً منه بعباده وشفقة عليهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ. . .﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر[1] قصص موسى وقومه مع قارون، وبيَّن بغي قارون واستطالته عليهم، ثم هلاكه ونصرة أهل الحق عليه. . أردف هذا قصص محمد ﷺ وأصحابه مع قومه وإيذائهم إياه، وإخراجهم له من مسقط رأسه، ثم إعزازه إياه بالإعادة إلى مكة وفتحه إياها منصوراً ظافراً.

قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ. . .﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما حكم بأن العاقبة للمتقين. . أكد ذلك بوعد المحسنين، ووعيد المسيئين، ثم وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين. ذكره في «الفتوحات».

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ. . .﴾ الآية[2]، سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك، قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ. . .﴾.

---

(١) المراغي.

(٢) لباب النقول.

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ﴾ على[1] وزن فاعول اسم أعجمي، كهارون، ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وليس بعربي اشتق من قرن. قال الزجاج: لو كان قارون من قرنت الشيء لانصرف.

﴿كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾؛ أي: من بني إسرائيل، قال النخعي وقتادة وغيرهما: كان ابن عم موسى، وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وموسى هو ابن عمران بن قاهث. وقال ابن إسحاق: كان عم موسى لأب وأم، فجعله أخاً لعمران، وهما ابنا قاهث، وقيل: هو ابن خالة موسى، وكان ممن آمن بموسى، وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة فسمع كلام الله، وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة، وأحفظهم لها، وكان يسمى المنور لحسن صوته، ثم تغير حاله بسبب الغنى، فنافق كما نافق السامري، وخرج عن طاعة موسى، وهو معنى قوله: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي[2]: فتطاول قارون وتكبر على موسى وهارون وقومهما، وطلب الفضل عليهم، وحسدهما، وذلك أنهم لما عبروا البحر جُعلت الحبْوَرَة لهارون، وقال يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة، وهي رياسة مذبح القرابين، ولست في شيء، وأنا أقرأ بني إسرائيل للتوراة، وليس لي على هذا صبر، ولا أرضى بهذا، ورد على موسى نبوته، فقال موسى: ما أنا جعلتها لهارون، بل الله جعلها له من فضله، قال قارون: والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني آية تدل عليه، فأمر موسى رؤساء بني إسرائيل بوضع عصيهم في القبة التي كان يعبد الله فيها، وينزل الوحي عليه فيها، ففعلوا وباتوا يحرسونها فأصبحت عصا هارون مورقة خضراء تهتز؛ أي: صارت ذات ورق أخضر، وكانت من شجرة اللوز، فقال موسى: يا قارون أما ترى ما صنع الله لهارون؟ فقال قارون: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، فاعتزل قارون ومعه ناس كثير من أتباعه من بني إسرائيل، وما كان يأتي موسى ولا يجالسه،

---

(١) الشوكاني. (٢) تنوير المقياس.

وجعل موسى يداريه لما بينهما من القرابة، وهو لا يلتفت إليه، بل يؤذيه، ولا يزيد إلا تجبراً وبغياً.

وقال قتادة: بغيه بنسبته ما آتاه الله من المال إلى نفسه لعلمه وحيلته، وقيل: كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل فتعدى عليهم وظلمهم، وقيل: كان بغيه بغير ذلك، مما لا يناسب معنى الآية.

ثم ذكر سبب بغيه وعتوه بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾؛ أي: وأعطينا قارون ﴿مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾؛ أي: من الأموال المدخرة ﴿مَآ﴾ موصولة بمعنى الذي، وهي في محل النصب على أنها ثاني مفعولي آتينا؛ أي: أعطيناه من الأموال المدَّخرة المال الكثير الذي ﴿إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾؛ أي: إن مفاتح صنادقه ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾؛ أي: لتثقل على الجماعة الكثيرة ﴿أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾؛ أي: أصحاب القوة؛ أي: لتثقلهم وتميل بهم إذا حملوها لثقلها؛ أي: وأعطينا قارون المال المذخور، الذي يثقل حمل مفاتيح خزائنه على العدد الكثير من أقوياء الناس، قال أبو حيان: ذكروا من كثرة مفاتحه ما هو كذب أو يقارب الكذب فلم أكتبه.

قيل: كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتح كنوزه، وكانت من حديد، فلما ثقلت عليه جعلها من خشب، فثقلت عليه، فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع، روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن مفاتح خزائنه كان يحملها أربعون رجلاً من الأقوياء، وكانت أربع مئة ألف، يحمل كل رجل عشرة آلاف، ولا شك أن مثل هذا التحديد يحتاج إلى سند قوي يعسر الوصول إليه، ومثل هذا الأسلوب يدل على إرادة الكثرة دون تحديد شيء معين.

وقرأ الأعمش[1]: ﴿مفاتيحه﴾ بياء جمع مفتاح، وقرأ بديل بن ميسرة: ﴿ما إن مفتاحه﴾ بالإفراد، وقرأ أيضاً: ﴿لينوء﴾ بالياء التحتانية، وضمير الفاعل يعود على المفتاح، وقال أبو مسلم: المراد من المفاتح العلم والإحاطة، كقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾، والمعنى حينئذٍ: وآتيناه من الكنوز ما إن حفظها والاطلاع

---

(١) البحر المحيط.

عليها ليثقل على العصبة؛ أي: هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها يُتعب حفظها القائمين بحفظها، انتهى.

والظرف في قوله ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾: متعلق بمحذوف، ويظهر أن يكون تقديره: فأظهر التفاخر والفرح بما أوتي من الكنوز، ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ﴾؛ أي: لقارون قومُه؛ أي: المؤمنون من بني إسرائيل على طريق النصيحة، وقال الفراء: هم موسى وحده، فهو جمع أريد به الواحد.

﴿لَا تَفْرَحْ﴾؛ أي: لا تبطر ولا تأشر بكثرة المال والأولاد، فإن الفرح بالدنيا من حيث إنها دنيا مذموم مطلقاً، لأنه نتيجة حبها والرضى بها، والذهول عن ذهابها، فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقه لا محالة يوجب الترح[1] حتماً، ولذا قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ولم يرخص في الفرح إلا قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ وقوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ تعالى، والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية الدنيوية، والعرب تمدح بترك الفرح عند إقبال الخير، وقال الشاعر:

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا ٱلدَّهْرُ سَرَّنِيْ ... وَلاَ جَازِعٍ مِنْ صَرْفِهِ ٱلْمُتَحَوِّلِ

وقال أبو الطيب:

أَشَدُّ ٱلْغَمِّ عِنْدِيْ فِيْ سُرُوْرٍ ... تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ ٱنْتِقَالاَ

أي: إنه أظهر التفاخر والفرح بما أوتي، حين قال له قومه من بني إسرائيل: لا تُظهر الفرح والبطر بكثرة مالك، فإن ذلك يجعلك تتكالب على جمع حطام الدنيا، وتتلهى عن شؤون الآخرة وفعل ما يُرضي ربك.

ثم علل النهي عن الفرح بكونه مانعاً محبة الله تعالى، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾؛ أي[2]: بزخارف الدنيا، فإن الدنيا مبغوضة عند الله تعالى، وإنما

---

(١) التَّرَح ـ بفتحتين ـ ضد الفرح اهـ.

(٢) روح المعاني.

يحب من يفرح بإقامة العبودية وطلب السعادة الأخروية؛ أي: لا يحب البطرين الأشرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، قال الزجَّاج: المعنى لا تفرح بالمال، فإن الفرح بالمال لا يؤدي حقه.

وقرىء[1]: ﴿الفارحين﴾ حكاه عيسى بن سليمان الحجازي، قال الزجاج: الفرحين والفارحين سواء، وقال الفراء: معنى الفرحين الذين هم في حال الفرح، والفارحين الذين يفرحون في المستقبل، وقال مجاهد: معنى لا تفرح لا تبغ، إن الله لا يحب الفرحين الباغين، وقيل معناه: لا تبخل إن الله لا يحب الباخلين، وقيل[2] معناه: أي إنه تعالى لا يُكرم الفرحين بزخارف الدنيا، ولا يقربهم من جواره، بل يبغضهم ويبعدهم من حضرته.

ثم نصحوه بعدة نصائح فقالوا:

١ - ﴿وَٱبۡتَغِ﴾؛ أي: واطلب، ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: فيما أعطاك الله سبحانه وتعالى، لم يقل[3]: بما آتاك الله، لأنه لم يُرد بمالك، وإنما أراد: وابتغ في حال تملكك، وفي حال قدرتك بالمال والبدن، كما في «كشف الأسرار».

﴿ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾؛ أي: ثواب الله فيها، بصرفه إلى ما يكون وسيلة إليه، من مواساة الفقراء، وصلة الأرحام، وفك الأسارى، ونحوها من أبواب الخير[4]، وقرىء: ﴿واتبع﴾ والمعنى؛ أي: واستعمل ما وهبك من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك، والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة.

٢ - ﴿وَلَا تَنسَ﴾؛ أي: لا تترك ترك المنسي ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ وهو أن تُحصِّل بها آخرتك، أو تأخذ منها ما يكفيك وتُخرج الباقي؛ أي: ولا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب، لأن حقيقة نصيب الإنسان من

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.
(٤) الشوكاني.

الدنيا أن يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم، وقيل: لا تنسى صحتك وقوتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة.

وعن عمرو بن ميمون الأودي قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «إغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك». وهذا حديث مرسل، وعمرو بن ميمون لم يلق النبي ﷺ.

وقيل المعنى: أي ولا تترك حظك من لذات الدنيا في مآكلها ومشاربها وملابسها، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، وهذا ألصق بمعنى النظم القرآني، كما ذكره «الشوكاني».

وعن ابن عمر: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً». وعن الحسن: قدِّم الفضل وأمسك ما يُبلِّغ.

٣ ـ ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله إحساناً ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه ﴿إِلَيْكَ﴾ فيما أنعم به عليك، فأعن خلقه بمالك وجاهك وطلاقة وجهك وحسن لقائهم، والثناء عليهم في غيبتهم.

٤ ـ ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ولا تطلب الفساد بعمل المعاصي في الأرض؛ أي[1]: ولا تصرف همتك بما أنت فيه إلى الفساد في الأرض، والإساءة إلى خلق الله، وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض، ثم أتبعوا هذه المواعظ بعلتها، فقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ لسوء أفعالهم، بل يُحب المصلحين لحسن أعمالهم، أي: إن الله لا يكرم المفسدين، بل يهينهم ويُبعدهم من حظيرة قربه ونيل مودته ورحمته، ويعاقبهم بسوء أفعالهم.

ثم بيَّن أنه مع كل هذه المواعظ أبى وزاد في كفران النعمة فقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾؛ أي: إنما أعطيت هذا المال حالة كوني ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾؛ أي[2]:

---

(١) المراغي. (٢) المراح.

متصفاً بالعلم الذي عندي، وفُضِّلت به على الناس بالمال والجاه، فكان ذلك لفضل علمي بالتوراة واستحقاقي لذلك؛ أي: لأني أقرأ بني إسرائيل للتوراة، كما قاله قتادة ومقاتل والكلبي؛ أي: فهذا العلم الذي جعله سبباً لما ناله من الدنيا، قيل: هو علم التوراة، وقيل: علمه بوجوه المكاسب والتجارات، وقيل: معرفة الكنوز والدفائن، وقيل: علم الكيمياء.

قال سعيد بن المسيب والضحاك: كان موسى عليه السلام أُنزل عليه علم الكيمياء من السماء، فعلَّم قارون ثلث العلم، ويوشع ثلثه، وكالب ثلثه، فخدعهما قارون حتى ضم علمهما إلى علمه، فكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة، والنحاس فيجعله ذهباً، وكان ذلك سبب كثرة أمواله، وقيل[1] المعنى: إن الله آتاني هذه الكنوز على علم منه باستحقاقي إياها، لفضل علمه مني، واختار الزجاج هذا المعنى، وأنكر ما عداه. وتلخيص ذلك: إني إنما أعطيته لعلم الله أني له أهلٌ.

وقال في «روح البيان»: والمعنى أوتيته حال كوني مستحقاً لما فيَّ من علم التوراة، وكان أعلمهم بها، ادعى استحقاق التفضيل على الناس واستيجاب التفوق بالمال والجاه بسبب العلم، ولم ينظر إلى منة الله تعالى وفضله، ولذا هلك، وهكذا كل من كان على طريقه في الادعاء والافتخار والكفران، فإنه يهلك يوماً بشؤم معصيته وصنيعه. انتهى.

قال الزجاج[2]: علم الكيمياء لا حقيقة له، وفي «الكواشي»: ومتعاطي هذا العلم الكثير كذبه، فلا يلتفت إليه، قال بعضهم: وهذا أولى من قول الزجاج، فإن فيه إقراراً بأصله في الجملة، وكذا بوجوده، والكيمياء له حقيقة صحيحة، وقد عمل به بعض الأنبياء، وكُمل الأولياء، فإنه لا شك في الاستحالة والانقلاب بعد تصفية الأجساد، وتطهيرها من الكدورات، وقد بُيِّن في موضعه، ورأيت من وصل إليه بلا تكبر، والله العليم الخبير.

---

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان.

ونحو الآية قوله: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾، والهمزة في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾[1] للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أعلم ما ادعاه ونسي، ولم يعلم حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده، فاستحق بذلك أن يؤتى ما أوتي.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ﴾؛ أي: من قبل قارون ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الكافرة والأمم الماضية ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ بالعدد والعدد؛ أي: من هم أشد من قارون بطشاً ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للأموال كنمرود وغيره.

وقال بعضهم: وأكثر جمعاً للعلم والطاعة، مثل إبليس، ولو كان الله سبحانه يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه، وخير عنده، ورضاه عنه.. لم يُهلك من أهلك من أرباب الأموال، الذين كانوا أكثر منه مالاً، لأن من يرضى الله عنه فمحال أن يهلكه وهو عنه راض، وإنما يُهلك من كان عليه ساخطاً، ألم يشاهد فرعون وهو في أبهة ملكه وحقق أمره يوم هلكه، وفي هذا[2] الأسلوب تعجيب من حاله، وتوبيخ له من جهته تعالى على اغتراره بقوته وكثرة ماله، مع علمه بذلك الإهلاك، قراءة في التوراة وتلقيناً من موسى، وسماعاً من حُفَّاظ التواريخ، فالمعنى: ألم يقرأ التوراة، ويعلم ما فعله الله سبحانه بأضرابه من أهل القرون السابقة، حتى لا يغتر بما اغتر به.

وبعد[3] أن هدد سبحانه بذكر إهلاك من قبله من أضرابه في الدنيا أردف ذلك تهديد المجرمين كافة بما هو أشد من عذاب الآخرة، وهو عدم سؤالهم، إذ إنه يؤذن بشدة الغضب عليهم، والإيقاع بهم لا محالة، فقال: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ عند إهلاكهم، لئلا يشتغلوا بالاعتذار، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾؛ أي: لا يسألهم الله عن كيفية ذنوبهم وكميتها إذا أراد أن يعاقبهم، اهـ «رازي».

---

(١) الفتوحات.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

أي: إنه تعالى حين أراد عقابهم لا يسألهم عن مقدار ذنوبهم، ولا عن كنهها، لأنه عليم بها، ولا يعاتبهم عليها، كما قال تعالى: ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾، وقال: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾، ونحو الآية قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾﴾ وهذا لا يمنع أنهم يسألون سؤال تقريع وإهانة، كما جاء في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿وَلَا يُسْأَلُ﴾ مبنياً للمفعول، و﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ رُفع به، وهو متصل بما قبله، قاله محمد بن كعب، والضمير في ﴿ذُنُوبِهِمُ﴾ عائد على من أُهلك من القرون؛ أي: لا يسأل غيرهم ممن أجرم، ولا ممن لم يجرم عمن أهلكه الله، بل كل نفس بما كسبت رهينة، وقيل: هو مستأنف مسوق لبيان حال يوم القيامة، قال قتادة: لا يُسألون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها، لأنهم يدخلون النار بغير حساب، وقال قتادة أيضاً ومجاهد: لا تسألهم الملائكة عن ذنوبهم، لأنهم يعرفونهم بسيماهم من السواد والتشويه، كقوله: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾.

وقرأ أبو جعفر في روايته: ﴿ولا تسأل﴾ بالتاء والجزم ﴿المجرمين﴾ بالنصب، وقرأ ابن سيرين وأبو العالية كذلك في: ﴿ولا تسأل﴾ على النهي للمخاطب، وكان ابن أبي إسحاق لا يجوّز ذلك إلا أن يكون المجرمين بالياء في محل النصب بوقوع الفعل عليه، قال صاحب «اللوامح»: فالظاهر ما قاله، ولم يبلغني في نصب المجرمين شيء، فإن تركناه على رفعه فله وجهان:

أحدهما: أن يكون هاء الضمير في ﴿عَن ذُنُوبِهِمُ﴾ عائدة إلى ما تقدم من القرون، وارتفاع المجرمين بإضمار المبتدأ، تقديره: هم المجرمون، أو أولئك المجرمون، ومثله التائبون العابدون في سورة التوبة.

والثاني: أن يكون بدلاً من أصل الهاء في ﴿ذُنُوبِهِمُ﴾ لأنها وإن كانت في محل الجر بالإضافة إليها فإن أصلها الرفع، لأن الإضافة إليها بمنزلة إضافة

---

(١) البحر المحيط.

المصدر إلى اسم الفاعل، ذكره أبو حيان.

والفاء في قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[1] للعطف على ﴿قَالَ﴾ وما بينهما اعتراض، وقوله: ﴿فِي زِينَتِهِۦٓ﴾ إما متعلق بخرج أو بمحذوف، هو حال من فاعله؛ أي: خرج قارون من بيته حالة كونه كائناً في زينته الدنيوية من المال والأثاث والجاه.

قيل[2]: خرج قارون يوم السبت، وكان آخر يوم من عمره، متزيناً على بغلته مع أتباعه، وكانوا أربعة آلاف على زيه، وكان عن يمينه ثلاث مئة غلام، وعن يساره ثلاث مئة جارية بيض عليهن الحلي والديباج، وكانت بغلته شهباء - بيضاء - سرجها من ذهب، وكان على سرجها الأرجوان بضم الهمزة والجيم، وهو قطيفة حمراء، وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر، ومعهم ألوان السلاح.

وقال ابن زيد: خرج في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات، وهو أول يوم رؤي فيه اللباس المعصفر، وهو المصبوغ بالعصفر، وهو صبغ أحمر معروف، وقد نُهي الرجال عن لبس المعصفر، لأنه من لباس الزينة وأسباب الكبر، ولأن له رائحة لا تليق بالرجال، وهذا الذي ذكره مفسرو السلف في قصة قارون من الإسرائيليات التي لا أصل لها ولا نقل فيها.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ وزينتها من مؤمني بني إسرائيل، على طريقة الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار: ﴿يا﴾ قوم ﴿ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ من هذه الأموال وهذه الزينة؛ أي: نتمنى أن يكون لنا مثل ما أعطي قارون من هذه الزينة، قالوه[3] غبطة، والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه كهذه الآية، والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون له

---

(١) روح البيان.

(٢) المراح وروح البيان.

(٣) النسفي.

نعمة صاحبه دونه، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وقيل لرسول الله ﷺ: هل تضر الغبطة؟ قال: «لا، إلا كما يضر العضاه الخبط».

والمعنى[1]: أي قال من كان همه الدنيا وزينتها: يا ليت لنا من الأموال والمتاع مثل ما لقارون منها، حتى نُنعم عيشاً، ونتمتع بزخارف الحياة، كما يتمتع هو بها.

وإن مثل هذا التمني ليشاهد كل يوم وفي كل بلد وفي كل قرية، فترى الرجل والشاب والمرأة والفتاة يتمنى كل منهم أن يكون له مثل ما أوتي فلان وفلانة من ثوب جميل، أو دابة فارهة، أو مزرعة يحصد غلتها، أو قصر مشيد، أو نحو ذلك.

ثم عللوا تمنيهم وأكدوه بقولهم: ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إن قارون ﴿لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾؛ أي: لصاحب نصيب وافر من الدنيا؛ أي: إن الله سبحانه قد تفضل عليه وآتاه من بسطة الرزق حظاً عظيماً، ونصيباً كبيراً يغبط عليه، والقائلون هذه المقالة إما جماعة من المؤمنين، قالوا ذلك جرياً على الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار، وإما عصبة من الكفار والمنافقين تمنوا مثل ماله، ولم يتمنوا زوال نعمته، ومثل هذا لا ضرر فيه كما مر.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ بما أعد الله لعباده في الآخرة، وصدقوا به رداً على أولئك المتمنين ﴿وَيْلَكُمْ﴾؛ أي: تباً لكم وخسراً، كيف تتغالون في طلب الدنيا، ويسيل لعابكم عليها، وهو[2] دعاء بالإهلاك بمعنى ألزمكم الله ويلاً؛ أي: عذاباً وهلاكاً، وقد شاع استعماله في الزجر عما لا يُرتضى، وقد سبق في سورة طه، قال الزمخشري: ويلك أصله الدعاء بالهلاك، ثم استُعمل في الزجر والردع، والحث على ترك ما لا يرتضى، اهـ.

﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ مما تتمنون ﴿لِّمَنْ ءَامَنَ﴾ بالله وصدق به، وآمن برسله ﴿وَعَمِلَ﴾ عملاً ﴿صَٰلِحًا﴾ فلا يليق بكم أن تتمنوه غير مكتفين بثوابه

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

ونعيمه، فإن هذا باق، وذاك فان، وهذا خالص مما يشوبه وينغصه من الأكدار، وذلك مشوب بالأحزان والمنغصات.

ثم بين من يعمل بهذه النصيحة فقال: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾؛ أي: ولا يوفق إلى هذه الكرامة، والمراد بالكرامة الثواب والجنة، أو لا يُعطى هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء، وهي ثواب الله خير، أو لا يُعطى هذه الطريقة التي هي الإيمان والعمل الصالح، ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على مخالفات النفس وموافقات الشريعة.

والمعنى[١]: أي ولا يتبع هذه النصيحة، ولا يعمل بها إلا من صبر على أداء الطاعات، واجتنب المحرمات، ورضي بقضاء الله في كل ما قُسم له من المنافع والمضار، وأنفق ماله في كل ما فيه سعادة لنفسه وللمجتمع، وكان قدوة صالحة في حفظ مجد أمته، ورفع صيتها بين الأمم، ببذل كل ما فيه نفعها وقوتها وإعلاء شأنها، وبذا ينال حسن الأحدوثة بين الناس، ويلقى المثوبة من ربه.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾؛ أي: بقارون ﴿وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: زلزلنا به وبمنزله الأرض، وابتلعته جزاء بطره وعتوه؛ أي: إن الله سبحانه غيَّبه وغيَّب داره في الأرض.

وفي هذا[٢]: عبرة لمن اعتبر، فيترك التعالي والتغالي في الزينة، لئلا يخسف الله به وبماله الأرض، وفي هذا تحذير لنا أيما تحذير، فكثير ممن يُظهرون النعم إنما يريدون التعالي والتفاخر، وكم ممن يقيم الزينات أو يصنع الولائم لعرس، أو مأتم، لا يريد بذلك إلا إظهار ثرائه وسعة ماله بين عشيرته وبني جلدته، فيكون قارون زمانه، وتكون عاقبته الخسف لما أوتيه من مال، ويذهب ثراؤه، ويجعله عبرة لمن اعتبر.

فالكتاب الكريم ما قص علينا هذا القصص إلا ليرينا أن الكبرياء والتعالي ليس وبالهما في الآخرة فحسب، بل يحصل شؤمهما في الدنيا قبل الآخرة، كما حصل لكثير من المسلمين اليوم، وقد غفل كثير من الناس عن المقصد من

---

(١) المراغي. (٢) المراغي.

المال، فأنفقوه قاصدين به الرياء والمباهاة، فضاعت دورهم وأموالهم وأصبحت ملكاً لغيرهم، وهذا هو الخسف العظيم، وما خُسف قارون بشيء إذا قيس بهذا، فإن الخسف الآن خسف الأمم، لا خسف الأفراد، فكل بلد من بلاد الإسلام يدخله الغاصب يصبح أهله عبيداً له، وضحية مطامعه، وخسف أمة أدهى من خسف فرد، فليخسف الفرد ولتبق الأمة، وهكذا دخلت البلاد تباعاً في ملك الغاصب واحدة إثر أخرى، ولم يبق منها إلا ما رحم الله، وما ذاك إلا بجهلها لدينها، وعدم اتباعها أحكامه، وغفلتها عن مقاصده.

ذكر قصة قارون

قال أهل العلم بالأخبار والسير(١): كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون، وأقرأهم للتوراة، وأجملهم وأغناهم، وكان حسن الصوت فبغى وطغى، وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يأمر قومه أن يُعلِّقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة، في كل طرف خيطاً أخضر كلون السماء، يذكرونني به إذا نظروا إلى السماء، ويعلمون أني منزل منها كلامي، فقال موسى: يا رب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضراً، فإن بني إسرائيل تستصغر هذه الخيوط، فقال له ربه: يا موسى إن الصغير من أمري ليس بصغير، فإذا لم يُطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير، فدعاهم موسى فقال: إن الله يأمركم أن تعلقوا في أرديتكم خيوطاً خضراً كلون السماء، لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها، ففعل بنو إسرائيل ما أمرهم به موسى، واستكبر قارون، فلم يطعه، وقال: إنما فعل هذا الأرباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم، فكان هذا بدء عصيانه وبغيه، فلما قطع موسى ببني إسرائيل البحر جُعلت الحبورة لهارون، وهي رئاسة المذبح، فكان بنو إسرائيل يأتون بقربانهم إلى هارون، فيضعها على المذبح، فتنزل نار من السماء فتأكله، فوجد قارون من ذلك في نفسه، فأتى إلى موسى فقال له: يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة، ولست في شيء من

(١) الخازن.

ذلك، وأنا أقرأ التوراة، لا صبر لي على هذا، فقال: أما أنا ما جعلتها لهارون، بل الله جعلها له، فقال له قارون: والله لا أصدقك حتى تريني بيانه، فجمع موسى رؤساء بني إسرائيل، فقال: هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها في قبته التي يتعبد فيها، وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا، فأصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر، وكانت من شجر اللوز، فقال موسى: يا قارون ترى هذا؟ فقال له قارون: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، واعتزل قارون موسى بأتباعه، وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما، وهو يؤذيه كل وقت، ولا يزيد إلا عتواً وتجبراً ومعاداة لموسى، حتى بنى داراً، وجعل لها باباً من الذهب، وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون، فيُطعمهم الطعام، ويحدثونه ويضاحكونه.

قال ابن عباس: فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عنها دينار، وعلى كل ألف درهم عنها درهم، وكل ألف شاة عنها شاة، وكذلك سائر الأشياء، ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده شيئاً كثيراً، فلم تسمح نفسه بذلك، فجمع بني إسرائيل وقال لهم: إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو يريد أن يأخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت، قال: آمركم أن تجيؤوا فلانة البغيّ، وتجعلوا عليكم لها جُعلاً على أن تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل فرفضوه، فدعوها، فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم، وقيل: طستاً من ذهب، وقيل: قال لها قارون: أُنزلك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى موسى، فقال: إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم موسى وهم في مرج من الأرض، فقام فيهم، فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مئة جلدة، ومن زنى وله امرأة رجمناه إلى أن يموت، فقال قارون: وإن كنت أنت، قال: وإن كنت أنا، قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي، قال: ادعوها، فلما جاءت قال لها موسى: بالذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة إلا صدقت،

فتداركها الله بالتوفيق، فقالت في نفسها أُحدث توبة أفضل من أن أوذي رسول الله، فقالت: لا والله، ولكن قارون جعل لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فخر موسى ساجداً يبكي، ويقول: اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي، فأوحى الله إليه: أني أمرت الأرض أن تطيعك فمرها بما شئت، فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليثبت مكانه، ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا فلم يبق مع قارون إلا رجلان، ثم قال موسى: يا أرض خذيهم فأخذتهم بأقدامهم، وقيل: كان على سريره وفرشه فأخذته الأرض حتى غيبت سريره، ثم قال موسى: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى الركب، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى الأعناق، وأصحابه في ذلك يتضرعون إلى موسى، ويناشده قارون الله والرحم، حتى قيل: إنه ناشده أربعين مرة، وقيل: سبعين مرة، وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأطبقت عليهم الأرض، فأوحى الله سبحانه إلى موسى: ما أغلظ قلبك! يستغيث بك قارون سبعين مرة فلم تُغثه، أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لأغثته، وفي بعض الآثار: لا أجعل الأرض بعدك طوعاً لأحد.

قال قتادة: خُسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل، لا يبلغ قرارها إلى يوم القيامة، حتى إذا بلغ قعر الأرض السفلى نفخ إسرافيل في الصور، والله أعلم.

حكى المفسرون في أسباب الخسف أموراً كثيرة، هي غاية في الغرابة، يبعد أن تصدقها العقول، ومن ثم قال الرازي: إنها مضطربة متعارضة، فالأولى طرحها، والاكتفاء بما دل عليه نص القرآن، وتفويض سائر التفاصيل إلى عالم الغيب. اهـ.

وأصبح بنو إسرائيل يقولون فيما بينهم: إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله، فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض، ثم بيَّن سبحانه أنه لم يجد له شفيعاً ولا نصيراً يدفع عنه العذاب حينئذٍ فقال: ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ﴾؛ أي: لقارون ﴿مِن فِئَةٍ﴾؛ أي: من جماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ

﴿ٱللَّهِ﴾؛ أي: يمنعونه من عذاب الله سبحانه حين نزل به، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾؛ أي: من الممتنعين بأنفسهم من عذاب الله بوجه من الوجوه، أو من[1] المنتقمين من موسى.

أي: ما أغنى عنه ماله ولا خدمه ولا حشمه، ولا دفعوا عنه نقمة الله ولا نكاله، ولا استطاع أن ينتصر لنفسه.

وقصارى ذلك: أنه لا ناصر له من غيره ولا من نفسه، فكيف يكون للأمة الغافلة عن أوامر دينها، الجاهلة بمقاصد شريعتها في إنفاق الأموال أن تجد مناصاً من خراب الديار، وإضاعة المجد الطارف والتالد، ولا بد أن تقع فريسة للغاصبين الذين يسومونها الخسف دون شفقة ولا رحمة، وقد كان ذلك جزاء وفاقاً لجهلها وسوء تصرفها وظلمها لأنفسها، ولا يظلم ربك أحداً، وهكذا حال من تصرف في ماله تصرف السفهاء وركب رأسه، وصار يبعثره يمنة ويسرة، فإنه سيندم ولات ساعة مندم.

وقد أبان الكتاب الكريم أن النصر للصابرين، فهو أثر لازم للصبر على حفظ المال وحفظ الشهوات والعقول، وكل الفضائل التي حث عليها الدين وسلك سبيلها السلف الصالح.

ولما شاهد قوم قارون ما نزل به من العذاب صار ذلك زاجراً لهم عن حب الدنيا ومخالفة موسى، وداعياً إلى الرضى بقضاء الله تعالى وبما قسمه، وإلى إظهارالطاعة والانقياد لأنبيائه ورسله، كما أشار إلى ذلك بقوله: ﴿وَأَصْبَحَ﴾؛ أي: وصار ﴿ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟﴾ واغتبطوا ﴿مَكَانَهُۥ﴾؛ أي: مثل منزلته ورتبه وجاهه، والكلام على حذف مضاف ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾؛ أي: بالوقت القريب منه، وهو ظرف لتمنوا، ولم يرد بالأمس خصوص اليوم الذي قبل يومه، بل الوقت القريب، وجملة ﴿يَقُولُونَ﴾ خبر ﴿أصبح﴾.

﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ و﴿وي﴾: كلمة تعجب، والكاف للتعليل؛ أي[2]: وصار

---

(١) النسفي.
(٢) المراح.

الذين تمنوا مثل رتبة قارون من الدنيا من زمان قريب يقولون منتبهين على خطئهم في تمنيهم، لما شاهدوا الخسف به؛ أي: يقول كل واحد منهم: أعجب أنا من خطئي في ذلك التمني، وأندم عليه، لأن الله سبحانه وتعالى ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ ويوسع المال ﴿مَن يَشَآءُ﴾ البسط عليه ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وهو مكر منه تعالى كما كان لقارون.

﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يضيِّق الرزق ويقلله على من يشاء من عباده، اختباراً منه تعالى، يقال: قدر على عياله بالتخفيف مثل قتر؛ إذا ضيَّق عليهم بالنفقة، فإن القوم لما شاهدوا ما نزل بقارون من الخسف ندموا على تمنيهم، حيث علموا أن بسط الرزق لا يكون لكرامة الرجل على الله، ولا تضييقه لهوانه عنده، فالكل بمشيئة الله سبحانه وتعالى، فتعجبوا من أنفسهم كيف وقعوا في مثل هذا الخطأ، و﴿وَيْ﴾ اسم فعل بمعنى أعجب أنا، والكاف للتعليل، وأن حرف نصب ومصدر.

وقال أبو الحسن: ﴿وَيْ﴾ اسم فعل، والكاف حرف خطاب، وأن على إضمار اللام، وقيل: ﴿وَيْ﴾ اسم فعل، وكأن للتحقيق بمعنى قد؛ أي: أعجب أنا، وقد علمت أن كلاً من البسط والقبض بمقتضى مشيئته تعالى، وليس البسط للكرامة، والقبض للهوان.

وعبارة الخازن هنا[1]: أي وصار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من الأموال والزينة يندمون على ذلك التمني ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾؛ أي: ألم تعلم أن الله، وقيل: ألم تر أن الله، وقيل: هي كلمة تقرير معناها: أما ترى صنع الله وإحسانه، يبسط الرزق لمن يشاء، وقيل: ويك بمعنى ويلك اعلم أن الله، وروي أن ﴿وَيْ﴾ مفصولة من ﴿كأن﴾، والمعنى: أن القوم ندموا فقالوا متندمين على ما سلف منهم: وَيْ وكأن، معناها: أظن وأُقَدِّر أن الله يبسط الرزق. انتهت.

وعبارة «الفتوحات» هنا: قوله: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ و﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ فيه[2] مذاهب:

---

(١) أنوار التنزيل. (٢) الجمل.

أحدها: أن ﴿وَيْ﴾ كلمة برأسها، وهي اسم فعل معناها أعجب؛ أي: أن والكاف للتعليل، وأن وما في حيزها مجرورة بها؛ أي: أعجب، لأن الله يبسط الرزق إلخ، وقياس هذا القول أن يوقف على ﴿وَيْ﴾ وحدها، وقد فعل ذلك الكسائي.

الثاني: قال بعضهم: كأن هنا للتشبيه، إلا أنه ذهب منها معناه، وصارت للخبر واليقين، وهذا أيضاً يناسبه الوقف على ﴿وَيح﴾.

الثالث: أن ﴿وَيْكَ﴾ كلمة برأسها، والكاف حرف خطاب، وأن معمولة لمحذوف؛ أي: أعلم أن الله يبسط... إلخ، قاله الأخفش، وهذا يناسبه الوقف على ﴿ويك﴾، وقد فعله أبو عمرو.

الرابع: أن أصلها ويلك، فحُذفت اللام، وهذا يناسبه الوقف على الكاف أيضاً، كما فعل أبو عمرو.

الخامس: أن ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ كلها كلمة مستقلة بسيطة، ومعناها ألم تر، وربما نُقل ذلك عن ابن عباس، ونقل الفراء والكسائي أنها بمعنى أما ترى إلى صنع الله، وحكى ابن قتيبة أنها بمعنى رحمة لك في لغة حمير، ولم يُرسم في القرآن إلا ويكأن وويكأنه متصلة في الموضعين، فعامة القراء اتبعوا الرسم، والكسائي وقف على ﴿وَيْ﴾، وأبو عمرو على ﴿وَيْكَ﴾ .اهـ «سمين».

والمعنى[1]: أي فلما خسف الله بقارون الأرض أصبح قومه يقولون: إن كثرة المال والتمتع بزخارف الدنيا لا تدل على رضا الله عن صاحبه، فالله يُعطي ويمنع ويوسع ويضيق، ويرفع ويخفض، وله الحكمة التامة، والحجة البالغة لا معقب لحكمه، وقد روي عن ابن مسعود مرفوعاً: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب».

---

(١) المراغي.

ولما لاح لهم من واقعة أمره أن الرزق بيد الله، يصرفه كيف يشاء أتبعوه بما يدل على أنهم اعتقدوا أن الله قادر على كل ما يريد من رزق وغيره، فقالوا: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ﴾ وأنعم ﴿عَلَيْنَا﴾ فلم يعطنا ما تمنينا ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ الأرض، كما خسف بقارون، لتوليد الاستغناء فينا مثل ما ولده فيه من الكبر والبغي، ونحوهما من أسباب الهلاك والعذاب، أو المعنى: لولا أن منَّ الله علينا بالإيمان، ولطف بنا برحمته، وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغي، ولم يؤاخذنا بما وقع منا من ذلك التمني لخسف بنا، كما خسف به، لأنا وددنا أن نكون مثله.

وقرأ الأعمش: ﴿لولا منَّ الله﴾ بحذف ﴿أن﴾، وهي مرادة، لأن لولا هذه لا يليها إلا المبتدأ، وعنه أيضاً: ﴿لولا منُّ الله﴾ برفع النون وجر الجلالة، وهي واضحة. اهـ «سمين».

﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ قيل: ﴿وَيْ﴾ كلمة للزجر، والكاف حرف خطاب، وأن معمولة لمحذوف، والتقدير: انزجروا عن تمنيكم، واعلموا أن الشأن والحال ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ولا يفوزون بمطلب من مطالبهم؛ أي: لا ينجو الكافرون لنعمه، المكذبون برسله، وبما وُعدوا به من ثواب الآخرة، كما كان شأن قارون، قال في «كشف الأسرار»: حب الدنيا حمل قارون على جمعها، وجمعها حمله على البغي عليهم، وصارت كثرة ماله سبب هلاكه، وفي الخبر: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»، وأعاد[1] ﴿ويكأن﴾ هنا لاتصال كل منهما بما لم يتصل به الآخر، والقصد منه تأكيد ما قبله.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿لخسف بنا﴾ مبنياً للمفعول. وقرأ حفص وعصمة وأبان عن عاصم وابن أبي حماد عن أبي بكر: مبنياً للفاعل، وقرأ ابن مسعود وطلحة والأعمش: ﴿لا نخسف بنا﴾ كقولك: انقطع بنا، كأنه فعل مطاوع، والمقام مقام الفاعل، هو ﴿بنا﴾، ويجوز أن يكون المصدر؛ أي: لا نخسف الانخساف،

---

(١) فتح الرحمٰن. (٢) البحر المحيط.

ومطاوع فعل لا يتعدى إلى مفعول به، فلذلك بُني إما لـ﴿بنا﴾، وإما للمصدر، وعن ابن مسعود أيضاً: ﴿لتُخسِّف﴾ بتاء وشد السين مبنياً للمفعول.

والإشارة في قوله: ﴿تِلْكَ﴾ إلى الجنة، أشار إليها بإشارة البعيد، لقصد التعظيم لها، والتفخيم لشأنها، وهي مبتدأ ﴿ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ صفة لها، وجملة ﴿نَجْعَلُهَا﴾ خبر المبتدأ، كأنه قال: تلك الجنة التي سمعت خبرها، وبلغك شأنها نجعلها ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ارتفاعاً وغلبة وتسلطاً على المؤمنين، كما أراد فرعون، كما قال تعالى في أول السورة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿وَلَا فَسَادًا﴾؛ أي: عملاً بمعاصي الله سبحانه فيها، أو ظلماً وعدواناً على الناس، كما أراد قارون، كما قال تعالى في حقه على لسان الناصح: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وفي[1] تعليق الوعد بترك إرادتهما، لا بترك أنفسهما مزيد تحذير منهما.

وذكْر[2] العلو والفساد مُنكَّريْن في حيز النفي يدل على شمولهما لكل ما يُطلق عليه أنه علوٌّ، وأنه فساد من غير تخصيص بنوع خاص، أما الفساد فظاهر أنه لا يجوز شيء منه كائناً ما كان، وأما العلو فالممنوع منه ما كان على طريق التكبر على الغير، والتطاول على الناس، وليس منه طلب العلو في الحق والرئاسة في الدين، ولا محبة اللباس الحسن والمركوب الحسن والمنزل الحسن.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: للذين يتقون العلو والفساد في الأرض، وما لا يرضاه الله سبحانه من الأقوال والأفعال، والمعنى؛ أي: تلك[3] الدار التي سمعت خبرها، وبلغك وصفها نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبراً عن الحق، ولا إعراضاً عنه، ولا ظلم الناس ومعصية الله.

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

(٣) المراغي.

وثبت في «الصحيح»[1] أن النبي ﷺ قال: «إنه أُوحي إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»، وروى مسلم وأبو داود أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس».

وروى أبو هريرة: أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ، وكان جميلاً فقال: يا رسول الله إني رجل حُبِّب إليَّ الجمال، وأُعطيت منه ما ترى، حتى ما أُحبُّ أن يفوقني أحد بشراك نعل، أفمن ذلك؟ قال: «لا، ولكن المتكبر من بطر الحق وغمط الناس».

وعن عدي بن حاتم قال: لما دخل على النبي ﷺ ألقى إليه وسادة، وجلس على الأرض، فقال: أشهد أنك لا تبغي علواً في الأرض ولا فساداً، فأسلم، أخرجه ابن مردويه، وكان النبي ﷺ يحلب الشاة، ويركب الحمار، ويُجيب دعوة المملوك، ويجالس الفقراء والمساكين، قال بعضهم: واحذر أن[2] تتزهد أو تتعبد أو تتكرم وفي نفسك استجلاب ذلك، لكونه يرفعك على أقرانك، فإن ذلك من إرادة العلو في الأرض، وما استكبر مخلوق على آخر إلا لحجابه عن معية مع الحق ذلك المخلوق الآخر، ولو شهدها لذل وخضع.

وقال بعضهم: العلو النظر إلى النفس، والفساد النظر إلى الدنيا، والدنيا خمر إبليس، من شرب منها شربة لا يفيق إلا يوم القيامة، وقيل العلو الخطرات في القلب، والفساد في الأعضاء، فمن كان في قلبه حب الرياسة والجاه وحظوظ الدنيا، وفي أعماله الرياء والسمعة فهو لا يصل إلى مقام القرب، وكذا من في قلبه سوء العقيدة، وفي جوارحه عبادة غير الله، والدعوة إليها، وأخذ الأموال، وكسر الأعراض، واستحلال المعاصي فهو لا يصل إلى الجنة أيضاً، وهو قرين الشيطان، والشياطين في النار مع قرنائهم.

---

(١) روح البيان.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة وهي الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: لمن اتقى عذاب الله بعمل الطاعات، وترك المحرمات، ولم يكن كفرعون في الاستكبار على الله بعدم امتثال أوامره والارتداع عن زواجره، ولا كقارون في إرادة الفساد في الأرض.

ثم بيَّن ما يكون في تلك الدار من الجزاء على الأعمال، فقال: ﴿مَن جَآءَ﴾ الله يوم القيامة متصفاً ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾ المقبولة الأصلية المعمولة ﴿فَلَهُۥ﴾ بمقابلتها ﴿خَيْرٌ مِّنْهَا﴾؛ أي: ثواب خير منها، ذاتاً ووصفاً وقدراً بالمضاعفة[1]، أما الخيرية ذاتاً فظاهرة في أجزية الأعمال البدنية، لأنها أعراض وأجزيتها جواهر، وكذا في المالية إذ لا مناسبة بين زخارف الدنيا ونفائس الآخرة في الحقيقة، وأما وصفاً فلأنها أبقى وأنقى من الآلام والأكدار، وأما قدراً فللمقابلة بعشر أمثالها لا أقل، يعني: أنه يجازي بالحسنة الواحدة عشراً، فيكون الواحد ثواباً مستحقاً، والتسعة تفضلاً وجوداً، والتسعة خير من الواحد من ذلك الجنس.

ومثل المعمولة ما في حكمها[2]، كما لو تصدق عنه غيره، فخرج بالمعمولة ما لو هم بحسنة فلم يعملها لمانع، فإنه يجازى عليها من غير تضعيف، وخرجت الحسنة المأخوذة في نظير الظلامة، فلا تضاعف له، كما لو ضرب زيد عمراً ضربة، وكان لزيد حسنات موجودة، فيؤخذ منها وُيُعطى لعمرو، وخرج بالأصلية الحسنات الحاصلة بالتضعيف فلا تضاعف، والتضعيف خاص بهذه الأمة، وأما غير هذه الأمة من بقية الأمم فلا تضعيف لهم.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ وهي ما يذم فاعلها شرعاً، كالشرك والرياء والجهل ونحوها ﴿فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم، وفائدة هذه الصورة انزجار العقلاء عن ارتكاب السيئات، ﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: إلا مثل ما كانوا يعملونه، فحُذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه مبالغة في المماثلة، ومن فضله العظيم أن لا

---

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

يجزي السيئة إلا بمثلها، ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبع مئة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى﴾؛ أي: إن الله الذي ﴿فَرَضَ﴾ وأنزل ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ وأوجب عليك تلاوته وتبليغه، والعمل به ﴿لَرَآدُّكَ﴾ ومرجِّعك بعد الموت ﴿إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾؛ أي: إلى مرجع عظيم، يغبطك به الأولون والآخرون، وهو المقام المحمود الموعود ثواباً على إحسانك في العمل، وتحمُّل هذه المشقات التي لا تحملها الجبال.

وأكثر أهل التفسير على أن المراد بالمعاد مكة، تقول العرب: رُدَّ فلان إلى معاده، يعني إلى بلده، يتصرف في الأرض، ثم يعود إلى بلده، والآية نزلت[1] بالجحفة بتقديم الجيم المضمومة على الحاء الساكنة، موضع بين مكة والمدينة، وهو ميقات أهل الشام، وكانت قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلاً من مكة، وكانت تسمى مهيعة، فنزلها بنو عبيد، وهم أخوة عاد، وكان أخرجهم العماليق من يثرب، فجاءهم سيل فأجحفهم؛ أي: ذهب بهم، فسُمِّيَتْ جحفة.

وروى مقاتل: أنه ﷺ لما خرج من الغار مهاجراً إلى المدينة ومعه أبو بكر - رضي الله عنه - عدل عن الطريق مخافة الطلب، فلما أمن رجع إلى الطريق، ونزل بالجحفة وعرف الطريق إلى مكة، واشتاق إليها، وذكر مولده وموطنه، ومولد آبائه، وبها عشيرته، وحرم إبراهيم عليه السلام فنزل عليه الملك فقال له: أتشتاق إلى بلدك، ومولدك، فقال النبي ﷺ: نعم، فقال جبريل: فإن الله سبحانه يقول لك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾؛ أي: لراجعك إلى مكان هو لعظمته أهل لأن يقصد العود إليه كل من خرج منه، وهو مكة المشرَّفة وطنك الدنيوي.

والمعنى عليه[2]: أي إن الذي أوجب عليك العمل بأحكام القرآن وفرائضه لرادك إلى محل عظيم القدر، اعتدته وألفته، وهو مكة، والمراد بذلك عوده إليها يوم الفتح، وقد كان للعود إليها شأن عظيم، لاستيلاء رسول الله ﷺ عليها عنوة،

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

وقهره أهلها، وإظهار عز الإسلام، وإذلال المشركين، وهذا وعد من الله سبحانه لرسول الله ﷺ، وهو بمكة في أذى، وغلبة من أهلها، أنه يهاجر منها، ويعيده إليها ظاهراً ظافراً، وهذه إحدى معجزاته ﷺ، لأنه أخبر عن الغيب، ووقع كما أخبر؛ أي: فلا تظن أنه يسلك بك سبيل أبويك إبراهيم في هجرته من حران بلد الكفر إلى الأرض المقدسة فلم يعد إليها، وإسماعيل من الأرض المقدسة إلى أقدس منها فلم يعد إليها.

ولما قال المشركون لرسول الله ﷺ: إنك لفي ضلال مبين.. نزل قوله تعالى: ﴿قُل﴾ يا محمد لمن خالفك وكذبك من قومك المشركين ومن تبعهم ﴿رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾؛ أي: يعلم ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ من عنده وما يستحقه من الثواب في المعاد، والإعزاز والنصرة في الدنيا مني ومنكم، يريد به نفسه، ﴿وَ﴾ يعلم ﴿مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾؛ أي: بيِّن، وما يستحقه من العقاب في الآخرة والإذلال في الدنيا، يريد به المشركين.

ودلت الآية الكريمة[1] على أن الله تعالى يفتح على المهتدي ويقهر الضال، ولكل عسر يسر، فسوف يراه من يصبر، فلا ينبغي للعاقل أن ييأس من روح الله، روي أن رجلاً ركب البحر فانكسرت السفينة فوقع في جزيرة فمكث ثلاثة أيام لا يرى أحداً، ولم يذق شيئاً فتمثل بقوله:

إِذَا شَابَ ٱلْغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلِيْ ... وَصَارَ ٱلْقِيْرُ كَٱللَّبَنِ ٱلْحَلِيْبِ
وَصَارَ ٱلْبَرُّ مَسْكَنَ كُلِّ حُوْتٍ ... وَصَارَ ٱلْبَحْرُ مَرْتَعَ كُلِّ ذِيْبِ

فسمع هاتفاً يهتف:

عَسَىٰ ٱلْكَرْبُ ٱلَّذِيْ أَمْسَيْتَ فِيْهِ ... يَكُوْنُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيْبُ
فَيَأْمَنُ خَائِفٌ وَيُفَكُّ عَانٍ ... وَيَأْتِيْ أَهْلَهُ ٱلرَّجُلُ ٱلْغَرِيْبُ

قال: فما لبث ساعة إلا فرج الله عنه.

---

(١) روح البيان.

وفي تفسير الآية إشارة إلى أن حب الوطن من الإيمان، وكان رسول الله ﷺ يقول كثيراً: الوطن الوطن، فحقق الله سبحانه سؤله، ويقال: الإبل تحن إلى أعطانها، وإن كان عهدها بعيداً، والطير إلى وكره وإن كان موضعاً مجدباً، والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعاً.

واعلم[1]: أن الميل إلى الأوطان، وإن كان لا ينقطع عن الجنان، ولكن يلزم للمرء أن يختار من البقاع أحسنها ديناً، حتى يتعاون بالإخوان، قيل لعيسى عليه السلام: من نجالس يا روح الله، قال: من يزيد في علمكم منطقه، ويذكركم الله رؤيته، ويرغّبكم في الآخرة عمله، والعاقل يختار الفراق عن الأحباب والأوطان، ولا يجترىء على الفراق عن الملك الديان:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا فَارَقْتَهُ عِوَضٌ   وَلَيْسَ لِلَّهِ إِنْ فَارَقْتَ مِنْ عِوَضِ

فاقطع الألفة عما سوى الله اختياراً قبل الانقطاع اضطراراً.

ثم ذكره سبحانه نعمه، ونهاه عن معاونة المشركين ومظاهرتهم، فقال: ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿تَرْجُوٓاْ﴾ وتطمع قبل إرسالك ﴿أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي: أن يوحى إليك القرآن، والمعنى: سيردك يا محمد إلى معادك وبلدك، كما ألقى إليك القرآن وما كنت ترجوه، فهو تقرير للوعد السابق.

وقوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ استثناء منقطع؛ أي: ولكن ألقاه إليك رحمة لك منه، فاعمل به، خصك بهذه الرحمة عن جميع الأنبياء، لأن كتبهم أنزلت في الألواح والصحف على صورتهم وذاتهم، وكتابك نزل به الروح الأمين على قلبك، ويجوز أن يكون متصلاً حملاً على المعنى، كأنه قيل: وما ألقي إليك الكتاب إلا لأجل الرحمة من ربك، والأول أولى، وبه جزم الكسائي والفراء.

والمعنى[2]: أي وما كنت يا محمد قبل مجيء الرسالة إليك ترجو أن تكون نبياً، وينزل عليك القرآن، فتعلم أخبار الماضين من قبلك وما سيحدث من بعدك، وما فيه من تشريع فيه سعادة البشر في معاشهم ومعادهم، وآداب هي

---

(١) روح البيان.   (٢) المراح.

منتهى ما تسمو إليه نفوسهم، وتطمح إليها عقولهم، ثم تتلو ذلك على قومك، فإنزاله عليك ليس عن ميعاد، وكونك نبياً ليس عن تطلب سابق منك، ولكن أنزل إليك القرآن، وجعلك نبياً لأجل الترحم من ربك.

ثم بيَّن ما يجب أن يعمله كفاء هذه النعم المتظاهرة، فقال: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ يا محمد ﴿ظَهِيرًا﴾؛ أي: معيناً ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ على دينهم بمداراتهم، والتجمل معهم، والإجابة إلى طلبتهم، وذلك حين دعوه إلى دين آبائه، فذكره بنعمه عليه، ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه، وقيل: هو تعريض بغيره من الأمة.

والمعنى[1]: أي فاحمد ربك على ما أنعم به عليك بإنزاله الكتاب إليك، ولا تكونن عوناً لمن كفروا به، ولكن فارقهم ونابذهم.

ثم شدد عزمه وقواه بأن لا يأبه بمخالفتهم، فقال: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾؛ أي: لا يصرفنك ويمنعنك الكافرون ﴿عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: عن قراءتها، والعمل بها ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ﴾ تلك الآيات القرآنية ﴿إِلَيْكَ﴾ وقرئت عليك، وذلك حين دعوه ﷺ إلى دين آبائهم، وتعظيم أوثانهم، والموافقة إلى أباطيلهم؛ أي: ولا تبال بهم، ولا تهتم بمخالفتهم لك، وصدهم الناس عن طريقتك، فإن الله معك، ومؤيدك، ومظهر دينك وما أرسلك به على سائر الأديان.

قرأ الجمهور[2]: بفتح الياء وضم الصاد من صده يصده، وشددوا النون، ويعقوب كذلك، إلا أنه خففها، وقرىء: ﴿يصدنك﴾ بضم الياء وكسر الصاد، من أصده بمعنى صده، حكاه أبو زيد عن رجل من كلب. وقال الشاعر:

أُنَاسٌ أَصَدُّوْا ٱلنَّاسَ بِٱلْسَّيْفِ عَنْهُمُ ... صُدُوْدَ ٱلسَّوَاقِيْ عَنْ أُنُوْفِ ٱلْحَوَائِمِ

ثم أمره أن يصدع بالدعوة، ولا يألوا جهداً في تبليغ الرسالة. فقال: ﴿وَٱدْعُ﴾ الناس كافة ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: إلى توحيده، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ أي: وبلغ رسالة ربك إلى من أرسلك إليهم، واعبده وحده لا شريك له ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بمساعدتهم في الأمور، وفيه تعريض بغيره، كما

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

تقدم، لأنه ﷺ لا يكون من المشركين بحال من الأحوال لكونه معصوماً، والمعنى: ولا تتركن الدعاء إلى ربك، وتبليغ المشركين رسالتك، فتكون ممن فعل فعل المشركين بمعصيته، ومخالفة أمره.

ثم فسر هذا، وبينه بقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ أي: ولا تعتمد على غير الله، ولا تتخذ غيره وكيلاً في أمورك، وهذا تعريض أيضاً لغيره من الأمة.

فإن قلت[1]: النبي ﷺ كان معصوماً من أن يدعو مع الله إلهاً آخر فما فائدة هذا النهي؟

قلت: الخطاب معه ﷺ والمراد به غيره، وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلاً على أمورك كلها، ولا تعتمد غيره، كما مر آنفاً في حلّنا.

﴿لَآ إِلَٰهَ﴾؛ أي: لا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع ﴿إِلَّا هُوَ﴾ سبحانه وحده ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ من الإنسان والحيوان والجن والشياطين والملك ونحوها ﴿هَالِكٌ﴾؛ أي: معدوم فان زائل في حد ذاته، فإن وجوده كلا وجود، لأن وجوده ليس ذاتياً ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؛ أي: ذاته سبحانه وتعالى، فإنه تعالى واجب الوجود وكل ما عداه ممكن في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم، والوجه يعبر به عن الذات، وقال أبو العالية وسفيان[2]: كل شيء فان إلا ما أريد به وجهه من الأعمال؛ أي: ما يقصد إليه بالقربة. قال الشاعر:

أَسْتَغْفِرُ ٱللَّهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ ٱلْعِبَادِ إِلَيْهِ ٱلْوَجْهُ وَٱلْعَمَلُ

والمستثنى من الهلاك والفناء ثمانية أشياء نظمها السيوطي في قوله:

ثَمَانِيَةٌ حُكْمُ ٱلْبَقَاءِ يَعُمُّهَا ... مِنَ ٱلْخَلْقِ وَٱلْبَاقُوْنَ فِيْ حَيِّزِ ٱلْعَدَمْ

هِيَ ٱلْعَرْشُ وَٱلْكُرْسِيُّ وَنَارٌ وَجَنَّةٌ ... وَعَجْبٌ وَأَرْوَاحٌ كَذَا ٱللَّوْحُ وَٱلْقَلَمْ

﴿لَهُ﴾ سبحانه لا لغيره ﴿ٱلْحُكْمُ﴾؛ أي: القضاء النافذ في الخلق في

---

(١) الخازن.
(٢) القرطبي.

الأولى والآخرة ﴿وَإِلَيْهِ﴾ تعالى، لا إلى غيره ﴿تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: تردون أيها الخلائق عند البعث من القبور، وليجزى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وقرأ عيسى[1]: ﴿ترجعون﴾ مبنياً للفاعل. والجمهور مبنياً للمفعول، ومعنى الآية: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ أي[2]: ولا تعبد أيها الرسول مع الله ـ الذي له عبادة كل شيء ـ معبوداً آخر سواه.

ثم علل هذا بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لأنه لا معبود تصلح له العبادة إلا الله، ونحو الآية قوله: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾.

ثم بيَّن صفاته تعالى، فقال:

١ ـ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؛ أي: هو الدائم الباقي الحي القيوم الذي لا يموت إذا ماتت الخلائق، كما قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾.

وقد ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أصدق كلمة قالها لبيد»:

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ ٱللَّهَ بَاطِلُ ... وَكُلُّ نَعِيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ

٢ ـ ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾؛ أي: له الملك والتصرف والقضاء النافذ في الخلق.

٣ ـ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم معادكم، فيجزيكم بأعمالكم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

الإعراب

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب، ﴿قَٰرُونَ﴾: اسمها منصوب، ولم ينون لأنه اسم لا ينصرف للعلمية والعجمة، ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص واسمه ضمير يعود على

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

﴿قَـٰرُونَ﴾، ﴿مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لبيان قصة قارون وما تنطوي عليه من عظات وعبر. ﴿فَبَغَىٰ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿بغى﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿قَـٰرُونَ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق بـ﴿بغى﴾، ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾، ﴿مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾: متعلق بـ﴿آتيناه﴾.

﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿مَآ﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ثان لـ﴿آتيناه﴾، ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب، ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾: اسمها، ﴿لَتَنُوٓأُ﴾: ﴿اللام﴾ حرف ابتداء، ﴿تنوء﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يعود على المفاتح، ﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾ متعلق بـ﴿تنوء﴾، ﴿أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾: صفة لـ﴿العصبة﴾ مجرور بالياء المحذوفة لالتقاء الساكنين لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾: مضاف إليه، وجملة ﴿تنوء﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد ضمير ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ﴿تنوء﴾، وقيل: باذكر مقدراً، وقال أبو البقاء: ظرف لآتيناه، ويجوز أن يكون ظرفاً لفعل محذوف دل عليه الكلام؛ أي: بغى، ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، ﴿لَهُۥ﴾: متعلق بـ﴿قال﴾، ﴿قَوْمُهُۥ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذ﴾، ﴿لَا﴾: ناهية جازمة، ﴿تَفْرَحْ﴾: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وفاعله ضمير يعود على ﴿قَـٰرُونَ﴾، وجملة ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ ناصب واسمه، ﴿لَا﴾: نافية، ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾، ﴿ٱلْفَرِحِينَ﴾: مفعول به منصوب بالياء، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾.

﴿وَٱبۡتَغِ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر مجزوم بحذف حرف العلة، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ﴾، ﴿فِيمَا﴾ ﴿في﴾ حرف جر وسبب، ﴿ما﴾: مصدرية أو موصولة في محل الجر بفي، ﴿ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾: فعل ومفعول أول وفاعل، والمفعول الثاني محذوف تقديره: فيما آتاكه الله؛ أي: وابتغ بإنفاق ما أعطاك الله في سبيل الخير، الجار والمجرور متعلق بـ﴿ابتغ﴾، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من فاعل ﴿ابتغ﴾؛ أي: متقلباً فيما آتاك، ﴿ٱلدَّارَ﴾: مفعول ﴿ابتغ﴾، ﴿ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾: صفة له، ﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لَا﴾: ناهية، ﴿تَنسَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، ﴿نَصِيبَكَ﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ﴾، ﴿مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: جار ومجرور حال من ﴿نَصِيبَكَ﴾. ﴿وَأَحۡسِن﴾: فعل أمر وفاعل مستتر معطوف على ﴿وَٱبۡتَغِ﴾، ﴿كَمَآ﴾ ﴿الكاف﴾: حرف جر وتشبيه، ﴿ما﴾: مصدرية، ﴿أَحۡسَنَ ٱللَّهُ﴾ فعل وفاعل، ﴿إِلَيۡكَۖ﴾ متعلق بـ﴿أَحۡسَنَ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالكاف، الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف، تقديره: وأحسن إحساناً مثل الإحسان الذي أحسن الله به إليك. ﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لَا﴾: ناهية، ﴿تَبۡغِ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر مجزوم بلا الناهية، ﴿ٱلۡفَسَادَ﴾: مفعول به، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾: متعلق بتبغ أو بالفساد، لأنه بمعنى الإفساد، والجملة في محل النصب معطوفة على ما قبلها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ ناصب واسمه، ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿قَٰرُونَ﴾، والجملة مستأنفة

مسوقة للإجابة عن قولهم: إن ما عندك تفضل وإنعام من الله فأنفق منه شكراً لمن أنعم به عليك، ﴿إِنَّمَآ﴾: أداة حصر، ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾: فعل ماض مغير الصيغة ونائب فاعل ومفعول ثان، ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: جار ومجرور حال من نائب فاعل، ﴿أوتيت﴾، ﴿عِندِيٓ﴾ ظرف ومضاف إليه صفة لعلم؛ أي: إنما أوتيته حال كوني متصفاً بعلم كائن عندي، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَوَلَمْ﴾ ﴿الهمزة﴾ للاستفهام الإنكاري داخلة على محذوف. و﴿الواو﴾ عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أعلم ما ادعاه ولم يعلم، والجملة المحذوفة مستأنفة، ﴿لم﴾: حرف جزم، ﴿يَعْلَمْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿قَـٰرُونَ﴾ مجزوم بـ﴿لم﴾، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه، ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، ﴿أَهْلَكَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾، ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَهْلَكَ﴾، ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: جار ومجرور حال. ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ﴾ مقدمة عليه، ﴿من﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿أَهْلَكَ﴾، ﴿هُوَ أَشَدُّ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة صلة ﴿من﴾ الموصولة، ﴿مِنْهُ﴾: متعلق بـ﴿أَشَدُّ﴾، ﴿قُوَّةً﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل، وجملة ﴿أَهْلَكَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾؛ وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿يَعْلَمْ﴾، ﴿وَأَكْثَرُ﴾: معطوف على ﴿أَشَدُّ﴾، ﴿جَمْعًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب بـ﴿أَشَدُّ﴾. ﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة لتربط الجملة بما قبلها على سبيل التهديد والوعيد، ﴿لَا﴾: نافية، ﴿يُسْـَٔلُ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ﴿عَن ذُنُوبِهِمُ﴾: متعلق بـ﴿يُسْـَٔلُ﴾، ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: نائب فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أن﴾؛ أي: ألم يعلم أنه لا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿فَخَرَجَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿خرج﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على قارون، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾، وما بينهما اعتراض، ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾: متعلق بـ﴿خرج﴾، ﴿فِى زِينَتِهِۦ ۖ﴾: جار ومجرور حال من

فاعل ﴿خرج﴾؛ أي: حال كونه متبختراً في زينته متقلباً في تعاجيبه، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، ﴿يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ﴾: فعل ومفعول به، والجملة صلة الموصول، ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة للحياة، ﴿يَٰلَيْتَ﴾ ﴿يا﴾ حرف نداء والمنادى محذوف، تقديره: يا قوم، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿ليت﴾: حرف تمنٍ ونصب، ﴿لَنَآ﴾: خبر مقدم لليت، ﴿مِثْلَ﴾: اسم ﴿ليت﴾: مؤخر، وهو مضاف، و﴿مَآ﴾: مضاف إليه، وجملة ﴿ليت﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونه جواب النداء، ﴿أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديره: أوتيه قارون، ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه، ﴿لَذُو﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿ذو حظ﴾: خبره، ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة ﴿حَظٍّ﴾، وجملة ﴿إنّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية أو عاطفة، ﴿قال الذين﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة أو معطوفة على جملة ﴿قال﴾، ﴿أُوتُوا۟﴾: فعل ونائب فاعل، ﴿ٱلْعِلْمَ﴾: مفعول ثان، والجملة صلة الموصول، ﴿وَيْلَكُمْ﴾ منصوب بفعل محذوف وجوباً لجريانه مجرى المثل على سبيل الردع، تقديره: ألزمكم الله ويلكم، و﴿الكاف﴾: ضمير المخاطبين في محل الجر مضاف إليه، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ ومضاف إليه، ﴿خَيْرٌ﴾: خبر، ﴿لِّمَنْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قال﴾، ﴿ءَامَنَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة صلة ﴿من﴾ الموصولة، ﴿وَعَمِلَ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿ءَامَنَ﴾، ﴿صَٰلِحًا﴾: مفعول به، ﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لَا﴾: نافية، ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، و﴿الهاء﴾: مفعول ثان، ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾: نائب فاعل مؤخر وهو المفعول الأول، والضمير يعود على الإثابة

أو الأعمال الصالحة، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أو مستأنفة.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾.

﴿فَخَسَفْنَا﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما قال قارون، وما قال له قومه، وأردت بيان ما صار إليه، وما آل إليه أمره فأقول لك ﴿خسفنا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة، ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بخسفنا، ﴿وَبِدَارِهِ﴾: جار ومجرور معطوف على ﴿بِهِۦ﴾، ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به، ﴿فَمَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿ما﴾ نافية، ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، ﴿لَهُۥ﴾: خبرها مقدم على اسمها. ﴿مِن﴾: زائدة، ﴿فِئَةٍ﴾: اسمها مؤخر، ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الرفع صفة لفئة، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور حال من ﴿فِئَةٍ﴾ لتخصصه بالصفة، وجملة ﴿كَانَ﴾ معطوفة على جملة ﴿خسفنا﴾، ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص واسمها ضمير يعود على ﴿قَٰرُونَ﴾، ﴿مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾ الأولى.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾.

﴿وَأَصْبَحَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿أصبح﴾: فعل ماض ناقص، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسمها، ﴿تَمَنَّوْا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، ﴿مَكَانَهُۥ﴾: مفعول به، ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَمَنَّوْا۟﴾، ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل النصب خبر ﴿أصبح﴾، وجملة ﴿أصبح﴾ معطوفة على جملة ﴿خسفنا﴾، ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ ﴿وي﴾: اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره أنا، والجملة في محل النصب مقول ﴿يقول﴾،

و﴿الكاف﴾: حرف جر بمعنى لام التعليل، ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها، ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَبْسُطُ﴾، وجملة ﴿يَشَآءُ﴾ صلة ﴿من﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: لمن يشاء البسط له، ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: حال من ﴿من﴾ الموصولة، وجملة ﴿وَيَقْدِرُ﴾ معطوفة على جملة ﴿يَبْسُطُ﴾، وجملة ﴿يَبْسُطُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل، الجار والمجرور متعلق بـ﴿وي﴾، لأنه اسم فعل مضارع؛ أي: أتعجب لبسط الله الرزق على من يشاء من عباده.

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿لَوْلَآ﴾: حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط، ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿مَّنَّ ٱللَّهُ﴾: فعل ماض وفاعل في محل النصب بـ﴿أن﴾ المصدرية. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلق به، و﴿أَن﴾ وما في حيزها في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء، والخبر محذوف وجوباً، تقديره: لولا مَنُّ الله علينا موجود، ﴿لَخَسَفَ﴾ ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لَوْلَآ﴾، ﴿خسف﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾، ﴿بِنَا﴾: متعلق به، والجملة الفعلية جواب ﴿لَوْلَآ﴾، لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَوْلَآ﴾ في محل النصب مقول ﴿يَقُولُونَ﴾. ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ ﴿وي﴾: اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً، و﴿الكاف﴾ حرف جر وتعليل، ﴿أنه﴾ ناصب واسمه، ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿أنّ﴾، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر مجرور بـ﴿الكاف﴾، والجار والمجرور متعلق بـ﴿وَيْ﴾، وجملة ﴿وَيْ﴾ في محل النصب مقول ﴿يَقُولُونَ﴾ مذكورة لتأكيد ﴿وَيْ﴾ الأولى، ومقررة لها.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿تِلْكَ﴾: مبتدأ، ﴿ٱلدَّارُ﴾: بدل من اسم الإشارة، ﴿ٱلْءَاخِرَةُ﴾: صفة لـ﴿ٱلدَّارُ﴾، ﴿نَجْعَلُهَا﴾: فعل مضارع ومفعول أول وفاعل مستتر يعود على

﴿ٱللَّهِ﴾، ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نجعل﴾ على كونه مفعولاً ثانياً له. وجملة ﴿نَجْعَلُهَا﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، مسوقة لبيان أن الآخرة معدة للمتقين. ﴿لَا يُرِيدُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿عُلُوًّا﴾: مفعول به. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق بـ﴿عُلُوًّا﴾، أو صلة له. ﴿وَلَا فَسَادًا﴾: معطوف على ﴿عُلُوًّا﴾. ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: خبره، والجملة معطوفة على الجملة الاسمية قبلها.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿مَن﴾: اسم شرط جازم، في محل الرفع، مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾: متعلق بـ﴿جَآءَ﴾. ﴿فَلَهُۥ﴾: الفاء: رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية وجوباً له، خبر مقدم. ﴿خَيْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّنْهَا﴾: متعلق بـ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها جواب شرط لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿وَمَن﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَن﴾: اسم شرط مبتدأ. ﴿جَآءَ﴾: فعل وفاعل مستتر في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية. ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: متعلق بـ﴿جَآءَ﴾. ﴿فَلَا﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية وجوباً لاقترانه بـ﴿لا﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُجْزَى﴾: فعل مضارع مغير الصيغة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿من﴾ الأولى. ﴿عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول صلة الموصول. ﴿إلاَّ﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ثان لـ﴿يجزى﴾. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَعْمَلُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى﴾: ناصب واسمه. ﴿فَرَضَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة صلة الموصول. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلق بـ﴿فَرَضَ﴾. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: مفعول به. ﴿لَرَآدُّكَ﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿رادك﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: متعلق بـ﴿رادك﴾؛ لأنه اسم فاعل. ﴿قُل﴾: فعل أمر وفاعل مستتر، والجملة مستأنفة. ﴿رَّبِّىٓ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿من﴾: اسم موصول في محل النصب، مفعول به لـ﴿أَعْلَمُ﴾؛ لأنه بمعنى عالم؛ لأن اسم التفضيل لا ينصب المفعول به. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر. ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: متعلق به. والجملة صلة الموصول. ﴿ومن﴾: اسم موصول في محل النصب، معطوف على ﴿من﴾ الأولى. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: خبر. ﴿مُّبِينٍ﴾ صفة ﴿ضَلَٰلٍ﴾، والجملة صلة ﴿من﴾ الموصولة.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: نافية. ﴿كُنتَ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿تَرْجُوٓاْ﴾ خبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾. ﴿أَن يُلْقَىٰٓ﴾: ناصب وفعل مضارع، مغير الصيغة منصوب. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلق بـ﴿يُلْقَىٰٓ﴾. ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: نائب فاعل لـ﴿يُلْقَىٰٓ﴾. ﴿إلاَّ﴾: أداة استثناء منقطع، بمعنى: لكن. ﴿رَحْمَةً﴾: مفعول لأجله. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: صفة لـ﴿رَحْمَةً﴾؛ أي: لكن ألقي إليك الكتاب لأجل رحمة، كائنة من ربك لك ولأمتك. ﴿فَلَا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما ذكرته، وأردت بيان ما هو اللازم لك فأقول لك: ﴿لا تكونن﴾ ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَكُونَنَّ﴾: فعل مضارع ناقص، في محل الجزم بلا الناهية، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، ونون التوكيد الثقيلة حرف لا محل لها من الإعراب، واسمها ضمير مستتر فيها وجوباً، يعود على محمد. ﴿ظَهِيرًا﴾: خبرها. ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: متعلق بـ﴿ظَهِيرًا﴾، وجملة ﴿تَكُونَنَّ﴾: في محل النصب مقول

لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿يَصُدُّنَّكَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾: الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو المحذوفة: لالتقاء الساكنين في محل الرفع فاعل، والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة مبني على الفتح، والكاف: ضمير المخاطب، في محل النصب مفعول به. ﴿عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَصُدُّنَّكَ﴾، والجملة معطوفة على جملة قوله: فلا تكونن. ﴿بَعْدَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بمحذوف، حال من آيات الله. ﴿بَعْدَ﴾: مضاف. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، في محل الجر مضاف إليه؛ لأن إذ تضاف إليه أسماء الزمان، كقولك حينئذ ويومئذ، ويصح أن تكون إذ بمعنى: أن المصدرية، كما ذكره أبو السعود. ﴿أُنزِلَتْ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على الآيات. ﴿إِلَيْكَ ۖ﴾: متعلق به، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿وَٱدْعُ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾. ﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لا﴾: ناهية. ﴿تَكُونَنَّ﴾: فعل مضارع ناقص، في محل الجزم بـ﴿لا﴾ مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، ونون التوكيد حرف لا محل لها من الإعراب، مبني على الفتح، واسمها ضمير مستتر يعود على محمد ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: خبرها، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ﴾.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لا﴾: ناهية. ﴿تَدْعُ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَٱدْعُ﴾. ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾: ظرف ومضاف إليه، متعلق بـ﴿تَدْعُ﴾. ﴿إِلَٰهًا﴾:

مفعول به. ﴿ءَاخَرَ﴾: صفة لـ﴿إِلَٰهًا﴾. ﴿لَا﴾: نافية تعمل عمل ﴿إِنَّ﴾. ﴿إِلَٰهَ﴾: في محل النصب اسمها، وخبر ﴿لَا﴾ محذوف، تقديره: موجود. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿هُوَ﴾: ضمير للمفرد المنزه، في محل الرفع بدل من الضمير المستكن في خبر ﴿لَا﴾. وجملة ﴿لَا﴾ في محل النصب حال من الجلالة. ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾: مبتدأ. ﴿هَالِكٌ﴾: خبره. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿وَجْهَهُ﴾: منصوب على الاستثناء، والهاء مضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿لَهُ﴾: خبر مقدم. ﴿ٱلْحُكْمُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة ﴿وَإِلَيْهِ﴾: الواو عاطفة. ﴿إِلَيْهِ﴾ متعلق بـ﴿تُرْجَعُونَ﴾. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة ونائب فاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿إِنَّ قَٰرُونَ﴾ اسم أعجمي على وزن فاعول، كهارون، ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية، كما مر. ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: تكبر وتجبر وطلب الفضل عليهم، وأن يكونوا تحت أمره .اهـ «بيضاوي». ومن تكبره أن زاد في ثيابه شبراً وهو أول من جر الثياب على الأرض للخيلاء، قال الراغب: البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يُتحرى تجاوزه، أولم يتجاوزه.

﴿مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ جمع كنز. والكنز المال المدفون في باطن الأرض، قال الراغب: الكنز جمع المال بعضه فوق بعض وحفظه، من كنزت التمر في الوعاء، انتهى. والمراد به هنا المال المدخر. ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ جمع مفتح بالكسر، وهو ما يُفتح به، أو جمع مفتح بفتح الميم، وهو الخزانة، والمراد هنا المعنى الأول.

﴿لَتَنُوٓأُ﴾ وفي «القاموس»: ناء بالحمل نهض مثقلاً، وناء به الحمل أثقله وأماله كأناءه، وناء فلان أثقل فسقط ضد، اهـ. وفي «المصباح»: ناء ينوء نوءاً، مهموز من باب قال، نهض بجهد ومشقة، وناء به الحمل أثقله وأماله، وناء النجم سقط في المغرب مع الفجر، وطلع آخر يقابله من ساعته في المشرق.

﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾ والعصبة الجماعة الكثيرة يتعصب بعضهم لبعض، بلا تعيين

عدد خاص. ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾ الشدة. ﴿لَا تَفْرَحْ﴾؛ أي: لا تبطر وتتمسك بالدنيا ولذاتها، حتى تتلهى عن الآخرة. قال بيهس العذري:

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إذَا ٱلدَّهْرُ سَرَّنِي ... وَلاَ جَازِعٍ مِنْ صَرْفِهِ ٱلْمُتَقَلِّبِ

والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية الدنيوية.

﴿وَلَا تَنسَ﴾؛ أي: لا تترك ترك المنسي. قال في «المفردات»: النسيان ترك الإنسان ضبط ما استُودع، إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة، أو عن قصدٍ حتى ينحذف عن القلب ذكره، انتهى.

﴿نَصِيبَكَ﴾ والنصيب ما يكفيك، ويسد حاجتك، ويُصلح أمورك، وفسر بعضهم النصيب بالكفن، وعليه قول الشاعر:

نَصِيْبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ ٱلدَّهْرَ كُلُّهُ ... رِدَاءَنِ تُدْرَجُ فِيْهِمَا وَحَنُوْطُ

وفسره البيضاوي بما يحتاج إليه منها، اهـ.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾؛ أي: على حسن تصرف في المتاجر واكتساب الأموال. ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ جمع قرن، والقرن: القوم المقترنون في زمن واحد. ﴿لَذُو حَظٍّ﴾ قال الراغب: الحظ النصيب المقدر.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾ والخسف له معان كثيرة، منها خسف المكان، يقال: خسف المكان يخسف خسوفاً، من باب ضرب؛ أي: ذهب في الأرض وغرق، كما في «القاموس». وخسف القمر زال ضوؤه، وخسفت العين ذهب ضوؤها وغاب. وعين خاسفة إذا غابت حدتها، وخسف في الأرض وخُسف به فيها غاب.

وفي حديث ابن عباس وأبي هريرة، بسند ضعيف، عن النبي ﷺ «مَنْ لبس ثوباً جديداً فاختال فيه، خُسف به من شفير جهنم، فهو يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها». قال في «فتح الباري»: إن مقتضى الحديث، أن الأرض لا تأكل جسده فيمكن أن يلغز، ويقال لنا: كافر لا يبلى جسده بعد الموت، وهو قارون، قال

في «القاموس»: التجلجل: السُّؤوخ في الأرض والتحرك والتضعضع، والجلجلة: التحريك .اهـ.

﴿مِن فِئَةٍ﴾ قال الراغب: الفئة: الجماعة المتظاهرة، التي يرجع بعضها إلى بعض في التعاضد، انتهى. من فاء إذا رجع. ﴿مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ يقال: نصره من عدوه فانتصر؛ أي: منعه فامتنع.

﴿ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟﴾ والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها، وأكثره تصور ما لا حقيقة له، والأمنية الصورة الحاصلة في النفس، من تمني الشيء. ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ قال الجوهري: وَيْ كلمة تعجب، وقد تدخل على كأن، فتقول ويكأن، وقيل: إنها كلمة تُستعمل عند التنبه للخطأ، وإظهار الندم، قال الخليل: إن القوم تنبهوا وقالوا نادمين على ما سلف منهم وَيْ.

﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾ والحسنة ما يحمد فاعلها شرعاً، وسميت حسنة لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها في القيامة. ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ والسيئة ما يُذم فاعلها شرعاً، صغيرة كانت أو كبيرة، وسميت سيئة؛ لأن فاعلها يساء بها عند المجازاة عليها، اهـ «بيجوري على الجوهرة».

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ﴾؛ أي: أوجب عليك. ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ ومعاد الرجل بلده؛ لأنه يتصرف في البلاد ثم يعود إليه، تقول العرب: رُدَّ فلان إلى معاده؛ أي: إلى بلده.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ أصله يصدوننّك بنونين، أولاهما: مخففة هي نون علامة الرفع، وثانيتهما: مشددة هي نون التوكيد، فدخل عليه الجازم فحذف النون الأولى، فصار ولا يصدُّونُّك، فالتقى ساكنان الواو والنون المدغمة، فحذفت الواو لاعتلالها، ووجود دليل يدل عليها، وهو ضمة الدال، وأثر فيه الجازم لعدم مباشرة الفعل بنون التوكيد لوجود الفاصل، وهو واو الجماعة،ولم يؤثر الجازم في لفظ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ لبنائه على الفتح، لمباشرته بنون التوكيد بلا وجود فاصل،

وإن أثر في محله. ﴿ظَهِيرًا﴾؛ أي: معيناً. ﴿هَالِكٌ﴾؛ أي: معدوم.

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ الحكم: القضاء النافذ، الذي لا معقب له في الدنيا والآخرة، كما مر.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: القلب في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾؛ لأن أصل الكلام لتنوء العصبة بالمفاتح؛ أي: لتنهض بها بجهد.

ومنها: المبالغة في وصف كنوز قارون، حيث ذكرها جمعاً، وجمع المفاتح أيضاً، وذكر النوء والعصبة وأولي القوة، وهذه المبالغة في القرآن من أحسن المبالغات وأغربها عند الحذاق، وهي أن يتقصى جميع ما يدل على الكثرة وتعدد ما يتعلق بما يملكه.

ومنها: حسن التعليل في قوله: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ فإن التعليل بجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ تعليل حسن جميل؛ لأن الفرح المحض في الدنيا، من حيث إنها دنيا مذموم على الإطلاق، وأي فرح بشيء زائل وظل حائل.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ و﴿ٱلْفَرِحِينَ﴾ و﴿ٱلْفَسَادَ﴾ و﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

ومنها: التتميم في قوله: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ لأنه تتميم لا بد منه؛ لأنه إذا لم يغتنمها ليعمل للآخرة، لم يكن له نصيب في الآخرة. ففي الحديث: «اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

ومنها: التأكيد بـ﴿إن﴾ واللام واسمية الجملة في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ

عَظِيمٍ﴾؛ لأن السامع شاك ومتردد.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ كنى عن الزمن الماضي القريب بلفظ الأمس.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ ﴿وَيَقْدِرُ﴾.

ومنها: المبالغة في قوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾؛ لأن نفي الإرادة أبلغ من نفي العلو.

ومنها: المقابلة اللطيفة في قوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى﴾ الآية.

ومنها: وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾؛ لأن أصله فلا يجزون، تشنيعاً عليهم، وتهجيناً لحالهم، بتكرير إسناد السيئة إليهم وفائدة هذه الصورة إنزجار العقلاء عن ارتكاب السيئات قال الزمخشري إنما كرر ذكر السيئات؛ لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكرراً فضل تهجين لحالهم، وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين.

ومنها: المجاز بالحذف في قوله: ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: إلا مثل ما كانوا يعملون، فحُذف المثل، وأقيم ما كانوا يعملون مقامه، مبالغة في المماثلة.

ومنها: التنكير في قوله: ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ للتفخيم، كأن هذا المعاد قد أعد لك دون غيرك من البشر.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ حيث أطلق الجزء وأراد الكل؛ أي: إلا ذاته، وقد جرت عادة العرب في التعبير بالأشرف عن الجملة.

ومنها: تقديم المعمول على عامله لإفادة الحصر، في قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

لطيفة: قال بعضهم: من لم تُشبِعْه القناعة لم يكفه ملك قارون، وأنشدوا:

هِيَ ٱلْقَنَاعَةُ لاَ تَبْغِيْ بِهَا بَدَلاً ... فِيْهَا ٱلنَّعِيْمُ وَفِيْهَا رَاحَةُ ٱلْبَدَنِ

انْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ ٱلدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا ... هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَيْرِ ٱلْقُطْنِ وَٱلْكَفَنِ

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

خلاصة ما حوته هذه السورة الكريمة

١ ـ استعلاء فرعون وإفساده في الأرض.

٢ ـ استضعافه بني إسرائيل وقتله أبناءهم، واستبقاؤه نساءهم.

٣ ـ منته تعالى على بني إسرائيل بإنقاذهم من بأس فرعون، وجعلهم أئمةً في أمر الدين والدنيا، ووراثتهم أرض الشام.

٤ ـ إغراق فرعون وجنوده.

٥ ـ إلقاء موسى في اليم، والتقاط آل فرعون له، ثم رده إلى أمه.

٦ ـ قتل موسى للقبطي ثم هربه إلى أرض مدين، وتزوجه ببنت شعيب وبقاؤه بها عشر سنين.

٧ ـ عودة موسى إلى مصر ومناجاته ربه.

٨ ـ معجزات موسى من العصا واليد البيضاء.

٩ ـ طلبه من ربه أن يرسل معه أخاه هارون، ليكون له وزيراً، وإجابته إلى ذلك.

١٠ ـ تبليغه رسالة ربه إلى فرعون، وتكذيب فرعون له، واستكباره في الأرض بغير الحق.

١١ ـ إثبات نبوة محمد ﷺ بإخباره عن قصص الماضين دون أن يكون حاضراً معهم، ولا أن يتعلم ذلك من معلم.

١٢ ـ إنكار قريش لنبوته بعد أن جاءهم بالحق من ربهم، وقولهم: إن ما جاء به سحر مفترى.

١٣ ـ إيمان أهل الكتاب بالقرآن، وإعطاؤه أجرهم مرتين.

١٤ ـ إثبات أن الهداية بيد الله سبحانه، لا بيد رسوله ﷺ، فلا يمكنه أن يهدي من يحب.

١٥ ـ معاذير قريش في عدم إيمانهم بالرسول ﷺ، ثم دحضها.

١٦ ـ بيان أن الله لا يعذب أمة، إلا إذا أرسل إليهم رسولاً، حتى لا يكون لهم حجة على الله.

١٧ ـ نداء المشركين على رؤوس الأشهاد، وأمرهم بإحضار شركائهم، ونداؤهم ليسألهم عما أجابوا به الرسل، فلم يستطيعوا لذلك رداً.

١٨ ـ بيان أن اختيار الرسل لله لا للمشركين، فهو الذي يصطفي من يشاء لرسالته.

١٩ ـ التذكير بنعمته على عباده، باختلاف الليل والنهار.

٢٠ ـ شهادة الأنبياء على أممهم.

٢١ ـ ذكر قارون وبغيه في الأرض، ثم خسف الأرض به.

٢٢ ـ بيان أن ثواب الآخرة، لا يكون إلا لمن لا يريد العلو في الأرض، ولا الفساد فيها.

٢٣ ـ مضاعفة الله للحسنات، وجزاء السيئة بمثلها.

٢٤ ـ الإنباء بالغيب عن نصر الله لرسوله، وفتحه لمكة.

٢٥ ـ بيان أن كل ما في الوجود فهو هالك، إلا الله تبارك وتعالى.

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين(١).

والله أعلم

* * *

---

(١) فرغنا من تفسير هذه السورة في تاريخ ١٣/ ٧/ ١٤١٣ من الهجرة النبوية، عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية.

سورة العنكبوت

سورة العنكبوت تسع وستون آية[١]، وألف وتسع مئة وثمانون كلمة، وأربعة آلاف وخمس مئة وخمسة وتسعون حرفاً.

واختلف[٢] في كونها مكية أو مدنية، أو بعضها مكياً وبعضها مدنياً، على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها مكية كلها، أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، وأخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير، وبه قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة ومقاتل.

القول الثاني: أنها مدنية كلها، قال القرطبي، وهو أحد قولي ابن عباس وقتادة.

والقول الثالث: أنها مكية، إلا عشر آيات من أولها فمدنية. قال القرطبي: وهو أحد قولي ابن عباس وقتادة، وهو قول يحيى بن سلام، وقال غيره بالعكس؛ أي: إنها مدنية إلا عشر آيات من أولها فمكية، وحكي عن علي ابن أبي طالب، أنها نزلت بين مكة والمدينة. **وهذا قول رابع**.

فضلها: ومن فضائلها ما أخرجه الدارقطني في «السنن» عن عائشة: أن رسول الله ﷺ، كان يصلي في كسوف الشمس والقمر، أربع ركعات وأربع سجدات، يقرأ في الركعة الأولى: العنكبوت، أو الروم، وفي الثانية يسٓ.

المناسبة: مناسبتها لما قبلها من وجوه[٣]:

١ - إنه ذكر في السورة السالفة استعلاء فرعون وجبروته، وجعله أهلها شيعاً، وافتتح هذه السورة بذكر المؤمنين، الذين فتنهم المشركون وعذبوهم على

---

(١) المراح.

(٢) الشوكاني وزاد المسير.

(٣) المراغي.

الإيمان دون ما عذب به فرعون بني إسرائيل، تسلية لهم بما وقع لمن قبلهم، وحثاً لهم على الصبر كما قال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٢ ـ إنه ذكر في السورة السابقة: نجاة موسى من فرعون، وهربه منه، ثم عوده إلى مصر رسولاً نبياً، ثم ظفره من بعد، بغرق فرعون وقومه، ونصره عليهم نصراً مؤزراً، وذكر هنا: نجاة نوح عليه السلام، وأصحاب السفينة، وإغراق من كذبه من قومه.

٣ ـ إنه نعي هناك على عبدة الأصنام والأوثان، وذكر: أنه يفضحهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، وهنا نعي عليهم أيضاً، وبيَّن أنهم في ضعفهم كضعف بيت العنكبوت.

٤ ـ هناك قص قصص قارون وفرعون، وهنا ذكرهما أيضاً، وبيَّن عاقبة أعمالهما.

٥ ـ ذكر هناك في الخاتمة: الإشارة إلى هجرة النبي ﷺ، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ وفي خاتمة هذه، أشار إلى هجرة المؤمنين، بقوله: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾.

تسميتها: سورة العنكبوت؛ لأن الله سبحانه، ضرب العنكبوت فيها مثلاً للأصنام المنحوتة، بقوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا. . .﴾ الآيات.

الناسخ والمنسوخ: سورة العنكبوت جميعها محكم[1] إلا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ الآية، فإنها نُسخت بالآية التي في سورة التوبة، وهي قوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾(٢٩).

والله أعلم

* * *

(١) الناسخ والمنسوخ لابن حزم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها[1]: أن الله سبحانه وتعالى، لما قال في أواخر السورة السالفة: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وكان في الدعاء إليه توقع الطعن والضرب في الحرب؛ لأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا مأمورين بالجهاد إن لم يؤمن المشركون، ويستجيبوا بالدعاء، وذلك مما يشق على بعض المؤمنين.. أردف ذلك بتنبيههم، إلى أن المؤمنين لا يتبين إيمانهم الحق إلا إذا فُتنوا.

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر فيما سلف: أن العبد لا يترك في الدنيا سدًى، وأن من ترك ما كلف به عذب.. أردف ذلك ببيان أن من يعترف بالآخرة ويعمل لها... لا يضيع الله عمله، ولا يخيب أمله.

ثم ذكر: أن طلب ذلك من المكلف، ليس لنفع يعود إلى الله تعالى، فهو غني عن الناس جميعاً، ثم أرشد إلى أن جزاء العمل الصالح، تكفير السيئات ومضاعفة الحسنة إلى عشر أمثالها، فضلاً منه ورحمة.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر أن العمل الصالح يكفر السيئات ويضاعف الحسنات أعقب ذلك بذكر البر بالوالدين والحدب عليهما؛ لأنهما سبب وجوده، فلهما عليه الإحسان والطاعة، فالإحسان إلى الوالد بالإنفاق، وإلى الوالدة بالإشفاق، إلا إذا حرَّضاه على الشرك وأمراه بالمتابعة على دينهما إذا كانا مشركين، فإنه لا يطيعهما في ذلك، ثم بين أن من يعمل الصالحات، يدخله الله في زمرة الأنبياء والأولياء، ويؤتيه من الكرامة والدرجة الرفيعة، والزلفى عنده، مثل ما أوتي هؤلاء.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية

---

(١) المراغي.

لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر القسمين الأولين من أقسام الناس الثلاثة، وهما المؤمن الصادق، والكافر المجاهر، بقوله: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ وبين أحوالهما بقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.. أردف ذلك بذكر القسم الثالث بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ...﴾ إلخ، واعلم أن الناس في الدين أقسام ثلاثة:

١ ـ مؤمن، حسن الاعتقاد والعمل.

٢ ـ كافر، مجاهر بالكفر والعناد.

٣ ـ ومذبذب بينهما، يظهر الإيمان بلسانه، ويبطن الكفر في فؤاده.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا...﴾ الآيتين، مناسبة هاتين الآيتين لما قبلهما: أن الله سبحانه، لما ذكر فيما سلف قسر الكفار للمؤمنين على الكفر، وإلزامهم إياه بالأذى والوعيد.. أردف ذلك ذكر دعوتهم إياهم إليه بالرفق واللين حيناً آخر، بنحو قولهم لهم: لا عليكم بذلك من بأس، إننا نحمل تبعات ذنوبكم، ثم رد مقالتهم ببيان كذبهم، فإن أحداً لا يحمل وزر أحد يوم القيامة، ثم ذكر أن المضلين يتحملون تبعات ضلالهم وإضلالهم، ويكون لهم العذاب على كلا الجرمين.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه لما أقام الأدلة على الوحدانية، ثم الرسالة بقوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.. شرع يبين الأصل الثالث، وهو البعث والنشور، وهذه الأصول الثلاثة، لا يكاد ينفصل بعضها من بعض في الذكر الإلهي، فأينما تجد أصلين منها تجد الثالث.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه[1] ابن أبي حاتم عن الشعبي، قال: نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا

(١) لباب النقول.

بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة، أنه لا يقبل منكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة فتبعهم المشركون فردوهم، فنزلت هذه الآية، فكتبوا إليهم أنه قد نزل فيكم كذا وكذا، فقالوا: نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه، فخرجوا، فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل، ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا...﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر[1]: أن ناساً ممن كانوا بمكة آمنوا، فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة، لما نزلت آية الهجرة، لا يُقبل منكم إسلام حتى تهاجروا، فخرجوا إلى المدينة، فتبعهم المشركون فردوهم فنزلت فيهم هذه الآيات، فكتبوا إليهم أنزلت فيكم آية كذا وكذا، فقالوا نخرج، فإن اتبعنا أحد قاتلناه، فخرجوا، فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل، ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾.

قال مقاتل: نزلت في مهجع، مولى عمر بن الخطاب، وكان أول قتيل من المسلمين يوم بدر، رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله، فقال النبي ﷺ يومئذٍ: «سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يُدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة» وجزع عليه أبواه وامرأته، فنزلت: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا...﴾ الآية.

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: نزلت في عمار بن ياسر، إذ كان يعذب في الله ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ...﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما رواه الترمذي وغيره: أن[2] هذه الآية نزلت في سعد ابن أبي وقاص وأمه حمنة بنت أبي سفيان، لما أسلم وكان من السابقين الأولين، وكان باراً بأمه، قالت له: ما هذا الدين الذي أحدثت، والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه،

---

(١) المراغي. (٢) المراغي.

أو أموت فتتعير بذلك أبد الدهر، يقال: يا قاتل أمه، ثم إنها مكثت يوماً وليلةً، لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل، فأصبحت وقد جهدت، ثم مكثت يوماً آخر وليلةً، لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها وقال: يا أماه لو كانت لك مئة نفس فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني، فكلي إن شئت، وإن شئت فلا تأكلي، فلما أيست منه أكلت وشربت، فأنزل الله هذه الآية آمراً بالبر بالوالدين والإحسان إليهما، وعدم طاعتهما في الشرك به، وقد أخرج هذا الحديث أحمد ومسلم وأبو داوود والنسائي أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ...﴾ الآية، روي أن هذه الآية نزلت في عياش ابن أبي ربيعة أسلم وهاجر، ثم أوذي وضُرب فارتد، وقد كان عذبه أبو جهل والحارث، وكانا أخويه لأمه، ثم عاش بعد ذلك دهراً وحسن إسلامه.

التفسير وأوجه القراءة

﴿الٓمٓ ۝١﴾تقدم أن[1] قلنا أنه يُنطق بالحروف المقطعة في أوائل السور بأسمائها ساكنةً، فيقال: ألف، لام، ميم، والحكمة في البداءة بها التنبيه، وطلب إصغاء السامعين إلى ما يُلقى بعدها، فإن الحكيم إذا خاطب من يكون مشغول البال، قدم على المقصود شيئاً غيره، ليلتفت المخاطب بسببه إليه، فحيناً يكون كلاماً مفهوماً كقول القائل: اسمع، أو ألق بالك إلي، وحيناً يكون في معنى الكلام المفهوم، كقولك يا علي، وحيناً يكون صوتاً غير مفهوم المعنى، كمن يُصفّر خلف إنسان ليلتفت إليه.

فالنبي ﷺ، وإن كان يقظ الجنان، فهو إنسان يشغله شأن عن شأن، فحسن عن الحكيم الخبير أن يقدم على المقصود حروفاً، هي كالمنبهات، لا يُفهم منها معنى، لتكون أتم في إفادة التنبيه؛ لأنه إذا كان المقدم قولاً مفهوماً، فربما ظن السامع أنه هو المقصود، ولا كلام للمتكلم بعد ذلك، ليصغي إليه، أما إذا سمع صوتاً لا معنى له، جزم بأن هناك كلاماً آخر سيرد بعد، فيُقبل إليه تمام الإقبال،

---

(١) المراغي.

ويُرهف السمع إلى ما سيأتي.

وقد ثبت بالاستقراء، أن كل سورة في أوائلها حروف التهجي، بُدئت بذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن نحو ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾، ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إلا ثـــلاث سور: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾.

وقد بُدئت هذه السورة بالحروف وليس فيها البَدْءُ بالقرآن، أو الكتاب من قِبَلِ أن فيها ذكر جميع التكاليف، وهي شاقة على النفس، فحسن البدء بحروف التنبيه للإيقاظ إلى ما يُلقى بعدها.

وقد[١] حصل التنبيه في القرآن، بغير الحروف التي لا يُفهم معناها كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ من قِبَلِ أن تقوى الله أمر عظيم، ومثلها تحريم ما أحل الله والهمزة في قوله: ﴿أَحَسِبَ﴾؛ أي: أظن ﴿ٱلنَّاسُ﴾ للاستفهام الإنكاري، وقوله: ﴿أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾؛ أي: أن يُهملوا[٢] ساد مسد مفعولي حسب، لاشتماله على مسند ومسند إليه، وقوله: ﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾ بألسنتهم ﴿ءَامَنَّا﴾ على تقدير الجار؛ أي: لأن يقولوا، أو بأن يقولوا، أو على أن يقولوا، وقوله: ﴿وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾؛ أي: لا يُمتحنون في دعواهم بما يظهرها ويثبتها، حال من نائب فاعل يتركوا؛ أي: أظنوا أنفسهم متروكين بلا فتنة وامتحان، بمجرد أن يقولوا آمنا بالله؛ أي: أظن الناس الذين نطقوا بكلمة الشهادة، أنهم يتركون غير ممتحنين بمجرد ذلك النطق، لا بل يُمتحنون ليتميَّز الراسخ في الدين من غيره، وكلاً نجازي بحسب مراتب عمله، يعني أن الله يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة، ورفض الشهوات، ووظائف الطاعات وأنواع المصائب في الأنفس والأموال، ليتميَّز المخلص من المنافق، والراسخ في الدين من المضطرب فيه، ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات، فإن مجرد الإيمان وإن كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب.

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

نزلت هذه الآية في قوم من المؤمنين، كعمار بن ياسر وعياش ابن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، فكانت صدورهم تضيق بذلك، ويجزعون، فتداركهم الله بالتسلية بهذه الآية.

قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب في هذه الجماعة، فهي في معناها، باقية في أمة محمد ﷺ، موجود حكمها بقية الدهر، وذلك أن الفتنة من الله باقية في ثغور المسلمين، بالأسر ونكاية العدو وغير ذلك .اهـ.

واعلم[1]: أن المقصود الأقصى من الخلق العبادة، والمقصد الأعلى في العبادة، حصول محبة الله، وكل من كان قلبه أشد امتلاء من محبة الله، فهو أعظم درجة عند الله، لكن للقلب ترجمان، وهو اللسان، وله مصدقات هي الأعضاء، ولها مزكيات، فإذا قال الإنسان باللسان: آمنت، فقد ادعى محبة الله في الجنان، فلا بد له من شهود، فإذا استعمل الأركان في الإتيان بما عليه من أركان الإسلام، حصل له على دعواه شهود مصدقات، فإذا بذل نفسه، وما له في سبيل الله تعالى، وزكّى أعماله بترك ما سوى الله تعالى، زكّى شهوده الذين صدقوه فيما قاله، فحينئذٍ يحرر اسمه في جرائد المحبين، ويقرر قسمه في أقسام المقربين.

قال الزجاج[2]: لفظ الآية استخبار، ومعناه: معنى التقرير والتوبيخ، والمعنى: أحسب الناس أن يتركوا بأن يقولوا آمنا، ولأن يقولوا آمنا؛ أي: أحسبوا أن يقنع منهم، بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط، ولا يمتحنون بما يبين حقيقة إيمانهم ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾؛ أي: لا يختبرون بما يعلم به صدق إيمانهم من كذبه.

ونحو الآية قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾.

والخلاصة[3]: أيظن الناس أنهم يتركون بمجرد قولهم آمنا، دون أن يبتلوا

---

(١) المراح.

(٢) زاد المسير.

(٣) المراغي.

بالفرائض البدنية والمالية، كالهجرة من الأوطان والجهاد في سبيل الله، ودفع الزكاة للفقراء والمحتاجين، وإغاثة البائسين والملهوفين.

ثم ذكر ما هو كالتسلية لهم، بما نال من قبلهم بالمشاق، فقال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ متصل بأحسب، أو بلا يفتنون؛ أي: وعزتي وجلالي لقد اختبرنا الأمم الذين من قبل هذه الأمة من الأنبياء، وأتباعهم؛ أي: ولقد اختبرنا الأمم السالفة من الأنبياء وأتباعهم، وأصبناهم بضروب من البأساء والضراء، فصبروا وعضوا على دينهم بالنواجذ، فابتلينا بني إسرائيل بفرعون وقومه، وأصابهم منه البلاء العظيم، والجهد الشديد. وابتلينا من آمن بعيسى بمن كذبه وتولى عنه، لا جرم ليصيبن أتباعك أذى شديد وجهد عظيم، ممن خالفهم وناصبهم العداء؛ أي[1]: هذه سنة الله في عباده، وأنه يختبر مؤمن هذه الأمة، كما اختبر من قبلهم من الأمم، كما جاء به القرآن في غير موضع من قصص الأنبياء، وما وقع مع قومه من المحن، وما اختبر الله به أتباعهم.

روى البخاري وأبو داود والنسائي عن خباب بن الأرت، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلنا ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد، لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»، وعن أبي سعيد الخدري، قال: دخلت على النبي ﷺ، وهو يوعك، فوضعت عليه يدي، فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله، ما أشدها عليك؟ قال: «إنا كذلك يضعّف لنا البلاء، ويضعف لنا الأجر»، قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء». قلت: ثم من؟ قال: «ثم الصالحون، إن أحدهم كان ليبتلى بالفقر، حتى ما يجد إلا العباءة يجوبها»

---

(١) الشوكاني.

ـ يمزقها ـ وإن أحدهم كان ليفرح بالبلاء، كما يفرح أحدكم بالرخاء»، ونحو الآية قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى بالامتحان ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في قولهم آمنا ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ منهم في ذلك، ومعنى[1]: علمه تعالى: وهو عالم بذلك، فيما لم يزل أن يعلمه موجوداً عند وجوده، كما علمه قبل وجوده أنه يوجد، والمعنى[2]: وليتميزن الصادق منهم من الكاذب، والمعنى: فوالله ليتعلقن علمه تعالى بالامتحان، تعلقاً حالياً، يتميز به الذين صدقوا في الإيمان بالله، والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب، ويرتب عليهم أجزيتهم من الثواب والعقاب، ولذلك قيل المعنى: ليميزن أو ليجازين يعني: أن بعضهم فسر العلم بالتمييز والمجازاة على طريق إطلاق السبب وإرادة المسبب، فإن المراد بالعلم تعلقه الحالي الذي هو سبب لهما.

قال ابن عطاء: يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء، فمن شكر في أيام الرخاء، وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين، ومن بطر في أيام الرخاء، وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين، اهـ.

واعلم: أن البلاء كالملح، يصلح وجود الإنسان بإذن الله تعالى، كما أن الملح يصلح الطعام، وإذا أحب الله عبداً جعله للبلاء عرضاً ـ أي: هَدَفاً ـ وكل محنة مقدمة لراحة، ولكل شدة نتيجة شريفة.

أي: وليظهرن الله سبحانه[3]، الصادقين منهم في إيمانهم من الكاذبين، بما يشبه الامتحان والاختبار، وليجازين كلا بما يستحق.

وخلاصة ما سلف: أيها الناس، لا تظنوا أني خلقتكم سدًى، بل خلقتكم لترقوا إلى عالم أعظم من عالمكم، وأرقى منه في كل شؤونه، ولا يتم ذلك إلا

---

(١) النسفي.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

بتكليفكم بعلم وعمل، واختباركم من آنٍ إلى آخر، بإنزال النوازل والمصائب في الأنفس، والأموال والثمرات، والتخلي عن بعض الشهوات وفعل التكاليف، من الزكاة والصيام والحج ونحوها، فحياتكم حياة جهاد وشقاء، شئتم أو أبيتم، وبمقدار ما تصبرون على هذا الاختبار، وتفوزون بالنجاح فيه، يكون مقدار الجزاء والثواب، وتلك سنة الله تعالى فيكم، وفي الأمم من قبلكم، وتاريخ الأديان مليء بأخبار هذا البلاء، وما لقيه المؤمنون من المكذبين بالرسل.

فإن قلت[1]: لِمَ غاير بين الأسلوبين، حيث عبَّر في قوله: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ بصيغة الفعل، وفي قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل؟

قلت: فيه نكتة، وهي أن اسم الفاعل يدل على ثبوت المصدر في الفاعل، ورسوخه فيه، والفعل الماضي لا يدل عليه؛ لأن وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالإسلام، وعن قوم مستمرين على الكفر، فعبر عن حق الأولين بلفظ الفعل، وفي حق الآخرين بالصيغة الدالة على الثبات، اهـ «زاده».

وقرأ الجمهور[2]: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾ بفتح الياء واللام في الموضعين؛ أي: ليظهرن الله الصادق والكاذب في قولهم، ويميز بينهم، وقرأ علي ابن أبي طالب وجعفر بن محمد في الموضعين: بضم الياء وكسر اللام من أعلم الرباعي، وقرأ الزهري **الأولى**: كقراءة الجماعة، **والثانية**: كقراءة علي، ذكره أبو حيان.

والمعنى عليه: فليعلمن الطائفتين في الآخرة بمنازلهم، أو يُعلمُ الناس بصدق من صدق، ويفضح الكاذبين بكذبهم، أو يضع لكل طائفة علامة تشتهر بها، وتتميز عن غيرها.

وأم في قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ﴾[3] منقطعة، فتقدر بالهمزة التي للاستفهام التوبيخي، وببل التي للإضراب الانتقالي من قصة إلى قصة، فالكلام انتقال من توبيخ الأول، على حسبانهم بلوغ الدرجات من غير مشاق، بل بمجرد الإيمان،

---

(١) زاده بتصرف.
(٢) الشوكاني.
(٣) الفتوحات.

فانتقل منه إلى توبيخ أشد، وهو حسبانهم أن يفوتوا عذاب الله ويفروا منه[1]، وهم وإن لم يحسبوا أنهم يفوتونه تعالى، ولم يحدثوا نفوسهم بذلك، لكنهم حيث أصروا على المعاصي، ولم يتفكروا في العاقبة، نُزِّلوا منزلة من يحسب ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ③﴾.

أي: بل أظن الذين ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ أي: الشرك والمعاصي ﴿أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾؛ أي: أن يفوتونا ويعجزونا قبل أن نؤاخذهم بما يعملون، وهو ساد مسد مفعولي حسب، لاشتماله على مسند ومسند إليه؛ أي: بل أحسب المشركون أنهم يفرون منا، ويفوتون عذابنا فلا نقدر على مجازاتهم بعصيانهم ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ أي: بئس وقبح الحكم الذي يحكمونه، حكمهم ذلك، وهو سبقهم إيانا وهربهم منا، فحُذف المخصوص بالذم.

قال ابن عباس: يريد الوليد بن المغيرة وأبا جهل والأسود والعاص بن هشام وعتبة والوليد بن عتبة وعقبة ابن أبي معيط وحنظلة ابن أبي سفيان والعاص بن وائل.

وحاصل معنى الآية[2]: أي بل أيظن هؤلاء الذين يجترحون الإثم والفواحش أن يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم، ولا نستطيع أن نُجري العدل فيهم، وما قضت به سنتنا في الظالمين بأخذهم أخذ عزيز مقتدر، بئس حكماً يحكمونه هذا الحكم، وكيف يدور ذلك بخلدهم وإنا لم نخلق الخلق سدى، بل ربيناهم وهذبناهم بضروب من التهذيب والعلم، لعلهم يلمحون في هذا العالم نور جمالي وجلالي.

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ﴾ ويتوقع ويخاف ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ سبحانه؛ أي: ملاقاة جزائه ثواباً أو عقاباً، فليستعد لأجل الله، باختياره من الأعمال ما يؤدي إلى حسن الثواب، واجتنابه عما يسوقه إلى سوء العذاب، والفاء في قوله: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ تعليل للجواب المحذوف، والأجل عبارة عن غاية زمان ممتد عُيِّنت لأمر من

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

الأمور؛ أي: فإن الوقت الذي عينه تعالى لذلك ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة، وكائن ألبتة، لأن[1] أجزاء الزمان على الانقضاء والانصرام دائماً، فلا بد من إتيان الوقت المعيَّن، وإتيانه موجب لإتيان اللقاء والجزاء ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم من الأعمال الظاهرة والباطنة، فلا يفوته شيء ما، فبادروا العمل قبل الفوت، وفي الآية من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب ما لا يخفى.

ومعنى الآية[2]: أي من كان يطمع في ثواب الله يوم لقائه فليبادر إلى فعل ما ينفعه، وعمل ما يوصله إلى مرضاته، ويُبعده من سخطه، فإن أجل الله الذي أجَّله لبعث خلقه للجزاء لآت لا محالة، والله هو السميع لأقوال عباده، العليم بعقائدهم وأعمالهم، ويجازي كلاً بما هو أهل له، وفي هذا تنبيه إلى تحقق حصول المرجو والمخوف وعداً ووعيداً.

ثم بيَّن سبحانه أن التكليف بجهاد النفس وجهاد الحرب ليس بنفع يعود إليه، بل لفائدة المكلف، فقال: ﴿وَمَن جَاهَدَ﴾ نفسه بالصبر على طاعة الله تعالى، وجاهد الكفار بالسيف، وجاهد الشيطان بدفع وساوسه، والمجاهدة استفراغ الجهد - (بالضم)؛ أي: الطاقة - في مدافعة العدو، كما سيأتي.

﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لا لله سبحانه؛ لأن منفعة مجاهدته عائدة إليها أي: ثواب ذلك له لا لغيره، ولا يرجع إلى الله من نفع ذلك شيء. ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: فلا حاجة به إلى طاعتهم ومجاهدتهم، وإنما أمرهم بها رحمة عليهم، لينالوا الثواب الجزيل، كما قال: خلقت الخلق ليربحوا عليَّ لا لأربح عليهم فالعالمون هم الفقراء إلى الله تعالى، والمحتاجون إليه في الدارين، وهو مستغن عنهم.

وحاصل معنى الآية: أي ومن بذل جهده في جهاد عدو، أو حرب نفس، فإنما يجاهد لنفع نفسه؛ لأنه إنما يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده،

---

(1) روح البيان.
(2) المراغي.

وهرباً من عقابه، وليس بالله إلى فعله حاجة، فهو غني عن جميع خلقه، له الملك وله الأمر، يفعل ما يشاء، ونحو الآية قوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ وقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾.

ثم بيَّن بالتفصيل جزاء المطيع، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لنسترن عنهم ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ من الشرك والمعاصي بالإيمان والتوبة. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ الجزاء على العمل ﴿ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الصالحات، فتكفير السيئات في مقابلة الإيمان، والجزاء بالأحسن في مقابلة العمل الصالح، فالمؤمن يدخل الجنة بإيمانه وتكفَّر سيئاته به، فلا يُخلَّد في النار، فحينئذ يكون الجزاء الأحسن غير دخول الجنة، وهو ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فللعبد ثلاثة أمور من أصناف حسناته[1]:

١ ـ عمل قلبه: فهو لا يُرى ولا يسمع، وإنما يُعلَم.

٢ ـ وعمل لسانه: فهو يُسمع.

٣ ـ وعمل أعضائه: وهو يُرى. فإذا أتى بهذه الأشياء الثلاثة، يجعل الله لمسموعه مالا أذن سمعت، ولمرئيِّه ما لا عين رأت، ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب بشر.

والمراد نجزينهم أحسن جزاء أعمالهم، بأن نُعطي بواحد عشر أمثاله أو أكثر، لا جزاء أحسن أعمالهم فقط، والمراد بأحسن هنا مجرد الوصف. قيل: لئلا يلزم أن جزاءهم بالحسن مسكوت عنه، وهذا ليس بشيء؛ لأنه من باب الأولى، فإنه إن جازاهم بالأحسن جازاهم بما دونه، فهو من باب التنبيه على الأدنى بالأعلى اهـ. «سمين».

ومعنى الآية[2]: أي والذين آمنوا بالله ورسوله، وصح إيمانهم حين

---

(١) المراح. (٢) المراغي.

ابتلائهم، فلم يرتدوا عنه بأذى المشركين لهم، وعملوا صالح الأعمال فأدوا فرائضه، وقاموا بها حق القيام، فواسوا البائس الملهوف، وأغاثوا المظلوم، وقدموا لوطنهم ما هو شديد الحاجة إليه، فرأبوا صدعه وسدوا ثغره، وكانوا للمؤمنين سنداً ومعيناً حتى يصيروا كالبنيان يشد بعضه بعضاً. . لنكفرن عنهم سيئاتهم التي فُرِّطت منهم في شركهم، أو صدرت منهم لماماً في إيمانهم، وندموا على ما اجترحوه منها، ولنثيبنهم على صالح أعمالهم حين إسلامهم أحسن ما كانوا يعملون، فنقبل القليل من الحسنات، ونثيب على الواحدة منها عشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف، ونجزي على السيئة بمثلها أو نعفو عنها، ونحو الآية قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾.

فإن قلت: إن قوله: ﴿عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ يستدعي وجود السيئات حتى تكفَّر، وقوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يقتضي عدمها، فمن أين تكون لهم سيئة؟

قلت: الجواب عن ذلك أن يقال: إنه ما من مكلف إلا وله سيئة، أما غير الأنبياء فظاهر، وأما الأنبياء فلأن ترك الأفضل منهم كالسيئة من غيرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ اهـ. «كرخي».

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾؛ أي: أمرنا الإنسان بالبر بوالديه والعطف عليهما؛ لأنهما سبب وجود الولد؛ أي[1]: أمرناه بأن يُحسن إليهما بكل ما يمكنه من وجوه الإحسان، فيشمل ذلك إعطاء المال والخدمة، ولين القول وعدم المخالفة لهما وغير ذلك، وانتصاب حسنا على أنه نعت لمصدر محذوف؛ أي إيصاءً حسناً على المبالغة، أو على حذف المضاف؛ أي: ذا حسن، هذا عند البصريين، وأما عند الكوفيين فهو منصوب على أنه مفعول لفعل محذوف، تقديره: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه حُسْناً.

وقرأ الجمهور ﴿حُسۡنٗاۖ﴾ بضم الحاء وإسكان السين، وقرى أبو رجاء وأبو

---

(١) الفتوحات.

العالية والضحاك وابن مسعود: ﴿حسنا﴾ بفتحهما، وقرأ أبي بن كعب وأبو مجلز وعاصم الجحدري: ﴿إحسانا﴾، قال الزجاج[١]: من قرأ حسنا بضم الحاء وإسكان السين فمعناه: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن، ومن قرأ إحساناً، فمعناه: ووصينا الإنسان أن يحسن إلى والديه. وكان (حسنا) أعم في البر.

فإن قلت: ذكر هنا[٢] ﴿حُسْنًا﴾ وفي الأحقاف ﴿إِحْسَٰنًا﴾ حيث قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ الآية، وحذفه في لقمان، حيث قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ مع أن الثلاثة نزلت في سعد بن مالك، وهو سعد ابن أبي وقاص على خلاف فيه، فما الفرق بينه وبينهما؟

قلت: ذكر هنا وفي الأحقاف؛ لأن الوصية فيهما جاءت في سياق الإجمال فحسن ذكره، وفي لقمان جاءت مفصلة لما تقدمهما من تفصيل كلام لقمان لابنه، ولأن قوله بعدها: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ قائم مقامه، فحسن حذفه.

فائدة: ويجب على الأبوين أن لا يحملا الولد على العقوق بسبب الجفاء وسوء المعاملة، ويعيناه على البر، فمن البر وهما حيان أن ينفق عليهما، ويمتثل أمرهما في الأمور المشروعة، ويجامل في معاملتهما، ومن البر بعد موتهما التصدق لهما، وزيارة قبرهما في كل جمعة، والدعاء لهما في أدبار الصلاة، وتنفيذ عهودهما ووصاياهما.

وقوله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ مقول لقول محذوف، تقديره؛ أي[٣]: وقلنا له: وإن جاهداك وكلفاك أيها الإنسان ﴿لِتُشْرِكَ بِى﴾؛ أي: على أن تشرك بي ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أي: بآلهيته، وهذا القيد[٤] لموافقة الواقع فلا مفهوم له؛ لأنه ليس ثم إلٰه لك به علم وإلٰه لا علم لك به، بل الإله واحد، وقيل: عبَّر بنفي العلم عن

---

(١) زاد المسير.
(٢) فتح الرحمٰن.
(٣) روح البيان.
(٤) الفتوحات.

نفي الإله، لأن ما لا يُعلم صحته لا يجوز اتباعه، فكيف بما عُلم بطلانه.

والمعنى: وقلنا له: وإن طلبا منك وألزماك أن تشرك بي إلهاً ليس لك به علم بكونه إلهاً ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾؛ أي: لا توافقهما في الإشراك، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما ورد في الحديث الصحيح، ويدخل فيه الأستاذ والأمير إذا أمر بغير معروف وهو ما أنكره الشرع، فلا طاعة لهما.

والخلاصة: أي وإن حرَّضاك على أن تتعابعهما على دينهما إذا كانا مشركين فإياك أن تفعل ذلك.

فإن قلت[1]: لِمَ قال هنا ﴿لِتُشْرِكَ بِي﴾ باللام، وقال في لقمان: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ﴾ بعلى؟

قلت: قال هنا باللام، موافقةً للفظ اللام في قوله: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ وقال في لقمان بعلى، حملاً على المعنى بطريق التضمين، إذ التقدير: وإن حملاك على أن تشرك بي.

وإذا لم تجز[2] طاعة الوالدين في هذا المطلب، مع المجاهدة منهما له، فعدم جوازها مع مجرد الطلب بدون مجاهدة منهما أولى، ويُلحق بطلب الشرك منهما سائر معاصي الله سبحانه، فلا طاعة لهما فيما هو معصية لله، كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ.

﴿إِلَيَّ﴾ لا إلى غيري ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾؛ أي: رجوعكم يوم القيامة جميعاً؛ أي: مرجع من آمن منكم ومن أشرك، ومرجع من برَّ بوالديه ومن عقّ بهما، ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾؛ أي: فأخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا، ثم أجازيكم على أعمالكم المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فلا تظنوا أني غائب عنكم، وآباؤكم حاضرون فتوافقوا الحاضرين في الحال، فإني حاضر معكم، أعلم ما تفعلون ولا أنسى، فأنبئكم بجميعه، فأجازيكم عليه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

---

(١) كرماني بتصرف.

(٢) الشوكاني.

عبَّر[1] عن إظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في أنهما سببان للعلم؛ أي: أظهر لكم على رؤوس الأشهاد، وأعلمكم أي شيء كنتم تفعلون في الدنيا على الاستمرار، وأرتب عليه جزاءه اللائق به. ففي الآية بشارة للمؤمنين ونذارة للكافرين، والموصول في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بما جاء به محمد ﷺ ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في محل رفع على الابتداء خبره ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: في زمرة الراسخين في الصلاح، ولنحشرنهم معهم، وهم الأنبياء والأولياء، وكل من صلحت سيرته مع الله، والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين، وغاية مأمول الأنبياء والمرسلين.

والمعنى: أي والذين آمنوا بالله، وصدقوا رسوله، وعملوا ما يصلح نفوسهم، ويزكي أرواحهم ويطهرها، لندخلنهم في زمرة الصالحين، ونجعلهم في عدادهم، فندخلهم الجنة معهم.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ مبتدأ باعتبار مضمونه، والخبر جملة يقول في قوله: ﴿مَن يَقُولُ﴾؛ أي: وبعض الناس يقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾؛ أي: أقررنا بواحدانية الله ﴿فَإِذَآ أُوذِيَ﴾ مجهول آذى يؤذي، كما سيأتي في مباحث الصرف؛ أي: إذا فُتن ﴿فِي ٱللَّهِ﴾؛ أي: في شأن الله تعالى ولأجله.

والأذى[2]: ما يصل إلى الإنسان من ضرر، إما في نفسه أو في جسمه، أو في حرمه أو في ماله، كما يفعله أهل الكفر مع أهل الإيمان، وكما يفعله أهل المعاصي مع أهل الطاعات، من إيقاع الأذى عليهم لأجل الإيمان بالله والعمل بما أمر به.

﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ التي هي ما يوقعونه عليه من الأذى ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه في الآخرة في الشدة والهول، ويستولي عليه خوف البشرية، إذ من لم يكن في حماية خوف الله وخشيته، يفترسه خوف الخلق، فيساوي بين العذابين، فيخاف العاجل الذي هو ساعة، ويهمل الآجل الذي هو باق لا ينقطع، فيرتد عن

---

(١) روح البيان. (٢) روح البيان.

الدين، ولو علم شدة عذاب الله، وأن لا قدر لعذاب الناس عند عذابه تعالى لما ارتد، ولو قطع إرباً إرباً، ولما خاف من الناس وعذابهم، وفي الحديث «من خاف الله خوف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله يخوِّفه الله من كل شيء».

وقال بعضهم: جعل فتنة الناس في الصرف عن الإيمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر.

وحاصل المعنى[1]: أي ومن الناس فريق يقول: آمنا بالله وأقررنا بوحدانيته، فإذا آذاه المشركون لأجل إيمانه جعل فتنة الناس في الدنيا كعذاب الله في الآخرة، فارتد عن إيمانه ورجع إلى كفره، وكان يمكنه أن يصبر على الأذى، ويجعل قلبه مطمئناً بالإيمان، ولكنه جعل فتنة الناس صارفةً له عن الإيمان، كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر، وعذاب الناس له دافع، وعذاب الله ليس له دافع، وعذاب الناس يترتب عليه ثواب عظيم، وعذاب الله بعده العقاب الأليم.

والمشقة إذا كانت مستتبعة للراحة العظيمة تطيب النفس لها ولا تعدها عذاباً، كما تُقطع السلعة المؤذية ولا تُعدُّ عذاباً، واعلم أن الأقسام ثلاثة: مؤمن ظاهراً وباطناً، ومؤمن ظاهراً لا باطناً، وكافر ظاهراً وباطناً .اهـ «رازي» كما مر.

قال الزجاج: ينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذى في الله، أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه وأبو يعلي وابن حبان وأبو نعيم والبيهقي وغيرهم، عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أُخفتُ في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليَّ ثالثة، وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما وارى إبط بلال».

وخلاصة ذلك: أن من الناس من يدَّعون الإيمان بألسنتهم، فإذا جاءتهم محنة وفتنة في الدنيا، اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى منهم، فارتدوا عن الإسلام، ورجعوا إلى الكفر الذي كان متغلغلاً في حنايا ضلوعهم، وشغاف

---

(١) المراغي.

قلوبهم، ونحو الآية قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾.

﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي، لئن جاء نصر قريب من عند ربك للمؤمنين، وفتح وغلبة للأعداء، وغنيمة يغنمونها منهم، فالآية مدنية ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ بضم اللام[1] نظراً إلى معنى من، كما أن الإفراد فيما سبق بالنظر إلى لفظه، وقرىء: ﴿ليقولن﴾ بفتح اللام، ذكره أبو معاذ النحوي والزمخشري، ذكره أبو حيان في «البحر».

أي: ليقولن هؤلاء المنافقون: ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ داخلين ﴿مَعَكُمۡۚ﴾ في دينكم ومعاونين لكم على عدوكم فأشركونا في المغنم، وهم كاذبون فيما يدعون. ونحو الآية قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾.

وهم ناس من ضعفة المسلمين، كانوا إذا مسهم أذى من الكفار وافقوهم، وكانوا يكتمونه من المسلمين، فرد الله عليهم وتوعدهم، وذكر أنه عليم بما في صدورهم، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، فقال: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه ﴿بِأَعۡلَمَ﴾ منهم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: بما في قلوبهم من الإخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والإخفاء، وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة.

والهمزة في قوله: ﴿أَوَلَيۡسَ﴾ للاستفهام التقريري، المضمن للتوبيخ، داخلة على محذوف تقديره: أيحسبون أن الله لا يعلم ما في صدورهم من النفاق، وليس الله سبحانه بأعلم بما في صدور العالمين، وبما في قلوب المنافقين وما تكنه صدورهم، وإن أظهروا لكم الموافقة على الإيمان، فكيف يخادعون من لا تخفى عليه خافية، ولا يستتر عنه سر، والمعنى: قد علم ما انطوت عليه الضمائر من خير أو شر.

---

(١) روح البيان.

والظاهر[1]: أن هذا النظم من قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ إلى قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ نازل في المنافقين، لما يظهر من السياق، ولقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالإخلاص ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ سواء كان نفاقهم بأذية الكفرة أو لا، فإنها لتقرير ما قبلها وتأكيده؛ أي: ليميزن الله بين الطائفتين، ويُظهر إخلاص المخلصين ونفاق المنافقين، فالمخلص الذي لا يتزلزل بما يصيبه من الأذى. ويصبر في حق الله الصبر، ولا يجعل فتنة الناس كعذاب الله، والمنافق الذي يميل هكذا وهكذا، فإن أصابه أذى من الكافرين وافقهم وتابعهم، وكفر بالله عز وجل، وإن خفقت ريح الإسلام وطلع نصره ولاح فتحه رجع إلى الإسلام، وزعم أنه من المسلمين.

والمعنى: أي وعزتي وجلالي، ليختبرن الله[2] عباده بالسراء والضراء، ليميز صادق الإيمان من المنافق، من يطيع الله في كل حال يصبر على اللاواء إذا مسته، ويعدها اختباراً له، وأنه سيثاب عليها إذا هو فوّض فيها إليه. ومن يعصيه إذا حزبه الأمر، واشتد به الخطب لا يجد الصبر إلى قلبه سبيلاً، ونحو الآية قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ وقوله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾.

فإن قلت[3]: لِمَ غاير بين أسلوب الجملتين، حيث عبر في الأولى بالفعل حيث قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وفي الثانية باسم الفاعل، حيث قال: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؟

قلت: للتفنن أو لرعاية الفاصلة، كما في «البيضاوي».

واعلم[4]: أن حقيقة الإيمان نور، إذا دخل قلب المؤمن لا تخرجه أذية الخلق، بل يزيد بالصبر على أذاهم، والتوكل على الله، فإنه نور حقيقي، أصلي ذاته، لا يتكدر بالعوارض، كنور الشمس والقمر فإنهما إذا طلعا يزداد نورهما

---

(١) الشوكاني.
(٢) المراغي.
(٣) الفتوحات بتصرف.
(٤) روح البيان.

بالارتفاع، ولا يقدر أحد أن يطفىء نورهما. وكنور الحجر الشفاف المضيء بالليل، فإنه لا يقبل الانطفاء مثل الشمعة؛ لأن نوره أصلي، ونور الشمعة عارضي.

ثم إن في المحن والأذى تفاوتاً، فمن كانت محنته بموت قريب من الناس، أو فقد حبيب من الخلق أو نحوه.. فحقير قدره وكثير من الناس مثله، ومن كانت محنته لله وفي الله.. فعزيز قدره وقليل مثله، وقد كان كفار مكة يؤذون النبي ﷺ بأنواع الأذى فصبر.

ولما ذكر حال المؤمنين والمنافقين ذكر مقالة الكافرين قولاً واعتقاداً، وهم رؤساء قريش فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله ورسوله، يعني: كفار مكة كالوليد بن المغيرة وأبي جهل وأصحابهما ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسوله كعلي وسلمان وغيرهما، واللام للتبليغ؛ أي: قال كفار مكة مخاطبين للمؤمنين استمالة ليرتدوا ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾؛ أي: اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين من عبادة الأوثان، عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر، تنزيلاً للمسلك منزلة السالك فيه.

﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾؛ أي: ذنوبكم عنكم يوم القيامة، إن كان اتباع سبيلنا خطيئةً، تؤاخذون بها عند البعث والنشور، كما تقولون؛ أي: لا بعث ولا مؤاخذة، وإن وقع فرضاً نحمل آثامكم منكم.

واللام: في ﴿لنحمل﴾ لام الأمر، كأنهم أمروا أنفسهم بذلك، وقال الفراء والزجاج: هو أمر في تأويل الشرط والجزاء؛ أي: إن تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم، وقرأ الحسن وعيسى بكسر لام الأمر، وهو لغة الحجاز.

ثم رد الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ﴾. قرأ[1] الجمهور: ﴿مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم﴾ وقرأ داوود ابن أبي هند، فيما ذكر أبو الفضل الرازي ﴿من خطيئتهم﴾ بالإفراد، قال: ومعناه الجنس، ودل على ذلك إضافته لضمير

---

(١) البحر المحيط.

الجمع، وذكر ابن خالويه وأبو عمرو الداني، أن داوود هذا قرأ: ﴿من خطيئاتهم﴾ بجمع خطيئة جمع السلامة، بالألف والتاء، وذكر ابن عطية عنه أنه قرأ: ﴿من خطيئهم﴾ بفتح الطاء وكسر الياء، وينبغي أن يُحمل كسر الياء على أنها همزة سُهِّلت بين بين فأشبهت الياء؛ لأن قياس تسهيلها هو ذلك.

أي: والحال أنهم ليسوا بحاملين شيئاً من خطاياهم التي التزموا أن يحملوها كلها، فمن الأولى بيانية، والثانية مزيدة للاستغراق، ثم وصفهم الله سبحانه بالكذب في هذا التحمل، فقال: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في مقالتهم فيما ضمنوا به من حمل خطاياهم.

ومعنى الآية[1]: أي وقال الكافرون من قريش، لمن آمن منهم، واتبعوا الهدى: ارجعوا إلى ديننا الذي كنتم عليه، واسلكوا طريقنا، وإن كانت عليكم آثام فعلينا تبعتها، وهي في رقابنا، كما يقول القائل: افعل هذا وخطيئتك في رقبتي، فرد الله عليهم كذبهم، فقال: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ﴾؛ أي: وإن الكفرة لا يحملون ذنوب المؤمنين إذا اتبعوهم في الكفر يوم القيامة، فإن أحداً لا يحمل وزر أحد، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ وقال: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾.

ثم أكد ما سبق وقرره بقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما قالوا من أنهم يحملون عنهم الخطايا. قال صاحب «الكشاف»: وترى[2] من المتسمين بالإسلام من يستن بأولئك، فيقول لصاحبه، إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم كالقتل: افعل هذا وإثمه في عنقي، وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم .اهـ.

وبعد أن بين عدم منفعة كلامهم لمخاطبيهم.. بيَّن ما يستتبعه ذلك القول من المضرة لأنفسهم، فقال: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي، ليحملن هؤلاء القائلون ذنوب أنفسهم التي عملوها يوم القيامة، والتعبير عنها بالأثقال

---

(١) المراغي. (٢) الكشاف.

للإيذان بأنها ذنوب عظيمة ﴿و﴾ يحملون ﴿أثقالاً﴾ وذنوباً أخرى لإضلالهم ﴿مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾؛ أي: مع أثقال ضلالهم، فيعذبون بضلال أنفسهم وإضلال غيرهم، من غير أن ينقص من أثقال من أضلوه شيء ما أصلاً، فتكون أثقال المضلين زائدةً على أثقال الضالين؛ لأن من دعا إلى ضلالة فاتُّبع، فعليه حمل أوزار الذين اتبعوه، وكذا من سن سنةً سيئة، كما ورد في حديث أبي هريرة الثابت في «صحيح مسلم» وغيره.

ثم ذكر أنهم يُسألون يوم القيامة عن افترائهم على ربهم، فقال: ﴿وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ سؤال تقريع وتبكيت لِمَ فعلوه، ولأيِّ حجة ارتكبوه ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: عما كانوا يختلقونه من الأكاذيب والأباطيل التي أضلوا بها من قولهم، ولنحمل خطاياكم، فإنه صادر من اعتقادهم أن لا خطيئة في الكفر، ومن اعتقادهم أن لا حشر، ويقال لهم: احملوا خطاياهم فلا يحملون، ويقال لهم: افتريتم في الدنيا بحملها، فأين ذلك الوعد والافتراء الآن.

قصص نوح عليه السلام

ثم أجمل سبحانه قصة نوح عليه السلام تصديقاً لقوله في أول السورة: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ للدعوة إلى التوحيد وطريق الحق، من قبل إرسالنا إياك يا محمد ﴿نُوحًا﴾ واسمه عبد الغفار، كما ذكره السهيلي في كتاب «التعريف»، وعبد الشاكر، كما ذكره أبو الليث في «البستان»، وسمي نوحاً لكثر نوحه وبكائه من خوف الله تعالى، وُلد بعد مضيّ ألف وست مئة واثنتين وأربعين سنة من هبوط آدم عليه السلام، قال في «التحبير»[1] روى ابن جرير عن ابن عباس، أن نوحاً بعث وهو ابن ثلاث مئة وخمسين، وهو نوح بن لمك بفتح اللام وسكون الميم والكاف ابن متوشلخ - بضم الميم وفتح التاء الفوقية، والواو وسكون الشين وكسر اللام وبالخاء المعجمة، كما ضبطه ابن الأثير - بن إدريس بن بزد بن أهاليل بن قيتان بن أنوش بن شيث بن آدم، وبين

---

(١) التحبير.

آدم ونوح ألف سنة، اهـ.

وفي «القرطبي»: وكان اسم نوح السكن، وإنما سمي السكن؛ لأن الناس بعد آدم سكنوا إليه، فهو أبوهم. ووُلد له سام وحام ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم، وفي كل هؤلاء خير، وولد حام القبط والسودان وبربر، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، وليس في كل هؤلاء خير، وقال ابن عباس: في ولد سام بياض وأدمة، وفي ولد حام سواد وبياض قليل، وفي ولد يافث الصفرة والحمرة، وكان له ولد رابع وهو كنعان الذي غرق، والعرب تسميه يام.

﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وهم أهل الدنيا كلها، والفرق[1] بين عموم رسالته وبين عموم رسالة نبينا ﷺ: أن نبينا ﷺ مبعوث إلى من في زمانه، وإلى من بعده إلى يوم القيامة، بخلاف نوح، فإنه مرسل إلى جميع أهل الأرض في زمانه لا بعده. كما في «إنسان العيون».

وهو أول نبي بُعث إلى عبدة الأصنام؛ لأن عبادة الأصنام أول ما حدثت في قومه، فأرسله الله إليهم ينهاهم عن ذلك، وأيضاً أول نبي بُعث إلى الأقارب والأجانب، وأما آدم فأول رسل الله إلى أولاده بالإيمان به وتعليم شرائعه، وهو؛ أي: نوح عليه السلام أبونا الأصغر، وقبره بكرك (بالفتح) من أرض الشام، كما في «فتح الرحمٰن». وفي «الخطيب»:[2] وأما قبره: فقد روى ابن جرير والأزرقي حديثاً مرسلاً، أن قبره بالمسجد الحرام، وقيل: ببلد البقاع يُعرف اليوم بكرك نوح، وهناك جامع قد بُني بسبب ذلك، اهـ.

﴿فَلَبِثَ﴾ نوح عليه السلام؛ أي: مكث وأقام ﴿فِيهِمْ﴾؛ أي: في قومه بعد الإرسال ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته فلم يجيبوه، والألف العدد المخصوص، سمي بذلك لكون الأعداد فيه مؤلفة، فإن الأعداد أربعة آحاد وعشرات ومئون وألوف، فإذا بلغ الألف فقد ائتلف وما بعده ويكون مكرراً، قال

---

(١) روح البيان.　　(٢) الخطيب.

بعضهم: الألف من ذلك؛ لأنه مبدأ النظام ﴿إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ قال ابن عباس: كان عمر نوح عليه السلام ألفاً وخمسين سنة بُعث على رأس أربعين سنة، ولبث في قومه تسع مئة وخمسين سنة، وعاش بعد الطوفان ستين سنة.

والعام[1] كالسنة، لكن كثيراً ما تُستعمل السنة في الحول الذي فيه الشدة والجدب، ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة، والعام فيما فيه الرخاء.

فإن قلت: لِم غاير بين تمييز العددين، فقال في الأول: سنة، وفي الثاني عاماً؟

قلت: فراراً من ثقل التكرار؛ لأن التكرار في الكلام الواحد مجتنب في البلاغة، إلا إذا كان لغرض من تفخيم أو تهويل أو تنويه، ذكره أبو حيان.

فإن قلت: لِمَ خص لفظ العام بالخمسين والألف بالسنة ولم يعكس؟

قلت: إيذاناً بأن نوحاً عاش بعد إغراق قومه ستين سنة في طيب زمان وصفاء عيش، وراحة بال، والعرب تعبر عن الخصب بالعام، وعن الجدب بالسنة .اهـ «سمين». وقيل: سمى السنة عاماً لعوم الشمس في جميع بروجها. والعوم السباحة، ويدل على معنى العوم قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

فإن قلت: ما الفائدة في ذكر مدة لبثه؟

قلت: كان رسول الله ﷺ يضيق صدره بسبب عدم دخول الكفار في الإسلام، فقال الله سبحانه له: إن نوحاً لبث هذا العدد الكثير، ولم يؤمن من قومه إلا القليل، فصبر وما ضجر، فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد أمتك .اهـ «رازي».

فإن قلت[2]: ما فائدة العدول إلى ما قاله عن تسع مئة وخمسين مع أنه عادة الحُسَّاب؟

قلت: عدل إلى ما قاله؛ لأن: الاستثناء يدل على التحقيق، وتركه قد يُظنُّ

---

(١) روح البيان. (٢) الخازن.

به التقريب، فهو كقول القائل: عاش فلان مئة سنة، فقد يُتوهم السامع أنه يريد مئة سنة تقريباً لا تحقيقاً. فإن قال: مئة سنة إلا شهراً.. زال ذلك التوهم وفُهم منه التحقيق، والاستثناء من الألف استُدل به على جواز الاستثناء من العدد، وفي كونه ثابتاً من لسان العرب خلاف مذكور في النحو، وقد عمل الفقهاء المسائل على جواز ذلك.

ومعنى الآية[1]: فلبث بين أظهرهم تسع مئة وخمسين سنة يخوِّفهم من عذاب الله، ولا يلتفتون إليه، وإنما ذكر الألف تخييلاً لطول المدة إلى السامع؛ أي: ليكون أفخم في أذنه، ثم أخرج منها الخمسين إيضاحاً لمجموع العدد.

والفاء في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ للتعقيب؛ أي: أغرقهم عقيب تمام المدة المذكورة الماء الكثير، المحيط بهم، المرتفع على أعلى جبل أربعين ذراعاً، أو خمسة عشر ذراعاً. ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾؛ أي: والحال أنهم مستمرون على ظلمهم وكفرهم.

قال ابن عباس: مشركون، والطوفان ـ كما سيأتي ـ يُطلق على كل ما يطوف بالشيء ويحيط به، على كثرة وشدة وغلبة، من السيل والريح والظلام والقتل والموت والطاعون والجدري والحصبة والمجاعة، وقد غلب على طوفان الماء، وقد طاف الماء ذلك اليوم بجميع الأرض، والحال أنهم مستمرون على الظلم والكفر، لم يستمعوا إلى داعي الحق هذه المدة المتمادية، ولم ينجع فيهم ما وعظهم به نوح، وذكَّرهم هذه المدة بطولها ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾؛ أي: فأنجينا نوحاً من الغرق والابتلاء بمشاق الكفرة ﴿و﴾ أنجينا ﴿أصحاب السفينة﴾؛ أي: ومن ركب معه فيها من أولاده وأتباعه.

واختُلف في عددهم على أقوال: قيل[2]: كانوا ثمانين، وقيل: ثمانيةً وسبعين، وقيل: عشرة، نصفهم ذكور ونصفهم أناث. ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾؛ أي: السفينة ﴿ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾؛ أي: عبرةً عظيمةً لمن بعدهم من الأهالي يتعظون بها، أو دلالةً

---

(١) روح البيان.

(٢) البيضاوي.

يستدلون بها على قدرة الله سبحانه، وقيل: إن الضمير في جعلناها عائد إلى الواقعة، أو إلى النجاة، أو إلى العقوبة بالغرق، قال أبو الليث في «تفسيره»: وقد بقيت السفينة على الجودي إلى قريب من وقت خروج النبي ﷺ، وبين الطوفان والهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وتسع مئة وأربع وسبعون سنة، على ما في «فتح الرحمٰن»، وكان ذلك علامةً وعبرةً لمن رآها ولمن لم يرها؛ لأن الخبر قد بلغه، وقال بعضهم: سفينة نوح أول سفينة في الدنيا، فأبقيت السفن آيةً وعبرةً للخلائق وعلامةً من سفينة نوح، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾.

روي[1]: أن نوحاً بُعث على رأس الأربعين، ودعا قومه تسع مئة وخمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان ستين عاماً حتى كثر الناس وفشوا، وذلك من أولاد حام وسام ويافث؛ لأنهم لما خرجوا من السفينة ماتوا كلهم إلا أولاد نوح، كما في «البستان»، فيكون عمره ألفاً وخمسين عاماً، وهو أطول الأنبياء عمراً، فلما حضره الموت قال له ملك الموت: يا أطول الأنبياء عمراً، كيف وجدت الدنيا؟ قال: وجدتها كدار لها بابان دخلت وخرجت. وما أحسن ما قيل فيها:

أَلاَ إِنَّمَا الدُّنْيَا كَظِلٍّ سَحَابَةٍ ... أَظَلَّتْكَ يَوْماً ثُمَّ عَنْكَ اضْمَحَلَّتِ
فَلاَ تَكُ فَرْحَاناً بِهَا حِيْنَ أَقْبَلَتْ ... وَلاَ تَكُ جَزْعَاناً بِهَا حِيْنَ وَلَّتِ

قال الحسن: أفضل الناس يوم القيامة المؤمن المعمر، انتهى. اللهم أركبنا جواري الشريعة، وأوصلنا بها إلى صحارى الجنة، فليجِدَّ مَنْ وقع في طوفان نفسه حتى يجد الخلاص، وإليه الملجأ والمناص.

وحاصل معنى الآيتين: أن الله سبحانه وتعالى أرسل[2] نوحاً إلى قومه فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً سراً وجهراً، وما زادهم ذلك إلا فراراً من الحق، وإعراضاً عنه، وتكذيباً له، وما آمن معه إلا قليل منهم، فأنزل الله عليهم الطوفان، فأهلكهم وهم مستمرون في الظلم، لم

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

يتأثروا بما سمعوا من نوح من الآيات، ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة، فأنجى الله نوحاً ومن معه ممن ركب السفينة من أتباعه، وكانت تلك السفينة عبرةً وموعظة أمداً طويلاً مدة بقائها على جبل الجودي، ينظر إليها الناس، وترشدهم إلى نعمته على خلقه بالنجاة من الطوفان، كما قال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢﴾. وقد تقدم تفصيل هذا في سورة هود.

العبرة من هذا القصص: لا يحزننك أيها الرسول ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى، فإني وإن أمليت لهم وأطلت إملاءهم، فإن مصيرهم إلى البوار، ومصيرك ومصير أصحابك إلى العلو والنصر كفعلنا بقوم نوح، إذ أغرقناهم بالطوفان، وأنجينا نوحاً وأتباعه من راكبي السفينة، وجعلناها عبرة للعالمين، وفي ذلك إيماء إلى أن نوحاً قد لبث هذا الأمد الطويل، يدعو قومه ولم يؤمن إلا القليل فصبر وظفر، فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك، وكثرة عدد أمتك.

قصة إبراهيم عليه السلام

وقوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ منصوب عطفاً على نوحاً؛ أي: ولقد أرسلنا إبراهيم عليه السلام، من قبل إرسالنا إياك يا محمد، أو منصوب باذكر مقدراً، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ﴾[١] بدل اشتمال من إبراهيم؛ لأن الأحيان تشتمل على ما فيها؛ أي: واذكر إبراهيم وقت قوله لقومه، أو ظرف لأرسلناك المقدر؛ أي: ولقد أرسلنا إبراهيم حين بلغ من السن، أو العلم مبلغاً صلح فيه لأن يعظ قومه، ويأمرهم بالعبادة والتقوى.

قرأ الجمهور[٢]: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ بالنصب، ووجهه ما قدمنا، وقرأ النخعي وأبو جعفر وأبو حنيفة: بالرفع على الابتداء، والخبر مقدر، تقديره؛ أي: ومن المرسلين إبراهيم.

---

(١) النسفي. (٢) الشوكاني.

وهذه القصة تمثيل لقريش، وتذكير لحال أبيهم إبراهيم، من رفض الأصنام، والدعوى إلى عبادة الله سبحانه؛ أي: واذكر يا محمد لقومك قصة إبراهيم إذ قال: ﴿لِقَوْمِهِ﴾ أهل بابل، ومنهم نمرود، وكان نمرود وأهل مدينته عباد أصنام، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ولا تشركوا به شيئاً ﴿وَاتَّقُوهُ﴾؛ أي: خافوا عقابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فقوله[1]: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ إشارة إلى إثبات الإلٰه الواحد، وقوله: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ إشارة إلى نفي غيره. وقيل: فاعبدوا الله، إشارة إلى الإتيان بالواجبات، فيدخل فيه الاعتراف بالله، واتقوه: إشارة إلى الامتناع من المحرمات، فيدخل فيه الامتناع من الشرك.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور من عبادة الله وتقواه ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾؛ أي: أفضل لكم مما أنتم عليه من الشرك والمعاصي، ومعنى التفضيل مع أنه لا خير قطعاً باعتبار زعمهم الباطل ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر، وتميزون أحدهما عن الآخر، أو كنتم تنظرون في الأمور بنظر العلم دون نظر الجهل، أو إن كان لكم علم بما هو خير لكم، مما هو شر لكم فاعبدوه واتقوه.

ومعنى الآية[2]: أي واذكر يا محمد لقومك قصص إبراهيم حين كمل عقله، وقدر على النظر والاستدلال، وترقى من مرتبة الكمال إلى مرتبة إرشاد الخلق، وتصدى للدعوة إلى طريق الحق، فدعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإخلاص له في السر والعلن، واتقاء سخطه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه.

ثم بين لهم فائدة ذلك، فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: فذلك الذي آمركم به خير لكم مما أنتم عليه، إن كان لديكم ذرة من الإدراك والعلم، تميزون بها الخير من الشر، وتعلمون ما ينفعكم في مستأنف حياتكم الدنيوية والأخروية.

ثم أرشدهم إلى فضل ما يدعوهم إليه، وفساد ما هم عليه بقوله: ﴿إِنَّمَا

---

(١) المراح.
(٢) المراغي.

﴿تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾؛ أي: أحجاراً لا تستحق العبادة ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾؛ أي: وتكذبون حيث تسمونها آلهة، وتدعون أنها شفعاؤكم؛ أي: ما تعبدون من دون الله إلا تماثيل هي مصنوعة بأيديكم لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع ولا تبصر، وتفترون كذباً حين تسمونها آلهة، وتدعون أنها تشفع لكم عند ربكم، والأوثان هي الأصنام.

وقال أبو عبيدة: الصنم ما يتخذ من ذهب أو فضة أو نحاس، والوثن ما يتخذ من جص أو حجارة، وقال الجوهري: الوثن الصنم، والجمع أوثان، وقال بعضهم[1]: الصنم هو الذي يؤلف على صورة الإنسان سواء كانت من ذهب أو فضة أو حجر أو غيرها، والوثن هو ما يؤلف من حجر أو شجر على غير صورة الإنسان، يقال خلق واختلق؛ أي: افترى لساناً أو يداً كنحت الأصنام، كما في «كشف الأسرار». والإفك: أسوأ الكذب، والمعنى: وتكذبون كذباً حيث تسمونها آلهة، وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله، وهو استدلال على شرارة ما هم عليه، من حيث إنه زور وباطل.

• وقرأ الجمهور[2]: ﴿وَتَخْلُقُونَ﴾ مضارع خلق الثلاثي ﴿إِفْكًا﴾ بكسر الهمزة وسكون الفاء، وقرأ علي والسلمي وعون العقيلي وعبادة وابن أبي ليلى وزيد بن علي ﴿تخلقون﴾ بفتح التاء والخاء واللام مشددة، قال ابن مجاهد: رويت عن ابن الزبير، وأصله تتخلقون، بتاءين فحذفت إحداهما على الخلاف الذي في المحذوفة، وقرأ زيد بن علي فيما ذكر الأهوازي ﴿تُخَلِّقون﴾ من خلَّق المضعف، وقرأ ابن السميفع وأبو المتوكل: ﴿تختلقون﴾ بزيادة التاء، من اختلق من باب افتعل الخماسي، وقرأ ابن الزبير وفضيل بن زرقان ﴿أَفِكًا﴾ بفتح الهمزة وكسر الفاء، وهو مصدر مثل الكذب. قال ابن عباس: وتخلقون إفكا هو نحت الأصنام وخلقها، سماها إفكاً توسعاً من حيث يفترون بها الإفك في أنها آلهة.

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) زاد المسير.

ثم استدل على شرارة ذاك، من حيث إنه لا يجدي بطائل، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى من الأوثان ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾؛ أي: لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئاً من الرزق. ﴿فَٱبْتَغُوا۟﴾؛ أي: فاطلبوا يا قوم ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ كله فإنه القادر على إيصال الرزق إليكم؛ أي: اصرفوا رغبتكم في أرزاقكم إلى الله سبحانه، فهو الذي عنده الرزق كله، فاسألوه من فضله ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ دون غيره لكونه مستحقاً للعبادة لذاته، ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ على نعمائه متوسلين إلى مطالبكم بعبادته، مقيدين للنعمة بالشكر، ومستجلبين بالمزيد، فإن الشكر موجب لبقائها، وسبب للمزيد عليها، قال[1] ابن عطاء: اطلبوا الرزق بالطاعة والإقبال على العبادة، وقال سهل: اطلبوا الرزق في التوكل، لا في الكسب، وهذا سبيل العوام. ﴿إِلَيْهِ﴾ لا إلى غيره ﴿تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: تردون بالموت ثم بالبعث، فافعلوا ما أمرتكم به فهو خير لكم.

فائدة[2]: ذكر الرزق أولاً، ثم عرَّفه ثانياً، في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾؛ لأنه أراد بذلك أن الذين تعبدون من دون الله لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئاً من الرزق، فابتغوا عند الله الرزق كله، فإنه هو الرازق لا غيره، وقوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ إما من قول إبراهيم عليه السلام لقومه، والمعنى عليه أي[3]: وإن تكذبوني فيما أخبرتكم به، من أنكم إليه تعالى ترجعون بالبعث، فلا تضروني بتكذيبكم، فإن من قبلكم من الأمم قد كذبوا من قبلي من الرسل، وهم شيث وإدريس ونوح عليهم السلام، فلم يضروهم بتكذيبهم شيئاً، أو من قول الله سبحانه في شأن رسول الله ﷺ، وشأن قريش، معترض بين أول قصة إبراهيم وآخرها، والمعنى عليه أي: وإن تكذبوا محمداً ﷺ، فذلك عادة الكفار مع من سلف من الرسل ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ﴾ الذي أُرسل إلى أمة من الأمم ﴿إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: إلا التبليغ الواضح الذي لا يبقى معه شك ولا إشكال، ولا شبهة

---

(1) روح البيان.

(2) فتح الرحمٰن.

(3) المراح.

إلى القوم الذي أرسل إليهم، وليس عليه هدايتهم وليس ذلك في وسعه.

وحاصل معنى الآيتين[1]: أي إن أوثانكم التي تعبدونها لا تقدر أن ترزقكم شيئاً من الرزق، الذي لا قوام لكم بدونه، فكيف تعبدونها، ثم ذكر لهم من ينبغي أن يعبد ويبتغى منه الرزق، فقال: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ إلخ؛ أي: فالتمسوا الرزق عند الله لا عند أوثانكم، تدركوا ما تطلبون، واعبدوه وحده، واشكروا له نعمه عليكم، مستجلبين بذلك المزيد من فضله، وبعد أن ذَكَر أنه هو الرازق في الدنيا والمنعم على عباده، بيَّن أن المرجع إليه في الآخرة، فهو الذي يُطلب رضاه، والتقرب إليه والزلفى عنده، فقال: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: واستعدوا للقائه تعالى بالعبادة والشكر له، فإنكم إليه ترجعون فيسألكم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره، وأنتم عباده وخلقه، وفي نعمه تتقلبون، ومن رزقه تأكلون.

ولما فرغ من إرشادهم إلى الدين الحق.. حذرهم من تركه وهددهم بما حل بمن قبلهم من المكذبين للرسل، فقال: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾ إلخ؛ أي: وإن تصدقوني فقد فزتم بسعادة الدارين، وإن تكذبوني فيما أخبرتكم به فلا تضروني بتكذيبكم، فقد كذب أمم من قبلكم رسلهم، كقوم إدريس ونوح، فجرى الأمر على ما سنه الله تعالى في الخلق، من نجاة المصدقين للرسل وهلاك العاصين لهم. ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: وما ضر ذلك الرسل شيئاً، بل هم قد ضروا أنفسهم، فما على الرسول إلا التبليغ الذي لا يبقى معه شك، وهو المقترن بآيات الله ومعجزاته، وما عليه أن يصدقه قومه، وقد خرجت من عهدة التبليغ، ولا عليَّ بعد ذلك أصدقتم أم كذبتم.

ولما بين الله سبحانه وتعالى[2] الأصل الأول وهو التوحيد، وأشار إلى الثاني وهو الرسالة، بقوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ شرع في بيان الأصل الثالث وهو الحشر، وهذه الأصول الثلاثة لا ينفك بعضها عن بعض في

---

(١) المراغي.

(٢) النهر.

الذكر الإلهي، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ والهمزة فيه للاستفهام الإنكاري؛ أي[1]: لإنكار عدم رؤيتهم، الموجب لتقريرها داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: ألم ينظروا؛ أي: أهل مكة وكفار قريش، ولم يروا؛ أي: ولم يعلموا علماً، جارياً مجرى الرؤية في الجلاء والظهور ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾؛ أي: يخلقهم ولم يكونوا شيئاً مذكوراً، ويخلقهم من نطفة من غذاء، هو ماء وتراب، وهذا القدر كاف في حصول العلم بإمكان الإعادة، فإن الإعادة مثل البدء؛ أي: ألم يعلموا كيفية خلق الله ابتداءً من مادة ومن غير مادة؛ أي: قد علموا.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾؛ أي: ثم هو يعيد الخلق، ويردهم إلى الوجود في الآخرة عند البعث، وهو معطوف[2] على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ لا على يبدأ، لعدم وقوع الرؤية عليه، فهو إخبار بأنه تعالى يعيد الخلق، قياساً على الإبداء.

فإن قلت: أوليس هذا من عطف الخبر على الإنشاء؟

أجيب: بأن الاستفهام فيه لما كان للإنكار، وتقرير الرؤية، كان إخباراً من حيث المعنى؛ أي: قد رأوا ذلك وعلموه .اهـ «زاده».

وقد جُوِّز العطف على (يبدأ) بتأويل الإعادة، بإنشائه تعالى كل سنة ما أنشأه في السنة السابقة، من النبات والثمار وغيرهما، فإن ذلك مما يستدل به على صحة البعث، ووقوعه من غير ريب. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الإعادة، أو من الخلق الأول والخلق الثاني ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾؛ أي: سهل لا نصب فيه، إذ لا يفتقر في فعله إلى شيء من الأسباب؛ لأنه إذا أراد أمراً قال: له كن، فيكون.

وحاصل المعنى[3]: أن إبراهيم خليل الرحمٰن عليه السلام، أرشد قومه إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه، بما يشاهدونه في أنفسهم من خلقهم، بعد أن لم

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

يكونوا شيئاً مذكوراً، ثم إعطائهم السمع والبصر والأفئدة وتصرفهم في الحياة إلى حين، ثم موتهم بعد ذلك، والذي بدأ هذا قادر على أن يعيده بل هو أهون عليه، كما قال في آية أخرى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

وخلاصة هذا: أنتم قد علمتم ذلك، فكيف تنكرون الإعادة، وهي أهون عليه.

وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بخلاف عنه[1]: ﴿تروا﴾ بتاء الخطاب، وباقي السبعة بالياء، والجمهور ﴿يُبْدِئُ﴾ مضارع أبدأ الرباعي، وقرأ الزبير وعيسى وأبو عمرو بخلاف عنه ﴿يبدأ﴾ مضارع بدأ الثلاثي، وقرأ الزهري ﴿كيف بدا الخلق﴾ بتخفيف الهمزة بإبدالها ألفاً، فذهبت في الوصل، وهو تخفيف غير قياسي وقياس تخفيف هذا التسهيل بين بين.

والمعنى: ألم يروا كيف يخلقهم الله ابتداء نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم ينفخ فيه الروح، ثم يخرجه إلى الدنيا، ثم يتوفاه بعد ذلك، وكذلك سائر الحيوانات، وسائر النباتات، فإذا رأيتم قدرة الله سبحانه على الابتداء والإيجاد أولاً، فهو القادر على الإعادة.

ثم أمر الله سبحانه إبراهيم[2] أن يأمر قومه بالمسير في الأرض، ليتفكروا ويعتبروا، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا إبراهيم، لقومك المنكرين للبعث ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: سافروا في أقطار الأرض ونواحيها ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾؛ أي: فانظروا إلى الأشياء المخلوقة، كيف خلقها ابتداء على كثرتها، واختلاف ألوانها وطبائعها، وألسنتها وأفعالها ومعيشتها، وانظروا إلى مساكن القرون الماضية، والأمم الخالية وآثارهم، لتعلموا بذلك كمال قدرة الله سبحانه وتعالى، وقيل: إن المعنى: قل يا محمد لمشركي العرب، ومنكري البعث: سيروا في نواحي الأرض فانظروا بأعينكم كيف خلق الله الخلق ابتداء على تلك الأشكال العجيبة، والأحوال الغريبة، لتعلموا قدرة الصانع الحكيم والمدبر العليم.

---

(١) البحر المحيط. (٢) الشوكاني.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ﴾ الذي بدأ النشأة الأولى وخلقها على تلك الكيفية العجيبة والأشكال الغريبة ﴿ينشئ﴾ها ﴿ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾؛ أي: نشأة ثانية عند البعث.

والنشأة[1] مصدر مؤكد لينشىء بحذف الزوائد، والأصل الإنشاءة، قال الراغب: الإنشاء إيجاد الشيء وتربيته، وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان، اهـ. أو على حذف العامل؛ أي: ينشىء فينشؤون النشأة الآخرة، كقوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾؛ أي: فنبتت نباتاً حسناً، والنشأة الآخرة هي النشأة الثانية، وهي نشأة القيام من القبور، والجملة معطوفة على جملة سيروا في الأرض، داخلة معها في حيز القول، وعطف الإخبار على الإنشاء جائز فيما له محل من الإعراب، وإنما لم تُعطف على قوله: ﴿بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾؛ لأن النظر غير واقع على إنشاء النشأة الآخرة، فإن الفكر يكون في الدليل، لا في النتيجة.

والمعنى: ثم الله يوجد الإيجاد الآخر، ويحيي الحياة الثانية؛ أي: بعد النشأة الأولى التي شاهدتموها، وهي الإبداء، فإنه والإعادة نشأتان من حيث إن كلاً إبداع وإخراج من العدم إلى الوجود.

وجملة قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ تعليل لما قبلها؛ لأن قدرته لذاته، ونسبة ذاته إلى كل الممكنات على حد سواء، فيقدر على النشأة الأخرى، كما قدر على النشأة الأولى، فمن علم قدرته تعالى على جميع الأشياء التي منها النشأة الآخرة، لا يتصور أن يتردد في وقوع الإعادة بعد ما أخبر الله به.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو[2]: ﴿النشآءة﴾ هنا، وفي النجم والواقعة على وزن فعالة، وباقي السبعة النشأة على وزن فعلة، وهما كالرآفة والرأفة وهما لغتان، والقصر أشهر، وفي الآية الأولى صرح سبحانه باسمه في قوله: ﴿كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ﴾ ثم أضمر في قوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ﴾ وهنا عكس أضمر في بدأ، ثم أبرزه في قوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ﴾ حتى لا تخلو الجملتان من صريح اسمه، ودل إبرازه هنا على تفخيم النشأة الآخرة وتعظيم أمرها، وتقرير وجودها إذ كان نزاع

---

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط.

الكفار فيها، فكأنه قيل: ثم ذلك الذي بدأ الخلق هو الذي ينشأ النشأة الآخرة، فكان التصريح باسمه أفخم في إسناد النشأة إليه.

وحاصل معنى الآية[1]: أي سيروا في الأرض وشاهدوا السمٰوات وما فيها من الكواكب النيِّرة ثوابتها وسياراتها، والأرض، وما فيها من جبال ومهاد وبراري وقفار وأشجار وثمار وأنهار وبحار، فكل ذلك شاهد على حدوثها في أنفسها، وعلى وجود صانعها الذي يقول للشيء كن فيكون، أوليس من فعل هذا بقادر على أن ينشئه نشأة أخرى، ويوجده مرة ثانية. وهو القادر على كل شيء، وشبيه بالآية قوله في الآية الأخرى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

ولما أقام الدليل على الإعادة، رتب عليها ما سيكون بعدها، فقال: ﴿يُعَذِّبُ﴾ سبحانه بعد النشأة الآخرة ﴿مَن يَشَآءُ﴾ ويريد تعذيبه من الكفار والعصاة، ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ رحمته من المؤمنين به، المصدقين لرسله، العاملين بأوامره ونواهيه، وتقديم[2] التعذيب لما أن الترهيب أنسب بالمقام من الترغيب؛ لأن الكلام مع الكفار مكذبي الرسل. ﴿وَإِلَيْهِ﴾ تعالى لا إلى غيره ﴿تُقْلَبُونَ﴾؛ أي: تردون بالبعث، فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة، مجازاة على أعمالكم.

والمعنى: أي يعذب سبحانه من يشاء منكم ومن غيركم في الدنيا والآخرة، بعدله في حكمه بحسب سننه في خلقه، ويرحم من يشاء بفضله ورحمته، فهو الحاكم المتصرف يفعل ما يشاء، ويحكم بما يريد، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل، وهم يسألون. ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾؛ أي: وإليه سبحانه تردون بعد موتكم.

والمراد: أنه إن تأخر ذلك عنكم، فلا تظنوا أنه قد فات، فإن إليه إيابكم وعليه حسابكم، وعنده يُدَّخر ثوابكم وعقابكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾؛ أي:

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

بممتنعين عن إجراء حكمه وقضائه عليكم، وإن هربتم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الواسعة بالتواري فيها ﴿وَلَا﴾ بالتحصن ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ التي هي أوسع من الأرض، لو استطعتم الترقي فيها، يعني كنتم في الأرض أو في السماء لا تقدرون أن تهربوا منه، فهو يُدرككم لا محالة، ويُجرى عليكم أحكام تقديره، والخطاب فيها لجميع الناس.

والمعنى[1]: أنه تعالى لا يعجزه أحد من أهل سمٰواته ولا أرضه، بل هو القاهر فوق عباده، فكل شيء فقير إليه، فلو صعد إلى السماكين أو هبط إلى موضع السُّمولِ في الماء ما خرج من قبضته، وما استطاع الهرب منه، وقيل[2]: هذا خطاب لقوم فيهم النمرود الذي حاول الصعود إلى السماء، وزاد هنا لفظة ﴿ولا في السماء﴾، واقتصر في الشورى على ﴿في الأرض﴾؛ لأن ما هنا خطاب لقوم فيهم النمرود، الذي حاول الصعود إلى السماء فأخبرهم بعجزهم، وأنهم لا يفوتون الله لا في الأرض ولا في السماء، وما في الشورى خطاب للمؤمنين بقرينة قوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ وقد حذفا معاً للاختصار في قوله في الزمر ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ .اهـ زكريا.

ولما بيَّن أنهم مقدور عليهم جميعاً، لا يفلتون منه، ذكر أنه لا يستطيع أحد نصرهم، فقال: ﴿وَمَا﴾ كان ﴿لَكُم﴾ أيها الناس ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾؛ أي: قريب يلي أموركم ويحرسكم من أن يصيبكم بلاء أرضي أو سماوي ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عذاب الله عنكم إن قُدِّر عليكم، يعني ليس غيره تعالى يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء، ويدفعه عنكم إن أراد بكم ذلك، قال بعضهم: الولي[3] الذي يدفع المكروه عن الإنسان والنصير الذي يأمر بدفعه عنه، والولي أخص من النصير، إذ قد ينصر من ليس بولي، انتهى.

ولما قرر التوحيد والبعث، هدد من خالفهما وتوعده فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) المراغي.

(٢) المراح.

(٣) روح البيان.

﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه؛ أي: بدلائله التكوينية والتنزيلية، الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله، فيدخل فيها النشأة الأولى الدالة على تحقق البعث، والآيات الناطقة دخولاً أولياً، قال في «كشف الأسرار»: الكفر بآيات الله أن لا يستدل بها عليه، وتُنسب إلى غيره، ويجحد موضع النعمة فيها.

﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ الذي تنطق به تلك الآيات، ومعنى[1] الكفر بلقاء الله: جحود الورود عليه، وإنكار البعث وقيام الساعة والحساب والجنة والنار. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه ﴿يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى﴾ قنطوا منها في الدنيا، لإنكارهم البعث والجزاء، فلا يرجون الجنة؛ لأنه لم ينجع فيهم ما نزل من كتب الله، ولا ما أخبرتهم به رسله، أو ييأسون منها يوم القيامة، والتعبير بصيغة الماضي للدلالة على تحققه، واليأس: انقطاع الطمع، كما في «المفردات».

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بالكفر بالآيات واللقاء، وباليأس من الرحمة الممتازون بذلك عن سائر الكفرة ﴿لَهُمْ﴾ بسبب تلك الأوصاف القبيحة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: وجيع لا يقادر قدره في الشدة والإيلام.

وقرأ الجمهور: ﴿يَئِسُواْ﴾ بالهمز، وقرأ الذماري وأبو جعفر بغير همز، بل بياءٍ بدل الهمز، ذكره أبو حيان.

كرر سبحانه الإشارة للتأكيد[2]، ووصف العذاب بكونه أليماً للدلالة على أنه في غاية الشدة، وأضاف[3] الرحمة إلى نفسه، ولم يُضف العذاب إليها لسبق رحمته، وإعلاماً لعباده بعمومها لهم، ويأسهم من رحمة الله تعالى؛ لأنه سبحانه له في كل شيء آية دالة على وحدانيته، فإذا أشرك أحد كفر بآيات الله، وإذا أنكر الحشر كفر بلقاء الله، وأخرج نفسه عن محل رحمة الله، وإذا جعل له آلهة لم يقر

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) الفتوحات.

بالحاجة إلى طريق متعين، فييأس من رحمة الله، ولما أنكر الحشر وقال: لا عذاب عذبه الله سبحانه تحقيقاً للأمر عليه، فعدم الرحمة يناسب الإشراك، والعذاب الأليم يناسب إنكار الحشر.

وقال في «الخازن» قوله: ﴿وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آخر الآيات في تذكير أهل مكة، ثم عاد إلى قصة إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ إلخ. قال أبو حيان[1]: والظاهر أن قوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ من كلام الله حكاية عن إبراهيم إلى قوله: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقيل: هذه الآيات اعتراض من كلام الله تعالى، بين كلام إبراهيم والإخبار عن جواب قومه؛ أي: وإن تكذبوا محمداً، فتقدير هذه الجمل اعتراضاً يردُّ على أبي علي الفارسي، حيث زعم أن الاعتراض لا يكون جملتين فأكثر.

وفائدة هذا الاعتراض: أنه تسلية للرسول ﷺ، حيث كان قد ابتلي بمثل ما كان أبوه إبراهيم قد ابتلي به، من شرك قومه، وعبادتهم الأوثان، وتكذيبهم إياه، ومحاولتهم قتله، وجاءت الآيات بعد الجملة الشرطية، مقررة لما جاء به الرسول من توحيد الله ودلائله، وذكر آثار قدرته والمعاد، انتهى.

ومعنى الآية: أي والذين كفروا بالدلائل التي نصبها سبحانه في الكون، دالةً على توحيده، والدلائلَ التي أنزلها على رسله مرشدة إلى ذلك، وجحدوا لقاءه والورود إليه يوم تقوم الساعة، أولئك لا أمل لهم في رحمته؛ لأنهم لم يخافوا عقابه، ولم يرجوا ثوابه، ولهم عذاب مؤلم موجع في الدنيا والآخرة، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

الإعراب

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾.

(١) البحر المحيط.

﴿الٓمٓ ۝١﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هذا أَلَمّ، أو مبتدأ خبره محذوف، تقديره: أَلَمّ هذا محله، أو مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اقرأ أَلَمّ، أو مفعول لاسم فعل محذوف، تقديره: هاك أَلَمّ، أو مجرور بحرف جر محذوف، تقديره: أنظر في أَلَمّ، وإعرابه على كل من الأوجه الخمسة، بحركة مقدرة منع من ظهورها سكون الوقف، هذه الأوجه كلها إن قلنا إنه علم للسورة، وإن قلنا إنه من الحروف التي استأثر الله سبحانه بعلمها، فلا محل لها من الإعراب؛ لأن الإعراب فرع عن إدراك المعنى، وقد تقدم لنا مراراً بيان ما فيه من الأقوال المتلاطمة فيه من جهة المعنى والإعراب فجدد العهد بها.

﴿أَحَسِبَ﴾: الهمزة: فيه للاستفهام التقريري المضمن للتوبيخ. ﴿حسب الناس﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَن﴾ حرف نصب ومصدر. ﴿يُتْرَكُوٓاْ﴾: فعل مغير، ونائب فاعل منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، والجملة الفعلية مع ﴿أَن﴾ المصدرية، في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿حَسِبَ﴾. ﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾: ناصب وفعل وفاعل، والجملة مع ﴿أَن﴾: المصدرية في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف، تقديره أن يتركوا لأجل قولهم آمنا، والجار المحذوف متعلق بـ﴿يُتْرَكُوٓاْ﴾. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿يقولوا﴾.

﴿وَهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: واو الحال. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل النصب حال من واو لا يتركوا. ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿واللام﴾: موطئة للقسم. ﴿قد﴾: حرف تحقيق، ﴿فَتَنَّا﴾: فعل وفاعل، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: جار ومجرور صلة الموصول.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿واللام﴾: موطئة للقسم. ﴿يعلمن﴾ فعل مضارع مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم وجملة القسم معطوفة على الجملة التي قبلها. وجملة ﴿صَدَقُواْ﴾ صلة الموصول. ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿واللام﴾ موطئة للقسم. ﴿يعلمن﴾: فعل مضارع مبني على الفتح، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿يعلمن﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾.

﴿أَمْ﴾: منقطعة تقدر ببل التي للإضراب الانتقالي، وبهمزة الاستفهام التقريري، المضمن للتوبيخ. ﴿حَسِبَ الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة ﴿يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة صلة الموصول. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يَسْبِقُونَا﴾: فعل وفاعل ومفعول منصوب بـ﴿أن﴾؛ لأن أصله يسبقوننا، والجملة الفعلية مع ﴿أَن﴾ المصدرية في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿حَسِبَ﴾؛ أي: أم حسب الذين يعملون السيئات سبقهم إيانا. ﴿سَاءَ﴾: فعل ماض من أفعال الذم، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: هو. ﴿مَا﴾: نكرة موصوفة في محل النصب على التمييز، وجملة ﴿يَحْكُمُونَ﴾ في محل النصب صفة لـ﴿ما﴾، والرابط محذوف، تقديره: ساء هو شيئاً محكوماً لهم، والمخصوص بالذم محذوف وجوباً، تقديره: حكمهم. ويجوز أن تعرب ما اسما موصولاً فاعل ﴿سَاءَ﴾، وجملة ﴿يَحْكُمُونَ﴾: صلتها. ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية؛ أي: حكمهم، وعلى هذين الوجهين يكون التمييز محذوفاً؛ أي: ساء الذي يحكمونه حكماً، أو ساء حكمهم حكماً، وعلى كل التقادير فجملة ﴿سَاءَ﴾ مستأنفة. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم، في محل الرفع، مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونه فعل شرط لها، واسمها ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿يَرْجُوا﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر. ﴿لِقَاءَ اللَّهِ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾، وجواب الشرط محذوف، تقديره: فليعمل عملاً صالحاً، ولا يشرك بعبادة ربه، كما صرح به في سورة الكهف، وجملة ﴿من﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾: ﴿الفاء﴾: تعليلية. ﴿إن أجل الله﴾: ناصب واسمه ومضاف إليه. ﴿لَآتٍ﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿آت﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين؛ لأنه اسم منقوص. وجملة ﴿إن﴾ في محل الجر بلام التعليل المقدرة، المدلول عليها بالفاء التعليلية، المتعلقة بالجواب المحذوف ﴿وَهُوَ﴾: مبتدأ. ﴿السَّمِيعُ﴾: خبر أول. ﴿الْعَلِيمُ﴾:

خبر ثان، والجملة الاسمية في محل النصب حال من الجلالة، أو مستأنفة.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

﴿وَمَن﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿جَٰهَدَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مَن﴾ في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: رابطة الجواب. ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر، أو يقال: حرف كاف ومكفوف. ﴿يُجَٰهِدُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿مَن﴾. ﴿لِنَفۡسِهِۦٓ﴾: متعلق به، والجملة في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها جواب الشرط، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿مَن﴾ الأولى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ ناصب، واسمه. ﴿لَغَنِيٌّ﴾: خبره، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ متعلق بـ﴿غني﴾، وجملة ﴿إنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها، من تقرير أن جهاد الشخص لا يصل منه إلى الله نفع.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٧﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿الذين﴾: مبتدأ. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿ءَامَنُواْ﴾. ﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿نكفرن﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿عَنۡهُمۡ﴾: متعلق به. ﴿سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾. ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿نجزين﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله. ﴿والهاء﴾: مفعول أول. ﴿أَحۡسَنَ ٱلَّذِي﴾ مفعول ثان ومضاف إليه، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم معطوفة على جملة القسم قبلها.

﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿وصينا﴾: فعل وفاعل. ﴿الْإِنسَانَ﴾: مفعول به. ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾ متعلق بـ﴿وصينا﴾. ﴿حُسْنًا﴾: نعت لمصدر محذوف، ولكنه على حذف مضاف؛ أي: إيصاءً ذا حسن، أو هو في نفسه حسن على المبالغة، والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لبيان حق الوالدين، وتحديد طاعتهما بعدم معصية الله تعالى. ﴿وَإِن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿جَاهَدَاكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿لِتُشْرِكَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿تشرك﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وفاعله ضمير يعود على الإنسان. ﴿بِي﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تشرك﴾، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام؛ أي: لإشراكك بي، الجار والمجرور متعلق بـ﴿جاهد﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به ﴿لِتُشْرِكَ﴾. ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَكَ﴾: خبر مقدم لـ﴿لَيْسَ﴾. ﴿بِهِ﴾: متعلق بـ﴿عِلْمٌ﴾. ﴿عِلْمٌ﴾: اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، وجملة ﴿لَيْسَ﴾ صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة. ﴿فَلَا﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً لكون الجواب جملة طلبية، ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تُطِعْهُمَا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة الفعلية في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية، على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معطوفة على جملة قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ﴾. ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة. ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية. ﴿أنبئكم﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أنبئكم﴾، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية مفرعة عليها. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه. وجملة ﴿تَعْمَلُونَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة

﴿كَانَ﴾ صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة لا محل لها من الإعراب.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿الذين﴾: مبتدأ، أو منصوب على الاشتغال كما في «السمين». ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾. ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ﴾ ﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿ندخلن﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. والهاء مفعول به. ﴿فِي الصَّالِحِينَ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مع جوابه في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: خبر مقدم. ﴿من﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان حال المنافقين. ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر صلة الموصول. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل وفاعل. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿يَقُولُ﴾. ﴿فَإِذَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿أُوذِيَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿من﴾ ﴿فِي اللَّهِ﴾ متعلق بـ﴿أُوذِيَ﴾، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذا﴾ على كونها فعل شرط لـ﴿إذا﴾. والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتتر. ﴿فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ مفعول أول لـ﴿جَعَلَ﴾. ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، في محل المفعول الثاني لـ﴿جَعَلَ﴾، وجملة ﴿جَعَلَ﴾ جواب ﴿إذا﴾، لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ معطوفة على صلة ﴿من﴾ الموصولة. ﴿وَلَئِن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿جَاءَ نَصْرٌ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ صفة ﴿نَصْرٌ﴾. ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم مؤكدة للأولى. ﴿يقولن﴾: فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم، وعلامة رفعه ثبات

النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين، في محل الرفع فاعل، والنون الثقيلة نون التوكيد؛ لأن أصله ليقولونن، كما سيأتي في مبحث التصريف، والجملة الفعلية جواب القسم، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية محذوف لدلالة جواب القسم عليه، تقديره: وإن جاء نصر من ربك يقولون، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معترضة بين القسم وجوابه، وجملة القسم مع جوابه معطوفة على جملة ﴿إذا﴾ الشرطية. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿مَعَكُمْ﴾: خبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿يَقُولُ﴾.

﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

﴿أَوَ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري المضمن للتوبيخ، داخلة على محذوف، والواو: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أيحسبون أن الله لا يعلم ما في صدورهم وليس الله إلخ، والجملة المحذوفة مستأنفة ﴿لَيْسَ اللَّهُ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿بِأَعْلَمَ﴾: خبره. والباء: زائدة. ﴿بِمَا﴾: متعلق بـ﴿أعلم﴾. ﴿فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، وجملة ﴿ليس﴾ معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿يعلمن الله﴾: فعل مضارع ونون توكيد وفاعل. ﴿الَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة ﴿آمَنُوا﴾ صلة الموصول، والجملة الفعلية جواب القسم، وجملة القسم معطوفة على جملة القسم في قوله: ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾. ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿يعلمن﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر في محل الرفع، مبني على الفتح، والنون للتوكيد. ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾: مفعول به، والجملة جواب القسم، وجملة القسم معطوفة على جملة القسم قبلها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿وَقَالَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿كَفَرُواْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قال﴾. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾: فعل أمر وفاعل. ﴿سَبِيلَنَا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَلْنَحْمِلْ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. و﴿اللام﴾: لام أمر وجزم. ﴿نحمل﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر مجزوم بلام الأمر. ﴿خَطَٰيَٰكُمْ﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾. ﴿وَمَا هُم﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿مَا﴾: حجازية تعمل عمل ﴿لَيْسَ﴾. ﴿هُم﴾: في محل الرفع اسمها. ﴿بِحَٰمِلِينَ﴾: خبرها، والباء: زائدة، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿قَالَ﴾. ﴿مِنْ خَطَٰيَٰهُم﴾: جار ومجرور حال من شيء؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿مِن﴾: زائدة. ﴿شَيْءٍ﴾: مفعول به لـ﴿حاملين﴾: مجرور لفظاً منصوب تقديراً. ﴿إِنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿كاذبون﴾: خبرها، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة لتعليل الجزم بعدم حملهم شيئاً من خطاياهم. ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿يحملن﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل، والنون المشددة للتوكيد. ﴿أَثْقَالَهُمْ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿وَأَثْقَالًا﴾: معطوف على ﴿أَثْقَالَهُمْ﴾. ﴿مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: ظرف متعلق بمحذوف صفة لـ﴿أثقالا﴾، وجملة القسم مستأنفة. ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ﴾: الواو: عاطفة، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿يسئلن﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين في محل الرفع نائب فاعل، والنون المشددة للتوكيد. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ظرف متعلق بـ﴿يسألن﴾. والجملة الفعلية جواب القسم، وجملة القسم معطوفة على جملة القسم في قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يسألن﴾، وهو في موضع المفعول الثاني لـ﴿سأل﴾، ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَفْتَرُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ صلة لما الموصولة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ

﴿ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة، مسوقة لتأييد التكليف الذي ألزم محمد ﷺ به أتباعه؛ أي: إنه ليس مختصاً بمحمد وأتباعه. ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ متعلق بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾. ﴿فَلَبِثَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿لبث﴾: فعل ماض وفاعل مستتر معطوف على ﴿أَرْسَلْنَا﴾. ﴿فِيهِمْ﴾: متعلق به. ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿لبث﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿خَمْسِينَ﴾: منصوب على الاستثناء. ﴿عَامًا﴾ تمييز لـ﴿خَمْسِينَ﴾ منصوب به. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾: فعل ومفعول به وفاعل، معطوف على محذوف، تقديره: فكذبوه فأخذهم الطوفان. ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب حال من مفعول ﴿أخذهم﴾. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾. ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾: معطوف على الضمير، أو مفعول معه. ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول معطوف على ﴿أنجيناه﴾. ﴿ءَايَةً﴾: مفعول ثان لـ﴿جعل﴾. ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ صفة لـ﴿ءَايَةً﴾.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: منصوب بفعل محذوف، تقديره: واذكر إبراهيم، والجملة مستأنفة، مسوقة لسوق قصة ثانية بعد قصة نوح. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، بدل اشتمال من إبراهيم، ويصح أن يكون إبراهيم معطوفاً على نوحاً، و﴿إِذْ﴾ متعلق بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾، والمعنى حينئذٍ: ولقد أرسلنا إبراهيم حين بلغ من السن مبلغاً، يخاطب فيه قومه بعبارات الوعظ والإرشاد. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر. ﴿لِقَوْمِهِ﴾: متعلق به، والجملة في

محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ٱعْبُدُواْ﴾. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿لَّكُمْ﴾: متعلق بـ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه في محل الجزم بـ﴿إِن﴾ على كونه فعل شرط لها، وجملة ﴿تَعْلَمُونَ﴾: خبرها، وجواب الشرط محذوف، دل عليه ما قبله، تقديره: إن كنتم تعلمون خيرية ذلك، فاعبدوا الله واتقوه، والجملة الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: حال من فاعل ﴿تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: حالة كونكم مجاوزين الله. ﴿أَوْثَٰنًا﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿تَعْبُدُونَ﴾. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب واسمه. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حال من فاعل تعبدون ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَمْلِكُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق بـ﴿رِزْقًا﴾. و﴿رِزْقًا﴾: مفعول به. لـ﴿يَمْلِكُونَ﴾؛ لأنه بمعنى المرزوق، أو مصدر مؤول من أن والفعل؛ أي: لا يقدرون أن يرزقوكم، ويجوز نصبه على المصدر وناصبه لا يملكون؛ لأنه في معناه، وجملة لا يملكون في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾. وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَٱبْتَغُواْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم ما قلت لكم، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم فأقول لكم: ابتغوا عند الله الرزق. ﴿ابتغوا﴾: فعل أمر وفاعل. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: متعلق به. ﴿ٱلرِّزْقَ﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ابتغوا﴾. ﴿وَٱشْكُرُواْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ابتغوا﴾. ﴿لَهُۥٓ﴾: متعلق بـ﴿اشكروا﴾. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿تُرْجَعُونَ﴾. و﴿تُرْجَعُونَ﴾ فعل مضارع مغير الصيغة ونائب فاعل، والجملة في محل النصب مقول قال.

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ

﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَإِن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، إن قلنا إنه من كلام إبراهيم، أو اعتراضية إن قلنا إنه من كلام الله سبحانه، يخاطب قريشاً في شأن محمد ﷺ. ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿تُكَذِّبُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿فَقَدْ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً لاقترانه بقد. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿كَذَّبَ أُمَمٌ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونه جواب الشرط ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ صفة لـ﴿أُمَمٌ﴾، وقيل جواب الشرط محذوف، و﴿الفاء﴾: تعليلية للمحذوف؛ أي: فلا يضرني تكذيبكم فقد كذب أمم من قبلكم أنبياءهم ورسلهم، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على ما قبلها على كونها مقول ﴿قَالَ﴾، أو معترضة لاعتراضها بين كلام إبراهيم وجواب قومه. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: نافية. ﴿عَلَى الرَّسُولِ﴾: خبر مقدم. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿الْبَلَاغُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿الْمُبِينُ﴾: صفة لـ﴿الْبَلَاغُ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على الجمل الشرطية. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف. و﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير ألم ينظر كفار مكة ولم يروا كيف. ﴿لم يروا﴾: جازم وفعل وفاعل معطوف على ذلك المحذوف، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام في محل النصب على الحال. من ﴿الْخَلْقَ﴾. ﴿يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب سادة مسد مفعولي ﴿يَرَوْا﴾؛ لأنها علقت عن العمل في اللفظ بالاستفهام، والرؤية هنا قلبية. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُعِيدُهُ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ لا على ﴿يُبْدِئُ﴾. ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿يَسِيرٌ﴾. و﴿يَسِيرٌ﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود إما إلى ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، أو إلى محمد ﷺ،

والجملة مستأنفة. ﴿سِيرُوا﴾: فعل أمر وفاعل. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿فَانْظُرُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿سِيرُوا﴾. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام في محل النصب حال من مفعول ﴿بَدَأَ﴾. ﴿بَدَأَ الْخَلْقَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب مفعول ﴿انظروا﴾ علق عنها باسم الاستفهام. وفي «البيضاوي»: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ حكاية كلام الله سبحانه لإبراهيم أو محمد عليهما السلام، اهـ؛ أي: وليس من مقالة إبراهيم لقومه من عند نفسه، على تقدير أن تكون الآيات المذكورة من قوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ من قصة إبراهيم، ومن مقالة محمد ﷺ من عند نفسه، على جعلها معترضة بين أجزاء قصة إبراهيم إذ لا وجه لهما أن يقولا من عند أنفسهما ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، بل الظاهر أنه كلام أحدهما لقومه على حكاية كلام الله لهم؛ أي: قال الله لي: قل لهم: سيروا في الأرض؛ أي قل لمنكري البعث يسيروا في الأرض ليشاهدوا كيف أنشأ الله جميع الكائنات، ومن قدر على إنشائها بدءاً يقدر على إعادتها .اهـ «زاده». ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يُنْشِئُ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿النَّشْأَةَ﴾: منصوب على المصدرية المحذوفة الزوائد، والأصل الإنشاءة. ﴿الْآخِرَةَ﴾: صفة لـ﴿النَّشْأَةَ﴾، وجملة ﴿يُنْشِئُ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿سِيرُوا﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ ناصب واسمه. ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ متعلق بقدير. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبره، والجملة مستأنفة، مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿يُعَذِّبُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله. ﴿مَن﴾: اسم موصول مفعول به لـ﴿يُعَذِّبُ﴾، وجملة ﴿يَشَاءُ﴾ صلته، والعائد محذوف، تقديره من يشاء تعذيبه، وجملة ﴿يُعَذِّبُ﴾ في محل النصب حال من الضمير المستكن في قدير، أو خبر ثان لـ﴿إن﴾ أو مستأنفة ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾ معطوف على ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾.

﴿وَإِلَيْهِ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿تُقْلَبُونَ﴾. ﴿تُقْلَبُونَ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة ونائب فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿يُعَذِّبُ﴾. ﴿وَمَآ أَنتُم﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَآ﴾: نافية حجازية. ﴿أَنتُم﴾: اسمها، ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: خبرها. والباء: زائدة. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: حال من الضمير المستكن في معجزين، ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: معطوف على في الأرض، و﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي المستفاد من ﴿مَآ﴾؛ أي: بفائتين الله هرباً، حالة كونكم في الأرض أو في السماء، والجملة الاسمية في محل النصب، معطوفة على جملة ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكُم﴾: خبر مقدم. ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: حال من ولي الآتي. ﴿مِن﴾ زائدة. ﴿وَلِيٍّ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: معطوف على ﴿وَلِيٍّ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة التي قبلها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿الذين﴾: مبتدأ أول. ﴿كَفَرُواْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿كَفَرُواْ﴾. ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾: معطوف على ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ ثان. ﴿يَئِسُواْ﴾: فعل وفاعل. ﴿مِن رَّحْمَتِي﴾: متعلق به والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، وجملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ خبر للمبتدأ الأول، وجملة الأول مستأنفة. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: معطوف على ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ على كونه مبتدأ ثانياً. ﴿لَهُمْ﴾: خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة ﴿عَذَابٌ﴾، والجملة الاسمية في محل الرفع خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ حروف مقطعة، عجزت الخلائق عن معرفة حقائقها. ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ الحسبان بالكسر، الظن كما في «القاموس». وقال في «المفردات»: الحسبان هو أن يحكم لأحد النقيضين أحدهما على الآخر.

﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ الترك: الإهمال. ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾؛ أي: لا يختبرون من فتن

فلان فلاناً، يفتنه من باب ضرب خبره وأحرقه، وأصله يقال فتن الصائغ الذهب، أذابه بالبوتقة ليختبره وليميز الجيد من الرديء، ويقال فتنه يفتنه، من باب ضرب أيضاً إذا أعجبه، واستماله وأوقعه في الفتنة.

﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ السبق الفوت، والمراد الفوت عن المجازاة، وأصل السبق التقدم في السير، ثم تجوز به في غيره من التقدم. ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ الرجاء: ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة، وتفسيره بالخوف؛ لأن الرجاء والخوف متلازمان، ولقاء الله عبارة عن القيامة وعن المصير إليه. ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ الأجل: عبارة عن غاية زمان ممتد، عينت لأمر من الأمور، وقد يطلق على كل ذلك الزمان، والأول هو الأشهر في الاستعمال.

﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ والمجاهدة استفراغ الجهد (بالضم)؛ أي: الطاقة في مدافعة العدو. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال أبو العباس المشتهر بزروق في شرح الأسماء الحسنى: الغني هو الذي لا يحتاج إلى شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، إذ لا يلحقه نقص، ولا يعترضه عارض، ومن عرف أنه الغني استغنى به عن كل شيء، ورجع إليه بكل شيء، وكان له بالافتقار في كل شيء، وللتقرب بهذا الاسم تعلق بإظهار الفاقة والفقر إليه أبداً، وخاصية هذا الاسم وجود العافية في كل شيء، فمن ذكره على مرض أو بلاء، أذهبه الله عنه، وفيه سر للغني، ومعنى الاسم الأعظم لمن استأهل به، انتهى.

وفي «الإحياء» يستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة: اللهم يا غني يا حميد، يا مبدىء يا معيد، يا رحيم يا ودود، أغني بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك، فيقال: من داوم على هذا الدعاء، أغناه الله تعالى عن خلقه، ورزقه من حيث لا يحتسب. انتهى.

﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ وتكفير الإثم: ستره وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل، قال بعضهم: التكفير إذهاب السيئة وإبطالها بالحسنة، وسترها وترك العقوبة عليها. ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ وصى: يجري مجرى أمر معنًى وتصرفاً غير أنه يُستعمل

فيما إذا كان في المأمور به نفع عائد إلى المأمور وغيره، يقال: وصيت زيداً بعمرو، أمرته بتعهده ومراعاته، قال الراغب: الوصية التقديم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ. ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ مصدر ميمي بمعنى الرجوع.

﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ أوذي ماض مبني للمجهول، من آذى الرباعي، يقال: آذى يؤذي أذًى وأذية، ولا تقل إيذاءً، كما في «القاموس»، والأذى ما يصل إلى الإنسان من ضرر، إما في نفسه أو في جسمه أو في قنياته، دنيوياً كان أو أخروياً كما مر.

﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ والفتنة الامتحان والاختبار، تقول: فتنت الذهب، إذا أدخلته النار لتظهر جودته من رداءته، وأطلقت على المحنة؛ لأنها سبب نقاوة القلب.

﴿لَيَقُولُنَّ﴾ الجمهور على ضم اللام، ففيه إسناد الفعل لضمير الجماعة، حملاً على معنى: من بعد أن حمل على لفظها كما مر، وأصله ليقولونن بواو الضمير وثلاث نونات، إحداها نون الرفع، فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، وواو الجماعة لالتقاء الساكنين فصار ليقولن.

﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ جمع خطيئة من الخطأ، وهو في الأصل العدول عن الجهة والطريق، وهي هنا الآثام. ﴿أَثْقَالَهُمْ﴾ جمع ثقل بكسر المثلثة وسكون القاف كحمل وأحمال، والثقل بكسر أوله وفتح ثانيه والخفة متقابلان، وكل ما يترجح على ما يوزن به، أو يقدر به، يقال: هو ثقيل، وأصله في الأجسام ثم يقال في المعاني أثقله الغرم والوزر، قال الراغب: أثقالهم؛ أي: آثامهم التي تثقلهم وتثبطهم عن الثواب.

﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ والألف العدد المخصوص، سمي بذلك لكون الأعداد به مؤلفة، فإن الأعداد أربعة: آحاد، وعشرات، ومئات، وألوف، فإذا بلغ الألف، فقد ائتلف وما بعده ويكون مكرراً، قال بعضهم: الألف من ذلك؛ لأنه مبدأ النظام، كما مر. والسنة أصلها سنهة لقولهم: سانهت فلاناً؛ أي: عاملته سنة

فسنةً، وقيل: أصلها من الواو لقولهم: سنوات، والهاء للوقف .اهـ «الروح».

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ والطوفان كل ما طاف؛ أي: أحاط بالإنسان لكثرته ماء كان أو غيره، كالظلمة، ولكنه غلب في الماء، كما هو المراد هنا، اهـ «شهاب». ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ والسفينة من سفنه يسفنه قشره ونحته، كأنها تسفن الماء؛ أي: تقشره فهي فعيلة، بمعنى: فاعلة.

﴿أَوْثَٰنًا﴾ جمع وثن، والفرق بين الصليب والصنم والوثن، أن الصليب: ما نحت على صورة آدمي وعبد، سواء كان من ذهب أو فضة أو غيرهما، والصنم: ما نُحِت على صورة حيوان كعجل وعبد، سواء من شجر أو حجر أو غيرهما، والوثن: كل ما عُبد من دون الله، سواء كان منحوتاً على أي صورة، أو غير منحوت كشجر وحجر وقبر وإنسان، فكل أخص مما بعده، هكذا عرفه بعضهم.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾؛ أي: وتكذبون كذباً، حيث سميتموها آلهةً، قال الراغب: الخلق لا يُستعمل في كافة الناس إلا على وجهين، أحدهما في معنى التقدير، والثاني في الكذب، انتهى. يقال: خلق واختلق؛ أي: افترى لساناً أو يداً كنحت الأصنام، والإفك أسوأ الكذب، وسمي الكذب إفكاً؛ لأنه مأفوك؛ أي: مصروف عن وجهه، ويجوز في الإفك هنا أن يكون مصدراً وأن يكون صفة؛ أي خلقاً إفكاً؛ أي: ذا إفكٍ وباطل.

﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ يقال: ملكت الشيء إذا قدرت عليه، ومنه قول موسى: ﴿لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾؛ أي: لا أقدر إلا على نفسي وأخي، ورزقاً مصدر، وتنكيره للتقليل، كما سيأتي، والمعنى: لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئاً من الرزق، كما مر.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ قال الراغب: الإنشاء إيجاد الشيء وتربيته، وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان، انتهى. يقال: نشأ نشأة إذا حيي وربا وشب، والنشأة مصدر مؤكد لينشيء بحذف الزوائد، والأصل الإنشاءة أو بحذف العامل؛ أي: ينشيء فينشأون النشأة الآخرة، كما مر.

﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ قال بعضهم: الفرق بين الولي والنصير، أن الولي هو الذي يدفع المكروه عن الإنسان بنفسه لولايته ومباشرته الدفع، والنصير هو الذي يأمر بدفعه عنه لمناصرته ومعاونته في الدفع، والولي أخص من النصير، إذ قد ينصر من ليس بولي. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ﴾ واليأس انتفاء الطمع وانقطاعه.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الاستفهام للتقريع والتوبيخ والإنكار في قوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿صَدَقُواْ﴾ و﴿ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾، وبين ﴿ءَامَنُواْ﴾ و﴿ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾، وبين ﴿يُعَذِّبُ﴾ و﴿يرحم﴾ وبين ﴿يبدىء﴾ و﴿يعيد﴾.

ومنها: مغايرة الأسلوب في قوله: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ حيث عبر في الأول: بصيغة الفعل الماضي، وهي ﴿صَدَقُواْ﴾ وفي الثاني: بصيغة اسم الفاعل وهي ﴿ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾. والنكتة في هذه المخالفة كما مر، أن اسم الفاعل يدل على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه، والفعل الماضي لا يدل عليه؛ لأن الآية وقت نزولها كانت حكايةً عن قوم قريبي عهد بالإسلام، وعن قوم مستمرين على الكفر، فعبر عن حق الأولين بلفظ الفعل، وفي حق الآخرين بالصيغة الدالة على الثبات والدوام.

ومنها: الحذف في قوله: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾ فإن جواب الشرط فيه محذوف، كما سبق.

ومنها: التأكيد بـ﴿إن﴾ و﴿اللام﴾، في قوله: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾؛ لأن المخاطب منكر.

ومنها: صيغة المبالغة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

ومنها: تغيير الأسلوب في قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ حيث عبر في الأول: بالفعل، وفي الثاني: باسم الفاعل، تفنناً لرعاية الفاصلة. كما في «البيضاوي».

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾ حيث استعار الإتباع الذي هو المشي خلف ماش، لسلوك طريقتهم في الدين، فاشتق من الإتباع الذي هو بمعنى السلوك، اتبعوا، بمعنى: اسلكوا على طريقة الاستعارة التبعية.

ومنها: مجيء الأمر بمعنى الخبر في قوله: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ والأصل فيه: إن تتبعونا نحمل خطاياكم، فعدل عنه إلى ما ذكر مما هو خلاف الظاهر من أمرهم بالحمل، إفادةً للمبالغة.

ومنها: التشبيه المرسل المجمل في قوله: ﴿فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ حذف منه وجه الشبه، فهو مجمل.

ومنها: التفنن في التعبير في قوله: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ لم يقل إلا خمسين سنة تفنناً؛ لأن التكرار في الكلام الواحد مخالف للبلاغة، إلا إذا كان لغرض من تفخيم أو تهويل، نحو ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾.

ومنها: الاستعارة اللطيفة في قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ شبه الذنوب بالأثقال؛ لأنها تُثقل كاهل الإنسان.

ومنها: تنكير الرزق في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ ثم تعريفه، بقوله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾؛ لأن الأول مقصور عليهم، فاستوجب أن يكون ضئيلاً قليلاً، فنكره تدليلاً على قلته وضآلته، ولما كان الثاني مبتغًى عند الله، استوجب أن يكون كثيراً؛ لأنه كله عند الله فعرَّفه تدليلاً على كثرته وجسامته.

ومنها: الإضمار ثم الإظهار اهتماماً بشأن الأمر الأخير، في قوله: ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ ألا ترى أنه صرح باسمه تعالى، في

قوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ لتفخيم شأن النشأة، وكان القياس أن يقول: كيف بدأ الله الخلق ثم ينشيء النشأة الآخرة، فأفصح باسمه بعد إضماره، للتنبيه على عظم هذا الأمر الذي هو الإعادة.

والأصل في الكلام: الإظهار ثم الإضمار، ويليه لقصد التفخيم الإظهار بعد الإظهار، ويليه وهو أفخم الثلاثة الإظهار بعد الإضمار، كما في الآية.

ومنها: الجناس غير التام في قوله: ﴿يَسِيرٌ﴾ و﴿سِيرُواْ﴾.

ومنها: أسلوب الإطناب في قوله: ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لغرض التشنيع عليهم في عبادة الأوثان.

ومنها: التكرار في قوله: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ وفي قوله: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١﴾.

ومنها: الجناس المغاير في قوله: ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم﴾ وفي قوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾.

ومنها: الجناس المماثل في قوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ﴾.

ومنها: الحصر في قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ﴾.

ومنها: التعبير بصيغة الماضي عما في المستقبل في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾؛ أي: ييأسوا منها يوم القيامة.

ومنها: إضافة الرحمة إلى نفسه دون العذاب في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ إشعاراً بسبق رحمته على غضبه، وإعلاماً لعباده بعمومها لهم .اهـ. أبو السعود.

ومنها: تقديم التعذيب على الرحمة في قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ لما أن الترهيب أنسب بالمقام من الترغيب، كما مر.

ومنها: الحصر في قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾.

ومنها: الإسناد العقلي في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾؛ أي: أهلكهم من إسناد الشيء إلى سببه.

ومنها: الإضافة لأدنى ملابسة في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾.

ومنها: التعبير عن الإعادة بالنشأة، في قوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ للتنبيه على أن البدء يسمى نشأة كإعادة، والتغاير بينهما بالوصف، حيث قالوا: نشأة أولى، ونشأة أخرى. اهـ «رازي». اهـ من «الفتوحات».

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه جل وعلا أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٢٥) ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٢٧) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٣٢) وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ (٤٣) خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن أبراهيم عليه السلام، لما أقام لهم الحجج والبراهين على الوحدانية، وإرسال الرسل، والحشر، والجزاء.. أردف[١] ذلك ببيان أنهم جحدوا وعاندوا، ودفعوا الحق بالباطل، بعد أن ألزمهم الحجة ولم يجدوا للدفاع سبيلاً، وحينئذ عدلوا إلى استعمال القوة كما هو دأب المحجوج المغلوب على أمره، فقالوا لقومهم: ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ﴾ فأنجاه الله من كيدهم، وجعلها عليه برداً وسلاماً فعاد إلى لومهم بعد أن أُخرج من النار، وقال: إن تَمسُّككم بما أنتم عليه لم يكن عن دليل وبرهان، بل عن تقليد وحفظ للمودة بينكم، فلا يريد أحدكم أن يفارقه صاحبه في السيرة والطريقة، ولكنكم يوم القيامة تتحاجون حين يزول عمى القلوب وتستبين الأمور للَّبيب الأريب، ويكفر بعضكم بعضاً، فيقول العابد: ما هذا معبودي، ويقول المعبود: ما هؤلاء بعبدتي، ويلعن بعضكم بعضاً، فيقول هذا لذاك: أنت الذي أوقعتني في العذاب حيث عبدتني، ويقول ذاك لهذا: أنت الذي أوقعتني فيه حيث أضللتني بعبادته، ويود كل منكم أن يبعد عن صاحبه، وأنى لهما ذلك وهما مجتمعان في النار، وما لهما ناصر يخلِّصهما منها، كما خلَّصني ربي من النار التي ألقيتموني فيها.

وعبارة أبي حيان[٢]: لما أمرهم إبراهيم بعبادة الله، وبيَّن سفههم في عبادة الأوثان، وظهرت حجته عليهم.. رجعوا إلى الغلبة، فجعلوا القائم مقام جوابه فيما أمرهم به قولهم: اقتلوه أو حرقوه، والآمرون بذلك إما بعضهم لبعض، أو كبراؤهم، قالوا لأتباعهم اقتلوه فتستريحوا منه عاجلاً، أو حرقوه بالنار، فإما أن

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

يرجع إلى دينكم إذا أو مضته النار، وإما أن يموت بها إن أصر على قوله ودينه، انتهت.

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ . . .﴾ الآيتين، مناسبتهما لما قبلهما: أن الله سبحانه لما ذكر إنجاء إبراهيم من النار، وأن ذلك معجزة له، لا يفقه قدرها إلا من كان ذكي الفؤاد، قوي الفطنة، يفهم الدلائل التي أودعها الله في الكون. . أردف ذلك ببيان أنه لم يصدق بما رأى إلا لوط عليه السلام، فقد آمن به واستقر الإيمان في قلبه، ثم بيَّن أن إبراهيم لما أيس من إيمان قومه، هاجر إلى بلاد الشام فراراً بدينه، وقصداً إلى إرشاد الناس وهدايتهم، ثم عدد نعمه العاجلة عليه في الدنيا، بأن آتاه بنين وحفدة، وجعل فيهم النبوة وأنزل عليهم الكتب، وآتاه الذكر الحسن إلى يوم القيامة، ونعمه الآجلة أنه مكتوب في عداد الكملة في الصلاح والتقوى.

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ. . .﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه لما قص علينا قصص إبراهيم عليه السلام، وما لاقاه من قومه من العتو والجبروت، ثم نصره له نصراً مؤزراً. . أعقبه بقصص لوط، إذ كان معاصراً له، وسبقه إلى الدعوة إلى الله، وقد افتنَّ قومه في فعلة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، ولأن الملائكة الذين أنزلوا بقرية سذوم العذاب جاؤوا ضيوفاً لإبراهيم عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ. . .﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها[1]: أنه لما استنصر لوط عليه السلام بربه، بقوله: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ استجاب دعاءه، وبعث لنصرته ملائكة وأمرهم بإهلاك قومه، وأرسلهم من قبل بالبشرى لإبراهيم فجاؤوا وبشروه بذرية طيبة، ثم قالوا له: إنا مهلكوا أهل هذه القرية لتمادي أهلها في الشر، وإصرارهم على الكفر والمعاصي، فأشفق إبراهيم على لوط، وقال: إن في القرية لوطاً، فقالوا:

(١) المراغي.

إنا منجوه وأهله إلا امرأته، ثم ننزل عليهم من السماء عذاباً بما اجترحوا من السيئات، واجترموا من الذنوب والآثام، ثم ندعهم عبرةً وآيةً بينةً لقوم يعقلون.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما أسلف أنه أهلك من أشرك به بعاجل العقاب، وسيعذبه بشديد العذاب، ولا ينفعه في الدارين معبوده، ولا يجديه ركوعه وسجوده.. أردف هذا بتمثيل حال من اتخذ معبوداً دون الله بحال العنكبوت، وقد اتخذت لها بيتاً لا يريحها إذا هي أوت، ولا يجيرها من حر وبرد إذا هي ثوت، ثم زاد الإنكار توكيداً، فذكر أن ما يدعونه ليس بشيء، فكيف يتسنى للعاقل أن يترك القادر الحكيم ويشتغل بعبادة من ليس بشيء، ثم أردف هذا ببيان فائدة ضرب الأمثال للناس، وأنه لا يُدرك مغزاها إلا ذوو الألباب الذين يفهمون خبيء الكلام، وظاهره وسره وعلانيته.

ثم ذكر أنه لم يخلق السمٰوات والأرض إلا لحكمة يعلمها المؤمنون، ويدركها المستبصرون، وهي ما أرشد إليها بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ وبعد أن أمر سبحانه عباده بما تقدم بيانه، وأظهر الحق ببرهانه، ولم يهتد بذلك المشركون، سلّى رسوله بأمره بتلاوة كتابه وعبادته تعالى طرفي النهار وزلفاً من الليل، وإرشاده إلى أن الله عليم بما يصنع عباده، وسيجازيهم كفاء ما يعملون من خير وشر.

التفسير وأوجه القراءة

قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦ...﴾ إلخ، رجوع[1] إلى خطاب إبراهيم بعد الاعتراض، بما تقدم من خطاب محمد ﷺ على قول من قال إن قوله: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خطاب لمحمد ﷺ، وأما على قول من قال: إنه خطاب لإبراهيم عليه السلام، فالكلام في سياقه سابقاً ولاحقاً؛ أي: قال إبراهيم عليه السلام لقومه: اعبدوا الله واتقوه، فما كان جواب قومه آخر الأمر، وهو بالنصب على أنه خبر

---

(١) الشوكاني.

كان، واسمها قوله: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾؛ أي: إلا قول بعضهم لبعض عند المشاورة بينهم: لا تجيبوا إبراهيم عن براهينه الثلاثة، الدالة على التوحيد والنبوة والحشر.

﴿اَقْتُلُوهُ﴾؛ أي: اقتلوا إبراهيم بسيف أو نحوه، فتستريحوا منه عاجلاً ﴿أَوْ حَرِّقُوهُ﴾؛ أي: حرقوا إبراهيم بالنار، فإما أن يرجع إلى دينكم إذا أوجعته النار، وإما أن يموت بها إذا أصر على دينه، وفيه[1] تسفيه لهم، حيث أجابوا من احتج عليهم بأن يُقتل أو يحرق، وهكذا ديدن كل محجوج مغلوب، وإنما أجابوه بذلك لعدم قدرتهم على الجواب الصحيح، كما قاله الرازي.

والفاء في قوله: ﴿فَأَنجَىٰهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ بجعلها برداً، عاطفة على محذوف، تقديره: فألقوه في النار فأنجاه الله سبحانه من أذاها، بأن جعلها عليه برداً وسلاماً.

رُوي أنه لم ينتفع أحد بالنار يومئذ في موضع أصلاً، وذلك لذهاب حرها؛ أي: تشاوروا فيما بينهم، وقالوا: افعلوا بإبراهيم أحد الأمرين المذكورين، ثم اتفقوا على تحريقه فأضرموا ناراً عظيمة، فألقوه فيها، فأنجاه الله سبحانه منها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإنجاء؛ أي: في إنجاء الله تعالى إبراهيم من تلك النار ﴿لَأَيَٰتٍ﴾؛ أي: لدلالات عجيبة، وآيات واضحة، وعلامات ظاهرة، وبراهين ساطعة على عظيم قدرة الله، وبديع صنعه، حيث أضرموا تلك النار العظيمة وألقوه فيها ولم تحرقه ولا أثرت فيه أثراً إلا ما أحرقت من وثاقه، بل صارت إلى حالة مخالفة لما هو شأن عنصرها من الحرارة والإحراق.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: يصدقون بوجود الله وكمال قدرته، حيث أخمدها في زمن يسير، وأنشأ في مكانها روضاً زاهراً، وبستاناً فاخراً وأنيساً باراً على ما قيل، وإنما خص المؤمنين بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بآيات الله سبحانه بالتفحص عنها، والتأمل فيها، وأما الكافرون فمحرومون من الفوز بمغانم آثارها، وغافلون عن التفكر في حقائقها.

---

(١) روح البيان.

فإن قلت: لِمَ جمع[1] الآيات هنا، حيث قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وأفردها فيما بعدُ في قوله: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾؟

قلت: إن ما هنا إشارة إلى إثبات النبوة القائمة بالنبيين، وهم كثيرون فناسبه الجمع، وما بعدُ إشارة إلى التوحيد القائم بواحد، وهو الله لا شريك له فناسبه الإفراد .اهـ. «زكريا».

وعبارة أبي حيان: وجمع هنا[2] فقال: ﴿لَآيَاتٍ﴾؛ لأن الإنجاء من النار وجعلها برداً وسلاماً، وأنها أثرت في الحبل الذي كانوا أوثقوه به دون الجسم، وأن مكانها حالة الرمي صار بستاناً يانعاً إن صح، هو مجموع آيات، فناسب الجمع بخلاف الإنجاء في السفينة فإنه آية واحدة، فلذلك أفرد آية هناك، انتهت.

وقرأ الجمهور: ﴿جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ بالنصب على أنه خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم على اسمها، وما بعده اسمها، وقرأ الحسن وسالم الأفطس وعمرو بن دينار برفعه على أنه اسم ﴿كَانَ﴾، وما بعده في محل نصب على الخبر.

ثم ذكر ما قاله إبراهيم عليه السلام لهم، بعد إنجائه من النار، بقوله: ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم مخاطباً لقومه، ومؤنباً لهم، وموبخاً على سوء صنيعهم بعبادة الأوثان ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾؛ أي[3]: إنما اتخذتموها آلهة، لا لحجة قامت بذلك، بل ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾؛ أي: بل لأجل أن تتوادوا وتتحابوا بينكم، وتتلاطفوا بسبب اجتماعكم على عبادتها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: مدة بقائكم في الدنيا.

والمعنى[4]: أي إنما اجتمعتم على عبادتها في الدنيا، للصداقة والألفة التي بين بعضكم وبعض، فأنتم تتحابون على عبادتها، وتتوادون على خدمتها، كما يتفق الناس على مذهب، فيكون ذلك سبب ألفتهم ومودتهم، لا لقيام الدليل

---

(١) فتح الرحمٰن.
(٢) البحر المحيط.
(٣) روح البيان.
(٤) المراغي.

عندكم على صحة عبادتها.

وقصارى ذلك: أن مودة بعضكم بعضاً هي التي دعتكم إلى عبادتها، إذ قد رأيتم بعض من تودون عبدوها، فعبدتموها موافقةً لهم لمودتكم إياهم، كما يرى الإنسان من يوده يفعل شيئاً فيفعله مودةً له.

ثم ذكر أن حالهم في الآخرة ستكون على نقيض هذا، فقال: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بعد الخروج من الدنيا تنقلب الأمور، ويتبدل التواد تباغضاً، والتلاطف تلاعناً، حيث ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم﴾ وهم العبدة ﴿بِبَعْضٍ﴾ وهم الأوثان ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾؛ أي: يلعن ويشتم كل فريق منكم ومن الأوثان ـ حيث ينطقها الله ـ الفريق الآخر.

﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾؛ أي: مثواكم جميعاً العابدون والمعبودون والتابعون والمتبوعون ﴿ٱلنَّارُ﴾؛ أي: هي منزلكم الذي تأوون إليه، ولا تُرجعون منه أبداً ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾؛ أي: من مانعين يخلصونكم منها ما خلصني ربي من النار التي ألقيتموني فيها، وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع؛ أي: وما لأحد منكم من ناصر أصلاً، والخطاب فيه لعبدة الأوثان جميعاً القادة والأتباع.

والمعنى: أي ثم تنعكس الحال يوم القيامة، فتنقلب الصداقة والمودة بغضاً وشنآناً، وتتجاحدون ما كان بينكم، ويلعن بعضكم بعضاً، فيلعن الأتباع المتبوعين، والمتبوعون الأتباع، كما قال ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ ثم مرجعكم إلى النار، وما لكم من ناصر ينصركم، ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله تعالى.

وقرأ الحسن[1] وأبو حيوة وابن أبي عبلة، وأبو عمرو في رواية الأصمعي والأعمش عن أبي بكر، وابن وثاب وابن عباس وسعيد بن المسيب وعكرمة: ﴿مودةٌ﴾ برفعها منونة، ﴿بينَكم﴾ بالنصب، فالرفع على أنها خبر إن، وما موصولة، ومودة إما مصدر بمعنى اسم المفعول، أو على حذف مضاف؛ أي: إن

---

(١) البحر المحيط، والشوكاني، وزاد المسير.

الأوثان التي اتخذتموها آلهة مودودة محبوبة بينكم، أو سبب مودةٍ وصلة ولقاء بينكم، واجتماع عندها، أو ما مصدرية؛ أي: إن اتخاذكم أوثاناً مودة وصلة واجتماع بينكم؛ أي: سببها.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿مودةُ بينكم﴾ برفع مودة غير منونة وإضافتها إلى بينكم، وروى عن عاصم[1]: ﴿مودةُ﴾ بالرفع من غير تنوين و﴿بينَكم﴾ بالفتح؛ أي: بفتح النون جعله مبنياً لإضافته إلى مبني، وهو في موضع خفض بالإضافة، ولذلك سقط التنوين من مودة.

وقرأ نافع وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم بنصب[2]: ﴿مودةً﴾ منوناً ونصب ﴿بينَكم﴾ على الظرفية، والعامل فيه المودة، قال أبو علي: المعنى اتخذتم الأصنام للمودة، وقرأ حمزة وحفص عن عاصم ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ بنصب مودة مع إضافته إلى بينكم، وهذا على الاتساع في جعل الظرف اسماً لما أضيف إليه. قال المفسرون: معنى الكلام إنما اتخذتموها لتتصل المودة بينكم واللقاء والاجتماع في الحياة الدنيا، وأنتم تعلمون أنها لا تنفع ولا تضر.

والفاء في قوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ عاطفة على محذوف تقديره: فكذبه قومه فآمن له، أي: لإبراهيم لوط. يقال: آمن له وآمن به متقارب في المعنى. قال[3] ابن إسحاق: أول من آمن بإبراهيم لوط، وكان ابن أخيه هاران، وآمنت به سارة، وكانت بنت عمه.

والمعنى[4]: صدَّقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا إليه من التوحيد فقط، فإنه كان منزهاً عن الكفر؛ لأن الأنبياء لا يتصور فيهم الكفر، وما قيل: إنه آمن له حين رأى النار لم تحرقه، ينبغي أن يُحمل على ما ذكرنا، أو على أنه يراد بالإيمان الرتبة العالية منه، وهي التي لا يرتقي إليها إلا همم الأفراد.

أي: فقال لوط لإبراهيم: صدقتك يا إبراهيم. ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم للوط

---

(١) البحر المحيط.
(٢) زاد المسير.
(٣) القرطبي.
(٤) روح البيان.

وسارة، وهي ابنة عمه، وكانت آمنت به، وكانت تحت نكاحه ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾؛ أي: تارك لقومي وذاهب ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾؛ أي: إلى مكان أمرني ربي بالتوجه إليه. قال قتادة: هاجر إبراهيم من كوثي، وهي قرية من سواد الكوفة إلى حران مع لوط وسارة زوجته، ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين، ونزل لوط سذوم، وكان عمر إبراهيم إذ ذاك خمساً وسبعين سنة، وهو أول من هاجر من أرض الكفر.

وقال زاده[1]: يجب الوقف على لوط؛ لأن قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من مقول إبراهيم، فلو وُصل لتوهم أن الفعل الثاني للوط فيفسد المعنى .اهـ وهذا على قول الجمهور، إن الضمير في ﴿قَالَ﴾ لإبراهيم، وقيل: إنه للوط؛ أي: وقال لوط إني مهاجر إلى ربي، إلخ، حكاه القرطبي، وعلى هذا فلا يتعين الوقف على لوط، بل يصح وصله بما بعده، اهـ. والأول أولى لرجوع الضمير في ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ إلى إبراهيم.

﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى ﴿هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾؛ أي: الغالب على أمره فيمنعني من أعدائي ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة، فلا يأمرني إلا بما فيه صلاحي، ومن لم يقدر في بلدة على طاعة الله، فليخرج إلى بلدة أخرى، وفي «التأويلات النجمية» ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾؛ أي: إن الله أعز من أن يصل إليه أحد، إلا بعد مفارقته لغيره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يقبل بمقتضى حكمته إلا طيباً من لوث أنانيته.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾؛ أي: لإبراهيم من عجوز عاقر، وهي سارة ﴿إِسْحَٰقَ﴾ ولداً لصلبه؛ أي: من بعد ما وهبنا له إسماعيل من هاجر بأربع عشرة سنة. ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ نافلة، وهي ولد الولد حين أيس من الولادة، قال القاضي[2]: ولذلك لم يذكر إسماعيل، يعني أن المقام مقام الامتنان، والامتنان بهما أكثر لما ذكر، روي أن الله تعالى وهب له أربعة أولاد، إسحاق من سارة، وإسماعيل من هاجر، ومدين ومداين من غيرهما.

---

(١) الفتوحات. (٢) روح البيان.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾؛ أي: في ذرية إبراهيم ونسله، يعني: في بني إسماعيل وبني إسرائيل ﴿النُّبُوَّةَ﴾ والرسالة، فكثر منهم الأنبياء، يقال أخرج من ذريته ألف نبي، وكان شجرة الأنبياء ﴿وَالْكِتَابَ﴾؛ أي: جنس الكتاب المتناول الكتب الأربعة، يعني التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فلم ينزل بعده كتاب إلا على ذريته. ﴿وَآتَيْنَاهُ﴾؛ أي: أتينا إبراهيم وأعطيناه ﴿أَجْرَهُ﴾ وجزاءه بمقابلة هجرته إلينا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بإعطاء الولد في غير أوانه، والمال والذرية الطيبة، واستمرار النبوة فيهم، وانتماء أهل الملل إليه، والثناء الحسن، والصلاة عليه إلى آخر الدهر.

أي[١]: فبدل الله سبحانه وحدته بكثرة الذرية، وبدل قومه الضالين بقوم مهتدين، وهم ذريته الذين جعل فيهم النبوة والكتاب، وكان لا مال له ولا جاه، وهما غاية اللذة في الدنيا، فكثر ماله وعظم جاهه، فصارت تقرن الصلاة عليه بالصلاة على سائر الأنبياء، وصار معروفاً بأنه شيخ الأنبياء، بعد أن كان خاملَ الذكر حتى قال قائلهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ وهذا لا يقال إلا في المجهول بين الناس، إلى أنه تعالى اتخذه خليلاً وجعله للناس إماماً، وقيل[٢]: أعطاه في الدنيا عملاً صالحاً وعاقبةً حسنةً.

﴿وَإِنَّهُ﴾؛ أي: وإن إبراهيم ﴿فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾؛ أي: لفي عداد الكاملين في الصلاح والتقوى، والمستحقين لتوفير الأجر، وكثرة العطاء، والفوز بالدرجات العلى من لدن رب العلمين، وهم الأنبياء وأتباعهم صلوات الله وسلامه عليهم، وقصارى أمره أنه سبحانه جمع له بين سعادة الدارين، وآتاه الحسن في الحياتين.

ثم اعلم[٣]: بأن الله سبحانه وتعالى منَّ على إبراهيم عليه السلام بهبة الولد، والولد الصالح الذي يدعو لوالديه من الأجور الباقية الغير المنقطعة،

---

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

(٣) روح البيان.

كالأوقاف الجارية، والمصاحف المتلوة، والأشجار المنتفع بها ونحوها، وكذلك منَّ عليه بأن جعل في ذريته النبوة.

ومن الإشارة في الآية من السعادات أن يكون في ذرية الرجل أهل الولاية الذين هم ورثة الأنبياء، فإن بهم تقوم الدنيا والدين، وتظهر الترقيات الصورية والمعنوية للمسلمين، وتسطع الأنوار إلى جانب أرواح المقربين وأعلى عليين، فيحصل الفخر التام، والشرف الشامل، والانتفاع العام، وهؤلاء إن كانوا من النسب الطيني فذاك، وإن كانوا من النسب الديني فالأولاد الطيبون، والأحفاد الطاهرون مطلقاً من نعم الله الجليلة:

نِعَمُ ٱلإِلٰهِ عَلَىٰ ٱلعِبَادِ كَثِيْرَةٌ وَأَجَلُّهُنَّ نَجَابَةُ ٱلأَوْلَادِ

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً، آمين.

فإن قلت[1]: قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ الآية، ذكر ذلك في معرض المدح لإبراهيم عليه السلام أو الامتنان عليه، وأجر الدنيا فانٍ منقطع بخلاف أجر الآخرة، فكيف ذكره دون أجر الآخرة؟

قلت: بل ذكره أيضاً في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ إذ المعنى إن له في الآخرة أجر الصالحين وافياً كاملاً، لكن أخَّره موافقةً للفواصل.

قصص لوط عليه السلام

قوله: ﴿وَلُوطًا﴾ منصوب بالعطف على نوحاً، أو على إبراهيم أو بتقدير أذكر. و﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ ظرف للعامل في لوطاً، قال الكسائي: والمعنى: ولقد أرسلنا لوطاً من قبلك يا محمد، أو أنجينا لوطاً حين قال لقومه من أهل المؤتفكات ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا قوم ﴿لَتَأْتُونَ﴾ وتفعلون ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾؛ أي: الخصلة المتناهية في القبح والفحش، وهي اللِّواطة.

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر[2] ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بالاستفهام الإنكاري

---

(١) فتح الرحمٰن.
(٢) الشوكاني.

التوبيخي، وقرأ الباقون بلا استفهام. وجملة قوله: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾؛ أي: بتلك الفاحشة ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ قال الزمخشري: جملة[1] مستأنفة، مقررة لكمال قبح تلك الخصلة، وأنهم منفردون بها لم يسبقهم إلى عملها أحد من الناس، على اختلاف أجناسهم، كأن سائلاً قال: لم كانت فاحشة؟ فقيل: لأن أحداً قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازاً منها في طباعهم، لإفراط قبحها، حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم، قالوا: لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط؛ أي: مع طول الزمان وكثرة القرون، انتهى. ويظهر[2] أن ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ جملة حالية كأنه قال: أتأتون الفاحشة مبتدعين لها، غير مسبوقين بها.

والمعنى: أي[3] واذكر يا محمد لقومك قصص لوط حين أرسلناه إلى أهل سذوم، الذين سكن فيهم وصاهرهم، وانقطع إليهم فصاروا قومه فأنكر عليهم سوء صنيعهم، وقبيح أفعالهم التي اختصوا بها، ولم يسبقهم إليهم أحد من قبلهم لفظاعتها، ونفرة الطباع السليمة منها.

ثم فصل وبيَّن هذه الفاحشة، وكرر الإنكار عليها فقال:

١ - ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ إتيان الشهوة وتلوطونهم، وتستمتعون بهم الاستمتاع بالنساء، والاستفهام هنا وفيما سبق على قراءة، للإنكار والتوبيخ والتقريع.

٢ - ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾؛ أي: تقطعون المارة والمسافرين عن مرورهم في الطريق، قيل إنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين، فلما فعلوا ذلك ترك الناس المرور بهم، فقطعوا السبيل بهذا السبب، قال الفراء: كانوا يعترضون الناس في الطرق بعملهم الخبيث، وقيل: كانوا يقطعون الطريق على المارة بقتلهم ونهبهم، والظاهر أنهم كانوا يفعلون ما يكون سبباً لقطع الطريق من غير تقييد بسبب خاص، قيل: كانوا يفعلون ذلك لكيلا يدخل الناس في بلدهم،

---

(١) الكشاف.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.

ولا يتناولوا من ثمارهم.

والمعنى: أي وتقفون في الطرقات تتعرضون للمارة تقتلونهم وتأخذون أموالهم، وقيل المعنى: تقطعون سبيل الولد، بتعطيل الفرج ووطء أدبار الرجال.

٣ - ﴿وَتَأْتُونَ﴾؛ أي: تفعلون وتتعاطون من غير مبالاة ﴿فِي نَادِيكُمُ﴾؛ أي: في متحدثكم ومجلسكم، ومجتمعكم الجامع لأصحابكم، وهو اسم جنس[١] إذا أنديتهم في مدائنهم كثيرة، ولا يسمى نادياً إلا ما دام فيه أهله، فإذا قاموا عنه لم يُطلق عليه ناد إلا مجازاً ﴿الْمُنكَرَ﴾ وهو كل ما تنكره العقول السليمة، والشرائع، والمروءات، وتحكم بقبحه، كاللواطة، والجماع بحضرة الناس، والضراط، وحل الإزار في المجالس، وحل أزراء القباء، والحذف بالبندق، وضرب الأوتار والمزامير، قيل: إنهم كانوا يجلسون في مجالسهم، وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى، فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه، فأيهم أصابه، كان يأخذ ما معه ويلوطه ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاض يقضي بينهم بذلك، ومنه (هواجور) من قاضي سذوم، ومن أخلاقهم الصفير، وتطريف الأصابع بالحناء، والفرقعة؛ أي: مد الأصابع؛ أي: جرها حتى تصوِّت، ولذا كُرهت في الصلاة وخارجها لئلا يلزم التشبه بهم، ومن أخلاقهم مضغ العلك - اللبان -. ولا يكره[٢] للمرأة إن لم تكن صائمةً لقيامه مقام السواك في حقهن، لأن سنها أضعف من سن الرجال، كسائر أعضائها، فيخاف من السواك سقوط سنها، وهو ينقِّي الأسنان ويشد اللثة كالسواك، ويكره للرجل إذا لم يكن من علة كالبخر، لما فيه من التشبه بالنساء، ومن أخلاقهم السباب والفحش في المزاح، يقال المزاح يجلب صغيرة الشرك، وكبيرة الحرب، ومن أخلاقهم اللعب بالحمَام، قيل: كانوا يناقرون بين الديكة ويناطحون بين الكباش، وقيل: كانوا يلعبون بالنرد والشطرنج، ويلبسون المصبغات، ومن أخلاقهم لباس النساء للرجاء، والمكوس على كل عابر، وهم أول من لاط ومن ساحق، ولا مانع أنهم كانوا يفعلون جميع ذلك.

---

(١) البحر المحيط.　　(٢) روح البيان.

وفي هذا إعلام، أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكير، ولا ينبغي لهم أن يجتمعوا على الهزء والمناهي والملاهي.

وحاصل المعنى(١): أي وتفعلون من الأفعال والأقوال في أنديتكم ومجتمعاتكم ما لا يليق، ويخجل منه أرباب الفطر السليمة، والعقول الراجحة الحصيفة.

زعمت الهند(٢): أن حبس الضراط داء، وإرساله دواء، ولا يحبسون في مجالسهم ضرطة، ولا يرون ذلك عيباً، وأفلتت من معاوية ريح على المنبر فقال: أيها الناس إن الله خلق أبداناً وجعل فيها أرياحاً، فمتى يتمالك الناس أن لا تخرج منهم، فقام صعصعة بن صوحان فقال: أما بعد فإن خروج الأرياح في المتوضاة سنة، وعلى المنابر بدعة، وأستغفر الله لي ولكم.

ثم ذكر جوابهم عن نصحه لهم، فقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾؛ أي: فلما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح، ما كان جوابهم إذ نهاهم عما يكرهه الله سبحانه، من إتيان الفواحش التي حرمها الله عليهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ له استهزاءً؛ أي: إلا قولهم ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الذي تعدنا ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما تعدنا من نزول العذاب؛ أي: إن كنت صادقاً فيما تقول، ومنجزاً ما تعد، وكان قد أوعدهم بالعذاب على ذلك.

وهذا الجواب(٣) صدر منهم في أول مواعظه، فلما ألح عليهم في الإنكار والنهي، قالوا: أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون، كما جاء في سورة الأعراف، وفي هذا إيماء إلى شديد كفرهم، وعظيم عنادهم؛ أي: فما أجابوا بشيء إلا بهذا القول رجوعاً إلى التكذيب واللجاج والعناد.

وقد تقدم في سورة النمل ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ وتقدم في سورة الأعراف ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.

﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ فما بين ما هنا وما في السورتين السابقتين معارضة. وقد جُمع[1] بين هذه الثلاثة المواضع، بأن لوطاً كان ثابتاً على الإرشاد، ومكرراً للنهي لهم، والوعيد عليهم، فقالوا له أولاً: ائتنا بعذاب الله، كما في هذه الآية، فلما كثر منه ذلك، ولم يسكت عنهم قالوا: أخرجوهم، كما في الأعراف والنمل، وقيل: إنهم قالوا أولا: أخرجوهم، من قريتكم، ثم قالوا ثانياً: ائتنا بعذاب الله، ثم إن لوطاً لما أيس من إيمانهم وقبولهم نصحه طلب من الله سبحانه نصره عليهم فـ﴿قَالَ﴾؛ أي: لوط بطريق المناجاة والدعاء يا ﴿رَبِّ﴾ ويا ناصري ﴿انصُرْنِي﴾ بإنزال العذاب الموعود ﴿عَلَى﴾ هؤلاء ﴿الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ الذين ابتدعوا الفواحش ورسخوا فيها، وجعلوها سنةً لمن بعدهم، وأصروا عليها، وجعلوا وعيدك لهم تهكماً وسخرية.

وإنما[2] وصفهم بالإفساد، ولم يقل عليهم، أو على قومي، مبالغةً في استنزال العذاب عليهم، وإشعاراً بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب. قال الطيبي: الكافر إذا وُصف بالفسق أو الإفساد كان محمولاً على غلوه في الكفر.

فاستجاب الله سبحانه دعاءه، وبعث لعذابهم ملائكته، وأمرهم بتبشير إبراهيم قبل عذابهم، ولهذا قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ من الملائكة، وهم جبريل ومن معه ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ الخليل ﴿بِالْبُشْرَىٰ﴾ أي: بالبشارة بالولد، وهو إسحاق، وبالنافلة، وهو يعقوب، وبإهلاك قوم لوط فبشروه بأمرين، بالذرية الطيبة، وبإهلاك قوم لوط، فجاؤوه مبشرين ومنذرين، لكن لما كانت البشارة أثر الرحمة، والإنذار بالإهلاك أثر الغضب، ورحمته سبقت غضبه قدم البشارة على الإنذار، ولما كان في الإهلاك إخلاء الأرض من العباد، قدم على ذلك بشارة إبراهيم بأنه يملأ الأرض من العباد الصالحين اهـ «أبو السعود» بتصرف.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: قالت الرسل لإبراهيم في تضاعيف الكلام ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ التي هي قرية سذوم، التي كان فيها لوط، والإضافة فيه لفظية؛ لأن

---

(1) الشوكاني.　　(2) روح البيان.

المعنى على الاستقبال. ﴿إِنَّ أَهْلَهَا﴾؛ أي: أصحاب هذه القرية ﴿كَانُوا ظَٰلِمِينَ﴾؛ أي: مستمرين على الظلم بإصرارهم على الكفر والتكذيب وأنواع المنكرات، والجملة تعليل للإهلاك؛ أي: إهلاكنا لهم بهذا السبب ولما قالت الملائكة لإبراهيم ذلك: ﴿قَالَ﴾ إبراهيم للرسل إشفاقاً على المؤمنين ومجادلةً عنهم ﴿إِنَّ فِيهَا﴾؛ أي: إن في هذه القرية التي تريدون إهلاكها ﴿لُوطًا﴾ رسول الله، وهو غير ظالم، فكيف تهلكونها؟ قيل سمي بلوط لأن حبه ليط بقلب عمه إبراهيم، أي علق ولصق، وكان إبراهيم يحبه حباً شديداً. ﴿قَالُوا﴾؛ أي: الملائكة في جواب إبراهيم ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾ منك يا إبراهيم ﴿بِمَن فِيهَا﴾؛ أي: بمن في تلك القرية من لوط وغيره، ولسنا بغافلين عن حال لوط، فلا تخف أن يقع حيف على مؤمن، وعزة الله وكبريائه ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾؛ أي: لننجين لوطاً ﴿وَأَهْلَهُ﴾؛ أي: ابنتيه زاعورا ورويثا من العذاب.

قرأ الأعمش وحمزة والكسائي ويعقوب[1]: ﴿لَنُنْجِيَنَّهُ﴾ بالتخفيف، مضارع أنجى الرباعي من باب أعلم، وقرأ باقي السبعة بالتشديد مضارع نجى المضعف، وقرأ الجمهور بتشديد النون، وفرقة بتخفيفها.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ﴾؛ أي: إلا امرأة لوط وزوجته المنافقة واعلة ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾؛ أي: كانت في علم الله وحكمه الأزلي من الباقين في العذاب، المنغمسين فيه بسبب أن للدال على الشر نصيباً من العذاب كفاعله، وهي كانت تدل القوم على أضياف لوط، وقيل: المعنى من الباقين في القرية، التي سينزل بها العذاب، فتعذب من جملتهم، ولا تنجو فيمن نجا.

ومعنى الآية[2]: أي قال إبراهيم إشفاقاً على لوط ليعلم حاله: إن في القرية لوطاً، وهو ليس من الظالمين لأنفسهم، بل هو من رسل الله تعالى وأهل الإيمان به، والطاعة له، فقال الرسل: نحن أعلم منك بمن فيها من الكافرين، وبأن لوطاً ليس منهم.

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

ثم زادوا ما سلف إيضاحاً، وطمأنوه بذكر ما يسره من نجاته بقولهم: لننجينه وأهله... إلخ؛ أي: لننجين لوطاً وأتباعه من الهلاك، الذي هو نازل بأهل القرية إلا امرأته، فإنها من الباقين في العذاب لممالأتها إياهم على الكفر والبغي، وفعل الخبائث.

ثم ذكر ما كان من أمر لوط، حين مجيء الرسل ضيوفاً لديه، فقال: ﴿وَلَمَّا﴾: حرف شرط لا ظرف، خلافاً للفارسي، كما هو مذكور في علم النحو.

﴿أَن﴾ زائدة زيدت بعد لما، وهو قياس مطرد، وقال الزمخشري[1]: (أن) صلة أكدت وجود الفعلين، مترتباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما، كأنهما وجدا في جزء واحدٍ من الزمان، كأنه قيل: لما أحس بمجيئهم، فاجأت المساءة من غير وقت خيفةً عليهم من قومه، انتهى.

أي: ولما ﴿جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ المذكورون بعد مفارقة إبراهيم ﴿لُوطًا سِيٓءَ﴾؛ أي: حزن ﴿بِهِمْ﴾؛ أي: بسببهم؛ أي[2]: اعتراه المساءة والحزن بسببهم مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء؛ أي: بفاحشة؛ لأنهم كانوا يتعرضون للغرباء، ولم يعرف لوط أنهم ملائكة، وإنما رأى شباناً مرداً، حساناً، بثياب حسان، وريح طيبة، فظن أنهم من الإنس ﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾؛ أي: بشأنهم ﴿ذَرْعًا﴾؛ أي: قلباً؛ أي: ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه؛ أي: طاقته؛ أي: عجز عن تدبير شأنهم، فلم يدر أيأمرهم بالخروج أم بالنزول، كقولهم: ضاقت يده، وبإزائه رحب ذرعه بكذا إذا كان مطيقاً به، قادراً عليه، وذلك أن طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿سِيٓءَ﴾ بكسر السين، وضمها نافع وابن عامر والكسائي، وقرأ عيسى وطلحة: ﴿سوء﴾ بضمها، وهي لغة بني هذيل وبني وبير يقولون في قيل وبيع ونحوهما قول وبوع.

---

(١) الكشاف.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

﴿وَ﴾ لما شاهدت الملائكة ما حل به من الحزن والتضجر ﴿قَالُواْ﴾ للوط: ﴿لَا تَخَفْ﴾ علينا من قومك ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ لأجلنا فإنا ملائكة لا يقدرون علينا، أو المعنى: لا تخف علينا، ولا تحزن على هلاك قومك.

والمعنى: أي ولما جاءت الملائكة من عند إبراهيم إلى لوط على صورة بشر حسان الوجوه، خاف عليهم من قومه، وحصلت له مساءة وغم بسببهم، مخافة أن يقصدهم أحد بسوء، وهو عاجز عن مدافعة قومه، وتدبير الحيلة لحمايتهم، ودفع الأذى عنهم، وحين رأوه على هذه الحال من القلق والاضطراب قالوا له: هوِّن على نفسك، ولا تخف علينا، ولا تحزن بما نفعله بقومك، فإنهم قد بلغوا في الخبث مبلغاً لا مطمع في رجوعهم عنه، مهما نصحْت وألحفت في الإرشاد.

ثم ذكروا ما يوجب زوال خوفه وحزنه، وما يشيرون به إلى أنهم ملائكة، فقالوا: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ من العذاب الذي سينزل بقومك ﴿وَ﴾ منجو ﴿أهلك﴾ وأتباعك معك، فلن يصيبكم ما يصيبهم منه ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ فإنها ﴿كَانَتْ﴾ في سابق علم الله وحكمه الأزلي ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾؛ أي: من الهالكين لمظاهرتها إياهم، والميل إلى شد أزرهم، والدفاع عنهم، فقد كانت تدلهم على ضيوفه، فيقصدونهم بالسوء، فصارت شريكة لهم في الجرم.

وقرأ أبو عمرو وابن عامر ونافع وحفص[1]: ﴿مُنَجُّوكَ﴾ بالتشديد، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة ويعقوب والأعمش ﴿منجوك﴾ بالتخفيف والكاف في مذهب سيبويه في موضع جر، ولا يجوز عطف الظاهر على الضمير المخفوض، وحينئذ (أهلك) منصوب على إضمار فعل؛ أي: وننجي أهلك، ومن راعى هذا الموضع عطفه على موضع الكاف، والكاف على مذهب الأخفش وهشام في موضع نصب، وأهلك معطوف عليه؛ لأن هذه النون كالتنوين، وهما على مذهبهما يحذفان، للطافة الضمير وشدة طلبه الاتصال بما قبله.

---

(١) البحر المحيط.

وبعد أن بشروه بالنجاة قالوا له: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ يعني سذوم، وكانت مشتملة[١] على سبع مئة ألف رجل، كما في «كشف الأسرار». ﴿رِجْزًا﴾؛ أي: عذاباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: نازلاً من جهتها، وهذه الجملة مستأنفة لبيان هلاكهم المفهوم من تخصيص التنجية به وبأهله، والرجز: العذاب الذي يقلق المعذب؛ أي: يزعجه، وهو الرمي بالحجارة، وقيل: إحراقهم بنار نازلة من السماء، وقيل: هو الخسف والحصب، كما في غير هذا الموضع، ومعنى كون[٢] الخسف من السماء: أن الأمر به نزل من السماء.

وقرأ ابن عامر ﴿منزّلون﴾ بالتشديد، وبها قرأ ابن عباس. وقرى الباقون بالتخفيف، وقرأ ابن محيصن ﴿رُجزاً﴾ بضم الراء، والباء في قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ للسببية؛ أي: بسبب فسقهم المستمر، وفعلهم الخبيث، وقرأ أبو حيوة والأعمش بكسر سين ﴿يَفْسِقُونَ﴾ فانتسف جبريل المدينة وما فيها بأحد جناحيه، فجعل عاليها سافلها، وانصبت الحجارة على من كان غائباً عنها؛ أي: بعد خروج لوط مع بناته منها.

وأشهر الآراء[٣] أن الزلزلة خسفت بهم الأرض، وابتعلتهم في باطنها، وصار مكان قريتهم بحيرةً مِلحة (البحر الميِّت).

ثم بيَّن أن ما حل بهم عبرة لمن اعتبر وادَّكر، فقال: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ﴾؛ أي: ولقد أبقينا من القرية، و﴿من﴾[٤] للتبيين، لا للتبعيض؛ لأن المتروك الباقي ليس بعض القرية بل كلها. ﴿ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾؛ أي: علامة ودلالة واضحة ظاهرة، وهي قصتها العجيبة، وحكايتها السابقة، أو آثار ديارها الخربة، أو الحجارة الممطورة التي رُجموا بها، التي على كل واحد منها اسم صاحبها، فإنها كانت باقية بعدها، وأدركها أوائل هذه الأمة.

وقال مجاهد: ظهور الماء الأسود الباقي على وجه أرضيهم حين خسف

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) المراغي.
(٤) روح البيان.

بهم، وهي بين القدس والكرك، وكان منتناً يتأذى الناس برائحته من مسافة بعيدة، ولا مانع من حمل الآية على جميع ما ذكر.

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: يستعملون عقولهم في الاعتبار، وهو متعلق إما بتركنا أو بينة، وفيه إشارة إلى شرف العقل، فإنه هو الذي يعتبر ويردع الإنسان عن الذنب، والوقوع في الخطر، وخص من يعقل؛ لأنه الذي يفهم أن تلك الآثار عبرة يعتبر بها من يراها.

قيل: كل شيء إذا كثر رخص غير العقل، فإنه إذا كثر غلا، قال أعرابي: لو صُوِّر العقل لأظلمت معه الشمس، ولو صُوِّر الحمق لأضاء معه الليل؛ أي: لكان الليل مضيئاً بالنسبة إليه، مع أنه لا ضوء فيه من حيث إنه ليل.

والخلاصة: أي وعزتي وجلالي، لقد أبقينا بما فعلنا بهم عبرةً بينة، وعظة زاجرة، لقوم يستعملون عقولهم في الاستبصار، وجعلناها مثلاً للآخرين. ونحو الآية قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

قصة شعيب عليه السلام

وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾متعلق بمحذوف، تقديره: ولقد أرسلنا إلى أهل مدين ﴿أَخَاهُمْ﴾ من النسب ﴿شُعَيْبًا﴾ عطف بيان، أو بدل من أخاهم؛ لأنه من نسبهم؛ أي: ولقد أرسلنا إلى مدين نبيهم شعيباً. ﴿فَقَالَ﴾ شعيب بطريق الدعوة ﴿يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ سبحانه وحده؛ أي: أفردوه بالعبادة، وخصوه بها، وأخلصوها له ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾؛ أي: وارجوا بعبادتكم إياه اليوم جزاء اليوم الآخر وثوابه، وقيل: المعنى خافوا اليوم الآخر، وافعلوا اليوم من الأعمال ما يدفع عذابه عنكم.

قال يونس النحوي: معناه: اخشوا الآخرة، التي فيها الجزاء على الأعمال، اهـ. والمراد به يوم القيامة؛ لأنه آخر الأيام، والمعنى؛ أي: توقعوه وما سيقع فيه من فنون الأحوال، وافعلوا اليوم من الأعمال ما تنتفعون به في

العاقبة، وتأمنون من عذاب الله، وقيل: معناه وارجوا يوم الموت؛ لأنه آخر عمرهم.

﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في أرض مدين؛ أي: لا تفسدوا فيها، ولا تبغوا على أهلها، فتنقصوا المكيال والميزان، وتقطعوا الطريق على الناس حال كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ فيها؛ أي: مظهرين ومجاهرين الفساد فيها بالتطفيف؛ أي: لا تعتدوا حال إفسادكم، بل توبوا إلى ربكم، وأنيبوا إليه، وإنما قيد[1] العثو بالإفساد وإن غلب فيه؛ لأنه قد يكون فيه ما ليس بفساد، كمقابلة الظالم المعتدي بفعله، ومنه ما يتضمن صلاحاً راجحاً، كقتل الخضر الغلام، وخرقه السفينة، ويمكن[2] أن يقال: نصب ﴿مفسدين﴾ على المصدر، كما يقال: قم قائماً؛ أي: قياماً، واجلس قاعداً؛ أي: قعوداً.

فائدة: قال الفخر الرازي[3]: وأضيف شعيب هنا إلى قومه حيث قال: ﴿أخاهم شعيباً﴾ بخلاف ما ذكره في قصة نوح وإبراهيم ولوط، فإنه أضاف القوم إليهم حيث قال: قوم نوح، وقوم إبراهيم، وقوم لوط؛ لأن الأصل في جميع المواضع أن يُذكر القوم، ثم يُذكر رسولهم؛ لأن الله سبحانه لا يبعث رسولاً إلى غير معين، غير أن قوم نوح وإبراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص، ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها، فعرفوا بالإضافة لنبيهم، فقيل: قوم نوح وقوم لوط وقوم إبراهيم، وأما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس، فجرى الكلام على أصله، فقال: وإلى مدين أخاهم شعيباً، وإلى عاد أخاهم هوداً .اهـ.

وقال الرازي أيضاً: قوله: ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ في قصة شعيب لم يُذكر عن لوط أنه أمر قومه بالعبادة والتوحيد، وذُكر عن غيره ذلك؛ لأن لوطاً كان في زمن إبراهيم، وإبراهيم سبقه بذلك حتى اشتهر الأمر بالتوحيد عند الخلق، وإنما ذكر عنه ما اختص به من النهي عن الفاحشة، وأما غيره فجاؤوا في زمن غير

---

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

(٣) التفسير الكبير بتصرف.

مشتهر بالتوحيد فأمروا به، اهـ.

ثم ذكر ما أعقب هذا النصح فقال: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾؛ أي: فكذبوا شعيباً فيما جاءهم به من عند ربهم، ولم يمتنعوا من الفساد.

فإن قيل[1]: كيف يكذب شعيب في قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا﴾ مع أنه لا يكذب الآمر ولا الناهي، وإنما يكذب المخبر لكون الكذب معناه: عدم مطابقة الخبر للواقع؟

قلنا: ما ذكره من الأمر والنهي يتضمن جملاً إخباريةً، فكأنه قال: الله واحد فاعبدوه، والحشر كائن فارجوه، والفساد محرم فلا تقربوه، فالتكذيب يرجع إلى الإخبارات الضمنية .اهـ زاده.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾؛ أي: أهلكتهم ﴿الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة حتى تهدمت عليهم دورهم، فإن قيل[2]: قال هنا وفي الأعراف: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ وفي هود ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾؛ أي: صيحة جبريل، فإنها الموجبة للرجفة بسبب تمويجها للهواء وما يجاوره من الأرض، والقصة واحدة؟ قلنا: يجوز أن يجتمع على إهلاكهم سببان الزلزلة والصيحة، وقيل: لا معارضة؛ لأن المعنى: إن جبريل صاح فتزلزلت الأرض من صيحته، فرجفت في قلوبهم، والإضافة إلى السبب لا تنافي الإضافة إلى سبب السبب .اهـ. «زاده».

﴿فَأَصْبَحُوا﴾؛ أي: صاروا ﴿فِي دَارِهِمْ﴾؛ أي: في بلدهم أو في منازلهم، ولم يجمع[3] هنا بأن يقال في ديارهم لأمن اللبس ﴿جَاثِمِينَ﴾؛ أي: باركين على الركب، ميِّتين مستقبلين بوجوههم الأرض؛ أي: فصاروا في مجمعهم ميِّتين لا يتحركون، وذلك بسبب عدم استماعهم إلى داعي الحق، وتزلزل باطنهم، فالجزاء من جنس العمل، وقد تقدمت هذه القصة مبسوطة في هذه السور الأعراف وهود والشعراء.

---

(١) زادة.

(٢) زاده.

(٣) روح البيان.

قصص هود وصالح عليهما السلام

قوله: ﴿وَعَادًا﴾ منصوب بإضمار فعل دل عليه ما قبله، وهو قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾؛ أي: وأهلكنا عاداً قوم هود ﴿وَثَمُودَاْ﴾ قوم صالح، وهو غير مصروف على تأويل القبيلة ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾؛ أي: وقد ظهر لكم يا أهل مكة إهلاكنا إياهم ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾؛ أي: من جهة بقية منازلهم الكائنة باليمن ديار عاد، والحجر ديار ثمود، وهو واد بين المدينة والشام، إذا نظرتم إليها عند مروركم بها في أسفاركم إلى الشام واليمن.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: وما سبب ذلك الإهلاك إلا أن زين لهم الشيطان أعمالهم القبيحة، من فنون الكفر والمعاصي، وحسنها في أعينهم بوسوسته وإغوائه ﴿فَصَدَّهُمْ﴾ الشيطان، وصرفهم بهذا التزيين ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾؛ أي: عن الطريق السوي، الذي وجب عليهم سلوكه، الموصل إلى الحق الذي هو التوحيد والطاعة.

﴿و﴾ الحال أنهم ﴿كانوا مستبصرين﴾؛ أي: والحال أن عاداً وثمود قد كانوا ذوي بصيرة، عقلاء، متمكنين من النظر والاستدلال بواسطة الرسل التي أرسلت إليهم، ولكنهم لم يفعلوا ذلك لمتابعتهم الشيطان، فلم ينتفعوا بعقولهم في تمييز الحق من الباطل، فكانوا كالحيوان الغير العاقل، وقيل: المعنى: وكانوا مستبصرين في كفرهم وضلالتهم، معجبين بها، يحسبون أنهم على هدى، ويرون أن أمرهم حق، فوصفهم بالاستبصار على هذا، باعتبار ما عند أنفسهم.

وقرأ ثمود بغير تنوين حمزة والحسن وحفص، وباقي السبعة بالتنوين. وقرأ ابن وثاب ﴿وعاد وثمود﴾ بالخفض فيهما والتنوين عطفاً على مدين؛ أي: وأرسلنا إلى عاد وثمود، وقرأ الأعمش مساكنهم بالرفع من غير من، فيكون فاعلاً لـ﴿تبين﴾، ذكره أبو حيان في «البحر».

ومعنى الآية[1]: أي وأهلكنا أيضاً عاداً قوم هود عليه السلام، وكانوا

---

(١) المراغي.

يسكنون الأحقاف، وهي قريبة من بلاد اليمن، وثمود قوم صالح، وكانوا يسكنون الحجر قريباً من وادي القرى مع ما كانوا عليه من العتو والتكبر، وكانت العرب تعرف مساكنهم معرفة تامة، وتمر عليهم كثيراً، وترى ما حل بهم، وما سبب ما جرى عليهم، إلا أن زين لهم الشيطان أعمالهم من عبادة غير الله تعالى، وصدهم عن الطريق السوي الذي يوصلهم إلى النجاة، وقد كانوا متمكنين من النظر والاستبصار، فلم يكن لهم عذر في الغفلة، وعدم التدبر في العواقب.

قصص موسى عليه السلام

قوله: ﴿وَقَٰرُونَ﴾ معطوف على عاداً؛ أي: وأهلكنا قارون ابن عم موسى، وقدمه على فرعون لشرف نسبه بقرابته من موسى، ففيه[1] تنبيه لكفار قريش على أن شرف نسبهم لا يخلِّصهم من العذاب، كما لم يخلص قارون.

﴿و﴾ أهلكنا ﴿فرعون﴾ اللعين ﴿وَهَٰمَٰنَ﴾ وزير فرعون؛ أي: أهلكنا هؤلاء بعد أن جاءتهم الرسل فاستكبروا عن الحق، كما ذكره بقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي، لقد جاء هؤلاء الثلاثة المذكورين، وأتباعهم، موسى عليه السلام بالبينات، والدلالات الواضحة، والمعجزات الباهرة. ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن عبادة الله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في أرض مصر، وتعظموا عن قبول الحق الذي جاء به موسى.

وفي قوله[2]: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾؛ أي: عن الإقرار بالصانع وعبادته في الأرض، إشارة إلى قلة عقولهم؛ لأن من في الأرض يشعر بالضعف، ومن في السماء يُشعر بالقوة، ومن في السماء لا يستكبرون عن عبادة الله سبحانه، فكيف من في الأرض.

﴿وَمَا كَانُوا۟﴾؛ أي: وما كان هؤلاء وأتباعهم ﴿سَٰبِقِينَ﴾ عذابنا فائتين مفلتين منه، بل أدركهم أمر الله فهلكوا، من قولهم: سبق طالبه، إذا فاته ولم

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

يدركه، وقيل: المعنى وما كانوا سابقين غيرهم إلى الكفر، بل قد سبقهم إليه قرون كثيرة؛ أي تلك عادة الأمم مع رسلهم.

ومعنى الآية: أي وأهلكنا أيضاً قارون صاحب الأموال الطائلة والكنوز الكثيرة، وفرعون ملك الملوك في عصره ومصره، ووزيره هامان، ولقد جاءهم موسى بآيات بينات، تدل على صدق رسالته، فاستكبروا في الأرض، وأبوا أن يصدقوه، وأن يؤمنوا به، وما كانوا فائتين الله ولا هاربين من عقابه، بل هو قادر عليهم، وآخذهم أخذ عزيز مقتدر.

عاقبة الأمم المكذبة لرسلها

والفاء في قوله: ﴿فَكُلًّا﴾ من الأمم المكذبة ﴿أَخَذْنَا﴾ وعاقبنا ﴿بِذَنۢبِهِۦ﴾؛ أي: بكفره وتكذيبه، تفسيرية؛ لأنها دخلت على الكلام المفسر، لما يُنبىء عنه عدم سبقهم بطريق الإبهام؛ أي: كل واحد من الأمم المذكورة أخذنا بذنبه، أي عاقبناه بجنايته، لا بعضهم دون بعض، كما يُشعر به تقديم المفعول.

وفيه دليل على أنه تعالى لا يعاقب أحداً إلا بذنبه، وأنهم يقولون إنه تعالى لو عاقب ابتداءً جاز، والجواب: نحن لا ننكر أنه تعالى يعاقب الكفار على كفرهم، والمذنبين بذنبهم، وإنما الكلام في أنه لو عاقب ابتداء لا يكون ظالماً؛ لأنه يفعل ما يشاء بحكم الملك المطلق، والفاء في قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ تفصيلية؛ لأنها دخلت على الجملة المفصلة للأخذ المذكور؛ أي[1]: أهلك الله سبحانه الأمم المكذبة بأربعة ألوان من العذاب:

١ ـ ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا﴾ وسلطنا ﴿عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾؛ أي: ريحاً عاصفاً فيه حصباء، وهي الحصى الصغار، كقوم عاد إذا قالوا: مَن أشد منا قوة، فجاءتهم ريح صرصر، عاتية، باردة، شديدة الهبوب، تحمل الحصباء فألقتها عليهم، أو أرسل عليهم ملكاً رماهم بها، وهم قوم لوط.

---

(١) المراغي.

٢ - ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ﴾ وأهلكته ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾؛ أي: صيحة جبريل كمدين وثمود، حين قامت عليهم الحجة، ولم يؤمنوا، بل استمروا في طغيانهم وكفرهم، وتهددوا نبي الله صالحاً ومن آمن معه، فصاح بهم جبريل صيحة واحدة فانشقت قلوبهم، وزهقت أرواحهم، وأخمدت منهم الأصوات والحركات.

٣ - ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارون وأصحابه الذي طغى وبغى، وعصى الرب الأعلى، ومشى في الأرض مرحاً، وتاه بنفسه عجباً، فخسف الله به وبداره الأرض، وهو الجزاء الوفاق لعمله؛ لأن المال الكثير يوضع غالباً تحت الأرض.

٤ - ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ه في الماء، كقوم نوح أغرقوا بالطوفان، وفرعون وهامان وجنودهما، أغرقوا في صبيحة يوم واحد.

ثم بيَّن أن هذه العقوبة جزاء ما اجترحوا من الآثام والذنوب، ولم تكن ظلماً لهم، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه ﴿لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بما فعل بهم، بأن يضع العقوبة في غير موضعها، فإن ذلك محال في جهته تعالى؛ لأنه قد أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبين لهم طريق الحق والنجاة ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ باستمرارهم على الكفر، وتكذيبهم للرسل، وعملهم بالمعاصي الموجبة للعقوبة والعذاب.

والمعنى: أي ولم يكن الله ليهلكهم بغير جرم اجترموه؛ لأن ذلك ليس من سننه تعالى، وهو لا يوافق منهج الحكمة، فلا يصدر عن الحكيم، ولكنه أهلكهم بذنوبهم وكفرهم بربهم، وجحودهم نعمه عليهم، وتقلبهم في آلائه، وعبادتهم غيره، ومعصيتهم من أنعم عليهم.

قال وهب بن منبه[1]: قرأت في بعض الكتب حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وظمأ الدنيا ريُّ الآخرة، وريُّ الدنيا ظمأ الآخرة، وفرح الدنيا حزن الآخرة، وحزن الدنيا فرح الآخرة، ومن قدَّم شيئاً من خير أو

---

(١) روح البيان.

شر وجده، والأمر بآخره، ألا ترى أن هؤلاء المذكورين، لما صار آخر أمرهم التكذيب أوخذوا عليه، ولو صار آخر أمرهم التصديق لسومحوا فيما صدر عنهم أولاً.

والحاصل: أنهم لما عاشوا على الإصرار هلكوا على العذاب، ويحشرون على ما ماتوا عليه، ولذا يقولون عند القيام من قبورهم: واويلاه، فقد وعظ الله سبحانه بهذه الآيات أهل مكة، ومن جاء بعدهم إلى يوم القيامة، ليعتبروا وينتفعوا بعقولهم، ويجتنبوا عن الظلم والأذى والاستكبار والإفساد، فإن فيه الصلاح والنجاة والفوز بالمراد، لكن التربية والإرشاد إنما تؤثر في المستعد من العباد، والقرآن كالبحر، وإنما يتطهر به من كان من شأنه ذلك، كالإنسان، وأما الكلب فلا. نسأل الله سبحانه الخروج من موطن النفس، والإقامة في حظيرة القدس.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ وجعلوا لأنفسهم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وآلهة وأنصاراً يوالونهم، ويتكلون عليهم في حاجاتهم من دون الله سبحانه، سواء كانوا من الجماد أو الحيوان، ومن الأحياء أو من الأموات؛ أي: صفتهم العجيبة فيما اتخذوه معتمداً وملجأً ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ التي ﴿ٱتَّخَذَتْ﴾ ونسجت لنفسها ﴿بَيْتًا﴾؛ أي: كمثلها فيما نسجته في الوهن، بل ذلك أوهن من هذا؛ لأن له حقيقة وانتفاعاً في الجملة.

فالآية[1] من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة لتشبيه حال من اتخذ الأصنام أولياء وعبدها، واعتمد عليها راجياً نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتاً، فكما أن بيتها لا يدفع عنها حراً ولا برداً، ولا مطراً ولا أذًى، وينتقض بأدنى ريح، فكذلك الأصنام لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضراً، ولا خيراً ولا شراً.

ومن تخيل السراب شراباً، لم يلبث إلا قليلاً حتى يعلم أنه كان تخييلاً، ومن اعتمد شيئاً سوى الله، فهو هباء لا حاصل به، وهلاكه في نفس ما اعتمد. ومن اتخذ سواه ظهيراً، قطع من نفسه سبيل العصمة، ورد إلى حوله وقوته.

---

(١) روح البيان.

وقيل[١]: معنى هذا المثل: إن المشرك الذي يعبد الأصنام بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله، مثل العنكبوت تتخذ بيتاً من نسجها بالإضافة إلى رجل بنى بيتاً بآجر وجص، أو نحته من صخر له حائط، يحول عن تطرق الشرور إلى من فيه، وسقف مظل يدفع عنه البرد والحر، فكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت، فكذلك أضعف الأديان إذا استقريتها ديناً ديناً عبادة الأوثان؛ لأنها لا تضر ولا تنفع.

قال الفراء[٢]: ولا يحسن الوقف على العنكبوت؛ لأنه لما قصد بالتشبيه بيتها الذي لا يقيها من شيء، شُبهت الآلهة التي لا تنفع ولا تضر به، وقد جوز الوقف على العنكبوت الأخفش، وغلّطه ابن الأنباري، قال؛ لأن ﴿اتخذت﴾ صلة للعنكبوت، كأنه قال: كمثل العنكبوت التي اتخذت بيتاً، فلا يحسن الوقف على الصلة دون الموصول، والعنكبوت هي الدويبة الصغيرة التي تنسج نسجاً رقيقاً، كما سيأتي في التصريف.

وحاصل المعنى[٣]: أي مثل الذين اتخذوا الأصنام والأوثان من دون الله أولياء، يرجون نصرهم ونفعهم لدى الشدائد في قبيح احتيالهم وسوء اختيارهم لأنفسهم، كمثل العنكبوت في ضعفها وقلة حيلتها، اتخذت لنفسها بيتاً يكنها من حر وبرد، ويدفع أذى، فلم يُغن عنها شيئاً حين حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون، لم يُغن عنهم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً، ولم يدفعوا عنهم ما أحله الله بهم، من سوء العذاب بكفرهم به وعبادتهم سواه.

وخلاصة ذلك: أن بيت العنكبوت لا يكن ولا يمنع أذى الحر والبرد، كما هو شأنها فيما ترون، فكذلك المعبود، ينبغي أن يكون منه الخلق والرزق، وجر المنافع ودفع المضار، وما عبده الكافرون لم يفدهم شيئاً من ذلك، فكيف يُصرون على عبادتهم؟

---

(١) الخازن.

(٢) الشوكاني.

(٣) المراغي.

ثم ذكر جهلهم وسوء تقديرهم لما صنعوا، فقال: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾ وأضعفها ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ لا بيت أضعف منه، وأوهن فيما يتخذه الهوام بيتاً، ولا يدانيه في الوهي والوهن شيء من ذلك؛ لأنه بلا أساس، ولا جدار، ولا سقف، لا يدفع الحر والبرد، ولذا كان سريع الزوال، وفيه إشارة إلى أنه لا أصل لموالاة ما سوى الله، فإنه لا أس لبنيانها.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: شيئاً من الأشياء لجزموا أن هذا مثلهم وابتعدوا عن اعتقاد ما هذا مثله، أو لو كانوا يعلمون أن اتخاذهم الأولياء من دون الله، كاتخاذ العنكبوت بيتاً، ما اتخذوهم أولياء.

والمعنى: أي لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء يعلمون أن أولياءهم لا يجدونهم فتيلاً ولا قطميراً، كما لا يجدي بيت العنكبوت عنها شيئاً.. ما فعلوا ذلك الاتخاذ، لكنهم قد بلغ بهم الجهل وسوء التقدير حداً لا يستطيعون معه العلم بعواقب ما يفعلون، ومن ثم فهم يحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم إلى الله زلفى.

ثم زاد الإنكار توكيداً وتثبيتاً، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ فهو على تقدير القول؛ أي: قل يا محمد لهؤلاء الكفرة، تهديداً لهم أن الله سبحانه يعلم ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ ويعبدون، وما استفهامية منصوبة بـ﴿يَدْعُونَ﴾، ويعلم معلق عنها؛ أي: يعلم أي شيء يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾؛ أي: من دون الله ﴿مِن شَيْءٍ﴾ من للتبيين؛ أي: سواء كان ما يدعون صنماً أو نجماً أو ملكاً أو جنياً أو غيره لا يخفى عليه ذلك، فهو يجازيهم على كفرهم؛ أي: إن الله يعلم حال ما تعبدون من دونه من الأصنام والأوثان والجن والإنس، وإنها لا تنفعكم ولا تضركم، إن أراد الله بكم سوءاً، وإن مثلها في قلة غنائها لكم كمثل بيت العنكبوت في قلة غنائه لها، ويحتمل كون ﴿مَا﴾ موصولة؛ أي: إن الله يعلم الذين تدعونهم من دونه، وكونها نافية، والمعنى؛ أي: إن الله يعلم أنه ليس الذين يدعون من دونه شيئاً، إذ هو لحقارته وقلة الاعتداد به لا يسمى شيئاً.

وقرأ أبو عمرو وسلاَّم[1]: ﴿يعلم ما﴾ بالإدغام، والجمهور بالفك. وقرأ الجمهور: ﴿تدعون﴾ بتاءالخطاب، وقرأ أبو عمرو وعاصم بخلاف عنه بياء الغيبة، واختار هذه القراءة أبو عبيدة لذكر الأمم قبل هذه الآية.

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾؛ أي: الغالب، القادر على الانتقام ممن كفر به، وأشرك معه في عبادته غيره، فاتقوا أيها المشركون به عقابه بالإيمان به، قبل نزوله بكم، كما نزل بالأمم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة، فإنه إن نزل بكم، لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه شيئاً، وهو سبحانه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾؛ أي: ذو الحكمة البالغة في ترك المعاجلة بالعقوبة، أو الحكيم في تدبير خلقه، فمهلك من استوجب عمله الهلاك، ومؤخر من رأى فيه الرجاء للصلاح والاستقامة.

ولما كان[2] الجهلة والسفهاء من قريش يقولون: إن رب محمد لا يستحيي أن يضرب مثلاً بالذباب والبعوضة والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، بيَّن فائدة ضرب الأمثال، فقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ والأشباه؛ أي: هذا المثل وغيره من الأمثال المذكورة في القرآن، والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول؛ أي: تشبيه حال الثاني بالأول.

﴿نَضْرِبُهَا﴾؛ أي: نذكرها ونبينها ﴿لِلنَّاسِ﴾؛ أي: لأهل مكة وغيرهم تقريباً لما بعد عن أفهامهم، وإيضاحاً لما أشكل عليهم أمره واستعصى عليهم حكمه، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾؛ أي: وما يفهم حسن تلك الأمثال، وفائدتها التي ضربناها لأجلها ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ بالله، الراسخون في العلم، المتدبرون في الأشياء على ما ينبغي، المتفكرون فيما يُتلى وما يشاهدونه، وهم الذين عقلوا عن الله؛ أي: ما صدر عنه، فعملوا بطاعته، واجتنبوا سخطه، والعالم في الحقيقة من حجزه علمه عن المعاصي، فالعاصي جاهل وإن كان عالماً صورة.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

فإن قيل: لِمَ[1] لَمْ يقل وما يعلمها إلا العاقلون، والعقل يسبق العلم؟

قلنا: لأن العقل آلة، تُدرك بها معاني الأشياء بالتأمل فيها، ولا يمكن التأمل فيها والوصول إليها بطريقها إلا بالعلم، ودلت الآية على فضل العلم على العقل، ولا عالم منا إلا وهو عاقل، فأما العاقل فقد يكون غير عالم.

ولما قدم سبحانه أن لا معجز له سبحانه، ولا ناصر لمن خذله، أقام الدليل على ذلك بقوله: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أنشأ وأوجد سبحانه وتعالى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ على غير مثال سابق، حالة كونه سبحانه متلبساً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي[2]: مراعياً للحكم والمصالح، على أنه حال من فاعل خلق، أو حالة كونها متلبسة بالحق الذي لا محيد عنه، مستتبعةً للمنافع الدينية والدنيوية، على أنه حال من مفعوله، فإنها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على وحدانيته، وعظم قدرته، وسائر صفاته، كما أشار إليه بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: في خلقهما ﴿لَأٓيَةً﴾ دالة على شؤونه؛ أي: لدلالة عظيمة وعلامة ظاهرة على قدرته، وتفرده بالإلٰهية ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ خص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية، والإرشاد في خلقهما للكل؛ لأنهم المنتفعون بذلك.

والمعنى: أي: خلق الله السموات والأرض لحكم وفوائد دينية ودنيوية، ولم يخلقهما عبثاً ولهواً، فبخلقها أمكن إيجاد كل ممكن تعلق به العلم، واقتضت الإرادة إيجاده، وأمكن معرفة الخالق الذي أوجدها، وعبادته كفاء نعمه، كما جاء في الحديث القدسي، حكايةً عن الله عز وجل: «كنت كنزا مخفياً، فأردت أن أعرف، فخلقت الخلق فبي عرفوني» وفيه مقال.

ولا يفهم هذه الأسرار إلا من آمنوا بالله وصدقوا رسوله؛ لأنهم هم الذين يستدلون بالآثار على مؤثرها، كما أثر عن بعض العرب: البعرة تدل على البعير، وآثار الأقدام تدل على المسير.

ثم خاطب رسوله مسلياً له بقوله: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: اقرأ يا محمد

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.

ما أنزل إليك ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ أي: من القرآن، وأدم تلاوته تقرباً إلى الله بقراءته، وتحفظاً لنظمه، وتذكراً لمعانيه وحقائقه، فإن القارىء المتأمل ينكشف له في كل مرة ما لم ينكشف قبل، وتذكيراً للناس، وحملاً لهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الأخلاق، كما رُوي أن عمر ـ رضي الله عنه ـ أُتي بسارق فأمر بقطع يده، فقال: لِم تقطع يدي؟ وكان جاهلاً بالأحكام، فقال له عمر: بما أمر الله في كتابه، فقال: اتل عليَّ، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ فقال السارق: والله ما سمعتها ولو سمعتها ما سرقت، فأمر بقطع يده ولم يعذره. فسن عمر التراويح بالجماعة ليسمع الناس القرآن، وهذا هو السبب في مشروعية التراويح.

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة، كان له بكل حرف مئة حسنة، ومن قرأ وهو جالس في الصلاة، فله بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأ وهو في غير الصلاة، وهو على وضوء، فخمس وعشرون حسنة، ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات.

وعن الحسن البصري، قراءة القرآن في غير الصلاة، أفضل من صلاة لا يكون فيها كثير القراءة، قال الفقهاء أفضل التلاوة على الوضوء والجلوس نحو القبلة، وأن يكون غير مربع ولا متكىء ولا جالس جلسة متكبر، ولكن يجلس نحو ما يجلس بين يدي من يهابه ويحتشم منه.

﴿وَأَقِمِ﴾ يا محمد أنت وأمتك ﴿ٱلصَّلَوٰةَۖ﴾؛ أي: داوم على إقامتها وأدائها على الوجه القيم، مريداً بذلك وجه الله تعالى، والإنابة إليه مع الخشوع والخضوع له، والمراد بالصلاة هنا الصلوات المفروضة، ولما كان أمره ﷺ بإقامتها متضمناً لأمر الأمة بها، علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المعروفة، وهي المقرونة بشرائطها الظاهرة والباطنة، المستوفية لأركانها وآدابها ﴿تَنۡهَىٰ﴾ الناس وتمنعهم؛ أي: من شأنها وخاصيتها أن تنهاهم وتمنعهم ﴿عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾؛ أي: عن الفعلة القبيحة كالزنا والسرقة مثلاً ﴿وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾؛ أي: وعن كل ما أنكره الشرع

والعقل، من الذنوب والمعاصي، ففيه عطف العام على الخاص، فكأنها[1] تقول له كيف تعصي رباً هو أهل لما أتيت به، وكيف يليق بك أن تفعل ذلك وتعصيه، وأنت وقد أتيت بما أتيت به من أقوال وأفعال، تدل على عظمة المعبود وكبريائه، وإخباتك له وإنابتك إليه، وخضوعك لجبروته وقهره، إذا عصيته وفعلت الفحشاء والمنكر تكون كالمناقض نفسه بين قوله وفعله.

أي: تكون[2] الصلاة سبباً للانتهاء عن المعاصي كبائرها وصغائرها، حال الاشتغال بها وغيرها، من حيث إنها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه، قيل[3]: من كان مراعياً للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوماً، فقد رُوي أنه قيل لرسول الله ﷺ إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل، فقال: «إن صلاته لتردعه».

وروي أن فتى من الأنصار، كان يصلي معه ﷺ الصلوات، ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف له، فقال: «إن صلاته ستنهاه، فلم يلبث أن تاب». وعن الحسن: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، فليست صلاته بصلاة، وهي وبال عليه.

فإن قلت[4]: لم أمر بهذين الشيئين، تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة فقط؟

قلت: لأن العبادة المختصة بالعبد ثلاثة:

قلبية: وهي الاعتقاد الحق.

ولسانية: وهي الذكر الحسن.

وبدنية: وهي العمل الصالح. لكن الاعتقاد لا يتكرر، فإن من اعتقد شيئاً لا يمكنه أن يعتقده مرة أخرى، بل ذلك يدوم مستمراً فبقي الذكر والعبادة البدنية، وهما ممكنا التكرار، فلذلك أمر بهما.

وقيل[5]: معنى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾؛ أي: عن التعطيل

---

(١) المراغي.
(٢) البيضاوي.
(٣) النسفي.
(٤) الخازن.
(٥) المراح بتصرف.

وهو إنكار وجود الله سبحانه. ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾؛ أي: عن الإشراك، وهو إثبات الألوهية لغير الله تعالى، فالعبد أول ما يشرع في الصلاة يقول: الله أكبر، فبقول الله ينفي التعطيل، وبقوله: أكبر ينفي الإشراك؛ لأن الشريك لا يكون أكبر من الشريك الآخر، فيما فيه الاشتراك، فإذا قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ نفى التعطيل، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ نفى الإشراك؛ لأن ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ من يعطي الوجود بالخلق، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ من يعطي البقاء بالرزق، فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أثبت خلاف التعطيل، وإذا قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أثبت خلاف الإشراك، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ نفى التعطيل والإشراك، وكذا إذا قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ نفى التعطيل؛ لأن طالب الصراط له مقصد، والمعطل لا مقصد له، وإذا قال: ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ نفى الإشراك؛ لأن ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ هو الأقرب، والمشرك يعبد الأصنام، ويظنون أنهم يشفعون لهم، وعبادة الله من غير واسطة أقرب، وعلى هذا إلى آخر الصلاة، فإذا قال فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، فقد نفى الإشراك والتعطيل.

ومعنى نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر[1]: أنها سبب للانتهاء عنهما؛ لأنها مناجاة لله تعالى، فلا بد أن تكون مع إقبال تام على طاعته، وإعراض عن معاصيه .اهـ من «المراح».

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى إياكم برحمته ونعمته في الدنيا، وبالثواب والثناء عليكم منه في الآخرة ﴿أَكْبَرُ﴾ من ذكركم إياه بعبادتكم وصلواتكم، واختار هذا المعنى ابن جرير، ويؤيده حديث «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»، وقال ابن عطاء: ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له؛ لأن ذكره بلا علة ولا غرض، وذكركم مشوب بالعلل والأماني، ولأن ذكره لا يفنى، وذكركم لا يبقى .اهـ. أو المعنى: ولذكر الله بسائر أنواعه، من تهليل وتحميد وتسبيح وغير ذلك أكبر؛ أي: أفضل من

---

(١) المراح. (٢) روح البيان.

الطاعات التي ليس فيها ذكر؛ لأن[1] ثواب الذِّكر هو الذِّكر، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. أو المعنى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ﴾؛ أي: والصلاة ﴿أَكْبَرُ﴾ وأفضل من سائر الطاعات، وإنما عبر عنها بالذِّكر، كما في قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ للإيذان بأن ما فيها من ذِكره تعالى، هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات.

وقيل المعنى[2]: أن ذِكر الله أكبر ـ مع المداومة ـ من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر، وقال الضحاك: ولذكر الله عندما يحرم، فيترك أجل الذكر، وقيل: المعنى: ولذكر الله، للنهي عن الفحشاء والمنكر أكبر؛ أي: كبير، وقيل: ولذكر الله في الصلاة أكبر منه خارج الصلاة؛ أي: أكبر ثواباً، وقيل: أكبر من سائر أركان الصلاة، وقيل: ولذكر الله نهيه أكبر من نهي الصلاة.

والذكر النافع: هو الذي كان مع العلم وإقبال القلب، وتفرغه إلا من الله، وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى، وذكر الله تعالى للعبد هو إفاضة الهدى ونور العلم عليه، وذلك ثمرة لذكر العبد ربه.

﴿وَاللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ وتفعلون من الذكر ومن سائر الطاعات، فيجازيكم به أحسن المجازاة؛ أي: يعلم ما تأتون به من خير أو شر، لا يخفى عليه شيء من أمركم، وهو يجازيكم كفاء أعمالكم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، كما جرت بذلك سنته في خلقه، وهو الحكيم الخبير، ولا يخفى ما في ذلك من وعد ووعيد، وحث على مراقبة الله تعالى في السر والعلن. ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ نسأل الله أن يوفقنا للفعل الحسن والصنع الجميل، ويسعدنا بالمقام الأرفع، والأجر الجزيل، بمنه وكرمه. آمين.

فصل في ذكر نبذة من أحاديث الذكر

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء

---

(١) القرطبي.

الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله» أخرجه الترمذي.

وله عن أبي سعيد الخدري قال: إن رسول الله ﷺ سئل: أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً»، قالوا: يا رسول الله، والغازي في سبيل الله؟ فقال: «لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر، ويختضب في سبيل الله دماً، لكان الذاكرون الله كثيراً أفضل منه درجة».

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق المفردون»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات». ويروى «المفردون» بتشديد الراء وتخفيفها، والتشديد أتم، يقال فرد الرجل بتشديد الراء إذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعياً للأمر والنهي، وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر الله، لا يخلطون به غيره، أخرجه مسلم.

وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده، أخرجه البخاري.

وروي أن أعرابياً قال: يا رسول الله؛ أي الأعمال أفضل؟ قال: «أن تفارق الدنيا، ولسانك رطب بذكر الله».

الإعراب

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿فَمَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة محذوف معلوم من السياق، تقديره: فدعا إبراهيم قومه إلى التوحيد ﴿ما﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾: خبرها مقدم ومضاف إليه. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل في محل النصب بـ﴿أن﴾ المصدرية، والجملة الفعلية مع ﴿أَن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مرفوع، على كونه اسم

﴿كَانَ﴾مؤخراً، والتقدير: فما كان جواب قومه إلا قولهم، وجملة ﴿كَانَ﴾ معطوفة على تلك المحذوفة، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿ٱقْتُلُوهُ﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿أَوْ حَرِّقُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ٱقْتُلُوهُ﴾. ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف معلوم من السياق، تقديره: فقذفوه في النار فأنجاه الله سبحانه وتعالى. ﴿أنجاه الله﴾: فعل ومفعول وفاعل معطوف على ذلك المحذوف. ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾ متعلق بـ﴿أنجاه﴾. ﴿إن﴾: حرف نصب. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور، خبرها مقدم على اسمها. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿آيات﴾: اسمها مؤخر. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿آيات﴾، وجملة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ صفة لـ﴿قوم﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة، مسوقة لتعليل الإنجاء المذكور.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وَقَالَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على إبراهيم، معطوف على ﴿أنجاه الله﴾. ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر. ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾: فعل وفاعل. ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ﴿اتخذ﴾. ﴿أَوْثَٰنًا﴾: مفعول أول له. ﴿مَّوَدَّةَ﴾: مفعول لأجله. ﴿بَيْنِكُمْ﴾: مضاف إليه لـ﴿مَّوَدَّةَ﴾. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متعلق بـ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾، أو حال من فاعل ﴿اتخذ﴾، وجملة ﴿اتخذ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، وقد جرينا في الإعراب على قراءة حفص، واخترنا أمثل الأوجه وأسهلها، وهذه الآية قد شغلت المعربين كثيراً لاختلاف قرائتها، وجهات النظر فيها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ظرف متعلق بـ﴿يَكْفُرُ﴾. ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم﴾: فعل وفاعل. ﴿بِبَعْضٍ﴾ متعلق بـ﴿يَكْفُرُ﴾ أيضاً، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾. ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿يَكْفُرُ﴾. ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾: مبتدأ أو خبر مقدم. و﴿ٱلنَّارُ﴾: خبر أو مبتدأ مؤخر،

والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية في قوله: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم﴾.
﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكُمْ﴾: خبر مقدم. ﴿مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مبتدأ مؤخر. و﴿مِن﴾: زائدة، والجملة في محل النصب معطوفة على الجمل التي قبلها.

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿فَـَٔامَنَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف معلوم من السياق، تقديره: فكذبه قومه فآمن له لوط. ﴿آمن﴾: فعل ماض. ﴿لَهُۥ﴾: متعلق به. ﴿لُوطٌ﴾: فاعل ﴿آمن﴾. والجملة معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿وَقَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على إبراهيم معطوف على ﴿آمن﴾. ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾: ناصب واسمه وخبره. ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾: متعلق بـ﴿مُهَاجِرٌ﴾، وجملة ﴿إنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبر أول لـ﴿إنَّ﴾. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: خبر ثان لها. وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول قال.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَوَهَبْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على مقدر، مأخوذ من لفظ العزيز؛ أي: أعززناه ووهبنا له، إلخ. ﴿لَهُۥ﴾ متعلق بـ﴿وهبنا﴾. ﴿إِسْحَٰقَ﴾: مفعول به. ﴿وَيَعْقُوبَ﴾: معطوف عليه. ﴿وَجَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿وهبنا﴾. ﴿فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ﴿جعلنا﴾. ﴿ٱلنُّبُوَّةَ﴾: مفعول أول لـ﴿جعلنا﴾. ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ معطوف على النبوة. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول معطوف على ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿أَجْرَهُۥ﴾ مفعول ثان لـ﴿آتينا﴾. لأنه بمعنى أعطينا. ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾: حال من ضمير أجره. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه. ﴿فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾: حال من ضمير إنه. ﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿إنَّ﴾، واللام حرف ابتداء، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿آتيناه﴾.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَلُوطًا﴾: معطوف على إبراهيم، أو منصوب بفعل محذوف تقديره: واذكر لوطاً. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، بدل اشتمال من ﴿لُوطًا﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذ﴾. ﴿لِقَوْمِهِ﴾ متعلق بـ﴿قال﴾. ﴿إِنَّكُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَتَأْتُونَ﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿تأتون الفاحشة﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إنّ﴾، وجملة ﴿إنّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مَا﴾: نافية ﴿سَبَقَكُم﴾: فعل ومفعول. ﴿بِهَا﴾: متعلق بـ﴿سبق﴾. ﴿مِن﴾ حرف جر زائد. ﴿أَحَدٍ﴾: فاعل. ﴿مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿أَحَدٍ﴾. والجملة الفعلية مستأنفة، مسوقة لتقرير فحشها وهجنة فاعلها، ورجح أبو حيان أن تكون هذه الجملة حالاً من فاعل ﴿تأتون﴾؛ أي: أتأتون الفاحشة حال كونكم مبتدعين لها غير مسبوقين بها.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿أَئِنَّكُمْ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري. ﴿إِنَّكُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَتَأْتُونَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿تأتون الرجال﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إنَّ﴾، وجملة ﴿إنَّ﴾ مستأنفة. ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿تأتون﴾. ﴿وَتَأْتُونَ﴾: معطوف عليه أيضاً. ﴿فِى نَادِيكُمُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تأتون﴾. ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾: مفعول به. ﴿فَمَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف، تقديره: فنهاهم عن الفاحشة، فما كان جواب قومه. ﴿ما﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم ومضاف إليه. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل في محل النصب بـ﴿أن﴾، والجملة في تأويل مصدر مرفوع على أنه اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر؛ أي: فما كان جواب قومه إلا قولهم. ﴿ٱئْتِنَا﴾: فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿بِعَذَابِ ٱللَّهِ﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾ ﴿إن﴾: حرف شرط: ﴿كُنتَ﴾:

فعل ناقص واسمه في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ خبره وجواب ﴿إن﴾ الشرطية محذوف، تقديره: إن كنت من الصادقين، فائتنا به، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول قالوا.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٣٠ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ۝٣١﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿لُوطٌ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، حذف منه حرف النداء، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ٱنصُرۡنِي﴾: فعل دعاء، وفاعل مستتر يعود على الرب، والنون للوقاية، والياء ضمير المتكلم في محل النصب مفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ﴾: متعلق بـ﴿ٱنصُرۡنِي﴾. ﴿ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: صفة لـ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾. ﴿وَلَمَّا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، تقديره: فاستجاب الله دعاء لوط، وأرسل ملائكةً لإهلاكهم، وأمرهم أن يبشروا إبراهيم بالذرية، فجاؤوا أولاً إلى إبراهيم. ﴿لَمَّا﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿جَآءَتۡ رُسُلُنَآ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾: مفعول به. ﴿بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾: متعلق بـ﴿جَآءَتۡ﴾، والجملة الفعلية فعل شرط لـ﴿ما﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿لَمَّا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَمَّا﴾ معطوفة على تلك المحذوفة، أعني، قولنا: فجاؤوا أولاً إلى إبراهيم. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿مُهۡلِكُوٓاْ﴾: خبره مرفوع بالواو. ﴿أَهۡلِ﴾: مضاف إليه، وهو مضاف ﴿هَٰذِهِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلۡقَرۡيَةِۖ﴾: صفة لـ﴿هَٰذِهِ﴾ أو عطف بيان له، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿إِنَّ أَهۡلَهَا﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾ على كونها معللة لما قبلها.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝٣٢﴾.

﴿قَالَ﴾ : فعل وفاعل مستتر يعود على إبراهيم، والجملة مستأنفة. ﴿إن﴾ : حرف نصب. ﴿فِيهَا﴾ : خبر مقدم لـ﴿إن﴾. ﴿لُوطًا﴾ : اسمها مؤخر، وجملة ﴿إن﴾ : في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالُوا﴾ : فعل وفاعل، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾ : مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿بِمَن﴾ : جار ومجرور متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾. ﴿فِيهَا﴾ : جار ومجرور صلة ﴿مَن﴾ الموصولة. ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ : ﴿اللام﴾ : موطئة للقسم. ﴿ننجين﴾ : فعل مضارع في محل الرفع لتجرده عن الناصب والجازم، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير مستتر يعود على الله، والهاء: ضمير متصل في محل النصب مفعول به. ﴿وَأَهْلَهُ﴾ : معطوف على الضمير. ﴿إِلَّا﴾ : أداة استثناء. ﴿ٱمْرَأَتَهُ﴾ : منصوب على الاستثناء، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿كَانَتْ﴾ : فعل ماض ناقص واسمها يعود على ﴿ٱمْرَأَتَهُ﴾. ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ : خبرها، وجملة كان في محل النصب حال من ﴿ٱمْرَأَتَهُ﴾.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾.

﴿وَلَمَّآ﴾ : ﴿الواو﴾ : عاطفة على محذوف، تقديره: فجاؤوا لوطاً. ﴿لَمَّآ﴾ : حرف شرط. ﴿أن﴾ : زائدة كما مر. ﴿جَآءَتْ رُسُلُنَا﴾ : فعل وفاعل. ﴿لُوطًا﴾ : مفعول به، والجملة فعل شرط لـ﴿لمّا﴾. ﴿سِيٓءَ﴾ : فعل ماض مغير الصيغة كقيل وبيع، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿لُوطًا﴾. ﴿بِهِمْ﴾ : متعلق به، والجملة جواب لما لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَمَّآ﴾ معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿وَضَاقَ﴾ : فعل ماض معطوف على ﴿سِيٓءَ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿لُوطًا﴾. ﴿بِهِمْ﴾ : متعلق بـ﴿ضاق﴾. ﴿ذَرْعًا﴾ : تمييز محول عن نائب الفاعل؛ أي: ضاق ذرعه بهم.

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وَقَالُوا۟﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿سِىٓءَ﴾ على كونه جواب لما. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَخَفْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿لُوطٌ﴾ مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ معطوف على ﴿لَا تَخَفْ﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿مُنَجُّوكَ﴾: خبره مرفوع بالواو ومضاف إلى مفعوله. ﴿وَأَهْلَكَ﴾: منصوب بفعل محذوف، تقديره: وننجي أهلك. ولا يجوز عطفه على الكاف لعدم الفاصل، والجملة المحذوفة في محل الرفع معطوفة على ﴿مُنَجُّوكَ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول لـ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱمْرَأَتَكَ﴾: منصوب على الاستثناء، وجملة ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ في محل النصب حال من ﴿ٱمْرَأَتَكَ﴾، كما مر آنفاً. ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾: ناصب واسمه وخبره. ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿مُنزِلُونَ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿رِجْزًا﴾: مفعول ﴿مُنزِلُونَ﴾. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿رِجْزًا﴾. ﴿بِمَا﴾ الباء حرف جر وسبب. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَفْسُقُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ صلة ﴿مَا﴾ المصدرية. ﴿مَا﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالباء؛ أي: بفسقهم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿مُنزِلُونَ﴾. ﴿وَلَقَد﴾: الواو استئنافية. و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿تَّرَكْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنْهَآ﴾: متعلق بـ﴿تَّرَكْنَا﴾، أو هو المفعول الثاني لها. ﴿ءَايَةً﴾: مفعول به، أو مفعولها الأول؛ لأن ﴿ترك﴾ اختلف فيها النحاة، فمنهم من جعلها تتعدى إلى واحد، ومنهم من جعلها بمعنى صيَّر فتتعدى إلى مفعولين، وهو اختيار ابن مالك. ﴿بَيِّنَةً﴾: صفة ﴿ءَايَةً﴾. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلق بـ﴿تَّرَكْنَا﴾، أو بـ﴿ءَايَةً﴾، أو بـ﴿بَيِّنَةً﴾، وهو أظهر، وجملة ﴿يَعْقِلُونَ﴾: صفة لـ﴿قوم﴾ وجملة ﴿تَّرَكْنَا﴾: جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مع جوابه مستأنفة.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وَإِلَىٰ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إلى مدين﴾: متعلق بمحذوف معطوف على أرسلنا في قصة نوح؛ أي: وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا ﴿أَخَاهُمْ﴾: مفعول به. ﴿شُعَيْبًا﴾: بدل، أو عطف بيان منه. ﴿فَقَالَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على شعيب، والجملة معطوفة على أرسلنا المحذوف. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿ٱعْبُدُواْ﴾. ﴿ٱلْأَخِرَ﴾ صفة لـ﴿ٱلْيَوْمَ﴾. ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق به. ﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال من فاعل ﴿تَعْثَوْاْ﴾ مؤكدة لعاملها، والجملة معطوفة على جملة ﴿ٱعْبُدُواْ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿كذبوه﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على قوله: ﴿فقَالَ﴾. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: فعل ومفعول. ﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾: فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾. ﴿فَأَصْبَحُواْ﴾: فعل ناقص واسمه معطوف على ﴿كذبوه﴾. ﴿فِي دَارِهِمْ﴾: متعلق بـ﴿جَٰثِمِينَ﴾. ﴿جَٰثِمِينَ﴾: خبر ﴿أصبح﴾. ﴿وَعَادًا﴾: مفعول لفعل محذوف معلوم من قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾، تقديره: وأهلكنا عاداً، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾، أو على جملة قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾. ﴿وَثَمُودَاْ﴾: معطوف على ﴿عاداً﴾ ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي؛ لأنه بمعنى القبيلة. ﴿وَقَد﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، أو حالية. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿تَّبَيَّنَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير مستتر، يعود على الإهلاك المفهوم من أهلكنا المقدر؛ أي: وقد تبين لكم إهلاكهم. ﴿لَكُم﴾: متعلق بـ﴿تَّبَيَّنَ﴾. ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾: متعلق بـ﴿تَّبَيَّنَ﴾ أيضاً؛ أي: والحال أنه قد تبين لكم إهلاكهم من مساكنهم حين مررتم عليها، والجملة معطوفة على

أهلكنا المقدر، أو حالية. ﴿وَزَيَّنَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿زين﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمُ﴾: متعلق به. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعل. ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: مفعول به، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب إهلاكهم. ﴿فَصَدَّهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿صدهم﴾: فعل ومفعول وفاعل مستتر. ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿زين﴾. ﴿وَكَانُوا۟﴾: الواو: حالية. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿مُسْتَبْصِرِينَ﴾: خبره، والجملة في محل النصب حال من ضمير لهم.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿وَقَٰرُونَ﴾: معطوف على ﴿عاداً﴾. ﴿وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾: معطوفان عليه. ﴿وَلَقَدْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿جَآءَهُم مُّوسَىٰ﴾: فعل ومفعول وفاعل مؤخر. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: متعلق بـ﴿جاء﴾، والجملة جواب القسم، وجملة القسم مستأنفة. ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿استكبروا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿جاء﴾. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق بـ﴿استكبروا﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿استكبروا﴾.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾.

﴿فَكُلًّا﴾: ﴿الفاء﴾: تفسيرية؛ لأنها فسرت الأخذ الذي يدل عليه قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾، أو فصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت قولنا وما كانوا سابقين، وأردت بيان عاقبة أمرهم فأقول لك: ﴿كلاً أخذنا﴾. ﴿كلاً﴾: مفعول مقدم لـ﴿أَخَذْنَا﴾ ﴿أَخَذْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة، أو الجملة تفسيرية لا محل لها من الإعراب. ﴿بِذَنۢبِهِۦ﴾ متعلق بـ﴿أَخَذْنَا﴾.

﴿فَمِنْهُم﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفصيل. ﴿وَمِنْهُم﴾: خبر مقدم. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿أَخَذْنَا﴾ مفصلة لها. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به. ﴿حَاصِبًا﴾: مفعول به، والجملة صلة الموصول. ﴿وَمِنْهُم﴾: خبر مقدم. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على جملة قوله: فمنهم من أرسلنا. ﴿أَخَذَتْهُ﴾: فعل ومفعول. ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾: فاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ﴾: مبتدأ وخبر معطوف على جملة ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا﴾. ﴿خَسَفْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِ﴾: متعلق به ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به، والجملة صلة الموصول.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ﴾: مبتدأ وخبر معطوف على الجملة الأولى. ﴿أَغْرَقْنَا﴾: فعل وفاعل والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديره: أغرقناه. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾ نافية. ﴿كَانَ ٱللَّهُ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿لِيَظْلِمَهُمْ﴾: اللام حرف نفي وجحود. ﴿يظلمهم﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لظلمهم، الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، تقديره: وما كان الله مريداً لظلمهم، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا﴾. ﴿وَلَٰكِن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لكن﴾: حرف استدراك. ﴿كَانُوٓا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: مفعول مقدم. لـ﴿يَظْلِمُونَ﴾، وجملة ﴿يَظْلِمُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾. والجملة الاستدراكية معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ﴾، أو حال من مفعول ﴿يظلمهم﴾.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿مَثَلُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾؛ أي: حال كونهم مجاورين الله. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مفعول به. ﴿كَمَثَلِ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ. ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾: مضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿ٱتَّخَذَتْ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾. ﴿بَيْتًا﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب حال من ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾. ﴿وَإِنَّ﴾: ﴿الواو﴾: حالية، كما في الجمل، أو استئنافية. ﴿إنَّ﴾: حرف نصب. ﴿أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾: اسمها ومضاف إليه. ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾: خبر ﴿إنَّ﴾. واللام حرف ابتداء، والجملة مستأنفة، أو حال من ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾. ﴿لَوْ﴾: حرف شرط. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَعْلَمُونَ﴾: خبره، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، تقديره: لو كانوا يعلمون أن مثلهم كمثل العنكبوت ما عبدوها، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية مستأنفة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿يَعْلَمُ﴾: خبره، وجملة ﴿إنَّ﴾ مستأنفة. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿يَدْعُونَ﴾. ﴿يَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديره: ما يدعونهم ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: حال من فاعل ﴿يَدْعُونَ﴾. ﴿مِن شَىْءٍ﴾: متعلق بـ﴿يَدْعُونَ﴾. ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾: نافية. و﴿مِن شَىْءٍ﴾: مفعول ﴿يَدْعُونَ﴾ على أن ﴿مِن﴾: زائدة لسبقها بالنفي، وجملة ﴿مَا يَدْعُونَ﴾: في محل النصب مفعول ﴿يَعْلَمُ﴾. ﴿وَهُوَ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبر أول ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: خبر ثان، والجملة مستأنفة.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَتِلْكَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿تلك﴾: مبتدأ. ﴿ٱلْأَمْثَٰلُ﴾: بدل، أو عطف بيان له، وجملة ﴿نَضْرِبُهَا﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلق بـ﴿نَضْرِبُهَا﴾، ويجوز أن

تكون الأمثال خبر ﴿تلك﴾، وجملة ﴿نَضْرِبُهَا﴾ حالاً، أو خبراً ثانياً له. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿ما﴾: نافية. ﴿يَعْقِلُهَآ﴾: فعل ومفعول. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل النصب حال من مفعول ﴿نَضْرِبُهَا﴾. ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: حال من فاعل ﴿خَلَقَ﴾، أو من مفعوله. والباء للملابسة. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾: مقدم. ﴿لَأَيَةً﴾: اسمها مؤخر. و﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: صفة لـ﴿ءَايَةً﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة، مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿ٱتْلُ﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وهو الواو، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به. ﴿أُوحِىَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلق به، والجملة صلة الموصول. ﴿مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: حال من نائب فاعل أوحي. ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿ٱتْلُ﴾. ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿تَنْهَىٰ﴾: خبر ﴿إنّ﴾. ﴿عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: متعلق بـ﴿تَنْهَىٰ﴾. ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: معطوف على ﴿ٱلْفَحْشَآءِ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل إقامة الصلاة. ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿ذكر الله﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿أَكْبَرُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة. ﴿وَٱللَّهُ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. وجملة ﴿يَعْلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿يَعْلَمُ﴾ وجملة ﴿تَصْنَعُونَ﴾ صلة ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: ما تصنعونه.

التصريف ومفردات اللغة

﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ﴾ أصل[1] القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتُبر بفعل المتولي لذلك، يقال: قتل، وإذا اعتُبر بفوت الحياة، يقال: موت. ﴿أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ والفرق بين التحريق والإحراق، وبين الحرق، أن الأول: إيقاع ذات لهب في الشيء، ومنه استُعير أحرقني بلومه إذا بالغ في أذيته بلوم، والثاني: إيقاع حرارة في الشيء من غير لهب، كحرق الثوب بالدق، كما في «المفردات». كما مر.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ وآمن به متقارب في المعنى، كما مر. ﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ قال في «المفردات»: الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره، إما بالبدن، أو باللسان، أو بالقلب، قال بعضهم: معناه إني راجع من نفسي ومن الكون إليه، فالرجوع إليه بالانفصال عما دونه، ولا يصح لأحد الرجوع إليه، وهو متعلق بشيء من الكون، حتى ينفصل عن الأكوان أجمع ولا يتصل بها.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وأجر الدنيا الرزق الواسع الهني والمنزل الرحب، والمورد العذب، والزوجة الصالحة والثناء الجميل والذِكرُ الحسن، ﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ جمع صالح وهو الباقي على ما ينبغي، يقال: طعام بعد صالح؛ أي: هو باق على حال حسنة.

﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ الفاحشة الفعلة القبيحة، التي تنفر منها النفوس الكريمة. ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك، وفيه سهولة، وقطع الطريق يقال: على وجهين:

أحدهما: يراد به قطع السير والسلوك.

والثاني: يراد به الغصب من المارة والسالكين للطريق؛ لأنه يؤدي إلى انقطاع الناس عن الطريق، فجُعل قطعاً للطريق، وكانوا يتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ الأموال.

---

(١) روح البيان.

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ قال في «كشف الأسرار»: النادي مجمع القوم للسمر والأنس، وجمعه أندية اهـ والنادي والندوة والمنتدى مجلس القوم نهاراً أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه وجمعه أندية ولا تقل في جمعه نوادٍ، وغلط صاحب المنجد حيث جمعه على نواد، ويقال: ما يندوهم النادي؛ أي: ما يُسمعهم المجلس. من كثرتهم. وقال الزمخشري: ولا يقال: للمجلس ناد إلا ما دام فيه أهله، فإذا قاموا عنه لم يبق نادياً. ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ قال الراغب: المنكر كل شيء تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه العقول وتحكم بقبحه الشريعة، انتهى.

﴿أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾؛ أي: قرية سذوم ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾؛ أي: الباقين في العذاب، أو القرية، وهو لفظ مشترك في الماضي والباقي، يقال: فيما غبر من الزمان؛ أي: فيما مضى. ويقال الفعل ماض وغابر؛ أي: باق.

﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾؛ أي: اعتراه المساءة بسببهم، مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء؛ أي: فاحشة. ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ الذرع الطاقة والقوة، وفي المصباح ضاق بالأمر ذرعاً عجز عن احتماله، وذرع الإنسان طاقته التي يبلغها وعبارة الزمخشري: وقد جعلت العرب ضيق الذراع، والذرع عبارةً عن فقد الطاقة، كما قالوا: رحب الذراع بكذا إذا كان مطيقاً له، والأصل فيه: أن الرجل إذا طالت ذراعه، نال ما لا يناله قصير الذراع، فضُرب ذلك مثلاً في العجز والقدرة، والذراع من الرجل من طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى، والذراع من المقاييس طوله بين الخمسين والسبعين سنتيمتراً.

﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الرجز والرجس العذاب من قولهم: ارتجز وارتجس إذا اضطرب وارتعش لما يلحق المعذب من القلب والاضطراب.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾؛ أي: ولا تفسدوا، وفي «المصباح» عثا يعثو وعثي يعثى، من باب قال وتعب أفسد، فهو عاث. وفي «القاموس»: وعثا كرمى وسعى ورضي عثياً وعثيّاً وعثياناً وعثا يعثو عثواً أفسد.

﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، وفي «الأساس»: ورجفت الأرض فأخذتهم الرجفة. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ ورجف الشجر وأرجفته الريح، ورجف البعير

تحت الرحل، والمطي تحت رحالها إذا اضطرب.

﴿جَٰثِمِينَ﴾؛ أي: مقيمين من جثم الطائر إذا قعد ولصق بالأرض، والمراد أنهم ماتوا. ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ يقال استبصر في أمره إذا كان ذا بصيرة. ﴿وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾ من قولهم: سبق طالبه إذا فاته ولم يدركه، قال الراغب: أصل السبق التقدم في السير، ثم تجوّز به في غيره من التقدم، كما قال بعضهم: إن الله تعالى طالب كل مكلف بجزاء عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر. ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ قال بعضهم: الأخذ أصله باليد، ثم يستعار في مواضع، فيكون بمعنى القبول، كما في قوله: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾؛ أي: قبلتم عهدي، وبمعنى التعذيب في هذا المقام، قال في «المفردات»: الأخذ حوز الشيء وتحصيله، وذلك تارةً بالتناول، نحو ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ وتارةً بالقهر، نحو ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ويقال: أخذته الحمي، ويعبر عن الأسير بالمأخوذ والأخيذ.

﴿حَاصِبًا﴾ الحاصب الريح العاصفة فيها حصباء، وفي «المختار»: عصفت الريح اشتدت، وبابه ضرب وجلس .اهـ. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ والإغراق كما في «التاج»: والغرق الرسوب في الماء؛ أي: السفول والنزول فيه.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ مثل الشيء بفتحتين صفته، كما في «المختار»، والاتخاذ افتعال من الأخذ، والمراد بالأولياء الآلهة والأصنام.

﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، والغالب في الاستعمال التأنيث، وتاؤه كتاء طاغوت؛ أي زائدة لا للتأنيث، وهي دويبة معروفة تنسج من لعابها خيوطاً، وتصيد بذلك النسيج طعامها، والجمع عناكب وعنكبوتات، والعنكب ذكرها، والجمع عناكب وعناكيب والعنكبة والعنكباة والعكنباة أنثاها، والجمع عناكب وعناكيب.

وقال علماء التصريف: والعنكبوت معروف، ونونه أصلية، والواو والتاء مزيدتان بدليل قولهم: في الجمع عناكب وفي التصغير عنيكيب، ويذكّر ويؤنّث، وهذا مطرد في أسماء الأجناس، وقال ابن يعيش في شرح المفصل: ومن ذلك

فعللوت، قالوا عنكبوت وتخربوت، ولم يأت صفةً فالعنكبوت معروفة، وهي دويبة تنسج لها بيوتاً من خيوط واهية، والتخربوت الناقة الفارهة، والواو والتاء في آخرهما زائدتان زيداً في آخر الرباعي، كما زيدا في آخر الثلاثي من نحو ملكوت ورهبوت.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ جمع مثل، والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول؛ أي: تشبيه حال الثاني بالأول. ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ قال في «المفردات»: ضرب المثل هو من ضرب الدرهم اعتباراً بضربه بالمطرقة، وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره.

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ قال الإمام الراغب في «المفردات»: العقل يقال: للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل، ولهذا قال أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ:

أَقُولُ ٱلْعَقْلُ عَقْلاَنِ فَمَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعُ
وَلاَ يَنْفَعُ مَطْبُوعٌ إِذَا لَمْ يَكُ مَسْمُوعُ
كَمَا لاَ تَنْفَعُ ٱلشَّمْسُ وَضَوْءُ ٱلْعَيْنِ مَمْنُوعُ

وإلى الأول: أشار عليه السلام بقوله: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل»، وإلى الثاني: أشار بقوله: «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى، ويرده عن ردى»، وهذا العقل هو المعني بقوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ وكل موضع ذم فيه الكفار بعدم العقل، فإشارة إلى الثاني دون الأول، وكل موضع رُفع فيه التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول، انتهى.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ التلاوة القراءة على سبيل التوالي، والإيحاء إعلام في الخفاء، ويقال: للكلمة الإلهية التي تُلقى إلى الأنبياء وحي، والله أعلم.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الترديد بين قتله وإحراقه في قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ فقد يكون ذلك من قائلين ناس أشاروا بالقتل، وناس أشاروا بالإحراق، وفي سورة الأنبياء ﴿حَرِّقُوهُ﴾ اقتصروا على أحد الأمرين، وهو الذي فعلوه، فرموه في النار ولم يقتلوه، اهـ من «النهر». وعبارة الرازي: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ﴾؛ أي: قال رؤساء القوم لأتباعهم؛ لأن الجواب لا يصدر إلا من الأكابر، والقتل لا يباشره إلا الإتباع اهـ.

ومنها: أسلوب الإيجاز في قوله: ﴿أَوْ حَرِّقُوهُ﴾؛ أي: حرقوه في النار، وفي قوله: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: فقذفوه في النار، فأنجاه الله من النار.

ومنها: التأكيد بعدة مؤكدات، والإطناب بتكرار الفعل، تهجيناً لعملهم القبيح، وتوبيخاً لهم، في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ الآية.

ومنها: الاستفهام الإنكاري التوبيخي في قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾.

ومنها: الاستهزاء والسخرية في قوله: ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؛ أي: إن كنت صادقاً فائتنا به.

ومنها: فن الإشارة في قوله: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾؛ لأنه ليس المراد إخبارهم بكون لوط في القرية، وإنما هو جدال في شأنه؛ لأنهم ذكروا أن أهلها سيهلكون بسبب إمعانهم في الظلم، فاعترض عليهم، بأن فيها من هو بريء الساحة من الذنب، لم يجترح ذنباً، ولم يقترف إثماً، ولم يشارك قومه فيما هم ممعنون فيه من غي وارتكاس، وفي هذا كله أيضاً، إشارة إلى أن من واجب الإنسان المؤمن أن يتحزن لأخيه، وأن يسارع إلى رد الحيف عنه، ويتشمر للدفع عنه، وهذا من بليغ الإشارة وخفيِّها.

ومنها: التنكير لإفادة التهويل في قوله: ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: رجزاً عظيماً هائلاً.

ومنها: تقديم المفعول على عامله للعناية والاهتمام في قوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا

بِذَنۢبِهِۦ﴾.

ومنها: الإجمال ثم التفصيل في قوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾؛ لأن فيه إجمالاً، وفي قوله: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ إلخ، لأن فيه تفصيلاً لما أجمل أولاً.

ومنها: التشبيه التمثيلي في قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾ حيث شبه حال من اتخذ الأصنام أولياء وعبدها، واعتمد عليها راجياً نفعها وشفاعتها، بحال العنكبوت التي اتخذت بيتاً، فكما أن بيتها لا يدفع عنها حراً، ولا برداً ولا مطراً ولا أذًى، وينتقض بأدنى ريح، فكذلك الأصنام لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً، فالآية من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة، لتشبيه حال الكفار بحال العنكبوت، وسمي تمثيلياً، لأن وجه المشبه فيه صورة منتزعة من متعدد.

ومنها: توافق الفواصل في الحرف الأخير، وما فيه من جرس عذب بديع، مثل ﴿ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ - ﴿إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ ومثل ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ - ﴿ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ مثلاً، وهو من خصائص القرآن.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾؛ لأنه كناية عن ضيق صدره وغم قلبه.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾.

ومنها: الحال المؤكدة في قوله: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ تفخيماً لشأنها.

ومنها: عطف العام على الخاص في قوله: ﴿تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

الحمد لله الذي تتم به الصالحات، والصلاة والسلام على أفضل الكائنات، سيدنا محمد وعلى آله وجميع الصحابات[1].

* * *

(١) وهذا آخر ما يسره الله لنا، من تفسير هذا الجزء الكريم، بتوفيقه ومنه الجسيم، وفضله وكرمه العميم، وكان الفراغ منه منتصف النهار قبيل صلاة الظهر في مكة المكرمة، في المسفلة في اليوم السادس من شهر شعبان، من شهور سنة ألف وأربع مئة وثلاث عشرة سنة، ٦/٨/ ١٤١٣ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

وهذا آخر المجلد الحادي والعشرين، ويليه المجلد الثاني والعشرين وأوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ انتهى التصحيح في ١٦/ ١/ ١٤١٨هـ.

وما أحسن قول القائل:

إِذَا رَأَيْــــتَ أَثِــــيْــــمَــــا ... كُــنْ سَــاتِــرَاً وَحَــلِــيْــمَــا
يَــا مَــنْ يُــقَــبِّــحُ شَــرْحِــيْ ... لِــمَ لاَ تَــمُــرُّ كَــرِيْــمَــا

الفهرس